

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام[1]

مقصودها الاستدلال على ما دعا إليه الكتابُ في السورة الماضية
من التوحيد بأنه الحائز[2] لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة
على البعث وغيره، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام،
لأن الإذن فيها - كما يأتي - مسبب عما ثبت له من الفلق[3] والتفرد بالخلق، ٥
وتضمن باقي ذكرها إبطالَ ما اتخذوه من أمرها دينا، لأنه لم يأذن
فيه ولا إذن لأحد معه، لأنه المتوحد بالإلهية، لا شريك له، وحصر
المحرمات من المطاعم التي هي جُلُّها في هذا الدين وغيره، فدل ذلك على
إحاطة علمه، وسيأتي في سورة طٰهٰ البرهان الظاهر[4] على أن إحاطة العلم[4]
ملزومة لشمول القدرة وسائر الكمالات، وذلك عين مقصود السورة، ١٠
وقد ورد من عدة طرق - كما بينتُ[5] ذلك في كتابي «مصاعد النظر[6]»

(١) مكية إلا آيتان عند البعض، وإلا ثلاث آيات أو ست آيات عند الآخرين، وعدة آياتها عند الكوفيين مائة وخمس وستون، وعند البصريين والشاميين ست وستون، وعند الحجازيين سبع وستون - راجع روح المعاني ٢/٤١٩ (٢) في ظ: الحائز (٣) في ظ: العلو - كذا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: ثبت (٦) في ظ: المنظر، واسمه التام: مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور.

أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح، و في رواية: إن نزولها كان ليلا، و إن الأرض كانت ترتج لنزولها.

و هي كلها في حجاج المشركين و غيرهم من المبتدعة[1] و القدرية و أهل الملل الزائغة، و عليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد و العدل و النبوة
٥ و المعاد و إبطال مذاهب الملحدين. و إنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة، و أن تعلّمه واجب على الفور لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فانها تفرق بحسب المصالح. و لنزولها ليلا دليلٌ على غاية البركة لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا، و على[2] أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة
١٠ الغفلات، أولو الألباب أهل الخلوات و الأرواح الغالبة على الأبدان و هم قليل. ﴿بسم الله﴾ الذي بين دلائل توحيده بأنه الجامع لصفات الكمال ﴿الرحمٰن﴾ الذي أفاض على سائر الموجودات من رحمته بالإيجاد و الإعدام ما حيّر لعمومه[3] الأفهام. فضاقت به[2] الأوهام ﴿الرحيم﴾ الذي حبا أهل الإيمان بنور البصائر حتى كان الوجود ناطقا لهم،
١٥ بالإعلام بأنه الحي القيوم السلام. ﴿الحمد﴾ أي الإحاطة[4] بأوصاف الكمال[4] ﴿لله﴾.

لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله[5] في ذلك

---

(١) في ظ: المبتدعين (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: لعموم (٤-٤) في ظ: بالاوصاف الكاملة (٥) في ظ: إجلاله.

اليوم فى ذلك الجمع ، ثم تحميد نفسه[1] المقدسة بشمول الملك والقدرة ، إذ الحمد هو الوصف بالجميل ؛ افتتح سبحانه و تعالى هذه السورة[2] بالإخبار[3] بأن ذلك الحمد و غيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل إيجاد الخلق و بعد إيجاده سواء شكره العباد أو كفروه ، لما له سبحانه و تعالى من صفات [4] الجلال و[4] الكمال - على ما تقدمت الإشارة إليه فى الفاتحة - ٥ فأتى بهذه الجملة الاسمية المفتتحة باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أنواعه الدالة على الاستغراق ، / إما بأن اللام له عند الجمهور ، أو بأنها للجنس - ١٥٧ / كما هو مذهب الزمخشرى ، و يؤل[5] إلى مذهب الجمهور ، فان الجنس إذا كان مختصا به لم يكن[6] فردٌ منه لغيره ، إذ الجنس لا يوجد إلا ضمن أفراده ، فمتى وجد فرد منه لغيره[2] كان الجنس موجودا فيه فلم يكن ١٠ الجنس مختصا به و قد قلنا : إنه مختص ، و هذا التحميد صار[7] بوصفه فردا[8] من أفراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونها[9] أمًّا ، و عقبها سبحانه بالدليل الشهودى على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه بقوله : ﴿ الذى خلق ﴾ .

و لما كان تعدد السماوات ظاهرا بالكواكب فى سيرها و حركاتها ١٥ فى السرعة و البطوء واستتار[10] بعضها ببعض عند الخسوف و غيره و غير[2] ذلك

---

(١) زيد فى الأصل : ثم تحمده لنفسه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الاخبار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : موول - كذا (٦) فى ظ : فلم يكن (٧) فى ظ : سا - كذا (٨) فى ظ : فرد (٩) فى ظ : لكونه (١٠) من ظ ، و فى الأصل : استار .

مما هو محرز عند أهله : جمعها فقال : ﴿ السموٰت ﴾ أى على علوها وإحكامها ، [قدمها لما تقدم قريبا -[1]] ﴿ والارض ﴾ أى على تحليها[2] بالمنافع و انتظامها .

و لما كان فى الجعل معنى التضمن[3] فلا يقوم المجعول بنفسه قال :

٥ ﴿ و جعل ﴾ أى أحدث و أنشأ لمصالحكم ﴿ الظلمٰت ﴾ أى الأجرام [4]المتكاثفة كما تقدم[4] ﴿ و النورۜ ﴾ و جمع[5] الأول تنبيها على أن طرق الشر و الهلاك كثيرة تدور على الهوى . و قد تقرر بهذا ما افتتح به السورة ، لأن من تفرد باختراع الأشياء كان هو المختص بجميع المحامد ، و من اختص بجميع المحامد لم يكن إلـٰه سواه و لم يكن له شريك ، لا ثانى

١٠ اثنين و لا ثالث ثلاثة و لا غير ذلك ، و ما أحسن ختمها - بعد الإشارة إلى هذه المقاصد المبعدة لأن يكفر به أو يعدل به شىء - بقوله : ﴿ ثم الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من أدلة وحدانيته التى لا خفاء بها عن أحد جرّد نفسه من الهوى ، و عالج أدواءه بأنفع دواء ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، و زاد الأمر تقبيحا عليهم بابدال[6]

١٥ ما كان الأصل فى الكلام من الضمير[7] بقوله : ﴿ بربهم ﴾ أى المحسن إليهم الذى لم يروا إحسانا إلا منه ﴿ يعدلون ﴾ أى يجعلون غيره ممن لا يقدر على شىء معادلا له مع[8] معرفتهم به[8] بأنه الذى أبدع الأشياء ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : تخللها (٣) فى ظ : التضمين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ . و فى الأصل : جعل (٦) فى ظ : بدل (٧) من ظ ، و فى الأصل : الضم (٨) سقط من ظ .

كفرا لنعمته و بُعدا من رحمته ، فبعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه من السماء كالنجوم ، أو من الأرض كالأصنام ، أو بعض ما ينشأ عن بعض خلقه من الأعراض و هو خلقه كالنور و الظلمة ، و الحال أن تقلباتهما[1] تدل بأدنى[2] النظر على أمرين : الأول بُعدهما عن الصلاحية للالهية لتغيرهما " قال[3] لا احب الأفلين " ، و الثاني قدرة خالقهما ٥ و مغيرهما على البعث[4] لإيجاد كل منهما بعد إعدامه كما هو شأن البعث - إلى غير ذلك من الأسرار التي تدق عن[5] الأفكار ، و تقديمُ الظلمة مناسب لسياق العادلين . و التعبير بثم للتنبيه[6] على ما[6] كان ينبغي لكل راءٍ[7] لهذا الخلق من الإبعاد عن الكفر لبعده عن الصواب ، فقد لاح أن[8] مقصد السورة الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب الذي تبين ١٠ أنه الهدى من توحيد الله و الاجتماع عليه و الوفاء بعهوده بأنه سبحانه وحده الخالق الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث و غيره ، و ما أنسب ذلك بختم المائدة بذكر يوم الجمع و أن لِمَلِكِه[9] جميع الملك ، و هو على كل شيء قدير ، و هذه السورة أول السور الأربع[10] المشيرة إلى جميع النعم المندرجة تحت "[11]النعم الأربع[11]" التي اشتملت عليها الفاتحة ، ١٥ و كل سورة منها [8]مشيرة إلى نعمة من النعم الأربع[8] ، فقولُه[12] " خلق السموٰت و الارض " - الآية ثم " خلقكم / من طين " ثم [8] " و ما من ‎/ ١٥٨

(١) من ظ ، و في الأصل : تقلباتها (٢) من ظ ، و في الأصل : باداني (٣) من القرآن الكريم آية ٧٦ ، و في الأصل و ظ : انى (٤) من ظ ، و في الأصل : البعض (٥) في ظ : على (٦ - ٦) من ظ ، و في الأصل : عليها (٧) في ظ : واحد . (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : الملكة - كذا (١٠) من ظ ، و في الأصل : الاربعة (١١ - ١١) في ظ : الأربع النعم (١٢) في ظ : بقوله .

دابة فى الارض" - الآية، متكفل[1] بتفصيل نعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات و الأرض و ما بينهما و ما فيهما من آدمى و غيره المشار إليه فى الفاتحة برب العالمين كما تقدم.

و لما تكفلت السور[2] المتقدمة بالرد على مشركى[3] العرب و اليهود ٥ و النصارى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك، سيق مقصود هذه السورة فى أساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق، و هم الثنوية[4] من المجوس القائلون[5] بالهين اثنين و بأصلين :[6] النور و الظلمة، و يقرون بنبوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فقط، و الصابئة القائلون بالأوثان السماوية و الأصنام الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب، و ينكرون ١٠ الرسالة فى الصورة البشرية، و أصحاب الروحانيات، أعنى مدبرات الكواكب و الأفلاك، و ينتسبون[7] إلى ملة إبراهيم عليه السلام، و يدعون أنه منهم - و قد أعاذه الله من ذلك، و السمنية[8] القائلون بالهية الشمس، مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة على أن جميع فرقهم يجتمعون فى اعتبار النجوم، يتبين ذلك لمن نظر فى كتب فتوح بلاد الفرس فى أيام ١٥ الصديق و الفاروق رضى الله عنهما. و قال تنكلوشا[9] البابلى فى أول كتابه

---

(١) فى ظ تنكفل (٢) فى ظ : السورة (٣) من ظ، و فى الأصل : مشرك. (٤) وقع فى الأصل : الثريه، و فى ظ : بالثوية - كذا، و التصحيح من كتاب البدء و التاريخ ٤ / ٢٤ حيث ذكر أديان من قال باثنين أو بأكثر (٥) فى ظ : القائلين (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها. (٧) فى ظ : ينسبون (٨) فى ظ : الشمسية، و الصواب ما فى الأصل - راجع البدء و التاريخ (٩) فى ظ : تنكلوما - كذا.

فى

فى أحكام الدرج[1] الفلكية أن القدماء من الكسدانيين استنبطوا غوامض أسرار الفلك، و كان عندهم أجل العلوم و لم يكونوا يظهرون علم الفلك لكل الناس، بل كانوا يخفون أكثره عن عامتهم، و يعطونهم منه[2] بمقدار ما يصلح، و يتدارسون الباقى بينهم مطويا[3] بين علمائهم [4]و حكمائهم[4]، ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلاثمائة و ستين، ثم قال: وقسموا الدرج ٥ أقساما كثيرة حتى قالوا: إن بعضها ذكور[5] و بعضها إناث، و بعضها مسعدة و بعضها منحسة، ثم قال: كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل عليه فى عالمنا و على أحوالنا حتى جعلوا لكل درجة عالما و خلقا [6]منفردا بمدته[6]، و أن ذلك العالم و الخلق يندرسون و ينشأ بعدهم غيرهم - إلى غير ذلك من الكلام الذى يرجع إلى اعتقاد تأثير النجوم بنفسها - ١٠ تعالى الله عن أن يكون له شريك أو يكون له[2] كفوا أحد.

و لما قرر سبحانه أنه[2] هو الذى خلق السماوات و الأرض اللتين منهما و فيهما الأصنام و الكواكب و الأجرام التى عنها النور و الظلمة، فثبت وجوده على ما هو عليه من الإحاطة بأوصاف الكمال التى أثبتها الحمد، فبطلت جميع مذاهبهم، فعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره، أتبع ذلك ١٥ اختصاصه بخلق هذا النوع البشرى، و هو - مع ما فيه من الشواهد له

---

(١) من ظ، و فى الأصل: المدارج، وسمى هذا الكتاب فى كشف الظنون ١/٧٤٠: درج الفلك - فى الأحكام (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: مطلوبا. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: ذكورا (٦ - ٦) من ظ، و فى الأصل: فتفرد بعدته.

بالاختصاص بالحمد و الرد على المُطرين لعيسى عليه السلام المخلوق من
الطين بخلق أبيهم آدم عليه السلام - مؤكداً[1] لإبطال مذهب الثنوية،
و ذلك أنهم يقولون: إن النار خالق الخير، و الظلمة خالقة[2] الشر، فإذا
ثبت أنه الخالق[3] لنوع الآدميين الذين منهم الخير و الشر من شيء واحد،
٥ و هو الطين الذي ولد منه المني الذي جعل منه الأعضاء المختلفة في
اللون و الصورة و الشكل من القلب و غيره من الأعضاء البسيطة [4]كالعظام
و الغضاريف[4] و الرباطات و الأوتار، ثبت أن خالق أوصافهم من الخير
و الشر واحد قدير عليم، لأن توليد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة[5]
لا يكون إلا و مبدعه واحد مختار، لا اثنان، / و هو الذي خلق الأرض / ١٥٩
١٠ التي منها أصلهم، و هو الله الذي اختص بالحمد فقال: ﴿ هو الذي
خلقكم ﴾ و لما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الأموات ترابا و اختلاط
تراب الكل بعضه ببعض و[6] بتراب الأرض، فيتعذر التميز[7]، و كان
تميز[8] الطين لشدة اختلاط أجزائه بالماء أعسر من تميز التراب قال:
﴿ من طين ﴾ أي فميز طينة كل[9] منكم - مع أن منكم الأسود و الأبيض
١٥ و غير[10] ذلك و الشديد و غيره - من طينة الآخر بعد أن جعلها ماء
ثخينا له قوة الدفق و نماها إلى حيث شاء من الكبر.

---

(١) في ظ: موكدا (٢) في ظ: خالق (٣) من ظ، و في الأصل: خالق.
(٤-٤) في ظ: كالطعام و العطاريف - و هو خطأ، و الغضاريف جمع غضروف
و هو كل عظم رخص، و يقال أيضا: الغرضوف (٥) من ظ، و في الأصل:
المتشابه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و في الأصل: التميز (٨) من ظ، و في
الأصل: تميز (٩) من ظ، و في الأصل: كلا (١٠) من ظ، و في الأصل: ثم.

و لما كان من المعلوم أن ما كانا[1] من شيء واحد كانت مدة بقائهما واحدة ، نبه بأداة التراخي على كمال قدرته و اختياره من[2] المفاوتة بين الآجال فقال: ﴿ ثم قضى ﴾ أي حكم حكما تاما و بتّ و أوجد ﴿ اجلا ﴾ أي وقتا مضروبا لانقضاء العمر و قطع التأخر لكل واحد منكم خيرا كان [3]أو شريرا ، قويا كان[3] أو ضعيفا ، من أجل يأجل أجولا - إذا ٥ تأخر ، وجعل تلك الآجال - مع كونها متفاوتة[4] - متقاربة لا مزية لأحد منكم بصفة على آخر بصفة مغائرة لها، وفاعل ذلك لا يكون إلا واحدا فاعلا بالاختيار.

و لما ذكر الأجل الأول الذى هو الإبداع من الطين إشارة إلى ما فرع منه من الآجال المتفاوتة ، ذكر الأجل الآخر الجامع للكل ، لأن ذكر البداية يستدعي ذكر النهاية ، فقال مشيرا إلى تعظيمه بالاستئناف ١٠ و التنكير : ﴿ و اجل ﴾ أي عظيم ﴿ مسمى ﴾ أي لكم أجمعين لانقضاء البرزخ للاعادة التى هى فى مجارى عاداتكم أهون من الابتداء لمجازاتكم[5] و الحكم بينكم الذى هو محط حكمته و مظهر نعمته و نقمته فى وقت واحد ، يتساوى فيه الكل، و ستر علمه عن الكل كما أشار إليه بالتنكير ، و هذا لا يصح أن يكون إلا لواحد ، لا متعدد ، و إلا لتباينت المقادير ١٥ و الإرادات و انشق كل مقدور فى صنف[6] لا يتعداه ، و إلا لعلا بعضهم على بعض و انهتكت[7] أسرار البعض بالبعض - سبحان الله و تعالى عما يصفون ، و غير السياق إلى الاسمية إشارة إلى اختصاصه بعلمه و أنه ثابت لا شك فيه ا و يؤكده[8] إثبات قوله: ﴿ عنده ﴾ فى هذه الجملة و حذفها

(١) من ظ ، و فى الأصل: كان (٢) فى ظ : فى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : لمجازتكم (٦) فى ظ : صنعه (٧) من ظ ، و فى الأصل : انتهكت (٨) فى ظ : موكدة .

من الأولى[1] هنا[2] و فى قوله "ثم يبعثكم[3] فيه ليقضى اجل مسمى"، و قدم المبتدأ مع تنكيره - و الأصل تأخيره - إفادة[4] لتعظيمه .

و لما كان فى هذا من البيان لوحدانيته[5] و تمام قدرته[6] لا سيما على البعث الذى هو مقصود حكمته ما يبعد معه الشك فى الإعادة ، أشار إليه
٥ بأداة التراخى و صيغة الافتعال فقال : ﴿ ثم انتم تمترون ﴾ أى تكلفون أنفسكم الشك فى كل من الوحدانية و الإعادة التى هى أهون على مجارى عاداتكم من الابتداء ، بتقليد الآباء و الركون إلى مجرد الهوى و الإعراض عن الأدلة [التى -[7]] هى أظهر من ساطع الضياء ، و هذه الآية نظير آية الروم " اولم يتفكروا فى انفسهم[8] " أى كيف خلقهم الله من طين ، و سلط بعضهم[9]
١٠ على بعض بالظلم و العدوان ، و جعل لهم آجالا فاوت بينها[10] و ساوى فى ذلك بين الأصل و الفرع ، فأنتج هذا أنه ما خلق الله السماوات و الأرض "و ما بينهما" إلا بالحق ، أى[11] بسبب إقامة العدل فى جميع ما وقع بينكم من الاختلاف كما هو شأن كل مالك فى عبيده "و اجل مسمى" - الآية . و قال الإمام أبو جعفر[12] بن الزبير : لما بين سبحانه / و تعالى حال[11] المتقدمين[13] ١٦٠ /
١٥ و هو الصراط المستقيم ، و أوضح ما [14] يظهر الحذر[14] [من - [7]] جانبى الأخذ و الترك ، و بين[15] حال من تنكب عنه ممن كان قد يلمحه[16] ، و هم

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاول (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ : نبعثكم - كذا . والتصحيح من القرآن الكريم آية ٦٠ ، والآية بالغيبة بلا خلاف .
(٤) من ظ ، وفى الاصل : لافادة (٥) فى ظ : الوحدانية (٦) فى ظ : القدرة (٧) زيد من ظ (٨) آية ٨ (٩) فى ظ : بعض (١٠) فى ظ : منها (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى الأصل : جعفر ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو أحمد ابن إبراهيم بن الزبير - راجع معجم المؤلفين ١ / ١٣٨ (١٣) فى ظ : المتقين .
(١٤-١٤) فى ظ : يحذر - كذا (١٥) فى ظ : من (١٦) فى ظ : تلمحه .

اليهود و النصارى، و كونهم لم يلتزموا الوفاء به[1] و حادوا عما أنهج[2] لهم، و انقضى أمر الفريقين، ذما لحالهم و بيانا لنقضهم و تحذيرا للمتقين أن يصيبهم ما أصابهم، و ختم ذلك ببيان حال المؤمنين فى القيامة يوم ينفع الصادقين صدقهم، و قد كان انجرّ مع ذلك ذكر مشركى العرب و صممهم عن الداعى و عماهم عن الآيات . فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالأناسى، أعقب ٥ ذلك تعالى بالإشارة إلى طائفة مالت[3] إلى النظر و الاعتبار، فلم توفق لإصابة الحق و قصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى . و ليسوا ممن يرجع إلى شريعة قد حرفت و غيرت، بل هم فى صورة [4]من هَمّ[4] أن يهتدى[5] بهدى الفطرة و يستدل بما بسط الله تعالى فى المخلوقات فلم يمعن النظر و لم يوفق فضلّ و هم المجوس و سائر الثنوية ممن كان قصارى[6] أمره نسبة ١٠ الفعل إلى النور و الإظلام، و لم يكن تقدم لهؤلاء ذكر و لا إخبار بحال فقال تعالى " الحمد لله الذى خلق السموٰت و الارض و جعل الظلمٰت و النور" فبدأ تعالى بذكر خلق السماوات و الأرض التى عنها وجد النور و الظلمة، إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام، و النور عن أجرام نيرة محمولة فيها [و هى الشمس - [7]] و القمر و النجوم، فكان الكلام : الحمد لله الذى ١٥ أوضح الأمر لمن اعتبر و استبصر، فعلم أن وجود النور و الظلمة متوقف بحكم السببية التى شاءها تعالى على وجود أجرام السماوات و الأرض

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : انعج (٣) من ظ ، و فى الأصل : اومات - كذا (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : منهم - كذا متصلا (٥) من ظ ، وفى الأصل : يهدى (٦) من ظ ، أى غاية أمره ، و فى الأصل : قصارين (٧) زيد من ظ .

و ما أودع فيها، و مع بيان الأمر فى ذلك حاد [عنه - [١]] من عمى عن الاستبصار "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" و قوله تعالى "هو الذى خلقكم من طين" مما يزيد هذا المعنى وضوحا، فانه تعالى ذكر أصلنا و المادة التى عنها أوجدنا، كما ذكر للنور و الظلمة ما هو كالمادة،
٥ و هو وجود السماوات و الأرض، و أشعر لفظ 'جعل' بتوقف الوجود بحسب المشيئة على ما ذكر. و كان قد قيل: أىّ فرق [بين - [١]] وجود النور و الظلمة عن وجود السماوات و الأرض و بين وجودكم عن الطين حتى يقع امتراء فيه [٢] عن نسبة الإيجاد إلى النور و الظلمة، و هما لم يوجدا إلا بعد مادة أو سبب كما طرأ فى إيجادكم؟ فالأمر فى ذلك أوضح
١٠ شىء "ثم انتم تمترون"، ثم مرت السورة من أولها إلى آخرها منبهة على بسط الدلالات فى الموجودات مع التنبيه على أن ذلك لا يصل إلى استثمار فائدته [٣] إلا من هيئ [٤] بحسب السابقة فقال تعالى "انما يستجيب الذين يسمعون" ثم قال تعالى "و الموتى يبعثهم الله". و هو - و الله أعلم - من نمط "او من كان ميتا فاحيينه"، أجمل هنا ثم فسر بعد فى السورة
١٥ بعينها، و المراد أن من الخلق من جعله الله سامعا مطيعا متيقظا معتبرا بأول وهلة. و قد أرى المثال سبحانه و تعالى فى ذلك فى قصة إبراهيم عليه السلام فى قوله "و كذلك نرى ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض" فكأنه [٥] يقول لعباده المتقين: تعالوا فانهجوا طريق الاعتبار ملة أبيكم

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: فتدعى (٣) فى ظ: زايدة (٤) فى ظ: هيأ (٥) من ظ، و فى الأصل: كأنه.

إبراهيم [١]كيف نظر[١] عليه السلام نظر السامع المتيقظ! فلم يعرج فى أول نظره على ما سبب وجوده بيّن فيحتاج فيه إلى غرض فى الكواكب و القمر و الشمس، بل نظر فيما عنه[٢] صدر النور، لا فى النور، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا. فتأمّل كونَه عليه السلام لم يطول النظر بالتفات النور، ثم كان يرجع إلى اعتبار الجرم / الذى عنه[٢] النور، بل لما رأى ٥ /١٦١ النور عن أجرام سماوية تأمل تلك الآجرام وما قام بها من الصفات، فرأى الأفول و الطلوع و الانتقال و التقلب فقال: هذا لا يليق بالربوبية لأنها صفات حدوث، ثم رقى[٣] النظر إلى القمر و الشمس فرأى ذلك الحكم جاريا فيهما فحكم بأن وراءها مدبرا لها يتنزه عن الانتقال و الغيبة و الأفول فقال: "انى وجهت وجهى للذى فطر السموٰت و الارض"، ١٠ و خص عليه السلام ذكر هذين لحملهما أجرام [٤]النور و سببيتهما[٤] فى وجود الظلمة. ثم تأمل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص بالاعتبار أشرف الموجودين[٥] و أعلاهما، فكان فى ذلك وجهان من الحكمة: أحدهما علو النظر و نفوذ البصيرة فى اعتبار الأشرف الذى إذا بان منه الأمر فهو فيما سواه أبين، فجمع بين قرب التناول و علو التهدى[٦]، ١٥ و الوجه الثانى التناسب بين حال الناظر و المنظور فيه و التناول و الجرى على الفطرة العلية، و هو من قبيل أخذ نبينا صلى الله عليه و سلم اللبن حين عرض عليه اللبن و الخمر فاختار اللبن، فقيل له: اخترت الفطرة!

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: عنه (٣) من ظ، وفى الأصل: رمى (٤-٤) فى ظ: النورية وسببهما (٥) من ظ، وفى الأصل: الوجودين (٦) أى الاسترشاد، و فى ظ: الهدى.

فكان قد قيل : هذا النظر و الاعتبار بالهام، لا نظر من أخلد إلى الأرض فعمد الضياء و الظلام، و ينبغي أن يعتمد فى قصة إبراهيم عليه السلام فى هذا الاعتبار أنه صلى الله عليه و سلم فى قوله : « هذا ربى » إنما [قصد - [1]] قطع حجة من عبد شيئا من ذلك [2] إذ كان [2] دين قومه ، فبسط لهم الاعتبار
٥ و الدلالة، و أخذ يعرض ما قد تنزه [3] قدرُه عن الميل إليه ، فهو كما يقول المناظر لمن يناظره : هب أن هذا على ما تقول [4] ، يريد بذلك إذعان خصمه و استدعاءه [5] الاعتبار حتى يكون غير [6] مناظر له [6] ما لا يعتقده ، ليبنى على ذلك مقصوده ليقلع [7] خصمه و هو على يقين من أمره ، فهذا ما ينبغى أن يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام " ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء [8] "
١٠ فالعصمة قد اكتنفتهم عما يتوهمه [9] المبطلون و يتقوله المفترون ، و يشهد لما قلناه قوله تعالى " و تلك حجتنا اٰتينٰها ابرٰهيم على قومه [10] " فهذه حال من علت درجته من الذين يسمعون ، فمن الخلق من جعله الله سامعا بأول وهلة و هذا مثال شاف فى ذلك . ومنهم الميت ، و الموتى على ضربين [11] : منهم من يزاح [12] [عن - [1]] جهله و عمهه ، و منهم من يبقى فى ظلماته
١٥ ميتا لا حراك به ، يبين ذلك قوله تعالى " او من كان ميتا فاحيينٰه و جعلنا له

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : فكان (٣) من ظ ، و فى الأصل : نزه (٤) فى ظ : يقول (٥) فى ظ : استدناه (٦-٦) فى ظ : منا قوله (٧) فى ظ : ليقع . (٨) سورة ١٢ آية ٣٨ (٩) فى ظ : يتوهمونه (١٠) من القرآن الكريم - راجع آية ٨٣ من الأنعام ، و فى الأصل و ظ : قوله (١١) من ظ ، و فى الأصل : جزئين - كذا (١٢) فى ظ : يرح - كذا .

نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمت ليس بخارج منها "؛
و لما كانت السورة متضمنة[1] جهات الاعتبار و محركة إلى النظر و معلمة
من مجموع آيها أن المعتبر و المتأمل - و إن [2]لم يكن[2] متيقظا بأول
وهلة، و لا سامعا أول محرك، و لا مستجيبا[3] لأول سامع - قد ينتقل
حاله عن جموده[4] و غفلته إلى أن يسمع و يلحق بمن كان يتيقظ[5] فى ٥
أول وهلة؛ ناسب تحريكُ العباد و أمرهم بالنظر أن تقع الإشارة فى
صدر السورة إلى حالتين: حالة السامعين لأول وهلة، و حالة السامعين
فى ثانى حال، فقيل: /" انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى /١٦٢
يبعثهم الله " و لم تقع هنا إشارة إلى القسم الثالث مع العلم به، و هو
الباقى على همود و موته ممن[6] لم يحركه زاجر و لا واعظ و لا اعتبار، و لأن ١٠
هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسل من ضعفت همته، رجعت حالة
ابتدائه، فقيل: "و الموتى يبعثهم الله" و أطلق ليعمل الكل على هذا
البعث من الجهل و التيقظ من سنة الغفلة كما دعا الكل إلى الله دعاء
واحدا فقيل: " يأيها الناس اعبدوا ربكم" ثم اختلفوا فى إجابة الداعى
بحسب السوابق هكذا. و ردّ هذا " و الموتى يبعثهم الله" إسماعا للكل، ١٥
و فى صورة التساوى مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد، حتى إذا[6]
انبسطت الدلائل و انشرحت الصدور لتلقيها[6] و تشبثت[7] النفوس

---

(١) من ظ، و فى الأصل: مضمنة (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: يكن.
(٣) من ظ، و فى الأصل: مستحيا - كذا (٤) فى ظ: خموده (٥) فى ظ:
يتعظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: تسبب - كذا.

و تعلقت بحسب ما قدر، و فاز بالخير أهله، قال تعالى بعد آي: "او من كان ميتا فاحيينه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس" و كان قد قيل [لمن -[1]] انتقل عن حالة الموت فرأى قدر نعمة الله عليه باحيائه: هل يشبه الآن حالك النيرة[2] - بما منحت حين اعتبرت - بحالك الجامدية؟ فاشكر ربك ٥ و اضرع إليه في طلب الزيادة، و اتعظ[3] بحال من لزم حال موته فلم تغن عنه الآيات، و هو المشار إليه [بقوله -[1]] "كمن مثله في الظلمت ليس بخارج منها"، "انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه"، "و لو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله"، "سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم [لا يؤمنون -[4]]" ١٠ و كان القسم المتقدم الذي سمع لأول وهلة لم يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد أن أراه قدر هذه النعمة و إنقاذ[5] المتصف بها من حيرة شك[6] موقعها فيما تقدم من قوله "انما يستجيب الذين يسمعون" فذكر هنا ما هو واقع في إراءة[7] قدر نعمة الإنقاذ و التخليص[8] من عمى الجهل، هذا حال من انتقل بتوفيق الله و حال من بقي على موته، أو يكون الضربان[9] قد ١٥ شملهما قوله "او من كان ميتا فاحيينه" و أما الثاني و هو الذي ثبتت[10] فيه صورة النقل فأمره صريح من الآية وأما الضرب الأول و هو السامع لأول[11]

---

(١) زيد من ظ (٢) في الأصل: التنزه - كذا، و في ظ: النزه (٣) من ظ. وفي الأصل: و النقص - كذا (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٦ (٥) في ظ: ابعاد (٦) من ظ، وفي الأصل: شكه (٧) من ظ، وفي الأصل: اراه - كذا (٨) من ظ، وفي الأصل: التخلص (٩) وقع في ظ: ضر - كذا مقطوعا (١٠) من ظ، وفي الأصل: يسبب (١١) في ظ: الأول.

و هلة المكفى المؤنة لواقى العصمة من طوارق الجهل و الشكوك ، فدخوله [تحت - [1]] مقتضى هذا اللفظ من حيث أن وقايته تلك أو سماعه بأول وهلة ليس من جهته و لا بما سبق أو تكلف ، بل بابتداء[2] الرحمة و تقديم النعمة ، و لو[3] أبقاه لنفسه أو وكله إليها لم يكن كذلك " و ما بكم من نعمة فمن الله[4] " فبهذا النظر قد تكون الآية قد شملت الضروب الثلاثة و هو أولى ، أما سقوط ٥ الضرب الثالث من[5] قوله " انما يستجيب الذين يسمعون " فلِما تقدم - و الله أعلم بما أراد ؛ و لما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار و إبداء جهات النظر ما إذا تأمله المتأمل علم أن حجة الله قائمة على العباد ، و أن إرسال الرسل رحمة و نعمة و فضل و إحسان ، و إذا كانت الدلالات[6] مبسوطة و الموجودات مشاهدة مفصحة . و دلالة النظر من سمع و أبصار ١٠ / و أفئدة موجودة ، فكيف يتوقف عاقل فى عظيم رحمته تعالى بارسال ١٦٣ / الرسل ! فتأكدت الحجة و تعاضدت البراهين ، فلما عرف الخلق لقيام الحجة عليهم بطريق الإصغاء إلى الداعى[7] و الاعتبار[7] بالصنعة ؛ قال تعالى " قل فلله الحجة البالغة "، "فقد جاءكم بينة من ربكم و هدى و رحمة" فبما[8] عذر المعتذر بعد هذا ؟ أتريدون كشف الغطاء و رؤية الأمر عيانا ! لو استبصرتم ١٥ لحصل لكم ما منحتم ، " هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتى ربك أو ياتى بعض ايٰت ربك " - الآية ، ثم ختمت السورة من التسليم و التفويض

---

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل و ظ : باسد - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) سورة ١٦ آية ٥٣ (٥) فى ظ : فى (٦) فى ظ : الدلائل (٧-٧) فى ظ : فالاعتبار (٨) فى ظ : فما .

بما يجدى مع قوله " فلو شاء لهدٰكم اجمعين " و حصل من السور الأربع بيان أهل الصراط المستقيم و طبقاتهم[١] فى سلوكهم و ما ينبغى لهم التزامه[٢] أو تركه ، و بيان حال المتنكبين عن سلوكه من اليهود و النصارى و عبدة الأوثان و المجوس - انتهى .

٥ و لما كان علم جميع أحوال المخلوق دالا على أن العالم بها هو خالقه ، و[٣] أن من ادعى أن خالقه عاجز عن ضبط مملكته : عن كشف غيره لعوراتها و علم ما لا يعلمه هو[٤] منها ، [٥]فلم يكن[٥] إلها ، و كان الإله هو العالم وحده ، و كان المحيط العلم لا يعسر عليه تميز التراب من التراب ، و كان صلى الله عليه و سلم يخبرهم عن الله من مغيبات أسرارهم و خفايا أخبارهم

١٠ مما يقصون منه العجب و يعلمون منه إحاطة العلم حتى قال أبو سفيان ابن حرب يوم الفتح : لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصباء[٦] ، قال تعالى عاطفا على " هو الذى " دالا على الوحدانية بشمول العلم بعد قيام الدليل على تمام[٧] القدرة و الاختيار ، لأن إنكارهم المعاد لأمرين : أحدهما ظن أن المؤثر فى الأبدان امتزاج الطبائع و إنكار أن المؤثر هو[٤] قادر

١٥ مختار ، و الثانى أنه - على تقدير تسليم الاختيار - غير عالم بالجزئيات ، فلا يمكنه تمييز بدن[٨] زيد عن أجزاء[٤] بدن عمرو ، فاذا قام الدليل على

(١) فى ظ : تلقيابهم - كذا (٢) فى ظ : التزامهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : و كان (٦) و فى سيرة ابن هشام ٢/٢١٩ : الحصى - و كلاهما واحد (٧) زيد بعده فى الأصل : علم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ : بدون .

كمال قدرته سبحانه و اختياره و شمول علمه لجميع المعلومات : الكليات و الجزئيات[1] ، زالت جميع الشبهات : ﴿ و هو الله ﴾ أي الذي له هذا[1] الاسم المستجمع لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى المدعو به تألها له و خضوعا و تعبدا ، و علق بهذا المعنى قوله : ﴿ في السموٰت ﴾ [لأن من في الشيء يكون متصرفا فيه -[2]] . ٥

و لما كان الخطاب لمنكري البعث أكد فقال : ﴿ و في الارض[4] ﴾ أي هذه صفته دائما [[2]- على هذا المراد من أنه سبحانه ثابت له هذا[3] الاسم الذي تفرد به على وجه التأله و التعبد في كل من جهتي[4] العلو و السفل ، و لا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من أنه محوى ، فان كل محوى منحصر محتاج إلى حاويه و حاصره ، ضعيف التصرف ١٠ فيما وراءه ، و من كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للألوهية و المشيئة لحديث الجارية : أين الله ؟ قالت : في السماء ، و محجوج بحديث " أنت الأول فليس قبلك شيء ، و أنت الآخر فليس بعدك شيء ، و أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، و أنت الباطن فليس دونك شيء " فان ظاهره منافٍ لظاهر الأول ، و ظاهر هذا مؤيد بقاطع النقل من أنه غير محتاج ، ١٥ و مؤيد بصحيح النقل " ليس كمثله شيء " أي لا في ذاته و لا صفاته و لا شيء من شؤنه ، و " قد كان الله و لا شيء معه " ، و حديث « ليس فوقك شيء » - رواه مسلم و الترمذي و ابن ماجه في الدعوات و أبو داود في الأدب عن أبي هريرة رضي الله عنه - و الله الموفق] .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ : بهذا (٤) زيدت الواو بعده في ظ فحذفناها لاستقامة العبارة .

و لما كان المراد إثبات أن علمه تعالى محيط، نسبةُ كل من الخفي و الجلي إليه على السواء[1]، و كان السياق هنا للخفي فانه في بيان خلق الإنسان و عجيب صنعه فيه بما خلق[2] فيه من إدراك المعاني و هيأه له من قبل أن يقدر على التعبير عنه، ثم أقدره على ذلك؛ قدم الخفي فقال
٥ شارحا لكونه لا يغيب عنه شيء: ﴿ يعلم سركم ﴾.

و لما كان لا ملازمة بين علم السر و الجهر لأنه قد يكون في الجهر لفظ شديد يمنع اختلاط الأصوات فيه من علمه، صرح به فقال: ﴿و جهركم﴾ و نسبة كل منها إليه على حد سواء[3]، و لا توصف واحدة منها بقرب في المسافة إليه و لا بعد؛ و لما كان السر و الجهر شائعين في الأقوال، و كانت الأقوال تتعلق
١٠ بالسمع، ذكرما يعمهما و هو شائع في الأفعال المتعلقة بالبصر فقال: / ﴿ و يعلم ما تكسبون * ﴾ فأفاد ذلك صفتي[4] السمع و البصر مع إثبات العلم. فلما تظاهرت الأدلة و تظافرت[5] الحجج و هم عنها ناكبون، وصل بذلك في جملة حالية قولَه، معرضا عنهم إيذانا باستحقاقهم شديد الغضب: ﴿ و ما تاتيهم ﴾ أي هؤلاء الذين هم أهل للاعراض عنهم، و أعرق في
١٥ النفي بقوله: ﴿ من اٰية ﴾ أي علامة على صحة ما دعاهم إليه رسولهم صلى الله عليه و سلم. و بعض بقوله: ﴿من اٰيٰت ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بنصب الأدلة و إفاضة العقول و بعث الرسول ﴿ الا كانوا عنها معرضين ○ ﴾ أي هذه صفتهم دائما قصدا للعناد لئلا[6] يلزمهم الحجة، و يجوز أن يكون

١٦٤ /

(١) من ظ، و في الأصل: استواء (٢) في ظ: تعلق (٣) في ظ: السواء (٤) في ظ: صفة (٥) من ظ، و في الأصل: تنافرة - كذا (٦) في ظ: دليلا - كذا.

ذلك معطوفا على " يعدلون ".

و لما كان إعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم، و هو سبب لتعذيبهم قال[1] : ﴿ فقد كذبوا ﴾ أى أوقعوا تكذيب الصادق ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب الأمر الثابت الكامل فى الثبات كله . لأن الآيات كلها متساوية فى الدلالة على ما تدل عليه الواحدة منها ﴿ لما جآءهم ﴾[2] أى لم يتأخروا ٥
عند المجيء أصلا لنظر و لا لغيره ، و ذلك أدل ما يكون على العناد[2] .

و لما كان الإعراض عن الشيء هكذا فعل المكذب المستهزئ الذى بلغ بتكذيبه[3] الغايةَ القصوى ، و هى الاستهزاء ، قال : ﴿ فسوف يأتيهم ﴾ أى بوعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم و إن تأخر إتيانه ﴿ انبـٰٓؤا ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ به يستهزءون ﴾ أى يجددون ١٠
الهزء به بغاية الرغبة فى طلبه ، و هو أبعد شيء عن الهزء ، و النبأ : الخبر العظيم ، و هو الذى يكون معه الجزاء ، و أفاد تقديم الظرف أنهم لم يكونوا يهزؤن بغير الحق الكامل - كما ترى كثيرا من المترفين لا يعجب[4] من العجب و يعجب[5] من غير العجب ، أو أنه عد[6] استهزاءهم بغيره بالنسبة إلى الاستهزاء به عدما . ١٥

و لما أخبر بتكذيبهم على هذا الوجه و توعدهم [7]بتحتم تعذيبهم[7] ، أتبعه ما يجرى مجرى الموعظة و النصيحة ، فعجب من تماديهم مع ما علموا

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « الاستهزاء قال » و الترتيب من ظ (٣) فى ظ : تكذيبه (٤) فى ظ : فلا تعجب .
(٥) فى ظ : تعجب (٦) فى ظ : قد (٧-٧) فى ظ : بتحيتهم .

من إهلاك من كان أشد منهم قوة و أكثر جمعا و جنى[1] من سوابغ النعم بما لم[2] يعتبروه فيه مع ما ضموه إلى تحقق[3] أخبارهم من مشاهدة آثارهم و عجيب اصطناعهم فى أبنيتهم و ديارهم مستدلا بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء، فقال مقررا منكرا موبخا معجبا: ﴿ الم يروا ﴾ و دل
٥ على كثرة المخبر عنهم تهويلا للخبر بقوله: ﴿ كم اهلكنا ﴾.

و لما كان المراد ناسا معينين لم يستغرقوا زمن القبل، و هم أهل المكنة الزائـــدة كقوم نوح و هود و صالح، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ و بين "كم" بقوله: ﴿ من قرن ﴾ أى جماعة مقترنين فى[4] زمان واحد، و [هم -[5]] أهل كل مائة سنة - كما صححه القاموس - لقول
١٠ النبى صلى الله عليه و سلم لغلام[6]: عش قرنا، فعاش مائة. [7]هذا نهاية القرن، و الأقرب[7] أنه لا يتقدر، بل إذا انقضى أكثر أهل عصر قيل: انقضى القرن، و دل على ما شاهدوا من آثارهم بقوله: ﴿ مكنّهم ﴾ أى ثبتناهم بتقوية الأسباب[8] من البسطة[9] فى الأجسام و القوة فى الأبدان و السعة [7]فى الأموال ﴿ فى الارض ﴾ أى بالقوة و الصحة و الفراغ ما لم نمكنكم،
١٥ و مكنا لهم بالخصب و البسطة و السعة[7] ﴿ ما لم نمكن ﴾ أى تمكينا لم نجعله ﴿ لكم ﴾ أى نخصكم به، فالآية من الاحتباك أو شبهه، و الالتفات من

---

(١) من ظ، و فى الأصل: حى - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: له (٣) من ظ، و فى الأصل: نعق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) وهو عبد الله بن بشر - كما فى البحر المحيط ٤ / ٦٥ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: الاشياء (٩) فى ظ: البسط.

الغيبة إلى الخطاب لئلا يلتبس[1] الحال، لأن ضمير الغائب يصلح لكل من المفضول و[2] الفاضل، و لا يُبقى اللبس التعبيرُ بالماضى[3] فى قوله: ﴿و ارسلنا السمآء﴾/ أى المطر تسمية للشىء باسم سببه أو السحاب ﴿عليهم﴾. / ١٦٥
و لما كان المراد المطر، كان التقدير: حال كونه ﴿مدرارا ص﴾ أى ذا سيلان غزير[4] متتابع، لأنه صفة مبالغة من الدر، قالوا: و يستوى فيه المذكر ٥
و المؤنث.

و لما ذكر نفعهم بماء السماء، و كان غير دائم، أتبعه ماء الأرض لدوامه و ملازمته للبساتين و الرياض فقال: ﴿و جعلنا الانهر تجرى﴾ و لما كان عموم الماء بالأرض[5] و بُعْده مانعا من تمام الانتفاع بها، أشار إلى قربه و عدم عموم الأرض به بالجار فقال: ﴿من تحتهم﴾ أى على ١٠
وجه الأرض و أسكناه فى أعماقها فصارت بحيث إذا حفرت نَبَعَ منها [من -[6]] الماء ما يجرى منه نهر.

و لما كان من المعلوم أنه من الماء كل شىء حى، فكان من أظهر الأشياء أنه غزر نباتهم و اخضرت سهولهم و جبالهم، فكثرت زروعهم و ثمارهم، فاتسعت أحوالهم و كثرت أموالهم فتيسرت آمالهم، أعلم ١٥
سبحانه أن ذلك ما كان إلا لهوانهم استدراجا لهم بقوله مسببا عن ذلك: ﴿فاهلكنهم﴾ أى بعظمتنا ﴿بذنوبهم﴾ أى التى كانت عن بطرهم[7] النعمةَ

(١) من ظ، و فى الاصل: لئلا يلبس (٢) فى ظ: من (٣) فى الأصل: بالماض، و فى ظ: لما مضى (٤) فى ظ: عظيم (٥) من ظ، و فى الأصل: للارض.
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بطونهم.

و لم نبال بهم و [1]لا أغنت[1] عنهم نعمهم .

و لما كان الإنسان ربما أبقى على عبده أو صاحبه خوفا من الاحتياج إلى مثله ، بين أنه سبحانه غير محتاج إلى شيء فقال : ﴿و انشانا﴾ و لما كان سبحانه لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل الجار فقال : ﴿من بعدهم﴾ أى فيما ٥ كانوا فيه ﴿قرنا﴾ و دل على أنه لم يُبق من المهلكين أحدا ، و أن هذا القرن الثانى لا يرجع[2] إليهم بنسب[3] بقوله : ﴿ أخرين ﴾ و لم ينقص ملكنا شيئا ، فاحذروا أن نفعل بكم كما فعلنا بهم ، و هذه الآية مثل آية الروم " او لم يسيروا فى الارض[4] " - الآية ، فتمكينهم[5] هو المراد بالشدة هناك ، و التمكين لهم هو المراد بالعمارة ، و الإهلاك بالذنوب هو المراد ١٠ بقوله " فما كان الله ليظلمهم " - إلى آخر الآيتين .

و لما كانت ترجمة ما مضى : ثم هم [6]يعدلون بربهم[6] غيره و يكذبونك فيما جئت به من الحق مع ما أوضحت عليه من الحجج و نصبت من الدلائل ، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الحرص على إيمانهم ، كان المقام يقتضى أن يقول لسان الحال : أنزل عليهم يا رب ما ينتقلون به من النظر بالفكر ١٥ إلى العيان كما اقترحوا على ، فأخبره أنهم لا يؤمنون بذلك ، بقوله عطفا على "و ما تاتيهم من اية" تحقيقا[7] له و تصويرا فى جريته[7] : ﴿و لو نزلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿عليك كتبا﴾ أى مكتوبا من السماء

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : اعتب - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: مسبب (٤) آية ٩ (٥) من ظ . و فى الأصل: فتمكنهم (٦-٦) فى ظ : بربهم يعد لون (٧) فى الأصل : جربه ، و فى ظ : خرقه - كذا .

﴿ في قرطاس ﴾ أي ورق ، إجابة لما أشار عليهم اليهود باقتراحه ، ثم حقق أنه واضح الأمر ، ليس بخيال و لا فيه نوع لبس بقوله : ﴿ فلمسوه ﴾ أي زيادة على الرؤية ، و زاد في التحقيق و التصوير و دفع التجوز بقوله : ﴿ بأيديهم لقال[1] ﴾ و أظهر و لم يضمر تعليقا للحكم بالوصف و تنبيها على أن من الموجودين من يسكت و يؤمن و لو بعد[2] ذلك فقال : ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ أي حكما[3] بتأبد[4] كفرهم سترا للآيات عنادا و مكابرة ، و لعله أسقط 'منهم' إشارة إلى عموم دعوته ، أي من العرب و من غيرهم من أمة دعوتك و لا سيما اليهود المشار إلى تعنتهم[5] و كذبهم بقوله " يسئلك اهل الكتب ان تنزل[6] عليهم كتبا من السماء " ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ هذآ الا سحر ﴾ أي تمويه و خيال لا حقيقة له ، و زادوا في الوقاحة فقالوا : ﴿ مبين ﴾ أي ١٠ واضح ظاهر ، قال صاحب كتاب الزينة : معنى السحر في كلام العرب التعليل[7] بالشيء و المدافعة به و التعزير بشيء لا محصول له ، يقال : سحره - إذا علله و عزره و شبه عليه حتى لا يدرى من أين يتوجه و يقلب عن وجهه / ، فكأن السحرة يعللون الناس بالباطل و يشبهون الباطل في صورة / ١٦٦ الحق و يقلبونه عن جهته . ١٥

و لما بين ما يترتب على الإجابة إلى ما أشار إلى أن اليهود اقترحوه من إنزال الكتاب ، أخبر أنهم اقترحوا ظهور الملك [لهم -[8]] ، و بين لوازمه ، فانهم قالوا : لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون أكثر

---

(١) تأخر في الأصل عن « ذلك فقال » (٢) في ظ : تعدد (٣) من ظ ، و في الأصل : حكمنا (٤) في ظ : بسائر (٥) من ظ ، و في الأصل : بغيهم (٦) من ظ و القرآن الكريم آية ١٥٣ من سورة النساء ، و في الأصل : ينزل (٧) من ظ ، و في الأصل : التعلل (٨) زيد من ظ .

علما و أقوى قدرة و أظهر امتيازا عن البشر ، فتكون[1] الشبهة فى رسالته أقل ، و الحكيم[2] إذا أراد تحصيل مهمّ[3] كان الأولى تحصيله بما هو أسرع إيصالا إليه ، فقال: ﴿ و قالوا لو لآ ﴾ أى هلا و لِمَ لا ﴿ انزل عليه ملك[4] ﴾ أى من السماء ظاهرا لنا يكلمنا و نكلمه و لا يحتجب عنا .

٥ و لما ذكر قولهم مشيرا إلى شبهتهم ، نقضه بقوله : ﴿ و لو ﴾ أى و الحال أنا لو ﴿ انزلنا ﴾ و أسقط أداة الاستعلاء لعدم الاحتياج فى رد كلامهم إلى ذكرها ، و[4] لئلا يكون فيه تسليهم لما لوحوا إليه من إنكارهم نزول الملك عليه بالوحى ﴿ ملكا ﴾ أى كما اقترحوه[5] ، فلا يخلو إما أن يكون على صورته[6] أو لا ، فان كان على صورته[6] التى خلق عليها لم يثبتوا ١٠ لرؤيته ، و لو كان كذلك ﴿ لقضى الامر ﴾ أى بهلاكهم ، و بناه[7] للفعول إشارة على[8] طريق كلام القادرين إلى غاية السرعة لسهولة الأمر و خفة مؤنته ، فانه لا ينظره أحد منهم إلا صعق ، و لئن أعطيناهم قوة يثبتون بها لنظره ليكون[9] قضاء الأمر و انفصال النزاع من وجه آخر ، و هو أن ذلك كشف للغطاء و فوات للايمان بالغيب . و قد جرت عادتنا ١٥ بالإهلاك عند ذلك ، فاذا هم هالكون على كل من هذين التقديرين ، و هو معنى قوله مهولا لرتبته بحرف التراخى : ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ أى على حالة من هاتين ، و أما إن جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيكون (٢) فى ظ : الحكم (٣) فى ظ : همهم .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : اقترحوه (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل .
(٧) فى ظ : بناوه (٨) من ظ ، و فى الأصل : الى (٩) فى ظ : ليكون .

على

على صورة رجل ، فانها أكمل الصور ، و حينئذ يقع لهم[1] اللبس الذى وقع لهم بدعائك ، و هو معنى ﴿ و لو جعلنٰه ﴾ أى مطلوبهم ﴿ ملكا ﴾ أى يمكن فى مجارى العادات فى هذه الدار رؤيتهم[2] له و بقاؤهم بعد رؤيته ﴿ لجعلنٰه رجلا ﴾ أى فى صورة رجل ، و لكنه عبر بذلك إشارة إلى تمام اللبس حتى [أنه - [3]] لا يشك أحد يراه فى كونه رجلا ، كما كان ٥ جبريل عليه السلام ينزل فى بعض الأوقات على النبى صلى الله عليه و سلم فى صورة دحية الكلبى ، فاذا رآه بعض الصحابة رضى الله عنهم لم يشك أنه دحية رضى الله عنه ﴿ و ﴾ لو جعلناه رجلا ﴿ للبسنا عليهم ما يلبسون ه ﴾ أى لخلطنا عليهم بجعلنا إياه رجلا ما يخلطونه[4] على أنفسهم و على غيرهم فى قولهم : إن الرسالة لا تصح من البشر ، فلو كان هذا [الذى يقول : ١٠ إنه رسول - [3]] رسولا لكان ملكا ، فوقع اللبس عليهم بأنه لما كان [هذا - [3]] الذى[5] يقول : إنه رسول ، ملكا كان رجلا ، و يجوز أن يقرر ذلك على وجه آخر ، و هو أن يكون "و لو نزلنا" فى حيز "كانوا عنها معرضين" ، أى أعرضوا عنها لو نزلناها عليك فى غير قرطاس ، و لو نزلنا عليك من السماء كتابا فى قرطاس لجعلنا[6] لهم فى ١٥ ذلك بين حس[7] البصر و اللمس لأعرضوا ، و قال الذين أبدنا كفرهم عنادا

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : رويته (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ما يخطونه.
(٥) زيد بعده فى الأصل : يقول رسولهم الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٦) فى ظ : لجعلنا (٧) فى ظ : حيز - كذا.

و مكابرة : ما هذا إلا سحر ظاهر ، و يكون "و قالوا" معطوفا على "لقال الذين كفروا" و يكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم فى سورة الإسراء بقوله "و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا[١]" - إلى آخرها ، فيكون إخبارا بمغيب .

٥ و لما قطع الرجاء لهداية من حكم بشقاوته ، و كان طلبهم لإنزال الملك و نحوه إنما هو على سبيل [٢]التعنت و[٢] الاستهزاء ، و كان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضى الله عنهم غاية المشقة / ، التفتت النفس إلى الإراحة منهم و توقعته لما تقدم من مظاهر العظمة ، فأخبره أنه فاعل ذلك فى سياق متكفل بتسليته ، و أن [٣]ذلك ١٠ لم يزل[٣] سنته[٤] فيمن فعل فعلهم ، فقال - عاطفا على قوله "فسوف ياتيهم انبؤا" - : ﴿ و لقد ﴾ أى هذا منهم إنما هو استهزاء بك و لقد ﴿ استهزئ ﴾ أى أوقع الهزء و أوجد من الأمم ، و بنى للفعول لأن المنكى الاستهزاء ، لا كونه من معين ، و إشارة إلى أنه كان يقع لهم ذلك من الأعلى و الأدنى ﴿ برسل ﴾ .

/ ١٦٧

١٥ و لما كان القرب فى الزمن فى مثل هذا مما يسلى ، و كان كل[٥] من [٦]الاستهزاء و الإرسال[٦] لم يستغرق الزمن[٧] ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ فأهلكنا من هزأ بهم ، و هو معنى ﴿ فحاق ﴾ أى فأحاط

---

(١) آية ٩٠ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) فى ظ : تلك لم تزل . (٤) من ظ ، و فى الأصل : سنة (٥) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٦ - ٦) فى ظ : الارسال و الاستهزاء (٧) فى ظ : الزمان .

﴿ بالذين سخروا منهم ﴾ أى من أولئك الرسل ﴿ ما كانوا به يستهزءون ﴾
أى من العذاب الذى[1] كانوا يتوعدون به[2]، و كان سببا لهزئهم .

و لما [علم الله تعالى أنهم يقولون فى جواب هذا : إن هذا إلا أساطير الأولين -[3]]، أمره صلى الله عليه و سلم بعد ما مضى من التعجيب من كونهم لم ينظروا بقلوبهم أو أبصارهم مصارع الماضين فى قوله "الم[4] يروا كم اهلكنا" ٥ أن يأمرهم بأن يشاهدوا مصارع من تمكن فى قلوبهم علم أنهم أهلكوا بمثل تكذيبهم من قوم صالح و لوط و شعيب و غيرهم ليغنيهم[5] ذلك عن مشاهدة ما اقترحوا فقال تعالى : ﴿ قل سيروا ﴾ أى أوقعوا السير للاعتبار و لا[6] تغتروا بامهالكم و تمكينكم ﴿ فى الارض ﴾ - [7]الآية ، و هى[7] كالدليل على قوله تعالى " لقال[8] الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين" . ١٠

و لما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل أخذ الأمم الماضية ، و كان قد سلف[9] أنه لا تقدمهم[10] عن آجالهم ، أمهلهم فى النظر فانه أقوى فى التهديد ، و أدل على القدرة ، و أدعى إلى النصفة[11] و لا سيما و السورة من أوائل القرآن نزولا[12] و أوائله ترتيبا فقال : ﴿ ثم انظروا ﴾ و أشار إلى أن هذا أهل لأن يسأل عنه بقوله : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ١٥

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : او لم (٥) فى الأصل : لتعنتهم ، و فى ظ : ليعينهم - كذا (٦) فى ظ : فلا . (٧-٧) فى ظ : و هو (٨) فى ظ : لقاله (٩) فى الأصل و ظ : اسلف - كذا . (١٠) فى ظ : يقدمهم (١١) من ظ ، و فى الأصل : النص - كذا (١٢) من ظ ، و فى الأصل : و لا - كذا .

﴿ المكذبين ﴾ أى أنعموا النظر و بالغوا فى التفكر و أطيلوا[1] التدبر إذا رأيتم آثار المعذبين لأجل تكذيب الرسل، فانكم إذا شاهدتم تلك الآثار كمل لكم الاعتبار و قوى الاستبصار ، و ذلك إشارة إلى أن الأمر فى غاية الانكشاف ، فكلما طال الفكر فيه ازداد ظهورا .

٥ و لما أمرهم سبحانه بالسير ، سألهم هل يرون فى مسيرهم[2] و تطوافهم و جولانهم و اعتسافهم شيئا لغير الله ؟ تذكيرا لهم بما[3] رحمهم به من ذلك فى إيجاده[4] لهم أولا و تيسير منافعه و دفع مضاره ثانيا ، استعطافا لهم إلى الإقبال عليه و الإعراض عن الخضوع لما هو مثلهم أو أقل منهم ، و هو ملكه سبحانه و فى قبضته ، و تقبيحا لأن يأكلوا خيره و يعبدوا

١٠ غيره ، فقال مقررا لهم على إثبات الصانع و النبوة و المعاد ، و مبكتا بسفههم و شدة جهلهم و عمههم : ﴿ قل لمن ﴾ و نبه بتقديم المعمول على الاهتمام بالمعبود[5] ﴿ ما فى السمٰوٰت و الارض ﴾ .

و لما كانوا فى مقام العناد حيث لم يبادروا إلى الإذعان بعد نهوض[6] الأدلة و إزاحة كل علة ، أشار إلى ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم

١٥ توبيخا لهم بعدم[7] النصفة التى يدعونها : ﴿ قل لله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة قدرة و علما و لا كفوء له ، لا لغيره ، و هم و إن كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك ، لا سيما و جواب الإنسان عما سأله إنما يحسن

(١) فى ظ : اطلبوا (٢) فى ظ : سيرهم (٣) فى ظ : مما (٤) فى ظ : ايجاد (٥) فى ظ : بالعمود (٦) فى ظ : شهود (٧) من ظ ، و فى الأصل : بعد .

أن

أن يتعاطاه هو بنفسه / إذا كان قد بلغ فى الظهور إلى حد لا يقدر على / ١٦٨
إنكاره منكر ، و هو هنا كذلك لأن آثار الحدوث و الإمكان[1] ظاهرة
على صفحات الأكوان ، فكان الإقرار به ضرورى ، لا خلاف فيه[2] .

و لما كان أكثر ما فى هذا الكون منافع مع كونها حسنة لذيذة
طيبة شهية ، و ما كان فيها[3] من مضار فهى محجوبة ممنوعة عنهم[4] ، يقل ٥
وصولها إليهم [5]إلا بتسببهم[5] فيها ، و الكل مع ذلك دلائل ظاهرة على
وحدانيته و تمام علمه و قدرته . وكان ذلك أهلا لأن يتعجب منه لعموم
هذا الإحسان ، مع ما هم عليه من الإثم و العدوان ، و تأخير العذاب
عنهم مع العناد و الطغيان ، قال دالا على أن رحمته سبقت غضبه مستأنفا :
﴿ كتب ﴾ أى وعد وعدا هو كالمكتوب الذى ختم ، و أكد غاية التأكيد ، ١٠
أو كتب حيث أراد سبحانه .

و لما كانت النفس يعبر بها[6] عن الذات على ما هى عليه قال :
﴿ على نفسه الرحمة ط ﴾ أى فلذلك أكرمكم هذا الإكرام بوجوه الإنعام ،
و أخر عنكم الانتقام بالاستئصال . و لو شاء [هو -[7]] لسلط[8] عليكم المضار ،
و جعل عيشكم من غير اللذيذ كالتراب و بعض القاذورات التى يعيش بها ١٥
بعض الحيوانات .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الإنكار (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : منهم (٥ - ٥) فى ظ : لانفسهم (٦) فى ظ : عنها (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : لسلطهم .

و لما كان ذلك [1]مطمعا للظالم البطر[1] ، و معجبا محيرا مؤسفا[2] للظلوم[3] المنكسر ، قال محذرا مرجيا مبشرا ملتفتا إلى مقام الخطاب لأنه أبلغ و أنص على المقصود دالا على البعث بما مضى من إثبات أن الأكوان لله ، لأن كل ما فيها[4] موصوف بصفات يجوز اتصافه بأضدادها ، فاختصاص كل ٥ جسم بصفته المعينة إنما يكون بتخصيص الفاعل المختار ، فيكون قادرا على الإعادة ، لأن التركيب الأول إنما كان لأن صانعه قادر على جميع الممكنات لكونه عالما بجميع المعلومات ، و الاتصافُ بذلك لا يجوز انفكاكه عنه فهو ملك مطاع آمر ناه مرسل من يبلغ عنه أوامره و نواهيه لإظهار ثمرة الملك من الثواب و العقاب في يوم الجمع : ﴿ ليجمعنكم ﴾ أي ١٠ و الله محشورين شيئا فشيئا ﴿ الى يوم القيمة[5] ﴾ للعدل بين جميع العباد كائنا ﴿ لا ريب فيه[4] ﴾ أي بوجه من الوجوه ، و ذلك الجمع لتخصيص الرحمة في ذلك اليوم بأوليائه و المقت و النقمة[6] بأعدائه بعد أن كان عم بالرحمة الفريقين في يوم الدنيا ، و جعل الرحمة أظهر في حق الأعداء ، [و بهذا الجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ، و لولاه ارتفع الضبط و كثر ١٥ الخبط كما كان في الجاهلية -[7]] .

و لما كان ذلك كذلك في عدم الريب لإخبار الله به على ألسنة رسله و لما عليه من الأدلة لما في هذا الخلق من بدائع الحكم مع خروج أكثر أفعال الحيوان عن العدل ، فصار من المعلوم

(١-١) في ظ : مطمعا (٢) في ظ : مؤسعا (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في الأصل و ظ : فيه - كذا (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم (٦) في الأصل و ظ : النعمة - كذ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

لكل ذى وهى أن البعث محط الحكمة لإظهار التحلى بالصفات العُلى لجميع الخلق : الشقى و السعيد القريب و البعيد ، كان كأنه قيل : فما لنا نرى[1] أكثر الناس كافرا به ، فقال جوابا : ﴿ الذين خسروٓا انفسهم ﴾ أى باهلاكهم إياها بتكذيبهم به لمخالفة[2] الفطرة الأولى التى[3] تهدى الأخرس ، و ستر العقل[4] السليم ﴿ فهم ﴾ أى بسبب خسارتهم لأنفسهم ٥ باهمال العقل[5] و إعمال الحواس و التقيد بالتقليد ﴿ لا يؤمنون ہ ﴾ فصاروا كمن يلقى نفسه من شاهق ليموت لغرض من الأغراض الفاسدة ، لا بسبب خفاء فى أمر القيامة و لا لبس بوقع ربنا ، و صار المعنى : إن الذين لا يؤمنون فى هذا اليوم هم[6] المقضى بخسارتهم فى ذلك اليوم .

و لما استنارت الأدلة / استنارة الشمس و انتصبت البراهين حتى ١٠ / ١٦٩ لم يبق أصلا نوع لبس ، عم بالخبر عما تقدم مما يشاهدونه و غيره ، فقال ذاكرا [7]الزمان بعد المكان[7] ، و قدمه لأنه أظهر ، و المعلم الكامل هو الذى يبدأ بالأظهر فالأظهر مترقيا إلى الأخفى فالأخفى ، فتم بذلك الخبر عن الزمان و الزمانيات و المكان و المكانيات : ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ ما سكن ﴾ أى حل و تحيز[8] و حصل ﴿ فى اليل و النهار ہ ﴾ أى ما من شأنه أن يسكن ١٥ فيهما و إن كان متحركا ، و لكنه عبر بذلك دون التحرك لأنها دار الموت ، و دخل فى ذلك النور و الظلمة اللذان أشرك بهما من أشرك .

و لما دل ما[9] مضى على القدرة التامة ، و انقسم إلى متحرك و ساكن ،

(١) فى ظ : لا نرى (٢) فى ظ : بمخالفة (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : العقلا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هو (٧-٧) فى ظ : لزمان (٨) من ظ ، و فى الأصل : تحتر .

و كانت القدرة لا تتم إلا بالعلم ، دل عليه بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لكل متحرك ﴿ العليم ﴾ أي العام[1] العلم بالبصر و السمع و غيرهما بكل متحرك و بكل ساكن من أقوالكم و أفعالكم و غيرهما ، فلا تطمعوا[2] فى أن يترك شيء من مجازاتكم ، و العليم هنا أبلغ ٥ من البصير ، و ذلك مثل ما تقدم فى قوله " قل أ تعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا و لا نفعا و الله هو السميع العليم" و هو ترجمة قوله "يعلم سركم و جهركم و يعلم ما تكسبون".

و لما نهض من الحجج ما لم يبق معه لذى بصيرة شك ، كان لسان الحال مقتضيا لأن ينادى [بالإنكار عليهم فى الالتفات عن جنابه و الإعراض ١٠ عن بابه فأبرز - [3]] تعالى ذلك فى قالب الأمر له صلى الله عليه و سلم بالإنكار على نفسه ، ليكون أدعى لهم و أرفق بهم ، و لأن ما تقدم منبئ عن غاية المخالفة ، منذر بما أنذر من سوء عاقبة المشاقفة ، فكأنهم قالوا : فهل من سبيل إلى الموافقة ؟ فقيل : لا إلا باتخاذكم [4] إلهى وليا [4] ، و ذلك لعمرى سعادتكم فى الدارين ، و بتطمعكم[5] فى اتخاذى أندادكم أولياء ، و هذا ١٥ ما لا يكون أبدا ، و هو معنى قوله تعالى : ﴿ قل ﴾ أى مصرحا لهم بانكار أن تميل[6] إلى أندادهم بوجه .

و لما كان الإنكار منصبا إلى كون الغير متخذا ، لا إلى اتخاذ الولى ،

---

(١) فى ظ : التام (٢) من ظ ، و فى الأصل : فلا تطعموا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤ - ٤) فى ظ : الى اوليا - كذا (٥) فى ظ : بتطعمكم (٦) فى الأصل و ظ : يميل .

أولى

أولى "غير[1]" الهمزة [فقال -[2]]: ﴿ اغير الله ﴾ أى الذى لا شىء يدانيه فى العظمة ﴿ اتخذ ﴾ [أى -[3]] أكلف نفسى إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى و العقل المجرد عن الهوى كما فعلتم أنتم و آخذ ﴿ وليا ﴾ أى أعبده لكونه يلى جميع أمورى، ثم وصفه بما يحقق ولايته و يصرف عن ولاية غيره فقال: ﴿ فاطر السمٰوٰت و الارض ﴾ أى خالقهما ابتداء ٥ على غير مثال سبق ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أن الله ﴿ يطعم ﴾ أى يرزق كل من سواه مما فيه روح .

و لما كان المنفى كونه[4] سبحانه مفعولا من الطعم، لا كون ذلك من مطعم معين، بنى للفعول قوله: ﴿ و لا يطعم[4] ﴾ [أى -[3]] و لا يبلغ أحد بوجه من الوجوه أن يطعمه، و المعنى أن المنافع من عنده، و لا ١٠ يجوز عليه الانتفاع، فامتنع فى العقل اتخاذ غيره وليا، لأن غيره محتاج فى ذاته و [فى -[3]] جميع صفاته إليه، و هو سبحانه الغنى على الإطلاق، و هذا التفات[5] إلى قوله تعالى "ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يا كلن الطعام[6]" و تعريض بكل من عبد من دون الله و لا سيما الأصنام، فانهم كانوا يهدون لها الأطعمة فتأكلها[7] ١٥ الدواب و الطيور، فمعلوم أنها لا[4] تطعِم و لا تطعَم، روى الدارمى فى[1]

(١) من ظ، و فى الأصل: عن (٢) زيد من ظ، غير أن فيه « قال » (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الالتفات (٦) سورة ٥ آية ٧٥ (٧) من ظ، و فى الأصل: فيا كلها .

/ ١٧٠ أول / مسنده بسند حسن عن الأعمش عن مجاهد قال : حدثني مولاي أن أهله بعثوا معه بقدح فيه زبد و لبن إلى آلهتهم ، قال : فمنعني أن آكل الزبد مخافتها[1] ، فجاء كلب فأكل الزبد و شرب اللبن ثم بال على الصنم . و مولاه كان شريك النبي صلى الله عليه و سلم قبل الإسلام ،
٥ و اختلف فيه فقيل : هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران[2] ابن مخزوم ، و قيل : قريبه السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، و قيل : ابنه عبد الله بن السائب - و الله أعلم ؛ و له عن أبي رجاء - هو[3] العطاردي و هو مخضرم - قال : كنا في الجاهلية إذا[4] أصبنا حجرا حسنا عبدناه ، و إن لم نصب حجرا جمعنا كثبة[5] من
١٠ رمل ، ثم جئنا بالناقة الصفي[6] فنفاج[7] [8]عليها فنحلبها[8] على الكثبة حتى نرويها ، ثم نعبد تلك الكثبة ما أقمنا بذلك المكان . و فيه أيضا إيماء إلى أنه كما[9] خلقكم كلكم من طين على اختلافكم في المقادير و الألوان و الأخلاق و هو غني عنكم ، فكذلك خلق المطعومات على اختلاف أشكالها و طعومها و منافعها و ألوانها من طين ، و جعلها منافع لكم
١٥ و هو غني[9] عنها ، و سيأتي التصريح بذلك في قوله " و هو الذي انزل

(١) في ظ : مخافة (٢) و في الإصابة : و قيل في نسبه : عبد الله بن عمر - بدل عمران (٣) في ظ : عن (٤) في ظ : اذ (٥) في ظ : كثيبة (٦) من الدارمي ، و في الأصل : الصيفي ، و في ظ : العيفا - كذا ، و في الدارمي : قال أبو محمد : الصفي : الكثيرة الألبان (٧) أي نفرج بين رجليها - راجع أول الدارمي . (٨-٨) من الدارمي ، و في الأصل : عليه فيحلبها ، و في ظ : عليه فيجعلها . (٩) سقط من ظ .

من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء" المستوفى[1] في مضماره " فكلوا مما ذكر اسم الله عليه" و في الآية كلها التفات إلى قوله أول السورة " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " و قوله في التي قبلها " و لو كانوا يؤمنون بالله و النبي[2] و ما انزل عليه[2] ما اتخذوهم اولياء" في أمثالها مما فيه تولى الكفار لغير خالقهم سبحانه و تعالى، هذا لو لم يرد أمر[3] من قبل الخالق كان [4]النظر السديد[4] كافيا في التنزه عنه، كما كنت[5] قبل النبوة لا ألتفت إلى أصنامكم و لا أعتبر للعبادة شيئا من أنصابكم، فكيف و قد أمرت بذلك! و هو معنى ﴿قل انى امرت﴾ أي من جهة من له الأمر، و لا أمر إلا له، و هو من تقدم[6] أن له كل شيء، و هو الله وحده ﴿ان اكون﴾ أي[7] بقلبي و قالبي ﴿اول من اسلم﴾ في الرتبة مطلقا، و في الزمان بالنسبة إلى الأمة.

و لما كان الأمر بالإسلام نهيا[8] عن الشرك، لم يكتف به، بل صرح به جمعا بين الأمر و النهي من هذا الرب الكريم الذي يدعو إحسانه و كرمه إلى ولايته، و ينهى تمام ملكه و جبروته عن شيء من عداوته، في قوله عطفا على "قل" على[7] وجه التأكيد: ﴿و لا تكونن﴾ أي بوجه من الوجوه في وقت من الأوقات أصلا[7] ﴿من المشركين ﴾ أي في

(١) في الأصل: المسرف، و في ظ: المستوف (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و راجع آية ٨١ (٣) من ظ، و في الأصل: امرا (٤-٤) في ظ: البطر الشديد (٥) من ظ، و في الأصل: كتب (٦) من ظ. و في الأصل: عدم. (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: نفيا.

عدادهم باتباعهم فى شىء من أغراضهم ، و هذا التأكيد لقطع أطماعهم عنه صلى الله عليه و سلم فى سؤالهم أن يطرد بعض أتباعه ليوالوه . و نحو ذلك مما كانوا يرجون مقاربته[1] منهم به ، إعلاما بأن فعل شىء مما يريدون مصحح للنسبة[2] إليهم و الكون فى عدادهم «من تشبه بقوم فهو منهم» .

٥ و لما كان فعل المنهى قد لا يعذب عليه ، قال معلما بأن المخالفة فى هذا من أبلغ المخالفات ، فصاحبها مستحق لأعظم الانتقام ، و كل ذلك فطما[3] لهم عن الطمع فيه ، و أكده لذلك و لإنكارهم مضمونه : ﴿ قل انىّ ﴾ و لما كان المقام للخوف ، قدمه فقال : ﴿اخاف ان عصيت﴾ أى شىء مما تريدون منى[4] أن أوافقكم فيه بما[5] أمرت به أو نهيت عنه ﴿ربى﴾ أى المحسن إلىّ

١٠ ﴿عذاب يوم﴾ و [6]لما كان عظم[6] الظرف بعظم مظروفه قال : ﴿عظيم ۝﴾ .

/١٧١ / و لما كان قد قدّم من عموم رحمته ما أطمع الفاجر ثم أيأسه من ذلك بما أشير[7] إليه من الخسارة ، صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم ، فقال واصفا لذلك العذاب مبينا أن الرحمة فى ذلك اليوم على غير المعهود الآن ، فانها خاصة لا عامة دائمة السبوغ على من نالته ، لا زائلة ،

١٥ وكذا النعمة ، هكذا شأن ذلك اليوم ﴿ من يصرف عنه ﴾ أى ذلك العذاب ؛ و لما كان المراد دوام الصرف فى جميع اليوم ، قال : ﴿يومئذ﴾ أى يوم إذ يكون عذاب ذلك اليوم به[8] ﴿ فقد رحمه ﴾ أى فعل به بالإنعام عليه فعل المرحوم[8] ﴿ و ذلك ﴾ أى لا غيره ﴿ الفوز ﴾ أى

(١) فى ظ: مقارنته (٢) من ظ، وفى الأصل : للتثنية (٣) من ظ ، وفى الأصل: معلما (٤) من ظ، وفى الأصل : من (٥) فى ظ : مما (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل: المكان عظيم (٧) فى ظ: اشار (٨) سقط من ظ .

الظفر بالمطلوب ﴿ المبين ﴾ أى الظاهر جدا، و من لم يصرف عنه فقد أهانه ، و ذلك هو العذاب العظيم .

و لما كان التقدير : فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قرت عينك ، عطف عليه دليلا آخر لأنه[1] لا يجوز فى العقل أن يتخذ غيره وليا ، فقال معمما للحكم فى ذلك العذاب وغيره مبينا أنه لا مخلص[2] لمن أوقع ٥ به : ﴿ و ان يمسسك الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ؛ و لما كان المقام للترهيب[3] ، قدم قوله : ﴿ بضر ﴾ أى هنا أو هناك ﴿ فلا كاشف له ﴾ أصلا بوجه من الوجوه ﴿ الا هو[4] ﴾ أى[5] لأنه لا كفوء له ، فهو قادر على إيقاعه ، و لا يقدر غيره على دفاعه ، لأنه على كل شىء قدير ﴿ و ان يمسسك بخير ﴾ أى فى أى وقت أراد . ١٠

و لما كان القياس على الأول موجبا لأن يكون الجزاء : فلا مانع له ، كان وصفه [5]من صفة[5] قوله : ﴿ فهو على كل شىء ﴾ أى من ذلك و غيره ﴿ قدير ﴾ و لا يقدر غيره على منعه ، منبها على أن رحمته سبحانه سبقت غضبه .

و لما كانت الجملتان من الاحتباك ، فأفادتا[6] بما ذكر و ما دل عليه المذكور بما حذف أنه تعالى غالب على أمره ، قال مصرحا بذلك : ١٥ ﴿ و هو القاهر ﴾ أى الذى يعمل[7] مراده كله و يمنع غيره[8] مراده إن شاء ، و صور قهره وحققه [لتمكن الغلبة -[9]] بقوله : ﴿ فوق عباده ﴾ وكل ما سواه عبد ؛ و لما كان فى القهر ما يكون مذموما ، نفاه بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الحكيم ﴾ فلا يوصل[10] أثر القهر بايقاع المكروه

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : انه (٢) فى ظ : لا يخلص (٣) فى ظ : للترتيب (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : فافا (٧) زيد فى ظ : بقوله. (٨) من ظ ، و لا يتضح فى الأصل (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : فلا توصل .

إلا لمستحق، و أتم المعنى بقوله : ﴿ الخبير ﴾ أى بما يستحق كل شيء، فتمت[1] الأدلة على عظيم سلطانه و أنه لا فاعل غيره .

و لما [ختم - [2]] بصفتي الحكمة و الخبرة، كان كأنه قيل : فلِمَ لم يعلم [3]أنا نكذبك[3] بخبرته فيرسل معك بحكمته من يشهد لك - على ما يقول

٥ من أنه أمرك أن[4] تكون أول من أسلم، و نهاك عن الشرك لتصدقك - من ملك كما تقدم سؤالنا لك[5] فيه[6] أو كتاب فى قرطاس أو غيرهما ؟ فقال : قد فعل، و لم يرض لى[5] إلا بشهادته المقدسة فقال - أو يقال : إنه لما أقام الأدلة على الوحدانية و القدرة و وصل إلى صفة القهر المؤذن بالانتقام، لم يبق إلا الإشهاد عليهم إيذانا بما يستحقونه من سوء العذاب و إنذارا به

١٠ لئلا يقولوا إذا حل[7] بهم : إنه لم يأتنا نذير، فقال - : ﴿ قل ﴾ أى يا أيها الرسول لهم ﴿ اىّ شيء اكبر ﴾ أى [8]أعظم و أجل[8] ﴿ شهادةً ﴾ فان أنصفوا و قالوا : الله ! فقل : هو الذى يشهد[9] لى، كما قال فى النساء "لكن الله يشهد بما انزل اليك[10] " و لكنه قطع الكلام هنا إشارة إلى عنادهم أو سكوتهم، أو إلى تنزيلهم منزلة المعاند، أو العالم بالشيء العامل عمل

١٥ الجاهل، فقال آمرا له صلى الله عليه و سلم : ﴿ قل الله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط علما و قدرة أكبر شهادة .

---

(١) فى ظ : فدلت (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : لانا فلذلك (٤) فى ظ : بان . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل : منه (٧) من ظ، و فى الأصل : كل (٨-٨) فى ظ : اجل واعظم (٩) فى ظ : شهد (١٠) من ظ والقرآن الكريم - آية ١٦٦، و فى الأصل : اليه .

و لما / كانوا بمعرض أن يسلموا ذلك و يقولوا : إنه لكذلك . و لكن / ١٧٢
هلم شهادته ! قال : ﴿شهيد﴾ أى هو أبلغ شاهد يشهد ﴿بينى و بينكم قف﴾
أى بهذا القرآن الذى ثبت بعجزكم عنه[1] أنه كلامه ، و بغيره من الآيات
التى عجزتم عن معارضتها ؛ و لما قرر أنه أعظم شهيد[2] ، و أشار إلى شهادته
بالآيات كلها ، نبه على أعظمها ، لأن إظهاره تعالى للقرآن على لسانه صلى ٥
الله عليه و سلم على وفق دعواه شهادة من الله له[1] بالصدق ، فقال ذاكرا
لفائدته فى سياق تهديد متكفل باثبات الرسالة و إثبات الوحدانية ، و قدم
الأول لأنه المقرر للثانى و المفهم[3] له بغايته[4] ، عاطفا على جملة[5] 'شهيد' بانيا للفعول ،
تنبيها على أن الفاعل معروف للاعجاز ، و بنى للفاعل فى السواد : ﴿و اوحى الى﴾
[6] و حقق الموحى به و شخصه بقوله[6] : ﴿ هذا القرآن ﴾ و لما كان فى سياق ١٠
التهديد قال مقتصرا على ما[1] يلائمه[7] : ﴿ لانذركم ﴾ أى أخوفكم و أحذركم
من اعتقاد شائبة نقص فى الإله لا سيما الشرك[8] ﴿به و من﴾ أى و أنذر به
كل من ﴿ بلغ ﴾ أى بلغه ، [9]قال الفراء[9] : و العرب تضمر الهاء فى صلات
'الذى' و 'من' و 'ما' . و قال البخارى فى آخر الصحيح : "لانذركم به"

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شهيدا (٣) فى ظ : الفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فانقه - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : متعلق (٦ - ٦) تداخل ما بين الرقمين فى ظ بين « سياق التهديد » و « قال مقتصرا » (٧) فى الأصل : يدائمه ، و فى ظ : ملائمة - كذا (٨) زيد بعده فى الأصل : الذى و من وما و قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩ - ٩) فى الأصل : للفرا ، و العبارة من هنا إلى « من و ما » تقدمت فى الأصل على « وحقق الموحى » .

يعنى أهل مكة ، و من بلغ هذا القرآن فهو له نذير . علقه بصيغة الجزم عن ابن عباس و وصله إليه ابن أبى حاتم كما أفاده شيخنا فى شرحه[١] .
و قال عبد الرزاق فى تفسيره : أخبرنا معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : بلغوا عن الله ، فمن بلغته[٢] آية من كتاب الله فقد بلغه
٥ أمر الله . و قال الإمام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى[٣] فى جواب سؤال ورد عليه سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة فى أن النبى صلى الله عليه و سلم هل بعث إلى الجن - و من خطه نقلتُ - : الكتاب[٤] و السنة ناطقان[٥] بذلك ، و الإجماع قائم عليه ، لا خلاف بين المسلمين فيه ؛ ثم أسند الإجماع إلى أبى طالب القضاعى و أبى عمر بن عبد البر فى التمهيد و أبى محمد بن
١٠ حزم فى كتاب الفصل[٦] و غيرهم ثم قال : أما الكتاب فآيات إحداها "لانذركم به و من بلغ" قال محمد بن كعب القرظى[٧] : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه و سلم ، و قال ابن عباس - فذكره ، و قال

---

(١) راجع فتح البارى - كتاب الرد على الجهمية ، باب قوله تعالى "بل هو قرآن مجيد" ، و رواه الطبرى أيضا بسنده و أوصله إلى ابن عباس - راجع تفسير هذه الآية فى جامع البيان (٢) و فى تفسير الطبرى : بلغه ، و رواه هناك من عبد الرزاق بالسند المذكور (٣) هو عالم مشارك فى الفقه و التفسير و الأصلين و المنطق و القراءات و الحديث و الخلاف و الأدب و النحو و اللغة و الحكمة ، و كان قاضى الشام - راجع معجم المؤلفين ٧ / ١٢٧ (٤) فى ظ : بالكتاب . (٥) من ظ ، و فى الأصل : ناطقا (٦) فى ظ : الفضل ، و الصواب ما فى الأصل - راجع معجم المؤلفين ٧ / ١٦ (٧) فى ظ : القرطى .

السدى : من بلغ[1] القرآن فهو له نذير ، و قال ابن زيد : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . و هذه كلها أقوال متفقة المعنى ، و قد أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول هذا الكلام و أن[2] ينذر بالقرآن كل من بلغه ، و لم يخص إنسا و لا جنا من أهل التكليف ، و لا خلاف أن الجن مكلفون - انتهى[3] . و سيأتى مما[4] ذكر من الآيات و غيرها ما يليق بالاستدلال على ٥ الإرسال إلى الملائكة عليهم السلام ، فالمعنى : فمن صدق هذا القرآن فقد أفلح ، و من كذب فليأت بسورة من مثله ، ثم عجزه شاهد على نفسه بالكذب ، و هو شهادة الله لى بالصدق . و لأجل أن الله هو الشاهد لم تنقض الشهادة بموت النبى صلى الله عليه و سلم ، بل استمرت على مرّ الأيام[5] و كرّ الأعوام لبقاء الشاهد و تعاليه عن شوائب النقص و سمات ١٠ الحدث[6] ، و إلى ذلك الإشارة بقول النبى صلى الله عليه و سلم « ما من الأنبياء نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » - أخرجه الشيخان عن أبى هريرة / رضى الله عنه . و لعل الاقتصار / ١٧٣ على الإنذار مع ما تقدم إشارة إلى أن أكثر الخلق هالك . و قد ذكر ١٥ فى نزول هذه الآية أن أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا : أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك بما تقول ،

---

(١) و فى تفسير الطبرى حيث أخرج هذا الحديث : بلغه - راجع فيه آية ١٩ من الأنعام (٢) من ظ ، و فى الأصل : انه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ما . (٥) من ظ ، و فى الأصل : الآثار (٦) من ظ ، و فى الأصل : الحديث .

و لقد سألنا عنك[1] اليهود و النصارى[2] فزعموا أنه ليس عندهم منك ذكر، فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم ، فأنزلها الله .

و لما لم يبق لمتعنت شبهة ، ساق[3] فذلكة ذلك و قطب دائرته - و هو لزوم التوحيد الذى جعلت الرسالة مرقى إليه ، فاذا ثبت فى قلب فاضت ٥ أنواره بحسب[4] ثباته حتى أنها ربما ملأت الأكوان و علت على كيوان[5] - مساق استفهام على طريقة الإنكار و التعجيب تعظيما لشأنه و تفخيما لمقامه[6] و تنبيها لهم على أن يبعدوا عن الشرك فقال: ﴿ ائنكم لتشهدون ان مع الله﴾ أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ ءالهة ﴾ .

و لما كانوا لكثرة تعنتهم ربما أطلقوا على أسمائه سبحانه إلـه[7] كما ١٠ قالوا حين سمعوه صلى الله عليه و سلم يقول : يا الله يا رحمن - كما سيأتى إن شاء الله تعالى آخر الحجر و آخر سبحان ، صرح بالمقصود على وجه[8] لا يحتمل النزاع فقال : ﴿ اخرىٰ ﴾ و لما كان كأنه قيل : إنهم[2] ليقولون ذلك ، فما ذا يقال لهم؟ قال: ﴿قل لآ اشهد ج ﴾ أى معكم بشىء مما تقولونه لأنه باطل ، و لو كان حقا لشهدت[9] به .

١٥ و لما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه ، اجتثه من أصله و رمته بقوله : ﴿ قـل انمـا هو ﴾ أى الإلـه ﴿ الـه واحد ﴾ و هو الله[2] الذى

(١) فى ظ : عن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : مساق (٤) من ظ ، و فى الأصل : بخبر - كذا (٥) بفتح اوله : اسم زحل بالفارسية (٦) من ظ ، و فى الأصل : لشانه (٧) من ظ ، و فى الأصل : آلهة (٨) من ظ ، و فى الأصل : بصه - كذا (٩) من ظ . و فى الأصل : شهدت .

لا يعجزه شيء و هو يعجز كل شيء، لأنه واحد لا كفوء له ، فانكم عجزتم عن الإتيان بسورة من مثل كلامه و أنتم أفصح الناس .

و لما كان معنى هذا البراءة من إنذارهم ، صرح به فى قوله مؤكدا فى جملة اسمية : ﴿و انى برىء مما تشركون ﴾ أى الآن و فى مستقبل الزمان إبعادا من تطمعهم أن تكون[1] الموافقة بينه و بينهم باتخاذه الأنداد أو شيئا منها بليا ، فثبت التوحيد بهذه الآية بأعظم طرق البيان[2] و أبلغ وجوه التأكيد[3] ، و لقد امتثل[4] صلى الله عليه و سلم الأمر بانذار من يمكن إبلاغه القرآن . فلما استراح [5]عن حرب[5] قريش و كثير ممن حوله من العرب فى عام الحديبية ، و هو سنة ست[6] من الهجرة ، و أعلمه[7] الله تعالى أن ذلك فتح مبين ، أرسل إلى من يليه من ملوك الأمصار فى ذلك العام و ما بعده ، و كان أكثر[8] عند منصرفه من [ذلك - [9]] الاعتمار يدعوهم إلى جنات و أنهار فى دار القرار ، و ينذرهم دار البوار ؛ قال أهل السير : خرج صلى الله عليه و سلم - بعد رجوعه من عمرة الحديبية التى صد عنها - على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فقال : أيها الناس ! إن الله بعثنى رحمة و كافة ، و إنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم - و قال ابن عبد الحكم فى [10] فتوح مصر عن عبد الرحمن بن عبد القادر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله و أثنى عليه و تشهد

(١) من ظ . و فى الأصل : يكون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : التوكيد . (٤) من ظ ، وفى الأصل : امتثله (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ستة (٧) من ظ ، وفى الأصل : اعلم ان (٨) من ظ ، و فى الأصل : اكثرهم (٩) زيد من ظ (١٠) و العبارة من هنا إلى « و قال ابن عبد الحكم » الآخر . ساقطة من ظ .

ثم قال : أما بعد فانى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم ، فأدوا
عنى يرحمكم الله ، و لا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون ـ و قال ابن عبدالحكم :
بنو إسرائيل - على عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فقال المهاجرون :
يا رسول الله ! و الله لا نختلف عليك فى شىء أبدا ، فمرنا و ابعثنا ، فسألوه :
٥ كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ؟ قال : دعاهم إلى الذى -
[1] و فى رواية [1] : لمثل الذى - دعوتكم / إليه ، و قال ابن عبد الحكم : إن الله ١٧٤/
تبارك و تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أن ابعث إلى مقدس الأرض ،
فبعث الحواريون - فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلم ، و أما من
بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تثاقل ـ قال ابن عبد الحكم : و قال : لا أحسن
١٠ كلام من تبعثنى إليه ـ فشكا ذلك عيسى عليه السلام إلى الله عز و جل ،
فأصبح كل رجل ـ و قال ابن عبد الحكم : فأوحى الله تعالى إليه أنى
سأكفيك ، فأصبح المتثاقلون و كل واحد منهم ـ يتكلم بلغة الأمة [2] التى
بعث إليها . فقال عيسى عليه السلام : هذا أمر قد عزم الله عليه [3] فامضوا له [4] .
و قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى فى القاموس : إن المكان الذى جمع
١٥ فيه [5] عيسى عليه السلام الحواريين و أنفذهم إلى النواحى [6] قرية بناحية [6]
طبرية تسمى الكرسى [7] . و قال ابن إسحاق : و حدثنى يزيد بن أبى حبيب

(١-١) فى الأصل : فا روايته ـ كذا (٢) من ظ و سيرة ابن هشام ٣ / ٧٧ ،
و فى الأصل : الاية ـ كذا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اليه (٥) من ظ ،
و فى الأصل : به (٦ - ٦) فى ظ : قريب ناحية (٧) من ظ و القاموس ، و فى
الأصل : الكريين ـ كذا .

المصري أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم
إلى البلدان و ملوك [العرب و -[1]] العجم و ما قال لأصحابه حين بعثهم،
قال : فبعث به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه - فذكر نحو ما تقدم إلى
أن قال : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم صلى الله عليه و سلم
من الحواريين و الأتباع الذين كانوا بعدهم[2] في الأرض بطرس الحواري ٥
و معه بولس - وكان [بولس -[1]] من الأتباع و لم يكن من الحواريين -
إلى رومية[3]، و أندرائس[4] و منتا[5] إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس،
و توماس إلى أرض بابل من أرض المشرق و قيبليس[6] إلى قرطاجنة[7]،
و هي إفريقية، و يحنس[8] إلى أفسوس[9] قرية [الفتية -[1]] أصحاب الكهف،
و يعقوبس إلى أوراشلم و هي إيلياء قرية بيت المقدس، و ابن ثلما[10] ١٠
إلى الأعرابية، و هي أرض الحجاز، و سيمن[11] إلى أرض البربر، و يهودا
و لم يكن من الحواريين، جُعل مكان يودس[12] - انتهى. كذا رأيت في

---

(١) زيد من سيرة ابن هشام ٣ / ٧٨ (٢) في ظ : كانوا بعثهم - كذا (٣) من ظ و السيرة، و في الأصل : رومة (٤) في ظ : اندراس (٥) في ظ : مينا، و بهامش السيرة : قوله : و منتا، في نسخة : و مثنا - بالمثلثة (٦) من السيرة، و في الأصل : فيلس، و في ظ : فيلس - كذا، و الصحيح أنه فيلبس - كما يأتي من نص الإنجيل (٧) في ظ : قرطاحيه (٨) من السيرة، و في الأصل : محس، و في ظ : بيجيس - كذا (٩) في ظ : اقيوس (١٠) من ظ و السيرة، و في الأصل : سلما (١١) من السيرة، و في الأصل : سيمين، و في ظ : سنين. (١٢) من ظ و السيرة، و في الأصل : يورس - كذا.

نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام ، و كذا فى مختصرها
للامام جمال الدين محمد بن [المكرم -[1]] الأنصارى عدد رسله و أسمائهم ،
و فى آخرهم : قوله : مكان يودس ، و لم يتقدم ليودس ذكر ، و الذى
حررته أنا من الأناجيل التى بأيدى النصارى غير هذا ، و لعله أصح ،
٥ و قد جمعت ما تفرق[2] من ألفاظها ، [قال -[3]] فى إنجيل متى ما[4] نصه -
و معظم السياق له : و دعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر
و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح [النجسة -[5]] لكى يخرجوها
و يشفوا كل الأمراض ؛ و فى إنجيل مرقس : و صعد إلى الجبل و دعا
الذين أحبهم فأتوا إليه ، و انتخب اثنى عشر ليكونوا معه و لكى يرسلهم
١٠ ليكرزوا ، و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين ؛
و فى إنجيل لوقا : و كان فى تلك الأيام خرج إلى الجبل يصلى ، و كان
ساهرا فى صلاة الله[6] ، فلما كان النهار دعا تلاميذه و اختار منهم اثنى
عشر ؛ و قال فى موضع آخر : و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة
و سلطانا على جميع الشياطين و شفاء المرضى ، و أرسلهم يكرزون
١٥ بملكوت الله و يشفون[7] الأوجاع ؛ و هذه أسماء[8] الاثنى عشر الرسل :
سمعان المسمى بطرس - و نسبه فى موضع[9] من إنجيل [متى -[3]] :
ابن يونا - و أندراوس أخوه[4] ، و يعقوب بن زبدى[10] و يوحنا أخوه -

(١) زيد من معجم المؤلفين ١٢/٤٦ ، و موضعه فى ظ : المكر - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعرف - كذا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من الإنجيل (٦) فى ظ : الليل (٧) فى ظ : يبغون - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل: الاسماء (٩) راجع الأصحاح السادس عشر - آية ١٧ (١٠) فى ظ : زيدا - كذا .

قال فى إنجيل مرقس : و سماهما باسمى بوانرجس[١] اللذين[٢] ابنا[٣] الرعد - و فيلبس[٤] و برثولوماوس ، و توما و متى العشار ، و يعقوب بن حلفى ، ١٧٥/ ا
و لباوس[٥] الذى يدعى تداوس[٦]. و جعل فى إنجيل مرقس بدل هـذا : تدى ، و فى إنجيل لوقا بدلهما : يهوذا بن يعقوب ، ثم اتفقوا : و سمعان القانانى ، و قال فى إنجيل لوقا : المدعو الغيور ، و يهوذا الإسخريوطى ٥
الذى أسلمه - أى دل عليه فى الليلة التى ادعى اليهود القبض عليه فيها - [٧]هؤلاء الاثنا عشر[٧] الرسل الذين أرسلهم يسوع - و فى إنجيل مرقس : و دعا الاثنى عشر[٨] و جعل يرسلهم اثنين اثنين[٩] ، و أعطاهم السلطان على الأرواح النجسة - قائلا : لا تسلكوا طريق الأمم ، و لا تدخلوا
مدينة السامرة ، و انطلقوا خاصة إلى[١٠] الخراف التى ضلت من بيت ١٠
إسرائيل ، و إذا ذهبتم فاكرزوا و قولوا : قد اقتربت ملكوت السماوات ، اشفوا المرضى ، أقيموا الموتى ، طهروا البرص ، أخرجوا الشياطين ، مجانا أخذتم مجانا أعطوا ، لا تكنزوا[١١] ذهبا و لا فضة و لا نحاسا فى مناطقكم و لا هميانا[١٢] فى الطريق و لا ثوبين و لا حذاء و لا عصى ، و الفاعل

---

(١) من إنجيل مرقس ، و فى الأصل : توابرحجس ، و فى ظ : نوا برجس - كذا.
(٢) فى ظ : الذين هم (٣) من ظ ، و فى الأصل : ابن (٤) فى ظ : فبلس - كذا.
(٥) من إنجيل متى ، و فى الأصل و ظ : لبا - كذا (٦) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : بذاوس - كذا (٧-٧) فى ظ : هو الاثنى عشر - كذا (٨) من ظ والإنجيل ، و فى الأصل : الاثنا عشر (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : فى (١١) من ظ ، و فى الأصل : لا تنكروا - كذا (١٢) فى ظ : هيانا.

مستحق طعامه؛ و فى إنجيل مرقس : و أمرهم أن لا يأخذوا[1] فى الطريق غير عصى فقط و لا هميانا[2] و لا خبزا[3] و لا فضة[3] و لا نحاسا فى مناطقهم إلا نعالا فى أرجلهم و لا يلبسوا[4] قميصين ؛ و فى إنجيل لوقا : و قال لهم[5] : لا تحملوا فى الطريق[6] شيئا ، لا عصى و لا هميانا[2] و لا خبزا و لا فضة ، و لا يكون لكم[7] ثوبان[8] ، و أى مدينة أو قرية دخلتموها فحصوا[9] فيها عمن يستحقكم ، و كونوا هناك حتى تخرجوا[10] ، فاذا دخلتم إلى البيت فسلموا عليه ، فان كان البيت مستحقا لسلامكم[11] فهو يحل عليه ، و إن كان لا يستحق فسلامكم راجع إليكم ، و من لا يقبلكم و لا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من ذلك البيت و تلك القرية أو تلك المدينة انفضوا غبار أرجلكم؛ و فى إنجيل مرقس : و قال لهم : أى بيت دخلتموه أقيموا فيه إلى أن تخرجوا[12] منه ، و أى موضع لم يقبلكم و لم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار الذى تحت أرجلكم للشهادة عليهم ، الحق أقول[13] لكم ! إن لأرض[14] سدوم و[13] عامورا[15] راحة فى يوم الدين أكثر من تلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يوخذوا (٢) فى ظ : هيمانا (٣-٣) ليس ما بين الرقمين فى إنجيل مرقس (٤) من ظ . و فى الأصل : لا تلبسوا (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى إنجيل لوقا فحذفناها (٧) فى ظ : لهم (٨) من ظ و إنجيل لوقا . و فى الأصل : ثوبا (٩) من ظ ، وفى الأصل : افحصوا (١٠) من ظ و إنجيل متى، و فى الأصل : يخرجوا . (١١) فى ظ : لاسلامكم (١٢) من ظ و إنجيل مرقس ، و فى الأصل : يخرجوا . (١٣) سقط من ظ (١٤) من إنجيل متى، و فى الأصل وظ : الأرض (١٥) من ظ ، و فى الأصل : عامور ، و فى الإنجيل : عمورة .

المدينة

المدينة[1]، هو ذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب ، كونوا حكماء كالحية و ودعاء[2] كالحمام[3]، أحذروا من الناس ، فإنهم يسلمونكم إلى المحافل ، و في مجامعهم[4] يضربونكم ، و يقدمونكم إلى القواد و الملوك من أجلي شهادة لهم[5] و للأمم - و في إنجيل مرقس[6] : شهادة عليهم و على كل الأمم ، ينبغي أولا أن يكرزوا بالإنجيل - فاذا أسلموكم فلا تهتموا بما تقولون[7] - و في ٥ إنجيل مرقس : و لا ما ذا تجيبون - فانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ، و لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم - و في إنجيل[8] مرقس : لكن روح القدس يتكلم فيكم - و سيسلم الأخ أخاه إلى الموت و الأب ابنه ، و يقوم الأبناء على آبائهم فيقتلونهم ، و تكونون[9] مبغوضين من الكل من أجل اسمي ، و الذي يصبر إلى المنتهى يخلص ، فاذا طردوكم[10] من ١٠ هذه المدينة اهربوا إلى أخرى ، الحق الحق[8] أقول لكم ! إنكم لا تكملون مدائن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان ، ليس تلميذ أفضل من معلمه ، و لا عبد أفضل من سيده ، و حسب التلميذ أن يكون مثل معلمه و العبد مثل سيده ، إن كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحرى أهل بيته ! فلا تخافوهم ، فليس خفي إلا سيظهر و لا مكتوم إلا سيعلم ، الذي أقول لكم ١٥

---

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) جمع وديع : هادئ ساكن ، و في الإنجيل : بسطاء (٣) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : الحما - كذا (٤) في ظ : محافلهم . (٥) من الإنجيل ، و في الأصل و ظ : لكم (٦) العبارة من هنا إلى « إنجيل مرقس » - الآتي ، ساقطة من ظ (٧) في الأصل : يقولون ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل . (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : يكونون (٩) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : طردوهم .

/١٧٦ فى الظلمة قولوه أنتم فى النور. و ما سمعتموه بآذانكم فاكرزوا / به على السطوح، و «[1]لا تخافوا ممن[2] يقتل الجسد و لا يستطيع أن يقتل النفس[1]، خافوا ممن يقدر أن يهلك النفس و الجسد جميعا فى جهنم، [أليس -[3]] عصفوران يباعان بفلس، و واحد منهما لا يسقط على الأرض دون ٥ إرادة أبيكم. و أنتم فشعور[4] رؤسكم كلها محصاة. فلا تخافوا، فانكم أفضل من عصافير كثيرة، لا تظنوا أنى جئت لألقى على الأرض سلامة، لكن سيفا[5]، أتيت لأفرق الإنسان من أبيه و الابنة[6] من أمها، و العروس من حماتها[7]، و أعداء الإنسان[8] أهل بيته، من أحب أبا أو[9] أما أكثر منى فما يستحقنى، و من وجد نفسه فليهلكها، و من أهلك نفسه من ١٠ أجلى وجدها. و من قبلكم فقد قبلنى، و من قبلنى فهو يقبل الذى أرسلنى، و من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى[10] يأخذ، و من يأخذ صديقا باسم صديق فأجر[11] صديق يأخذ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ[12] - الحق أقول لكم[13] - إن أجره لا يضيع. و لما أكمل يسوع أمره لتلاميذه[14] الاثنى عشر، انتقل من هناك ليعلم و يكرز

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : من (٣) زيد من ظ و الإنجيل (٤) من ظ . و فى الأصل : شعور (٥) فى ظ : سيف (٦) من ظ ، و فى الأصل : الأمة . (٧) من ظ ، و فى الأصل : حمايتها (٨) زيد بعده فى ظ : من (٩) من انجيل متى ، و فى الأصل « و » (١٠) من ظ ، و فى الاصل : نبى - كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل : فاخبر (١٢) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : التلميذ . (١٣) زيد بعده فى ظ : ان اجرة تلميذ الحق اقول لكم (١٤) فى ظ : تلاميذه .

فى مدنهم[1]؛ و فى إنجيل مرقس: فلما خرجوا - يعنى الرسل - كرزوا بالتوبة و أخرجوا شياطين كثيرة و مرضى عديدة[2] يدهنونهم بالزيت فيشفون؛ و فى إنجيل لوقا: و من بعد هذا أيضا ميز الرب سبعين آخرين[3] و أرسلهم اثنين اثنين قدام وجهه إلى كل مدينة و موضع أَزْمَعَ أن يأتيه، و قال لهم: إن الحصاد كثير و الفعلة قليلون[4]، أطلبوا [من[5]] رب الحصاد ليخرج فعلةً لحصاده؛ و فى إنجيل متى ما ظاهره أن هذا الكلام كان[6] للاثنى عشر، فانه[7] قال قبل ذكر عددهم: فلما رأى الجمع تحنن عليهم لأنهم كانوا ضالين و مطرحين كالخراف التى ليس لها راع، حينئذ قال لتلاميذه الاثنى عشر - إلى آخر ما ذكرته عنه أولا، فيجمع بأنه قاله للفريقين[8] - رجع إلى السياق الأول: اذهبوا، هو ذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب، لا تحملوا هميانا و لا حذاء و لا مزودا و[9] لا تقبلوا أحدا[9] فى الطريق، و أىّ بيت دخلتموه فقولوا[10] أولا: سلام لأهل هذا البيت، فان كان هناك ابن سلامكم [11]فان سلامكم يحل[11]

(١) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: مدينتهم (٢) فى الأصل: عدة، و فى ظ: عدهم، و فى الإنجيل: كثيرين (٣) من إنجيل لوقا، و فى الأصل و ظ: آخر. (٤) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: قليل (٥) زيد من الإنجيل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: و انه (٨) فى ظ: للفقير من - كذا (٩-٩) و فى إنجيل لوقا: لا تسلموا على أحد (١٠) فى ظ: فسلموا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ.

عليه ، و إلا فسلامكم راجع إليكم ، و كونوا فى ذلك [البيت -[1]] ، كلوا و اشربوا من عندهم[2] ، فان الفاعل مستحق أجرته . و لا تنتقلوا من بيت إلى بيت ، و أىّ مدينة دخلتموها و يقبلكم أهلها فكلوا مما يقدم لكم[3] ، و اشفوا المرضى الذين فيها ، و قولوا لهم : قد قربت ملكوت الله ، و أىّ مدينة دخلتموها و لا يقبلكم أهلها فاخرجوا[4] من[5] شوارعها و قولوا [لهم -[6]] : نحن ننفض لكم الغبار الذى لصق بأرجلنا من مدينتكم ، لكن اعلموا أن ملكوت الله قد قربت ، أقول لكم : إن سدوم[7] فى ذلك اليوم لها راحة أكثر من تلك المدينة[3] ، الويل لك يا كورزين[8] ! و الويل لك يا بيت صيدا ! لأنه لو كان فى صور و صيدا القوات التى كنّ فيكما[9] جلسوا و تابوا بالمسوح و الرماد ، و أما صور و صيدا فلهما راحة فى الدينونة أكثر منكم ، و أنت يا كفرنا حوم لو أنك ارتفعت إلى السماء سوف تهبطين[10] إلى الجحيم ، من سمع منكم فقد سمع منى ، و من جحدكم فقد جحدنى ، [و من جحدنى -[6]] فقد شتم الذى أرسلنى ؛ فرجع السبعون بفرح قائلين[11] : يا رب ! الشياطين باسمك تخضع لنا [12]يا رب[12] ! فقال لهم : قد رأيت الشيطان[13] سقط من السماء مثل البرق ، و هو ذا قد أعطيتكم

---

(١) زيد من الإنجيل (٢) فى ظ : عندكم (٣) سقط من ظ (٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : اخرجوا (٥) فى الإنجيل : إلى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : سدومة (٨) فى ظ : كوزن (٩) من الإنجيل ، و فى الأصل : فيكون ، و فى ظ : فيك (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تهبطن (١١) فى ظ : قائلون (١٢-١٢) ليس ما بين الرقمين فى الإنجيل (١٣) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : الشياطين .

سلطانا / لتدوسوا[1] الحيات و العقارب وكل قوة العدو ، و لا يضركم شيء، و لكن [2]لا تفرحوا[2] بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، افرحوا لأن أسماءكم مكتوبة فى السماوات ، و فى تلك الساعة تهلل يسوع بالروح ، و التفت إلى تلاميذه خاصة و قال: طوبى للأعين التى ترى ما رأيتم! أقول لكم: إن أنبياء كثيرين[3] و[4] ملوكا اشتهوا أن ينظروا ما نظرتم فلم ينظروا، ٥ و يسمعوا ما سمعتم فلم يسمعوا؛ و فى إنجيل متى - بعد ما ادعى اليهود صلبه - أنه ظهر لتلاميذه الأحد عشر - و هم من تقدم غير يهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه - فى الجليل فى الجبل الذى أمرهم به يسوع ، و كلمهم قائلا: أعطيت كل سلطان فى السماء و على الأرض ، فاذهبوا الآن و تلمذوا كل الأمم؛ و فى آخر إنجيل مرقس أنه ظهر لهم و هم مجتمعون ، و كانوا ١٠ فى تلك الأيام يبكون و ينوحون فبكتهم لقلة[5] إيمانهم و قسوة قلوبهم و قال لهم: امضوا إلى العالم أجمع[6] ، و اكرزوا بالإنجيل فى الخليقة كلها ، فمن آمن و اعتمد خلص ، و من لم يؤمن يدان ، و هذه الآيات تتبع[7] المؤمنين ، يخرجون الشياطين [باسمى - [8]] و يتكلمون بألسنة جديدة ، و يحملون بأيديهم الحيات و لا تؤذيهم ، و يشربون السم القاتل ١٥ فلا يضرهم ، و يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون؛ و من بعد ما كلمهم

/ ١٧٧

---

(١) من الإنجيل ، و فى الأصل وظ : لتدسوا (٢ - ٢) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : تفرحون (٣) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : كثيرا (٤) من ظ . و فى الأصل : او (٥) من ظ ، و فى الأصل : لغة - كذا (٦) فى ظ : اجتمعوا . (٧) من الإنجيل ، و فى الأصل : يتبعون ، و فى ظ : يتبع (٨) زيد من الإنجيل .

يسوع ارتفع[1] إلى السماء ، فخرج أولئك يكرزون فى كل مكان ؛ و فى
إنجيل لوقا : فلما خرجوا كانوا يطوفون فى القرى و يبشرون و يشفون
فى كل موضع - و فى آخره بعد أن ذكر تلامذته الأحد عشر[2]
و كلاماً كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه : و فيما هم يتكلمون
٥ وقف يسوع فى وسطهم و قال لهم : السلام لكم[3] ، أنا هو ! لا تخافوا ،
فاضطربوا و ظنوا أنهم ينظرون روحا فقال : ما بالكم تضطربون ؟
و لِمَ تأتى الأفكار فى قلوبكم ؟ انظروا يدى و رجلى فانى أنا هو ! جسّونى
و انظروا ، إن الروح ليس له لحم و لا عظم كما ترون أنه لى ؛ و لما قال
هذا أراهم[4] يديه و رجليه ، و إذا هم غير مصدقين من الفرح ، قال لهم :
١٠ أعندكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه[5] جزءا من حوت مشوى و من شهد
عسل ، فأخذ قدامهم و أكل ، و أخذ الباقى و أعطاهم ، و قال لهم : هذا
الكلام الذى كلمتكم به إذ[6] كنت معكم ، و أنه سوف يكمل كل شىء
هو[1] مكتوب فى ناموس موسى و الأنبياء و المزامير لأجلى ، و حينئذ
فتح أذهانهم ليفهموا ، و قال لهم : اجلسوا أنتم فى المدينة يروشليم حتى
١٥ تتذرعوا[7] لقوة من العلى ، ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ، فرفع يديه
و باركهم ، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم[8] و صعد إلى السماء
أمامهم ، فرجعوا إلى يروشليم بفرح عظيم ، و كانوا فى كل حين يسبحون

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاحدى عشر (٣) فى ظ :
عليكم (٤) من ظ ، و فى الأصل : ارايتم (٥) فى ظ : فاعطوهم (٦) فى ظ : اذاء
(٧) فى ظ : تندعوا - كذا (٨) فى ظ : عليهم .

و يباركون الله - انتهى ما نقلته من الأناجيل . و ما[1] كان فيه من لفظ يوهم نقصا [ما - [2]] فقد تقدم فى أول[3] آل عمران أنه لا يجوز فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى و إن كان صح إطلاقه فى شرعهم ، فهو مؤول و قد نسخ ؛ و قال الإمام محي السنة البغوى فى تفسير آل عمران فيما نقله عن وهب : فلما كان بعد سبعة أيام - أى من ادعاء اليهود لصلبه - قال الله ٥ تعالى لعيسى عليه السلام : اهبط على مريم المجدلانية فى جبلها ، فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ، و لم يحزن [عليك - [4]] أحد حزنها ، ثم لتجمع لك الحواريين فتبثهم[5] فى الأرض دعاة إلى الله تعالى ، فأهبطه[6] الله تعالى عليها فاشتعل[7] الجبل حين هبط نورا ، / فجمعت له الحواريين فبثهم[8] فى الأرض / ١٧٨ دعاة ، ثم رفعه الله إليه ، و تلك الليلة هى التى تدخن[9] فيها النصارى ، فلما ١٠ أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى عليه السلام إليهم ، فذلك قوله تعالى "و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين[10]" هذا ما ذكر[11] من شأن رسل عيسى عليه السلام أنهم كانوا دعاة ، و أما رسل[12] النبى صلى الله عليه وسلم فانهم[13] كانوا مبلغين لكتبه صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) فى ظ : مما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من معالم التنزيل - راجع الخازن ١/٢٩٩ (٥) فى ظ : فهم (٦) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : فاهبط . (٧) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : فاسعد - كذا (٨) فى ظ : لبثهم (٩) من المعالم ، و فى الأصل : يدخل ، و فى ظ : يدخر - كذا (١٠) راجع آية ٥٤ من آل عمران ، و زيد بعده الواو فى ظ (١١) فى ظ : ذكره (١٢) زيد بعده فى الأصل : عيسى عليه السلام ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٣) فى ظ : فانما .

فمن قبل ذلك كان حظه من الله، و من أبى كان جوابه السيف الماحق لدولته - كما ذكرته مستوفى فى شرحى لنظمى للسيرة[1] و هو مذكور فى فتوح البلاد؛ و لما بعث صلى الله عليه و سلم رسله اتخذ لأجل مكاتبة الملوك الخاتم، أخرج أبو يعلى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه أن ٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب إلى كسرى و قيصر - و فى رواية: و أكيدر دومة و[2] إلى كل جبار - يدعوهم إلى الله؛ و أخرج الشيخان فى صحيحهما - و هذا لفظ مسلم - عن أنس بن مالك أيضا رضى الله عنه قال: [لما -[3]] أراد النبى صلى الله عليه و سلم أن يكتب إلى الروم - و فى رواية: إلى العجم - قالوا: إنهم لايقرؤن كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول الله صلى ١٠ الله عليه و سلم خاتما من فضة كأنى أنظر إلى بياضه فى يد رسول الله صلى الله عليه و سلم، نقشه «محمد رسول الله». فبعث دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه إلى قيصر ملك الروم و أمره أن يوصل الكتاب إلى عظيم بصرى ليوصله إليه، فعظم كتاب النبى صلى الله عليه و سلم و قبله و قرأه و وضعه على وسادة و علم صدقه صلى الله عليه و سلم [و -[4]] أنه ١٥ سيغلب على ملكه، فجمع الروم و أمرهم بالإسلام فأبوا، فخافهم[5] فقال: إنما أردت أن أجربكم، ثم لم يقدر الله له الإسلام، فأزال الله حكمه عن الشام و كثير من الروم على يدى أبى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم [ثم -[4]] عن كثير من الروم أيضا على يد من بعدهم، و مكن بها

---

(١) فى ظ: السيرة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و صحيح مسلم - كتاب اللباس (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: خالفهم.

الإسلام، لكن أثابه[1] الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه و سلم بأن أبقى ملكه فى أطراف بلاده إلى الآن ، و بلغنى أن الكتاب محفوظ عندهم إلى هذا الزمان ؛ و بعث شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى - و قال القضاعى: المنذر بن أبى شمر عامل قيصر على تخوم الشام - [ثم -[2]] إلى جبلة بن الأيهم[3] الغسانى، فأما ٥ الحارث أو المنذر فغضب من الكتاب و هم[4] بالمسير إلى النبي صلى الله عليه و سلم ليقاتله ، زعم فنهاه[5] عن ذلك قيصر ، فأكرم شجاعا و رده و أسلم[6] حاجبه مرى الرومى[7] بما عرف من صفة النبى صلى الله عليه و سلم [8]فى الإنجيل ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم[8] : باد ملك الحارث ، و فاز مرى ، فقل[2] ما لبث الحارث حتى مات ، و ولى بعده [فى مكانه -[2]] جبلة بن الأيهم[3] ١٠ الغسانى ، و هو آخر ملوك غسان على نواحى الشام ، فرد[9] إليه النبي صلى الله عليه و سلم شجاع بن وهب رضى الله عنه ، فرد[10] على النبي صلى الله و سلم ردا جميلا و لم يسلم ، و استمر يتربص حتى أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه لما رأى من ظهور نور الإسلام و خمود نار الشرك ، ثم إنه

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اثاره - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من سيرة ابن هشام ٣ / ٧٨ ، و فى الأصل : الا انهم ، و فى ظ : الا فهم - كذا (٤) فى ظ : هو . (٥) من ظ ، و فى الأصل : فنها (٦) من ظ ، و فى الأصل : فاسلمه (٧) ذكر قصته فى السيرة الحلبية مبسوطا من غير تعرض لاسمه - راجع ٣/٣٥٣ منها ، و لكن ذكره فى السيرة التى بهامش الحلبية فقال : و كان هذا الحاجب روميا اسمه مرى - راجع ٣ / ٨٥ منها ، و ذكر اسمه أيضا فى الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٠ . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : فيرد (١٠) فى ظ : فردهم .

ارتد - و لحق ببلاد الروم - فى لطمة أريد أن يقتص منه فيها[١]، فسبحان الفاعل لما يشاء! و بعث عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه إلى كسرى ملك الفرس، و أمره أن يدفع الكتاب / إلى عظيم البحرين ليوصله إليه، فلما رأى أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ[٢] باسمه الشريف مزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، فرجع عبد الله، فلما سكن غضب الخبيث التمسه فلم يجده فأرسل فى طلبه فسبق الطلب، فلما أخبر النبى صلى الله عليه و سلم عن تمزيق الكتاب، دعا على كسرى أن يمزق كل ممزق، فأجاب الله دعوته فشتت شملهم و قطع وصلهم على يد أبى بكر و عمر رضى الله عنهما، ثم قتل يزدجرد آخر ملوكهم فى خلافة عثمان رضى الله عنه، فأصبح ملك الأكاسرة كأمس الدابر[٣]، وعم بلادهم الإسلام، و ظهرت بها كلمة الإيمان، بل تجاوز الإسلام ملكهم[٤] إلى ما وراء النهر و إلى بلاد الخطا. و بعث حاطب ابن أبى بلتعة[٥] رضى الله عنه إلى المقوقس صاحب مصر و الإسكندرية، فعلم من صدق النبى صلى الله عليه و سلم ما علمه قيصر من الإنجيل، فأكرم الرسول و أهدى للنبى صلى الله عليه و سلم و رد ردا جميلا و لم يسلم، فأباد الله ملكه على يد عمرو بن العاص أمير لعمر رضى الله عنهما. و بعث عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه إلى النجاشى فآمن رضى الله عنه و قال: أشهد أنه النبى صلى الله عليه و سلم الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب، و أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام،

(١) و فى الروض الأنف ٢ / ٢٥٧ : و هو الذى أسلم ثم تنصر من أجل لطمة حاكم فيها إلى أبى عبيدة بن الجراح (٢) من ظ، و فى الأصل: بارا - كذا.
(٣) فى ظ: الداير (٤) سقط من ظ (٥) من ظ والسيرة، و فى الأصل: ابى ثعلبة.

و أن

و أن العيان ليس بأشفى من الخبر[1]، و أهدى للنبى صلى الله عليه و سلم
هدايا[2] كثيرة، و أرسل ابنه باسلامه فى سبعين من الحبشة، و قال فى
كتابه: و إنى لا أملك إلا نفسى و من آمن بك من قومى، و إن أحببت
أن آتيك يا رسول الله فعلتُ؛ فصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على
النجاشى و استغفر له؛ و بعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه إلى المنذر ٥
ابن ساوى العبدى ملك البحرين و إلى أسيحت[3] مرزبان هجر بكتاب
يدعوهما[4] فيه إلى الإسلام أو الجزية. و أرض البحرين من بلاد العرب،
لكن كان الفرس قد غلبوا عليها، و بها خلق كثير من عبد القيس و بكر
ابن وائل و تميم فأسلم المنذر و أسيحت[3] و جميع من هناك من العرب
و بعض العجم، فأقره النبى صلى الله عليه و سلم على عمله؛ و بعث سليط ١٠
ابن عمرو العامرى رضى الله عنه إلى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة،
و كان عاملا لقيصر على قومه، فقرأ كتاب النبى صلى الله عليه و سلم
و رد ردا دون رد، فصادف أن قدم عليه راهب من دمشق، فأخبره
أنه لم يجب إلى الإسلام، فقال: لم؟ قال: ضننت بملكى[5]. قال الراهب:
لو تبعته لأقرك و الخير لك فى اتباعه، فانه النبى صلى الله عليه و سلم. بشر به ١٥

(١) كذا وقع فى المصباح المضىء، و زيد بعده فيه عنه، و كذا ذكره فى السيرة الحلبية ٣/٣٤٥، و فى السيرة بهامش الحلبية: وانه ليس الخبر كالعيان - راجع السيرة الحلبية ٣/٧٣، و هو الصواب (٢) فى ظ: بهدايا (٣) من المصباح المضىء، و فى الأصل: سبخت. و فى ظ: سحت - كذا، و نُسِبَ هو هناك إلى ابن عبد الله.
(٤) فى ظ: يدعوهما (٥) من ظ، و فى الأصل: تملكى.

عيسى عليه السلام ، قال هوذة للراهب : فما لك[1] لا تتبعه ؟ فقال : أجدنى[2] أحسده و أحب الخمر ، فكتب هوذة كتابا [و بعث - [3]] إلى النبي صلى الله عليه و سلم بهدية مكانه ذلك . و شعر به قومه [فأتوه - [3]] فهددوه[4] ، فرد الرسول و استمر[5] على نصرانيته ، فقال النبي صلى الله

٥ عليه و سلم لما رجع إليه سليط : باد هوذة و باد ما فى يده ! فلما انصرف النبي صلى الله عليه و سلم من فتح [مكة - [3]] جاءه[6] جبرئيل عليه السلام بأن هوذة مات ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب[6] يتنبأ ، يقتل بعدى . فكان[7] كذلك كما هو مشهور من أمر مسيلمة الكذاب ؛ و بعث المهاجر بن أبي أمية المخزومى رضى الله عنه

١٨٠ / ١٠ إلى الحارث بن عبد / كلال الحميرى ملك اليمن ، فلما بلغه رسالة النبي صلى الله عليه و سلم قال الحارث : قد كان هذا النبي عرض نفسه علىّ فخطئت[8] عنه ، و كان ذخرا لمن صار إليه ، و سأنظر ، و تباطأ به الحال إلى أن أسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه و سلم من تبوك سنة الوفود ، و كاتب النبي صلى الله عليه و سلم بذلك ؛ و بعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى

١٥ جيفر[9] و عبد[10] ابنى الجلندى[11] الأزديين ملكى عمان ، فتوقفا و اضطرب[12]

---

(١) فى ظ : بالك (٢) فى ظ : اخذه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : و هددوه .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : استمرت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : و كان (٨) من ظ و الروض الأنف ٢ / ٣٠٨ ، و فى الأصل : لخطيته - كذا .
(٩) من السيرة ٣ / ٧٧ ، و فى الأصل و ظ : حنيفة - كذا (١٠) فى نسخة من السيرة : عياذ (١١) فى ظ : الحاملى - كذا (١٢) فى ظ : اضرب .

رأيهما

رأيهما ، ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جيفر : إنه و الله قد دلني على هذا النبي صلى الله عليه و سلم الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، و [لا - [1]] ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، و أنه يغلب فلا يبطر [2] ، و يغلب فلا يفجر [3] ، و أنه يوفي بالعهد و ينجز الوعد ، و لا يزال يطلع على سر قوم يساوي فيه أهله ، و إني أشهد أنه رسول الله ، و أسلم أخوه أيضا ، ٥ و كتبا [4] إلى النبي صلى الله عليه و سلم باسلامهما ، فقال خيرا و أثنى خيرا ، و كان في سير هؤلاء الرسل لعمري غير ما ذكر أحاديث عجائب و أقاصيص غرائب من دلائل النبوة و أعلام الرسالة ، خشيت من ذكرها الإطالة و أن تمل و إن لم يكن فيها ما يقتضي [5] ملاله . و قد شفيت في شرحي لنظمي للسيرة باستيفائها القليل في ترتيب جميل و نظم أسلوبه لعمري ١٠ جليل ؛ هؤلاء رسل البشر ، و أما الرسل من الجن فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى "و اذ صرفنا اليك نفرا من الجن [6] يستمعون القران [6]" قال: كانوا [7] تسعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم رسلا إلى قومهم . قال الهيثمي : و في سنده النضر أبو عمر و هو متروك ، و يؤيد عمومَ هذه الآية في ١٥ تناولها الملائكة عليهم السلام قوله تعالى "ليكون للعلمين نذيرا [8]" و إذا

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : فلا ينظر (٣) في ظ : فلا يضجر ، و في الخصائص الكبرى ٢/ ١٤ : فلا يهجر (٤) في ظ : كتب (٥) من ظ ، و في الأصل : يقص (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و راجع سورة ٤٦ آية ٢٩ . (٧) في ظ : كنا - كذا (٨) سورة ٢٥ آية ١ .

تأملت سياق الآيات التي بعدها مع آخر السورة التي قبلها قطعت بذلك "لينذر من كان حيا"، "انما تنذر من اتبع الذكر" إذ هم من جملة العالمين و ممن بلغه القرآن و ممن هو حي و ممن [1] اتبع الذكر [2]، و الخطاب بالإنذار وارد مورد التغليب، إذ الإنس و الجن أهل له، ٥ فانتفى ما يقال: إن الملائكة في غاية الخوف من الله تعالى مع عصمتهم فليسوا [3] ممن يخوف، و يزيد ذلك وضوحا قوله تعالى "و من يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظلمين [4]" و لا إنذار أعظم من ذلك، و إن عيسى عليه السلام من هذه الأمة و ممن شملته ١٠ الآيات الدالة على عموم الرسالة بغير شك، و أن النبي صلى الله عليه و سلم قال «و الذي نفسي بيده! لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي» أخرجه الإمام أحمد و الدارمي و البيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه، و مذهب أهل السنة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة، و قد ثبتت [5] رسالته إلى الأفضل المعصوم بالفعل لعيسى، و بالتعليق بالحياة ١٥ لموسى عليه السلام. و قد أخذ الله سبحانه ميثاق النبيين كلهم عليهم السلام إن أدركوه ليؤمنن به، و قد خوطب النبي صلى الله عليه و سلم - و هو أشرف الخلق و أكملهم - بالإنذار في غير آية، فمها أول به ذلك في حقه صلى الله عليه و سلم / قيل مثله في حقهم عليهم السلام، /١٨١

(١) زيد بعده في ظ: هو (٢) زيد بعده في ظ: اذهم من جملة العالمين (٣) في ظ: فليس (٤) سورة ٢١ آية ٢٩ (٥) من ظ، و في الأصل: ثبث.

و مما يرفع[1] النزاع و يدفع[2] تعلق المتعلل بالإنذار قوله تعالى "لتنذر به و ذكرى للمؤمنين[3]" فحذف مفعول 'تنذر' دال على عموم رسالته، و تعليق الذكرى[4] بالمؤمنين مدخل لهم بلا ريب لأنهم من رؤسهم - عليهم السلام، و قوله تعالى "لتبشر به المتقين[5]" - إلى غيرها من الآيات، فيكون عموم رسالته لهم زيادة شرف له، و هو واضح[6]، و زيادة شرف لهم بحمل ٥ أنفسهم على طاعته و التقيد بما حده لهم من أعمال ملته طاعة لله[7] تعالى زيادة في أجورهم و رفعة درجاتهم، و ذلك مثل ما قال أبو حيان [8]في قوله تعالى[8] "فخذ ما آتيتك و كن من الشكرين[9]" : إن في[10] الأمر له بذلك مزيد تأكيد و حصول أجر بالامتثال؛ و قال القاضي عياض[11] في الفصل السابع من الباب الأول من القسم الأول من الشفا في قوله ١٠ تعالى[12] "و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتب [8]و حكمة[8]" - الآية؛ قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا و نعته[13] و أخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به، و بعضد ذلك ما قال في أول الباب الأول: و حكى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لجبرئيل عليه السلام:

---

(١) في ظ يقع: - كذا (٢) في ظ: يمنع (٣) سورة ٧ آية ٢ (٤) من ظ، و في الأصل: الذكر (٥) سورة ١٩ آية ٩٧ (٦) زيد بعده في ظ: لهم (٧) في ظ: الله (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سورة ٧ آية ١٤٤ (١٠) سقط من ظ (١١) هو ابن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي، و اسم كتابه هذا: الشفا بتعريف حقوق المصطفى - راجع معجم المؤلفين و كشف الظنون (١٢) سورة ٣ آية ٨١ (١٣) في ظ: بعثه - كذا.

هل أصابك من هذه الرحمة المذكورة في قوله تعالى "و ما ارسلنك الا رحمة للعلمين[١]" شيء ؟ قال : نعم ! كنت أخشى العاقبة[٢] فأمنت لثناء الله عز و جل عليّ بقوله "ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين[٣]" و روى مسلم في كتاب الصلاة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، و نصرت بالرعب ، و أحلت لي الغنائم ، و جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا ، و أرسلت إلى الخلق كافة ، و ختم بي النبيون . و حمل من حمل الخلق على الناس - للرواية التي فيها « إلى الناس » تحكم ، [٤]بل العكس أولى لمطابقة الآيات[٤] ، و قد خرج من هذا العموم من لا يعقل

١٠ بالدليل العقلي ، فبقي غيرهم داخلا في اللفظ ، لا يحل لأحد أن يخرج منه أحدا منهم إلا بنص صريح و دلالة قاطعة ترفع النزاع ، و قال عياض في الباب الثالث من القسم الأول : و ذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما أراد الله تعالى أن يعلم رسول الله صلى الله عليه و سلم [٤]الأذان - فذكر المعراج و سماع الأذان من وراء الحجاب ثم قال :

١٥ ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه و سلم[٤] فقدمه ، فأمّ بأهل السماء فيهم آدم و نوح - انتهى . و روى عبد الرزاق عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا كان الرجل بأرض قيّ[٥]

---

(١) سورة ٢١ آية ١٠٧ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٨١ آية ٢٠ و ٢١ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ : لي - كذا ، و في اللسان : أبدلوا الواو ياء طلبا للخفة ، و كسروا القاف لمجاورتها الياء - راجع (قوا) .

لحانت الصلاة فليتوضأ ، فان لم يجد الماء فليتيمم ، فان أقام صلى معه ملكاه ، و إن[1] أذن و أقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه . قال المنذرى : القيّ - بكسر القاف و تشديد الياء ، و هى الأرض[2] القفر . و روى مالك و الستة إلا الترمذى و أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال[1] : إذا قال الإمام "غير المغضوب ٥ عليهم و لا الضالين ، فقولوا" آمين - و فى رواية : إذا أمن الإمام فأمنوا - فانه من وافق [تأمينه -[3]] تأمين الملائكة - و فى رواية : من وافق قوله قول الملائكة - غفر له ما تقدم من ذنبه . و فى رواية [4] فى الصحيح : إذا قال أحدكم فى الصلاة :/ آمين ، و قالت الملائكة فى السماء : / ١٨٢ آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم له من ذنبه . و فى ١٠ رواية [4] لأبى يعلى : إذا قال الإمام "غير المغضوب عليهم و لا الضالين" قال الذين[5] خلفه : آمين ، التقت[6] من أهل السماء و أهل الأرض [آمين -[7]] ، غفر للعبد ما تقدم من ذنبه . و للشيخين عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا[8] لك الحمد ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ١٥ ما تقدم من ذنبه ؛ و فى رواية : فاذا وافق قول أهل السماء قول[1] أهل

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ارض (٣) زيد من الخمسة .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : الذى (٦) من مجمع الزوائد ٢/١١٣ حيث سيق هذا الحديث ، و فى الأصل و ظ : التفت - كذا (٧) زيد من المجمع (٨) زيدت الواو بعده فى ظ و نسخة من صحيح البخارى .

الأرض غفر له ما تقدم من ذنبه ؛ فى أشكال ذلك مما يؤذن باتمام الملائـــكة بأئمتنا ، و ذلك ظاهر فى التقيد[1] بشرعنا ؛ و روى أحمد و أبو داود و النسائى و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحهما و الحاكم - و جزم ابن معين و الذهلى بصحته - عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن
٥ النبي صلى الله عليه و سلم قال : و إن الصف الأول على مثل صف الملائكة .
و أدل من جميع ما مضى ما روى مالك و الشيخان و أبو داود و ابن خزيمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، و من راح فى الساعة [2] الثانية فكأنما قرب بقرة ، و من راح فى
١٠ الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، و من راح فى الساعة[2] الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، و من راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون[3] الذكر ؛ و فى رواية : فاذا قعد الإمام طويت الصحف ، [و فى رواية لأحمد عن أبي سعيد : فاذا أذن المؤذن و جلس الإمام على المنبر طويت الصحف - [4]] و دخلوا
١٥ المسجد يستمعون الذكر . فان تركهم لكتابة الناس و إقبالهم على الاستماع دليل واضح على الائتمام ، بما رواه الشيخان و غيرهما عن أبي هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا قلت لصاحبك

---

(١) فى ظ : التقييد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : يسمعون.
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و « على المنبر » كان ساقطة من ظ فأثبتناه من مسند الإمام أحمد ٣/٨١ .

يوم الجمعة : أنصت ، و الإمام يخطب[1] فقد لغوت[2] ؛ قال الحليمي في الرابع من شعب الإيمان في الجواب عما أورد على قوله "لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله[3]" من أن التخصيص بالإنس و الجن لا يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه :
و أما الملائكة فلم يتحدوا على[4] ذلك لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم ٥ لم يكن القرآن حجة عليهم ، فسواء كانوا قادرين على مثله أو عاجزين ، و هم عندنا عاجزون ؛ و قال في الخامس عشر في أن من أنواع تعظيمه[5] الصلاة عليه فأمر الله عباده أن يصلوا عليه و يسلموا ، و قدم قبل ذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، [6]فأمر الله عباده[6] لنبيهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم عن شريعته تقرب[7] ١٠ إلى الله تعالى بالصلاة و التسليم عليه[8] ، ليعلموا أنهم بالصلاة و التسليم عليه أول و أحق - هذا نصه في الموضعين ، و لم يذكر لذلك دليلا ، و نسب الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك إلى البيهقي في الشعب فانه قال : و صرح الحليمي و البيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه عليه الصلاة و السلام لم يرسل إلى الملائكة ، و في الباب الخامس عشر ١٥ بانفكاكهم من شرعه ، قال : و في[8] تفسير الإمام الرازي و البرهان النسفي[9]

---

(١) زيد في ظ : يوم الجمعة (٢) زيد بعده في ظ : لكن (٣) سورة ١٧ آية ٨٨ .
(٤) في الأصل و ظ : عن (٥) من ظ ، و في الأصل : تعظيم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) في الأصل و ظ : يتقرب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : المسمى ، وهو برهان الدين محمد بن محمد النسفي الحنفي ملخص تفسير الرازي - راجع معجم المؤلفين ١١/٢٩٥ .

حكاية الإجماع[1] فى تفسير الآية[2] الثانية - أى "ليكون للعٰلمين نذيرا" أنه
لم يكن رسولا إليهم - انتهى . و هو شهادة نفى كما ترى ، لا ينهض بما
/ ذكرته من النصوص على أن الحليمى لم يقل بذلك إلا لقوله بأن الملائكة ١٨٣ /
أفضل من الأنبياء - كما نقله عنه الإمام فخر الدين فى كتاب الأربعين
٥ و الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد و غيرهما ، و لم يوافقه على
ذلك أحد من أهل السنة إلا القاضى أبو بكر الباقلانى ، فكما لم يوافق على
الأصل لا يوافق على الفرع ، و أما البيهقى فانما نقله عن الحليمى و سكوته
عليه لا يوجب القطع برضاه[3] ، قال الزركشى فى شرح جمع الجوامع :
و هى مسألة وقع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل درس عندهم
١٠ و قال لهم : الملائكة ما دخلت[4] فى دعوته ، فقاموا عليه ، و قد ذكر
الإمام فخر الدين فى تفسير سورة الفرقان[5] الدخولَ محتجا بقوله تعالى
"ليكون[6] للعٰلمين نذيرا" : و الملائكة داخلون فى هذا العموم - انتهى .
و هذا يقدح فيما نقل عنه من نقل الإجماع ، و على تقدير صحته ففيه أمور ،
أما أولا فالإجماع لا يرجع إلا[6] إلى أهل الاطلاع على المنقولات من
١٥ حفاظ الآثار و أقاويل السلف فيه[7] ، و أما ثانيا فانه نقل [7]يحتمل التصحيح
و التضعيف ، لأنه بطرقه احتمال أن يكون نقل[7] عمن لا يعتد به ، أو يكون

---

(١) فى ظ : بالاجماع (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لرضاه (٤) فى ظ : خلت .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : القرآن (٦) من ظ ، و فى الأصل : اليه (٧-٧) سقط
ما بين الرقمين من ظ .

أخذه

أخذه عن أحد مذاكره[1] و أحسن الظن به، أو حصل له[2] سهو، و نحو ذلك، فلا وثوق إلا بعد معرفة المنقول عنه و سند النقل و الاعتضاد بما يوجب الثقة ليقاوم هذه الظواهر[2] الكثيرة، [3]و أما ثالثا[3] فانه سيأتي عن الإمام تقي الدين السبكي أن بعض المفسرين قال بالإرسال إلى الملائكة، و قال الإمام ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ زين الدين العراقي ٥ في شرحه لجمع الجوامع: و أما كونه مبعوثا إلى الخلق أجمعين فالمراد المكلف منهم، و هذا يتناول الإنس و الجن و الملائكة. فأما الأولان[4] فبالإجماع، و أما الملائكة فمحل خلاف فأين الإجماع! هذا على تقدير صحة هذا النقل و أنى لمدعي ذلك به! فاني راجعت تفسير الإمام للآية المذكورة فلم أجد فيه نقل الإجماع، و إنما قال: ثم قالوا: هذه الآية تدل على أحكام: ١٠ الأول أن العالم كل ما سوى الله، فيتناول جميع المكلفين من الجن و الإنس و الملائكة، لكنا نبئنا أنه عليه السلام لم يكن رسولا إلى الملائكة، فوجب أن ينفي كونه رسولا إلى الجن [3]و الإنس[3] جميعا، و بطل قول من قال: إنه كان رسولا إلى البعض دون البعض، الثاني أن لفظ "العلمين" يتناول جميع المخلوقات، فتدل الآية على أنه رسول إلى المكلفين إلى ١٥ يوم القيامة، فوجب أن يكون خاتم الأنبياء و الرسل - هذا لفظه في أكثر النسخ، و في بعضها: لكنا[5] أجمعنا - بدل: نبئنا - و هي غير صريحة في إجماع الأمة كما ترى، و لم يعين الموضع الذي أحال عليه في النسخ

---

(١) في ظ: مذاكرة (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ، و في الأصل: الإيمان (٥) من ظ، و في الأصل: لكن.

الأخرى - فليطلب من مظانه و يتأمل[1]، و أما النسفى فمختصر له - و الله الموفق؛ ثم رأيت فى خطبة كتاب[2] الإصابة فى أسماء الصحابة لشيخنا حافظ عصره أبى الفضل ابن حجر فى تعريف الصحابى : و قد نقل الإمام فخر الدين فى أسرار التنزيل الإجماع على أنه صلى الله عليه و سلم
٥ لم يكن مرسلا إلى الملائكة، و نوزع[3] فى هذا النقل، بل رجح الشيخ تقى الدين السبكى أنه كان مرسلا إليهم و احتج بأشياء يطول شرحها - انتهى . و العجب من الرازى فى نقل هذا الذى لا يوجد لغيره مع أنه قال فى أسرار التنزيل فى أواخر الفصل الثانى من الباب الثالث فى الاستدلال بخلق الآدمى على وجود الخالق : الوجه الرابع - أى فى
١٠ تكريم بنى آدم - أنه جعل أباهم / رسولا إلى الملائكة حيث قال " انبئهم باسمائهم[4] " و قد تقرر أن كل كرامة كانت لنبى من الأنبياء فلنبينا صلى الله عليه و سلم [مثلها أو أعظم - [5]] منها، [و قال فى تفسيره الكبير فى " و علم ادم الاسماء[4] " : و لا يبعد أيضا أن يكون مبعوثا إلى من يوجه التحذير إليهم من الملائكة، لأن جميعهم و إن كانوا رسلا فقد يجوز الإرسال
١٥ إلى الرسول لبعثة إبراهيم إلى لوط عليهما السلام - انتهى . و أنت خبير بأمر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء - [5]]، و الحاصل أن رسالته صلى الله عليه و سلم إليهم - صلوات الله عليهم - رتبة فاضلة و درجة عالية

١٨٤ /

(١) من ظ ، و فى الأصل : تعامل - كذا (٢) فى ظ : كتابه (٣) من خطبة كتاب الإصابة ١/٤ ، و فى الأصل : من راع ، و فى ظ : يوزع - كذا .
(٤) سورة ٢ آية ٣١ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

كاملة جائزة له[1]، لائقة بمنصبه، مطابقة لما ورد من القواطع لعموم[2] رسالته و شمول دعوته. و قد دلت على حيازته لها ظواهرُ الكتاب و السنة مع أنه لا يلزم من إثباتها[3] له إشكال في الدين و لا محذور في الاعتقاد، فليس لنا التجرئ[4] على نفيها إلا بقاطع كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في آية الأنعام "قل لا اجد فيما اوحى الى محرما"- ٥ الآية، قال: فاحتملت معنيين[5]: أحدهما أن[6] لا يحرم على طاعم يطعمه[7] أبدا إلا ما استثنى الله عز و جل، و هذا المعنى الذى إذا وُجه[8] رجل مخاطبا به كان الذى يسبق إليه أنه لايحرم [عليه -[9]] غير [10]ما سمى الله[10] عز و جل محرما، و ما كان هكذا فهو الذى يقال[11] له أظهر المعانى و أعمها و أغلبها [و الذى -[9]] - لو احتملت الآية معانى سواه - كان ١٠ هو المعنى الذى يلزم أهل العلم القول به إلا أن تأتى سنة للنبى صلى الله عليه و سلم - بأبي هو و أمي - تدل على معنى غيره مما[12] تحتمله الآية، فنقول[13]: هذا معنى ما أراد الله عز و جل، و لا يقال بخاص فى كتاب الله و لا سنة إلا بدلالة فيهما أو فى واحد [منهما - [9]]، و لا يقال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: بعموم (٣) فى ظ: اتيانها (٤) فى ظ: التحرى.
(٥) فى ظ: تعيين (٦) فى ظ: انه (٧) سقط من الرسالة ٢٩ (٨) فى ظ: وجه، و فى الرسالة: واجه، و ما فى الأصل أقرب صوابا (٩) زيد من الرسالة.
(١٠-١٠) فى ظ: المعنى - كذا (١١) من الرسالة، و فى الأصل و ظ: يقول.
(١٢) من ظ و الرسالة، و فى الأصل: فما (١٣) من الرسالة، و فى الأصل: مقول، و فى ظ: فيقول - كذا.

بخاص حتى تكون الآية [1]تحتمل أن تكون[1] أريد بها ذلك الخاص، فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لا تحتمل[2] الآية - انتهى.
وشرحه الإمام أبو محمد ابن حزم فى المحلى فقال: ولا يحل لأحد أن يقول فى آية أو [فى -[3]] خبر: هذا منسوخ[4] أو[5] مخصوص فى بعض
٥ ما يقتضيه ظاهر لفظه، ولا أن لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه، ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده[6] إلا بنص آخر وارد بأن هذا النص كما ذكر، أو باجماع متيقن بأنه كما ذكر، أو بضرورة حس[7] موجبة أنه كما ذكر[8]، برهانه: "وما ارسلنا من رسول[9] الا ليطاع باذن الله[10]"، "وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
١٠ لهم[11]"، وقال "فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم[12] فتنة"، ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه [فى اللغة العربية، لا كل ما يقتضيه -[13]] فقد أسقط بيان النص، [14]وأسقط[14] وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاقتصار عليه

(١-١) من الرسالة، وفى الأصل: يحتمل أن يكون، وفى ظ: تحتمل او يكون - كذا (٢) من الرسالة، وفى الأصل وظ: يحتمل (٣) زيد من المحلى ١/٤٩. (٤) من المحلى، وفى الأصل وظ: منصوص (٥) فى المحلى: وهذا (٦) من المحلى، وفى الأصل وظ: ورده - كذا (٧) فى ظ: خبر (٨) زيد فى المحلى: وإلا فهو كاذب (٩) العبارة من هنا إلى «من رسول» ساقطة من ظ (١٠) سورة ٤ آية ٦٤ (١١) سورة ١٤ آية ٤ (١٢) من ظ والمحلى والقرآن الكريم سورة ٢٤ آية ٦٣، وفى الأصل: يصيبهم (١٣) زيد من ظ والمحلى ١/٥٠ (١٤-١٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

من

من سائر ما يقتضيه - انتهى . و قال أهل الأصول: إن الظاهر [ما -[1]]
دل على المعنى دلالة ظنية أي راجحة ، و التأويل حمل الظاهر على المحتمل
المرجوح ، [2]فان حمل عليه لدليل فصيح[2] - أو لما نظن دليلا و ليس في
الواقع بدليل - ففاسد[3] ، أو لا لشيء فلعب لا تأويل ، [قال الإمام
الغزالي في كتاب المحبة من الإحياء في الكلام على أن رؤية الله تعالى في ٥
الآخرة هل هي بالعين أو بالقلب : و الحق ما ظهر لأهل السنة و الجماعة
من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ، ليكون لفظ الرؤية و النظر
و سائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرّى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة
الظواهر إلا لضرورة - انتهى -[1]] ، و قال الإمام تقي الدين السبكي في جواب
السؤال عن الرسالة إلى الجن الذي تقدم في أول الكلام على هذه الآية ١٠
أني رأيته بخطه[4] : الآية العاشرة : " ليكون للعلمين نذيرا[5] " قال المفسرون
كلهم في تفسيرها : للجن و الإنس ، و قال بعضهم : و الملائكة . [6]الثانية
عشرة[6] " و ما ارسلنك الا كافة للناس[7] " قال المفسرون : معناها[8] :
إلا إرسالا عاما شاملا لجميع الناس ، أي ليس بخاص ببعض الناس ،
فمقصود الآية نفي [9]الخصوص و إثبات العموم ، و لا مفهوم لها فيما وراء ١٥
الناس ، بل قوتها في العموم يقتضي عدم[9] الخصوصية فيهم و حينئذ يشمل

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : قال احمل الدليل بصحيح (٣) في ظ : تفاسد .
(٤) من ظ ، و في الأصل : بخط (٥) سورة ٢٥ آية ١ (٦-٦) في ظ : الثانية .
(٧) سورة ٣٤ آية ٢٨ (٨) من ظ ، و في الأصل : معناه (٩-٩) تكرر ما بين
الرقمين في الأصل ، و ثبتت صفحة ١٨٥ من الأصل في العبارة المتكررة بعد
« إثبات العموم » .

الجن، و لو كان مقصود الآية حصر[1] رسالته فى الناس لقال: و ما أرسلناك إلا إلى الناس، فان كلمة ' إلا ' تدخل على ما يقصد الحصر فيه، فلما أدخلها على " كافة " دل على أنه المقصود بالحصر، و يبق قوله " للناس " لا مفهوم له، أما أولا فلأنه مفهوم قلب[2]، و أما ثانيا فلأنه لا يقصد ٥ بالكلام، و أما ثالثا فلأنه[3] قد قيل: إن " الناس " يشمل الإنس و الجن، أى على القول بأنه مشتق من النوس، و هو التحرك، و هو على هذا شامل للملائكة أيضا، و ممن صرح من أهل اللغة بأن " الناس " يكون[4] من الإنس و من الجن[5] الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى فى كتابه ديوان الأدب[3]، قال السبكى: السابعة عشرة[6] "ان ١٠ هو الا ذكر للعلمين[7] " الثامنة عشرة[6] " انما تنذر من اتبع الذكر و خشى الرحمن بالغيب[8] " و نحوهما كقوله[9] " لتنذر من كان حيا[10] " و كذا قوله " هدى للمتقين "، و أما السنة فأحاديث: الأول حديث مسلم[11] عن أبى هريرة رضى الله عنه « و أرسلت إلى الخلق كافة »، « إلى الخلق » عام يشمل الجن بلا شك، و لا يرد على هذا أنه ورد فى روايات هذا ١٥ الحديث من طرق أخرى فى صحيح البخارى و غيره « الناس » موضع « الخلق » لأنا نقول: ذلك من رواية جابر، و هذا من رواية أبى هريرة؛ فلعلهما حديثان، و فى رواية الخلق زيادة معنى على الناس، فيجب

---

(١) فى ظ : حضور (٢) فى الأصل و ظ : لقب - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : يكونون (٥) زيد بعده فى ظ : قال (٦) فى ظ : عشر (٧) سورة ٣٨ آية ٨٧ (٨) سورة ٣٦ آية ١١ (٩) فى ظ : لقوله (١٠) سورة ٣٦ آية ٧٠ .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : سلمة .

الأخذ به[1] إذ لا تعارض[2] بينهما، ثم جوز أن يكون من روى «الناس» روى بالمعنى فلم يوف به، قال: و هذا الحديث يؤيد قول من قال: إنه مرسل إلى الملائكة و لا يستنكر هذا. فقد يكون ليلة الإسراء يسمع[3] من الله كلاما فبلغه لهم فى السماء أو لبعضهم، و بذلك يصح أنه مرسل إليهم، و لا يلزم من كونه مرسلا إليهم من حيث الجملة أن يلزمهم جميعُ الفروع التى تضمنتها ٥ شريعته، فقد يكون مرسلا إليهم فى بعض الأحكام أو فى بعض الأشياء التى ليست بأحكام، أو يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادةُ إيمان، و لهذا جاء فيمن قرأ سورة الكهف: فنزلت عليه مثل الظلة، ثم قال فى أثناء كلام: بخلاف[4] الملائكة، لا يلتزم أن هذه التكاليف كلها ثابتة فى حقهم إذا قيل بعموم الرسالة لهم، بل يحتمل ذلك و يحتمل فى شيء ١٠ خاص كما أشرنا إليه فيما قبل - انتهى. قلت: و لا ينكر اختصاص الأحكام ببعض المرسل إليهم دون بعض فى شرع واحد فى الأحرار و العبيد و النساء و الرجال و الحطّابين و الرعاء بالنسبة إلى بعض أعمال الحج و غير ذلك مما يكثر تعداده - و الله الموفق؛ و من تجرأ[5] على نفى الرسالة إليهم من أهل زماننا بغير نص صريح يضطره إليه، كان ضعيف العقل[6] ١٥ مضطرب الإيمان مزلزل اليقين سقيم[7] الدين، و لو كان حاكيا لما قيل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لا يعارضه - كذا (٣) فى ظ: سمع (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: يجوه (٦) فى ظ: القلب (٧) من ظ، و فى الأصل: سيعصم.

على وجه الرضى به، [1] فما كل [1] ما يُعلَم يقال، وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع، ولعمرى! إن الأمر لعلى ما قال صاحب البردة وتلقته [2] الأمة بالقبول، وطرب عليه فى المحافل والجموع:

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم　　واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

٥　ولما أثبت شهادة الله تعالى له [3] بالتصديق بأنه محق، وكان ذلك ربما [4] أوهم أن غير الله تعالى لا يعرف ذلك، لا سيما وقد ادعى كفار قريش أنهم سألوا أهل الكتابين فادعوا [5] أنهم لا يعرفونه، أتبعه بقوله على طريق الاستئناف: ﴿ الذين آتيْنهم ﴾ أى بما لنا من العظمة / من اليهود والنصارى ﴿ الكتب ﴾ أى الجامع لخيرى الدنيا والآخرة، ١٨٦/

١٠　وهو التوراة والإنجيل ﴿ يعرفونه ﴾ أى الحق الذى كذبتم به لما جاءكم وحصل النزاع بينى وبينكم فيه لما عندهم فى كتابهم من وصفى الذى لا يشكون فيه، ولما هم بمثله آنسون مما أثبت به من المعجزات، ولما فى هذا القرآن من التصديق لكتابهم والكشف لما أخفوا من أخبارهم، ولأساليبه [6] التى لا يرتابون فى أنها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادتها

١٥　بالإعجاز [7]، فهم يعرفون هذا الحق ﴿ كما يعرفون ابناءهم ﴾ أى من بين الصبيان بحُلاهم ونعوتهم معرفة لا يشكون [8] فيها، وقد وضعتموهم موضع

(١-١) فى ظ: فكل (٢) فى ظ: تلقيه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: بما (٥) فى ظ: وادعوا (٦) فى الأصل: لاسالته، وفى ظ: لا ساليه - كذا (٧) فى ظ: لاعجاز (٨) من ظ، وفى الأصل: لا سكون.

الوثوق ، و أنزلتموهم منزلة الحكم بسؤالكم لهم غير مرة ، و قد آمن بى جماعة منهم و شهدوا لى ، فما لكم لا تتابعونهم ! لقد بان الهوى و انكشف عن ضلالكم الغطاء .

و لما كان أكثرهم يخفون[1] ذلك و لا يشهدون به ، قال جوابا لمن يسأل عنهم : ﴿ الذين خسروا ﴾ أى منهم ، و لكنه حذفها للتعميم ٥ ﴿ انفسهم فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لما سبق لهم من القضاء بالشقاء الذى[2] خسروا به أنفسهم بالعدول عما دعت إليه الفطرة السليمة و الفكرة المستقيمة ، و من خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد ! فقد بينت[3] هذه الجملة أن من لا يشهد منهم فهو فى الحقيقة ميت أو موات ، لأن من ماتت نفسه كذلك ، بل هم أشق[4] منه ، فلقد أداهم[5] ذلك[6] ١٠ الشقاء إلى أن حرفوا كتابهم و أخفوا كثيرا مما يشهد لى بالنبوة ، فكانوا أظلم الخلق بالكذب فى كتاب الله للتكذيب لرسل الله .

و لما كان التقدير : خسروا ففاتهم الإيمان ، لأنهم ظلموا بكتمان الشهادة ، فكان الظلم سبب خسرانهم ، فمن أظلم منهم[7] ! عطف عليه ما يؤذن [8]بأنهم بدلوا كتابهم ، أو نسبوا إليه ما ليس فيه ، فقال واضعا ١٥ للظاهر موضع[8] ضميرهم لذلك : ﴿ و من اظلم ممن افترى ﴾ أى تعمد

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذين (٣) فى ظ : ثبتت (٤) من ظ ، و فى الأصل : اسر - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : هداهم (٦) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٧) فى ظ : ممن (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ على الله كذبا ﴾ كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم و نسبوا إلى الله ما لم يقله، زيادة كتبوها بأيديهم لا أصل لها[1]، إضلالا منهم[2] لعباده ﴿ اوكذب بايته[3] ﴾ أى الآتى بها الرسل كالقرآن و غيره من المعجزات كالمشركين، لا أحد أظلم منهم فهم لا يفلحون ﴿ انه لا يفلح الظلمون ۝ ﴾ أى[2] فكيف بالأظلمين!

٥ و لما كان معنى هذا أنهم أكذب الناس، دل عليه بكذبهم يوم الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال : ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر كذبهم على الله[3] و تكذيبهم فى هذه الدار، و اذكر أعجب من ذلك، و هو كذبهم فى عالم الشهادة عند كشف الغطاء و ارتفاع الحجب يوم ﴿ نحشرهم ﴾ أى نجمعهم بما لنا من العظمة و هم كارهون صاغرون ﴿ جميعا ﴾ [أى -[4]]

١٠ أهل الكتاب و المشركين و غيرهم و معبوداتهم، و أشار إلى عظمة ذلك اليوم و طوله و مشقته و هوله بقوله بأداة التراخى : ﴿ ثم نقول ﴾ أى بما لنا من العظمة التى انكشفت لهم أستارها و تبدت لهم [5]بحورها وأغوارها[5] توبيخا و تنديما ﴿ للذين اشركوا ﴾ أى سموا شيئا من دوننا[6] إلها و عبدوه[7] بالفعل من الأصنام أو عزير أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك،

١٥ [أو -[4]] بالرضى بالشرك، فان الرضى بالشيء فعل له لا سيما إن انضم إليه تكذيب الحق و الشهادة للبطل بأن دينه خير[8] ﴿ اين شركاؤكم ﴾ أضافهم إلى ضميرهم لتسميتهم[9] لهم بذلك ﴿ الذين كنتم تزعمون ۝ ﴾ أى

(١) فى ظ : لهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : انه (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ : بحورها و اعوارها (٦) فى ظ : دونها (٧) من ظ، و فى الأصل: عبدوها (٨) فى ظ : خيرا (٩) فى ظ : لتشميتهم.

أنهم شركاؤنا بالعبادة أو الشهادة بما يؤدى إليها، ادعوهم اليوم لينقصوكم[١] عما نريد من ضركم، / أو يرفعوكم عما نريد من وضعكم، و سؤالهم هذا يجوز /١٨٧ أن يكون مع غيبة الشركاء عنهم و أن يكون عند[٢] إحضارهم لهم، فيكون الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم، فكأن غيبته[٣] غيبتهم.

٥ و لما كان إخبارهم بغير الواقع فى ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب عن الأهوال و إظهار الزلازل و الأوجال[٤]، أشار إليه بأداة البعد فقال: ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ أى عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السؤال و أمثاله من البلايا التى من شأنها أن يميل[٥] ما خالطته فتحيله - [و -[٦]] لو أنه جبل - عن حاله بما ناله من[٧] قوارعه و زلزاله إلا كذبهم فى ذلك الجمع، و هو ١٠ معنى قوله: ﴿ الا ان قالوا ﴾ ثباتا منهم فيما هم عريقون فيه من وصف الكذب: ﴿ و الله ﴾ فذكروا الاسم الأعظم الذى تندك لعظمته الجبال الشم، و تنطق بأمره الأحجار الصم، الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى التى ظهر لهم كثير منها فى ذلك اليوم، و أكدوا ذلك بذكر الوصف المذكر بتربيتهم و دوام الإحسان إليهم فقالوا: ﴿ ربنا ﴾ فلم يقنعوا[٨] ١٥ بمجرد الكذب حتى أقسموا، و لا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع و الوصف المحسن ﴿ ما كنا مشركين ه ﴾ أى إن تكذيبهم لك أوصلهم إلى حد يكذبون[٩] فيه فى ذلك اليوم بعد كشف الغطاء تطمعا بما لا ينفعهم،

---

(١) فى ظ: لينفعوكم (٢) فى ظ: عنده (٣) فى ظ: عليه (٤) من ظ، و فى الأصل: الآجال (٥) فى ظ: تميل (٦) زيدت الواو كى تستقيم العبارة (٧) فى ظ: عن. (٨) من ظ، و فى الأصل: نفعوا - كذا (٩) فى ظ: يكونون.

كما ترى الحائر المدهوش فى الدنيا يفعل مثل ذلك فهو إيئاس[1] من فلاح الجميع : المشركين و أهل الكتاب، أو يكون المعنى تنديما لهم و تأسيفا : أنه لم يكن عاقبة كفرهم الذى افتتنوا به فى لزومه و الافتخار به و القتال عليه - لكونه دين الآباء - إلا جحوده و البراءة منه و الحلف على الانتفاء من التدين به، و المعنى على قراءتى النصب و الرفع فى ' فتنة ' على جعلها خبرا أو اسما واحدٌ. فمعنى قراءة النصب : لم يكن شيء إلا قولهم - أى غير قولهم الكذب - فتنتهم، أى لم يكن شيء فتنتهم إلا هذا القول، فهذا القول وحده فتنتهم، فنفى عن فتنتهم و سلب عنها كل شيء غير قولهم هذا، فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب، [2]و الكذب[2] قد يكون ثابتا لغيرها، أى إنهم يكذبون من غير فتنة، بل فى حال الرخاء[3]، و هذا بعينه معنى قراءة ابن كثير و ابن عامر و حفص برفع ' فتنة '، أى لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم، فقد نفيت[4] فتنتهم عن كل شيء غير الكذب، فانحصرت فيه، و يجوز أن يكون ثابتا فى حال[5] غيرها - على ما[5] مر، و هذا التقدير نفيس عزيز الوجود دقيق المسلك - يأتى إن شاء الله تعالى عند "و ما كان صلاتهم عند البيت[6]" فى الأنفال ما ينفع هنا فراجعه.

و لما كان هذا من أعجب العجب، أشار إليه بقوله : ﴿ انظر ﴾ و بالاستفهام فى قوله : ﴿ كيف كذبوا ﴾ و بالإشارة إلى أنهم فعلوه

(١) من ظ، و فى الأصل : بائس - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) فى ظ : الرجاء (٤) فى ظ : بقيت (٥) سقط من ظ (٦) راجع آية ٣٥.

مع

مع علمهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله : ﴿ علىٰ انفسهم ﴾ و هو نحو قوله " فيحلفون له كما يحلفون لكم[1] " - الآية .

و لما كان قولهم هذا مرشدا إلى أن شركاءهم غابوا عنهم ، فلم ينفعوهم[2] بنافعة ، و كان الإعلام بفوات ما أنهم مقبل عليه فرح به ، سارا[3] لخصمه[4] جالبا لغمه ، صرح به فى قوله : ﴿ و ضل ﴾ أى غاب ﴿ عنهم ﴾ ٥ إما حقيقة أو مجازا ، أو هما بالنظر إلى وقتين ، ليكون إنكار ﴿ ما كانوا يفترون ۝ ﴾ أى يتعمدون الكذب فى ادعاء شركته[5] عنادا لما على ضده من الدلائل الواضحة .

و لما علم أن هـــذه الآيات قد ترابطت حتى كانت آية واحدة ، / ١٨٨ و ختم بأن مضمون قوله " فقد كذبوا بالحق لما جاءهم " - الآية ، قد صار ١٠ وصفا لهم ثابتا حتى ظهر فى يوم الجمع ، [6]قسم الموسومين[6] بما كانت [تلك - [7]] الآية سببا له ، و هو الإعراض عن الآيات المذكور فى قوله " الا كانوا عنها معرضين " ، فكان كأنه قيل : فمنهم من أعرض بكليته ، فعطف عليه قوله : ﴿ و منهم من يستمع اليك ج ﴾ أى يصغى بجهده كما فى السيرة عن أبى جهل بن هشام و أبى سفيان بن حرب و الأخنس ١٥ ابن شريق أن كلا منهم جلس عند بيت النبى صلى الله عليه و سلم فى الليل يستمع القرآن . لا يعلم أحد منهم بمجلس صاحبه ، فلما طلع الفجر

(١) سورة ٥٨ آية ١٨ (٢) فى الأصل : فلم ينفعهم و هم ، و فى ظ : فلم ينفعهم - كذا (٣) فى الأصل : سا ا ، و فى ظ : سار - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : لهنة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : شر - كذا (٦-٦) فى ظ : قسم المؤمنين .
(٧) زيد من ظ .

انصرفوا فضمهم الطريق فتلاوموا و قالوا : لو رآكم ضعفاؤكم لسارعوا إليه ، و تعاهدوا على أن لا يعودوا ، ثم عادوا تمام ثلاث ليال . ثم سأل الأخنس أبا سفيان عما سمع فقال : سمعت أشياء عرفتها و عرفت المراد منها ، و أشياء لم أعرفها و لم أعرف المراد منها ، فقال : و أنا كذلك ، ثم سأل ٥ أبا جهل فأجاب بما يعرف منه أنه علم صدقه و ترك تصديقه حسدا و عنادا ، و ذلك هو المراد من قوله : ﴿ و جعلنا ﴾ أى و الحال أنا قد جعلنا ﴿ على قلوبهم اكنة ﴾ أى أغطية ، جمع كنان أى غطاء ﴿ ان ﴾ أى كراهة أن ﴿ يفقهوه ﴾ أى القرآن ﴿ و فى اٰذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا يمنع من سمعه حق السمع ، لأنه يمنع من وعيه الذى هو غاية السماع ، ١٠ فهم لا يؤمنون بما يسمع[1] منك لذلك[2] .

و لما ذكر ما يتعلق بالسمع ، ذكر ما يظهر للعين ، معبرا بما يعم السمع و غيره من أسباب العلم فقال : ﴿ و ان يروا ﴾ أى بالبصر أو البصيرة ﴿ كل اٰية ﴾ أى من آياتنا سواه ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لما عندهم من العناد و النخوة فى تقليد الآباء و الأجداد ﴿ حتىٰ ﴾ كانت غايتهم فى هذا ١٥ الطبع على قلوبهم أنهم مع عدم فقههم ﴿ اذا جآءوك يجادلونك ﴾ أى بالفعل أو بالقوه ، و الغاية داخلة ، و كأنه[3] قيل تعجبا : ما ذا يقولون فى جدالهم ؟ فقال مظهرا للوصف الذى أداهم إلى ذلك : ﴿ يقول الذين كفروآ ﴾ أى غطوا لما هو ظاهر لعقولهم و هو معنى الطبع ﴿ ان ﴾ أى ما

(١) من ظ ، و فى الأصل : سمع (٢) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : فكأنه .

﴿ هذآ ﴾ أى الذى وصل إلينا ﴿ الآ اساطير ﴾ جمع سطور و أسطر جمع سطر و هى أيضا جمع إسطار و إسطير بكسرهما و أسطور ، و بالهاء فى الكل ﴿ الاولين ﴾ و قد قال ذلك النضر بن الحارث ، فصدق قوله إخبار هذه الآية ﴿ و هم ﴾ حال من فاعل " يستمع " أى يستمعون إليك و الحال أنهم ﴿ ينهون عنه ﴾ أى عن الاستماع أو عن اتباع القرآن ٥ ﴿ و ينؤن ﴾ أى يبعدون ﴿ عنه ﴾ أى كما وقع لأبى جهل و صاحبيه فى المعاهدة على ترك[1] المعاودة للسماع و ما يتبعه ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ يهلكون ﴾ أى بعبادتهم و مكابدتهم ﴿ الآ انفسهم ﴾ أى و ما هم [2]بضاريك و لا بضارى[2] أحد من أتباعك فيما يقدح فى المقصود من إرسالك من إظهار الدين و محو الشرك و إذلال[3] المفسدين ﴿ و ما يشعرون ﴾ ١٠ أى و ما لهم نوع شعور بما يؤديهم إليه الحال ، بل هم كالبهائم ، بل هى أصلح حالا منهم .

و لما جعل عدم إيمانهم [4]فى هذه[4] بشىء من الآيات موصلا لهم إلى غاية من الجهل عظيمة موئسة من ادعائهم فى هذه الدار ، و هى مجادلتهم له صلى الله عليه و سلم ، و ختم الآية بما رأيت من عظيم التهديد استشرفت ١٥ النفس / إلى معرفة حالهم عند ردهم إلى الله تعالى و الكشف لهم [عما -[5]] هددوا[6] به ، فأعلم[7] نبيهم صلى الله عليه و سلم أن حالهم إذ ذاك الإيمان ،

/ ١٨٩

(١) فى ظ : تلك (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : بضائريك و لا بضائرى (٣) من ظ ، و فى الأصل : الادلال - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ . (٦) فى ظ : عاهدوا (٧) فى ظ : و اعلم .

حيث يسر غاية السرور تصديقهم له ، و تمنيهم متابعته[1] لما يركبهم[2] من الذل و يحيط بهم من الصغار ، و لا يزيدهم ذلك إلا ضررا و عمى و ندما و حسرة ، فكأنه قيل : فلو رأيت حالهم عند كشف الغطاء - و هو المطلع - لرأيتهم يؤمنون : ﴿ و لو ترىٰٓ اذ ﴾ أي حين ﴿ وقفوا ﴾
٥ في الحشر ، [و - [3]] بنى للمجهول لأن المنكىّ[4] الإيقاف ، لا كونه من معين ﴿ على النار ﴾ أي عندها ليدخلوها[5] مشرفين[6] على كل ما فيها من أنواع النكال ، و ذلك أعظم في النكاية ، أو على الجسر و هو [على - [3]] الصراط و هي تحتهم ، أو عرفوا حقيقتها و مقدار عذابها من قولك : أوقفته على كذا - إذا عرفته إياه ﴿ فقالوا ﴾ تمنيا للحال[7] ﴿ يٰليتنا نرد ﴾
١٠ أي إلى الدنيا .

و لما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين - جوابا للتمني - أو[8] أحدهما : فنطيع ، عطف على الجملة قوله : ﴿ و لا ﴾ أي و الحال أنا لا ، أو و نحن لا ﴿ نكذب ﴾ إن[9] رددنا ﴿ بٰايٰت ربنا ﴾ أي المحسن إلينا[10] ﴿ و نكون من المؤمنين ۝ ﴾ أي الراسخين في الإيمان ، و التقدير
١٥ عند ابن عامر في نصب الثالث : ليتنا نرد ، و ليتنا لا نكذب فنسعد[11] و أن نكون[12] ، و على قراءة حمزة و الكسائي و حفص بنصب الفعلين :

(١) في ظ : فبايعته (٢) في ظ : تركبهم (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : المبكى .
(٥) من ظ ، و في الأصل : ليدخلها (٦) في ظ : مرددين (٧) في ظ : للحال .
(٨) من ظ ، و في الأصل « و » (٩) في ظ : اى (١٠) سقط من ظ (١١) في ظ : فنشهد (١٢) في ظ : يكون .

ليتنا نرد فنسعد، و أن لا نكذب و أن نكون[1]، و المعنى: لو رأيت إيقافهم[2] و وقوفهم فى ذلك الذل و الانكسار و الخزى و العار و سؤالهم و جوابهم لرأيت أمرا هائلا فظيعا و منظرا[3] كريها شنيعا، و لكنه حذف تفخيما له لتذهب[4] النفس فيه كل مذهب[5]، و جاز حذفه للعلم به فى الجملة .

و لما أخبروا - [6] فى قراءة الرفع[6] - عن أنفسهم بما تمنوا لأجله الرد، ٥ و تضمنت قراءة النصب الوعد، فانه كما لو قال قائل: ليت الله يرزقنى مالا فأكافئك على صنيعك، فانه ينجر[7] إلى: إن رزقنى الله مالا كافأتك، فصار لذلك مما يقبل التكذيب، أضرب عنه سبحانه تكذيبا لهم بقوله: ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا، لأن هذا التمنى ليس عن حقيقة ثابتة فى أنفسهم من محبة مضمونه و ثمرته، بل ﴿ بدا ﴾ أى ظهر ﴿ لهم ﴾ ١٠ من العذاب الذى لا طاقة لهم به ﴿ ما كانوا يخفون ﴾ أى [من - [8]] أحوال الآخرة و مرائهم[9] على باطل ! و لما كان إخفاؤهم ذلك فى بعض الزمان قال: ﴿ من قبل ﴾ أى يدعون أنه خفى، بل لا حقيقة له، [6] و يسترون[6] ما تبديه الرسل من دلائله [عنادا منهم مع أنه أوضح من شمس النهار - [8]] [6] بما يلبسون من الهيبة فلذلك تمنوا ما ذكروا[6] ١٥ ﴿ و لو ردوا ﴾ أى إلى الدنيا ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ أى من الكفر

---

(١) فى الأصل و ظ: نكون - كذا (٢) فى ظ: انقاذهم (٣) فى ظ: منكرا (٤) فى ظ: لتهذب (٥) فى ظ: مهذب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى الأصل: تتحد، و فى ظ: ينحل - كذا (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل: زانهم - كذا .

و الفضائح التى كانوا عليها و ستر ما اتضح لعقولهم من الدلائل
﴿و انهم لكٰذبون ﴾ أى فيما أخبروا به عن[1] أنفسهم من مضمون
تمنيهم أنهم يفعلونه لو ردوا ، و أكد طبعهم على الكفر بقوله عطفا على
قوله " لعادوا ": ﴿ و قالوٓا ﴾ أى بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت
٥ فى إنكار البعث ﴿ ان هى ﴾ أى ما هذه الحياة التى نحن ملابسوها
﴿ الا حياتنا الدنيا ﴾ أى التى كنا عليها قبل ذلك ﴿ و ما نحن ﴾
و أغرقوا فى النفى فقالوا : ﴿ بمبعوثين ﴾ أى بعد[2] أن نموت ، و ما رؤيتنا
لما رأينا قبل هذا من البعث إلا سحر لا حقيقة له ، و لم ينفعهم مشاهدة
١٩٠ / البعث بل ضرتهم[3]، هذا / محتمل و ظاهر ، و لكن الأنسب لسياق الآيات
١٠ قبل و بعد أن يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه و سلم فى هذه
الدار عطفا على قوله " و قالوا لو لا أنزل عليه ملك " على الوجه الأول ،
و قوله : ﴿ و لو ترىٓ ﴾ متصل بذلك ، أى قالوا هذا القول لما أخبرتهم
بالبعث ، فساءك ذلك من قولهم و الحال أنك لو رأيت اعترافهم به إذا
سألهم خالقهم لسرك ذلك من ذلهم و ما يؤل إليه أمرهم ، و عبر بالمضارع
١٥ تصويرا[4] لحالهم ذلك ، و قوله : ﴿ اذ وقفوا على ربهم ﴾ مجازا[6] عن
الحبس[7] فى مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه إضافة الرب إليهم ،
أى الذى طال إحسانه إليهم[8] و حلمه عنهم ، فأظهر لهم ما أظهر فى ذلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : على (٢) زيد بعده فى ظ : الموت (٣) من ظ ، و فى الأصل : ضرهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : تصورا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : مجاز (٧) فى ظ : الجنس (٨) من ظ ، و فى الأصل : عليهم .

المقام من[1] تبكيتهم و توبيخهم و تقريعهم، و أطلعهم بما[2] يقتضيه أداة الاستعلاء - على ما له سبحانه من صفات العظمة من الكبرياء و الانتقام من[3] التربية إذ[4] لم يشكروا إحسانه فى تربيتهم، و سياق الآية يقتضى أن يكون الجواب: لرأيتهم قد منعتهم الهيبة و عدم الناصر و شدة الوجل من الكلام، فكأن سائلا قال: المقام يرشد إلى ذلك حتى كأنه مشاهد، ٥ فهل يكلمهم الله لما يشعر[5] به التعبير بوصف الربوبية ؟ قيل: نعم، لكن كلام إنكار و إخزاء و إذلال ﴿ قال اليس هذا ﴾ أى الذى أتاكم به رسولى من أمر البعث و غيره مما ترونه الآن من دلائل كبريائى ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الكامل فى الحقية[6] الذى لا خيال فيه و لا سحر ﴿ قالوا ﴾ أى حين إيقافهم عليه، فكان ما أراد: ﴿ بلى ﴾، ١٠ و زادوا على ما أمروا به فى الدنيا القسم فقالوا[7]: ﴿ و ربنا ﴾ أى الذى أحسن إلينا بأنواع الإحسان، و كأن كلامهم هذا منزل على حالات تنكشف لهم فيها أمور بعد أخرى، كل أمر أهول مما قبله، و يوم القيامة - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - ذو[8] ألوان[9]: تارة لا يكلمهم[10] الله، و تارة يكلمهم[11] فيكذبون، و تارة يسألهم عن شيء فينكرون، فتشهد ١٥

---

(١) فى ظ: عن (٢) فى ظ: مما (٣) فى ظ: فى (٤) فى ظ: اذا (٥) من ظ، و فى الأصل: يسعر (٦) فى ظ: الحقيقة (٧) فى ظ: الاول - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: دل - كذا (٩) فى ظ: الران - كذا (١٠) فى ظ: فلا يكلمهم. (١١) زيد فى ظ: الله.

جوارحهم، و تارة يصدقون كهذا[1] الموقف و يحلفون على الصدق .

و لما أقروا [2] قهرا بعد كشف الغطاء و فوات الإيمان بالغيب[2] بما كانوا به يكذبون ، تسبب عنه إهانتهم ، فلذا قال مستأنفا : ﴿ قال ﴾ أي الله مسببا عن اعترافهم حيث لا ينفع ، و تركهم في الدنيا حيث كان ينفع ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أي الذي كنتم به توعدون ﴿ بما كنتم تكفرون ع ﴾ أي بسبب دوامكم على ستر ما دلتكم عليه عقولكم من صدق رسولكم ، و لا شك أن الكلام - [2]و إن[2] كان على هذه الصورة - فيه نوع إحسان ، لأنه أهون من التعذيب مع الإعراض في مقام "اخسؤا فيها ولا تكلمون[3]" و لذلك[4] [كان ذلك -[5]] آخر المقامات .

و لما أنتج هذا ما تقدم الإخبار به عن خسرانهم لأنفسهم في القيامة توقع السامع ذكره ، فقال تحقيقا لذلك ، و زاده الحمل فانه من ذوق العذاب[6]: ﴿ قد خسر ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تنبيها على ما أوجب لهم ذلك فقال : ﴿ الذين كذبوا بلقآء الله ط ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله ، و لا أمر لأحد معه ، [قد -[5]] خسروا كل شيء يمكن إحرازه من الثواب العظيم و استمر تكذيبهم ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾ أي الحقيقية ، وكذا الموت الذي هو مبدأها فان [من -[5]] مات جاءت ساعته ، و حذرهم منها بقوله : ﴿ بغتة ﴾ أي باغتة ، أو ذات / بغتة ، أو بغتتهم[7] باتيانها على حين غفلة ، لا يمكن أن يشعروا بعين الوقت الذي

/ ١٩١

(١) في ظ : لهذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سورة ٢٣ آية ١٠٨ (٤) في ظ : لذا (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : العباد (٧) من ظ ، و في الأصل : بغيتهم .

تجيء

تجيء فيه نوعا من الشعور ﴿ قالوا يحسرتنا ﴾ أى تعالى احضرينا[١] أيها الحسرة اللائقه بنا فى هذا المقام ! فانه لا نديم لنا سواك ، و هو كناية عن عظمة[٢] الحسرة و تنبيه عليه ، لينتهى الإنسان عن أسبابها ﴿ على ما فرطنا ﴾ أى قصرنا ﴿ فيها ﴾ أى بسبب الساعة ، ففاتنا ما يسعد فيها من تهذيب الأخلاق المهيئة[٣] للسباق[٤] بترك اتباع الرسل[٥] ، ٥ و ذلك أن الله خلق المكلف و بعث[٦] له النفس الناطقة القدسية منزلا لها إلى العالم السفلى ، و أفاض عليه نعما ظاهرة و هى[٧] الحواس الظاهرة المدركة و الأعضاء و الآلات الجثمانية ، و نعما باطنة و هى العقل و الفكر و غيرهما ، ليتوسل باستعمال هذه[٨] القوى و الآلات إلى تحصيل المعارف الحقيقية[٩] و الأخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت ، و بعث الأنبياء ١٠ عليهم السلام للهداية و أظهر عليهم المعجزات ليصدقوا ، فأعرضوا عما دعوا إليه من تزكية النفس ، و أقبلوا على استعمال الآلات و القوى فى اللذات[١٠] و الشهوات الفانية ففاتت الآلات البدنية التى هى رأس المال[١١] ، و ما ظنوه من اللذات[١٠] التى عدوها أرباحا فات ففقدوا الزاد[١٠] ، و لم يهيئوا النفوس للاهتداء ، فلا رأس مال و لا ربح ، فصاروا فى غاية الانقطاع ١٥ و الغربة ، و لا خسران أعظم من هذا .

---

(١) فى ظ : احضرنا (٢) فى ظ : عدم (٣) فى ظ : الممتهنة (٤) من ظ ، و فى الأصل : السابق (٥) فى ظ : المرسل (٦) من ظ ؛ و فى الأصل : مقت (٧) فى ظ : هو (٨) من ظ ، و فى الأصل : هذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : الحقيقة . (١٠) فى ظ : الذات (١١) سقط من ظ .

و لما كان هذا أمرا مفظعا، زاد في تفظيعه بالإخبار في جملة حالية بشدة تعبهم في ذلك الموقف و وهن ظهورهم بذنوبهم، حتى كأن عليهم أحمالا ثقالا فقال: ﴿ و هم ﴾ أي و[1] قالوا ذلك و الحال أنهم ﴿يحملون اوزارهم ﴾ أي أحمال ذنوبهم التي من شأنها أن يثقل، و حقق الأمر و صوره

٥ بقوله: ﴿ على ظهورهم ﴾ لاعتقاد الحمل عليه، كما يقال: ثقل عليك كلام فلان، و يجوز أن يجسد أعمالهم أجسادا ثقالا، فيكلفو احملها؛ و لما كان ذلك[1] الحمل أمرا لا يبلغ الوصف الذي يحتمله عقولنا كل حقيقة ما هو عليه من البشاعة و الثقل، أشار[2] إلى[3] ذلك بقوله جامعا للذام: ﴿ الا سآء ما يزرون ﴾ .

١٠ فلما تأكد أمر البعث غاية التأكد[4]، و لم يبق فيه لذي لب وقفة، صرح بما اقتضاه الحال من أمر هذه الدار، فقال منبها على خساستها[5] معجبا منهم في قوة رغبتهم في إيثار لذاذتها، معلما بأنه قد كشف الحال عن أن ما ركنوا إليه خيال، و ما كذبو به حقيقة ثابتة ليس لها زوال، عكس ما كانوا يقولون: ﴿ و ما الحيٰوة الدنيآ ﴾ .

١٥ و لما كان السياق للخسارة[1]، و كانت أكثر ما تكون[6] من اللعب - و هو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع، و يسرع[7] انقضاؤه -

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: اشارة (٣) زيده بعده في الأصل: ان، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٤) في ظ: التاكيد (٥) في ظ: حساتها - كذا (٦) من ظ، و في الأصل: يكون (٧) في الأصل: شرع، و في ظ: تشرع .

قدمه فقال : ﴿ الا لعب و لهو[1] ﴾ [أى - [1]] للأشقياء، و للحياة الدنيا شر للذين يلعبون ، و اللهو ما من شأنه أن يعجب النفس كالغناء و الزينة من المال و النساء على وجه لم يؤذن فيه ، فيكون سببا للغفلة عما ينفع، [فتأخيره إشارة إلى أن الجهلة كلما فتروا فى اللعب و هو اشتغال بالأمور السافلة و الشواغل الباطلة بعلو النفوس[2] أثاروا الشهوات بالملاهى - [1]]، ٥ و المعنى أنه تحقق من هذه الآيات زوال الدنيا ، فتحققت سرعته ، لأن كل آت قريب ، فحينئذ [3]ما هى[3] إلا ساعة لعب ، يندم الإنسان على ما فرط فيها ، كما يندم اللاعب - إن كان له عقل - على تفويت[4] الأرباح إذا رأى ما حصل أولو الجد و أرباب العزائم .

و لما كان التقدير / بما أرشد إليه المعنى : [5]و ما[5] الدار الآخرة إلا جد ١٠ / ١٩٢ و حضور و بقاء للأتقياء ، أتبعه قوله مؤكدا : ﴿ و للدار الأخرة خير ﴾ و لما كان الكل مآلهم[6] إلى الآخرة، خصص[7] فقال : ﴿ للذين يتقون[1] ﴾ أى يوجدون التقوى ، و هى الخوف من الله الذى يحمل على فعل الطاعات و ترك المعاصى ، ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله ، فذكر حال الدنيا و حذف نتيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه ، ١٥ و حذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه ، فهو احتباك ؛ و لما كان من شأن العقلاء الإقبال على الخير و ترك غيره ، تسبب عن

---

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ فأسقطناها لاستقامة العبارة ، و يمكن أن يكون جواب « كلما فتروا » سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : تقوية (٥-٥) فى ظ : فاما (٦) فى ظ : لهم - كذا . (٧) فى ظ : خصوص .

إقبالهم على الفانى و تركهم الباقى قوله منكرا : ﴿ افلا يعقلون[1] ﴾ .

و لما كرر فى هذه السورة أمره بمقاولتهم[2] ، و أطال فى الحث على مجادلتهم ، و ختم بما يقتضى سلبهم العقل مع تكرير الإخبار بأن المقضى[3] بخسارته منهم لا يؤمنون لآية[4] من الآيات ، و كان من المعلوم أنهم ٥ حال إسماعهم ما أمر به لا يسكتون لما عندهم من عظيم النخوة و شماخة الكبر و قوة الجرأة . و أنه لا جواب لهم إلا القبعة[5] و البذاءة كما هو دأب المعاند المغلوب ، وأن ذلك يحزنه[6] صلى الله عليه و سلم لما جبل عليه من الحياء و الشهامة و الصيانة و النزاهة[7] ، كان الحال محتاجا إلى التسلية فقال تعالى : ﴿ قد نعلم ﴾ و المراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر إلى زمان ، ١٠ و عدل عن الماضى لئلا يظن الاختصاص به ، فالمراد تحقق التجدد لتعلق العلم بتجدد الأقوال ﴿ انه ليحزنك ﴾ أى يوقع على سبيل التجديد و الاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التى كدرها ﴿ الذى[8] يقولون ﴾ أى من تكذيبك ، فقد علمنا امتثالك لأوامرنا فى إسماعهم ما يكرهون[9] من تنزيهنا ، و علمنا ردهم عليك بما لا يرضيك ، ١٥ و علمنا أنه يبلغ منك ، فلا تحزن [10]لأن من علم[10] أن ربه يرضى المطيع له

(١) هذا على قراءة ابن كثير ، و أما فى مصاحفنا فعلى الخطاب (٢) من ظ ، و فى الأصل : بمعاولتهم (٣) فى ظ : المقتضى (٤) فى ظ : الآية (٥) فى الأصل : السعه ، و فى ظ : السعة ـ كذا (٦) فى ظ : يخزنه ـ كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٨) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : الذين (٩) فى ظ : يكون (١٠ ـ ١٠) فى ظ : لمن .

و يجزى عاصيه . و هو عالم بما ينال[1] المطيع فى طاعته لا ينبغى أن يحزن بل يسر ، و هو كقوله تعالى فى سورة يٰسٓ "فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون و ما يعلنون[2]" و لا شك أن الحزن عند وقوع ما يسوء[3] من طبع البشر الذى لا يقدر على الانفكاك عنه. فالنهى عنه إنما [هو -[4]] نهى عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدى إلى الجزع المؤدى إلى عدم الصبر ٥ و نسيان ما يعزى ، فهو من النهى عن السبب للمبالغة فى النهى عن المسبب ، و ما أنسب ذكر ما يحزن بعد تقرير[5] أن الدنيا لأهلها لعب و لهو و أن الآخرة خير للمتقين ، و من المعلوم أنهما ضدان ، [6]فلا تنال إحداهما[6] إلا بضد ما[7] للأخرى ، فلا تنال[8] الآخرة إلا بضد ما لأهل الدنيا من اللعب و اللهو ، و ذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف ١٠ كما روى فى حديث قدسى "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى[9]" .

و لما أخبره سبحانه بعلمه بذلك، سبب عنه قوله: ﴿ فانهم ﴾ أى فلا يحزنك ذلك فانهم ﴿ لا يكذبونك ﴾ بل أنت عندهم الأمين ، و لكن علمنا بما تلقى منهم سببا لزوال حزنك ، و كذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك ، بل أنت عندهم فى نفس الأمر أمين [10]غير متهم[10] و لكنهم لشدة عنادهم[11] ١٥ و وقوفهم مع الحظوظ و عجزهم عن جواب يبرد غللهم [12]و يشفى عللهم[12]

(١) من ظ ، و فى الأصل : يقال (٢) راجع آية ٧٦ (٣) فى ظ : يسر (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تقدم - كذا (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : فلا يقال احد هى - كذا (٧) سقط من ظ (٨) فى الأصل : فلاما ، و فى ظ : فلا ينال - كذا .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : اجل (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : لم نعهم - كذا .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : فساده (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيتها[1]، فليخفف[2] حزنك لنفسك ما انتهكوه من حرمة من أرسلك ، و الآية من الاحتباك : حذف من الجملة الأولى - إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه و سلم و أدبا معه - سببَ الحزن ، / و هو التكذيب لدلالة الثانية عليه ، و من الثاني النهي عن ١٩٣ /
٥ المسبب لدلالة الأولى عليه ؛ روى الطبري[3] في تفسيره عن السدي أنه لما[4] كان يوم بدر[5] قال الأخنس بن شريق لبني زهرة[6] : إن محمدا ابن أختكم ، و أنتم أحق من كف عنه ، فانه إن[4] كان نبيا لم تقاتلوه[7] [اليوم -[8]] ، و إن كان كاذبا [كنتم -[9]] أحق من كف عن[10] ابن أخته ، قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم ، فان غُلِب محمد[4] رجعتم سالمين ،
١٠ و إن غَلَب محمد[4] فان قومكم [11] لن يصنعوا[11] بكم شيئا ، فيومئذ سمي « الأخنس[12] » ، و كان اسمه « أبي » ، فالتقى[13] الأخنس و أبو جهل ، فخلا الأخنس به فقال : يا أبا الحكم ! أخبرني عن محمد أ صادق هو أم كاذب ، فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري و غيرك[14] يسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك ! و الله إن محمدا لصادق ، و ما كذب محمد قط ، و لكن

(١) في ظ : بحقيقتها (٢) من ظ ، و في الأصل : فليخفن - كذا (٣) في ظ : الطبراني (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده في ظ : كان (٦) زيد بعده في الطبري : يا بني زهرة (٧) في ظ : لم يقاتلوه (٨) زيد من الطبري (٩) زيد من ظ و الطبري (١٠) في ظ : عنه (١١-١١) في ظ : لا يصنعون (١٢) من الخنوس ، و هو الانقباض عن الشيء و التأخر عنه (١٣) في ظ : فما التقى (١٤) من ظ و الطبري ، و في الأصل : غيري .

إذا [١] ذهب بنو قصى [١] باللواء و الحجابة و السقاية و النبوة فما ذا يكون لسائر قريش ! و عن ناجية قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه و سلم : ما نتهمك [٢] و لكن نتهم [٣] الذى جئت به ، فأنزل الله الآية . و على ذلك يدل قوله تعالى : ﴿ و لكن ﴾ ، و قال : ﴿ الظّلمين ﴾ فى موضع الضمير تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ، أى الذين كانوا فى مثل الظلام ﴿ بايٰت ﴾ أى ٥ بسبب آيات ﴿ الله ﴾ أى الملك الأكبر الذى له الكمال كله ﴿ يجحدون ه ﴾ قال أبو على الفارسى فى أول كتاب الحجة : أى يجحدون ما عرفوه من صدقك و أمانتك ، و علق باء الجر [٤] بالظالمين كما هى فى قوله " و اٰتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها [٥] " و نحوها ، و قال ابن القطاع [٦] فى كتاب الأفعال : جحد الشيء جحدا و جحودا : أنكره و هو عالم به . هذا قصدهم ١٠ غير أنه لا طريق لهم إلى إنكار [٧] الآيات إلا [٧] بالتكذيب ، أو ما يؤل إليه ، و أنت تعلم أن الذى أرسلك على كل شيء قدير ، و هو القاهر فوق عباده ، و هو الحكيم الخبير ، فاقتضت قدرته و قهره و انتصاره لأهل ولايته و جبره أن يحل بأعدائهم سطوة تجل عن الوصف ، و اقتضت حكمته عدم المعاجلة بها تشريفا لك و تكثيرا لأمتك . ١٥

و لما سلاه [٨] بوعده النصرة المسببة عن علم المرسل القادر ، و بأن

(١ - ١) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : ذهبت بنواقص - كذا (٢) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : ما يتهمك (٣) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : يتهم . (٤) فى ظ : الجزاء (٥) سورة ١٧ آية ٥٩ (٦) و هو على بن جعفر بن على السعدى - راجع معجم المؤلفين ٧/٥٢ (٧-٧) فى ظ : لا (٨) فى ظ : تلاه .

تكذيبهم إنما هو له سبحانه ، و هو مع ذلك يصبر عليهم و يحلم[1] عنهم ، بل و يحسن إليهم بالرزق و المنافع ، زاده أن ذلك سنة فى إخوانه من الرسل فقال : ﴿ و لقد ﴾ و لما كان المنكى هو التكذيب لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ كذبت رسل ﴾ .

٥ و لما كان تكذيبهم لم يستغرق الزمان ، [و كان الاشتراك فى شىء يهوّنه ، و كلما قرب الزمان كان أجدر بذلك - [2]] أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ بأن جحد قومهم ما يعرفون من صدقهم و أماتهم كما فعل بك ﴿ فصبروا ﴾ أى فتسبب عن تكذيب قومهم لهم أنهم صبروا[3] ﴿ على ما كذبوا و اوذوا ﴾ أى فصبروا أيضا على ما أوذوا ، ثم أشار ١٠ إلى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال : ﴿ حتىٰ ﴾ أى و امتد صبرهم حتى ﴿ اتٰهم نصرنا ج ﴾ أى فليكن لك بهم أسوة ، و فيهم مسلاة ، فاصبر حتى يأتيك النصر كما أتاهم ، فقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون[4] فى قولنا " فان حزب الله هم الغٰلبون"[5] ﴿ ولامبدل لكلمٰت الله ج ﴾ أى لأن له جميع العظمة فلا كفوء له ، و دل سبحانه على صعوبة مقام ١٥ الصبر جدا بالتأكيد فقال : ﴿ و لقد جآءك ﴾ و دل على عظيم ما تحملوا بقوله : ﴿ من نباى المرسلين ه ﴾ أى خبرهم العظيم فى صبرهم و احتمالهم و طاعتهم و امتثالهم و رفقهم بمن أرسلوا إليهم و نصرنا / لهم على من بغى[6] عليهم ، و مجىء نبأهم[7] تقدم إجمالا و تفصيلا . أما إجمالا ففى مثل قوله

١٩٤ /

(١) من ظ : و فى الأصل : يحله (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل : صبر ، و سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) سورة ٥ آية ٥٦ (٦) فى ظ : بغى .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : بيانهم .

"وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير[١]"، "افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم[٢]" وأما تفصيلا ففي ذكر موسى [٣]وعيسى[٣] وغيرهما؛ وفي قوله "فصبروا" أدل[٤] دليل على ما تقدم من أن النهي عن[٥] الحزن نهي عن تابعه المؤدي إلى عدم الصبر، والتعبير بمن التبعيضية تهويل لما لقوا، فهو أبلغ في التعزية . ٥

ولما سلاه بما هو في غاية الكفاية في التسلية، أخبره بأنه لا حيلة له غير الصبر، فقال عاطفا على ما تقديره: فتسل[٦] واصبر كما صبروا، وليصغر عندك ما تلاقي منهم في جنب الله : ﴿وان كان كبر﴾ أي عظم جدا ﴿عليك اعراضهم﴾ أي عما يأتيهم[٧] به من الآيات الذي قدمنا الإخبار عنه بقولنا "وما تاتيهم من اٰية من اٰيٰت ربهم الا كانوا عنها معرضين" ١٠ وأردت أن تنتقل - في إخبارنا لك بأنه لا ينفعهم الآيات المقترحات - من علم اليقين إلى عين اليقين ﴿فان استطعت ان تبتغى﴾ أي تطلب بجهدك وغاية طاقتك ﴿نفقا﴾ أي منفذا ﴿فى الارض﴾ تنفذ[٨] فيه إلى ما عساك تقدر على[٩] الانتهاء إليه ﴿او سلما فى السمآء﴾ أي جهة[١٠] العلو لترتقي فيه إلى ما تقدر عليه ﴿فتاتيهم باٰية﴾ أي مما اقترحوا عليك ١٥ فافعل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند إتيانك[١١] بها إلا إعراضا كما[١٢] أخبرناك،

---

(١) سورة ٣ آية ١٤٦ (٢) سورة ٢ آية ٨٧ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : على (٦) في ظ : فليسل (٧) في الأصل : ياتيهم، وفي ظ : تاتيهم (٨) من ظ ، وفي الأصل : ينفذ (٩) في ظ : الى (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بهذا - كذا (١١) من ظ ، وفي الأصل : ثباتك (١٢) في ظ : عما.

لأن الله قد شاء ضلال بعضهم، و المراد بهذا بيان[1] شدة حرصه صلى الله عليه و سلم على هدايتهم بأنه لو قدر على[1] أن يتكلف النزول إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل.

و لما كان هذا السياق ربما أوهم شيئا[2] فى القدرة، نفاه إرشادا ٥ إلى تقدير ما قدرته فقال: ﴿ و لو شآء الله ﴾ أى الذى له العظمة الباهرة و القدرة الكاملة القاهرة ﴿ لجمعهم على الهدى ﴾ أى لأن قدرته شاملة، و إيمانهم فى حد ذاته ممكن، و لكنه قد شاء افتراقهم باضلال بعضهم؛ و لما كان[1] صلى الله عليه و سلم - بعد إعلام الله له بما أعلم من حكمه بأن الآيات لا تنفع من حتم[3] بكفره - حريصا على إجابتهم إلى ما يقترحونه ١٠ رجاء جمعهم[4] على الهدى لما طبع عليه [من - [5]] مزيد الشفقة [6]على الغريب[6] فضلا عن القريب، مع ما أوصاه الله به ليلة الإسراء من غير واسطة - كما أفاده الحرالى - من[7] إدامة الشفقة على عباده و الرحمة لهم و الإحسان إليهم و اللين لهم و إدخال السرور عليهم، فتظافر على ذلك الطبع و الإيصاء حتى كان[7] لا يكف عنه إلا [8]لأمر جازم[8] أو[9] نهى ١٥ مؤكد صارم، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فلا تكونن ﴾ فأكد الكلام سبحانه ليعلم صلى الله عليه و سلم أنه قد حتم بافتراقهم، فيسكن إلى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: سببا (٣) فى ظ: ختم (٤) فى ظ: جميعهم (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) فى ظ: عن القرب (٧) من ظ، و فى الأصل: كانا (٨ - ٨) من ظ، و فى الأصل: مرجاز - كذا (٩) فى ظ «و».

و يخالف ما جبل عليه[1] من شدة الشفقة عليهم ﴿ من الجهلين ه ﴾ أى إنك أعلم الناس مطلقا و لك الفراسة التامة و البصر النافذ و الفكرة[2] الصافية بمن لم تعاشره ، فكيف بمن بلوتهم [3]ناشئا و كهلا و يافعا[3]! فلا تعمل بحجة ما أوصاك[4] الله به من الصبر و الصفح[5]، و جبلك[6] عليه من الأناة و الحلم[7] فى ابتغاء إيمانهم بخلاف[8] ما يعلم من خسرانهم، فلا تطمع ٥ نفسك فيما لا مطمع فيه ، فان ما شاءه لا يكون [غيره - [9]] ، فهذه الآية و أمثالها - مما فى ظاهره غلظة - من الدلالة / على عظيم رتبته صلى الله ١٩٥ / عليه و سلم و من لطيف أمداح القرآن له - كما يبين[10] إن شاء الله تعالى فى سورة التوبة عند قوله تعالى " عفا الله عنك[11] " .

و لما أفهم هذا القضاء الحتم أنه قد صار حالهم [حال - [9]] من ١٠ حتم بالموت، فلا يمكن إسماعه إلا الله[12]، و لا يمكن أن يستجيب عادة ، قال : ﴿ انما يستجيب ﴾ أى فى مجارى عاداتكم ﴿ الذين يسمعون ط ﴾ أى فيهم قابلية السمع لأنهم أحياء فيتدبرون حينئذ ما يلقى إليهم فينتفعون به ، و هؤلاء قد ساووا[13] الموتى فى عدم قابلية السماع للختم على مشاعرهم ﴿ و الموتى ﴾ أى كلهم حسا و معنى ﴿ يبعثهم الله ﴾ أى ١٥

---

(١) فى الأصل : على ، و سقط من ظ (٢) فى ظ : الفكر (٣-٣) فى ظ : باشيا وكيلا و نافعا - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اوصلك (٥) فى ظ : الصلح . (٦) من ظ ، و فى الأصل : حملك (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (٨) من ظ ، و فى الأصل : بخلا - كذا (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تبين . (١١) آية ٤٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : لله (١٣) من ظ ، و فى الأصل : ساروا .

الملك المحيط علما و قدرة ، فهو[1] قادر على بعثهم بافاضة الإيمان على الكافر و إعادة الروح إلى الهالك[2] فيسمعون حينئذ ، فالآية من الاحتباك : حذف من الأول الحياة لدلالة "الموتى" عليها ، و من الثانى السماع لدلالة "يسمعون" عليه .

٥ و لما قرر أن [من -[3]] لا يؤمن كالميت ، حثا[4] على الإيمان و ترغيبا فيه ، و قدر[5] قدرته على البعث ، خوّف من سطواته بقوله : ﴿ثم اليه﴾ أى وحده ﴿يرجعون[6] ٥﴾ أى معنى فى الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء منهم ، لا يخرج شىء من أحوالهم عن[7] مراده أصلا و حسا بعد الموت ، فيساقون قهرا إلى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم و ظالمه .

١٠ و لما سلاه صلى الله عليه و سلم فيما أخبرته من أقوالهم بما شرح صدره و سرّ خاطره ، و أعلمه تخفيفا عليه أن أمرهم إنما هو بيده ، ذكّره[8] بعض كلامهم الآئل إلى التكذيب عقب إخباره بالحشر الذى يجازى فيه كلا بما يفعل ، فقال عطفا على قوله "و قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا" و قوله "و قالوا لو لا انزل عليه ملك" يعجب[9] منه تعجيبا[10] آخر :

١٥ ﴿و قالوا﴾ أى مغالطة أو عنادا أو مكابرة ﴿لو لا﴾ أى هلا ﴿نزل[11]﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فهذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الهلاك (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : حقا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : ترجعون - كذا ، ولا خلاف فى أنه على الغيبة ، و الخلاف فى أنه بالبناء للفاعل أو المفعول (٧) فى ظ : على (٨) فى ظ : ذكر (٩) فى ظ : لعجب - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تعجبا (١١) من ظ و القرآن ، و فى الأصل : انزل - كذا ، و الفعل بالتشديد بلا خلاف .

أى

أى بالتدريج ﴿ عليه ﴾ أى خاصة ﴿ اٰية ﴾ أى واحدة تكون[1] ثابتة بالتدريج لا تنقطع ، و هذا منهم إشارة إلى أنهم لا يعدون[2] القرآن آية و [3]لا شيئا مما[3] رأوه[4] منه صلى الله عليه و سلم من غير[5] ذلك نحو انشقاق القمر ﴿ من ربه ﴾ أى المحسن إليه على حسب ما يدعيه لنستدل بها على ما يقول[6] من التوحيد و البعث . ٥

و لما كان فى هذا - كما تقدم - إشارة منهم إلى أنه لم يأت بآية على هذه الصفة إما مكابرة و إما مغالطة ، أمره بالجواب بقوله[7]: ﴿ قل ان الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر[8] ﴿ قادر علىٓ ان ﴾ و أشار بتشديد الفعل إلى اٰية القرآن المتكررة عليهم كل حين تدعوهم[9] إلى المبارزة[10] و تتحداهم[11] بالمبالغة و المعاجزة فقال: ﴿ ينزل ﴾ و قراءة ابن كثير بالتخفيف مشيرة ١٠ إلى أنهم بلغوا فى الوقاحة الغاية ، و أنهم لو قالوا : لو لا أنزل ، أى مرة واحدة ، لكان أخف فى الوقاحة ، [أو إلى أنه أنزل عليهم أىّ آية ، كانت تلجئهم و تضطرهم إليه فى آن واحد كما قال تعالى "ان نشا ننزل عليهم من السماء اٰية فظلت اعناقهم لها خاضعين[12]" و لكنه لا يسأل ذلك إلا بالتدريج كما يشير إليه -[13]] صيغة التفعيل فى قراءة [14]غيره المذكرة[14] ١٥

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٢) من ظ ، و فى الأصل : يعداون .
(٣-٣) فى ظ : لا سيما ما -كذا (٤) فى الأصل و ظ : رواه -كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : غر - كذا (٦) فى ظ : نقول (٧) من ظ ، و فى الأصل: لقوله .
(٨) زيد بعده فى ظ : كله (٩) من ظ ، و فى الأصل : يدعوهم (١٠) فى ظ : المبادرة (١١) من ظ ، و فى الأصل : يتحداهم (١٢) سورة ٢٦ آية ٤ (١٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (١٤ - ١٤) فى الأصل : غيره مذكرة ، و فى ظ : غير المذكورة .

بأن آية القرآن لا تنقضى[1]، بل كلما سمعها أحد منهم أو من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصلة إليه، فهو أبلغ من مطلوبهم آية[2] ينزل عليه[3] وحده، والحاصل أنهم طلبوا آية باقية محضة. فلوح لهم إلى آية هى ـ مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف ـ عامة

٥ لكل من بلغته، باقية طول المدى ﴿ اٰية ﴾ أى مما اقترحوه ومن غيره، لا يعجزه شىء، وفى كل شىء له من الآيات ما يعجز الوصف، وكفى بالقرآن العظيم مثالا لذلك ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون * ﴾ أى ليس فيهم قابلية العلم، فهم لا يتفكرون فى شىء من ذلك الذى يحدثه من مصنوعاته ليدلهم على[4] أنه على كل شىء قدير، فلا فائدة[5] لهم فى إنزال

١٠ ما طلبوه، وأما غير[6] الأكثر فهو[7] سبحانه يردهم بآية القرآن[8] أو غيرها[8] مما لم يقترحوه[9].

ولما عجب منهم [10] فى قولهم هذا[10] الذى يقتضى أنهم لم يروا [له ـ[11]] آية قط[12] بعد ما جاءهم من الآيات الخاصة به ما ملأ الأقطار، ورد إلى الصم الأسماع، وأنار من العمى الأبصار؛ ذكرهم بآية غير آية

١٥ القرآن تشتمل[13] على آيات مستكثرة كافية لإصلاحهم، رتبها[14] سبحانه

---

(١) من ظ، وفى الأصل: لا تنقص (٢) فى ظ: انه (٣) من ظ، وفى الأصل: عليهم (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل: فايد، وفى ظ: يدة ـ كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: عن (٧) من ظ، وفى الأصل: فهذا (٨ ـ ٨) من ظ، وفى الأصل: لوغرها ـ كذا (٩) من ظ. وفى الأصل: لم يفرحوه (١٠ ـ ١٠) فى ظ: هو (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ، وفى الأصل: فقط (١٣) فى الأصل: يشتمل، وفى ظ: نشتمل (١٤) من ظ، وفى الأصل: وبها.

قبل سؤالهم / تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث و غيره /١٩٦
من الآيات التى طلبوها و غيرها و على تفرده بجميع الأمر، إذا تأملوها
حق تأملها كفتهم[1] فى جميع ما يراد منهم فقال تعالى: ﴿ و ما ﴾ أى
قالوا ذلك و الحال أنه ما ، و هى ناظرة[2] أتم نظر إلى قوله "هو الذى
خلقكم من طين" أى فعل ذلك بكم[3] و ما[3] ﴿من دآبة فى الارض﴾ ٥
أى تدب أى تنتقل برجل و غير رجل ﴿و لا طآئر يطير﴾ و قرر الحقيقة
بقوله[4] : ﴿ بجناحيه ﴾ و شمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر ، لأن
سيرها فى الماء إما أن يكون دبيبا أو طيرانا مجازا .

و لما كان المراد بالدابة و الطائر الاستغراق قال: ﴿ الآ امم ﴾ [3] أى
يقصد كل منها فى نفسه ، و يقصد هو نوعه و ينضم إلى شكله ﴿ امثالكم[3] [4] ﴾ ١٠
أى فى ذلك و فى أنا خلقناهم و لم يكونوا شيئا و حفظنا جميع أحوالهم ،
و قدرنا كل أرزاقهم و آجالهم ، و[5] جعلنا لكم[5] فيهم أحكاما جددناها لكم،
و جعلنا لكل منهم أجلا للموت لا يتعداه بعد أن فاوتنا بينهم فى الحياة ،
و للكل أجل فى علمنا فى البرزخ مثبت قبل أن نخلقهم ، لا ينقص ذرة
و لا يزيد خردلة ، و جعلنا فى هذه الحيوانات ما[6] هو أقوى منكم و ما هو ١٥
أضعف ، و جعلناكم أقوى من الجميع بالعقل ، و لو شئنا لجعلنا له بين قوة
البدن و العقل ، و ربما سلطنا الأضعف[7] عليكم كالجراد و الفأر و الدود
بما تعجز عنه عقولكم ، و لو شئنا لسلطنا عليكم من أضعفها خلقا - البعوض -

---

(١) فى ظ : كثر (٢) زيد بعده فى ظ : الى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) فى ظ : جعلناكم (٦) فى ظ : مما (٧) تكرر فى ظ .

ما أخذ بأنفاسكم[1] و منعكم القرار و أخرجكم[2] عن حركات الاختيار إلى أن أهلكم جميعا هلاك نفس واحدة - إلى غير ذلك من أمور تكل عنها العقول[3] و تقف دونها نوافذ الفكر، و هذا كله معنى قوله: ﴿ما فرطنا﴾ أى تركنا و أغفلنا لما لنا من المقدرة
٥ الكاملة[4] و العلم الشامل ﴿فى الكتب﴾ أى اللوح المحفوظ و القرآن، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من شىء﴾ أى ليذهب ذكره كما يذهب العقد الذى ينقطع سلكه فينفرط، بل ذكرنا جميع أحوال خلقنا من الجن و الإنس و الملائكة و غيرهم من كل ناطق و صامت، فصارت فى غاية الضبط حتى أن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين و غيره
١٠ [5]آخر النهار[5] على ما كان مثبتا فى أم الكتاب فيجدونه كما هو، لا يزيد شيئا و لا ينقص، فيزدادون إيمانا، و أثبتنا فى هذا القرآن مجامع الأمور، فهو تبيان لكل شىء من الأحكام الأصلية و الفرعية [و - ٦] الدلالات على كل ذلك و أخبار الأولين و الآخرين و كل علم يمكن أن يحتاجه المخلوق، فمن أراد الهداية هداه بدقيق[7] أسراره، و من
١٥ أعرض أوقعه فى الردى، و عمى حتى عن[4] واضح[8] أنواره، و الآية كما قال تعالى "ان فى خلق السمٰوٰت و الارض - إلى أن قال: و بث فيها[9] من كل دابة - لأيٰت لقوم يعقلون[10]"

---

(١) من ظ، و فى الأصل: نانفا يسكم - كذا (٢) فى ظ: اخركم (٣) من ظ، و فى الأصل: القول (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: حر البها - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بتوفيق (٨) من ظ، و فى الأصل: واضع. (٩) فى ظ: فيهما (١٠) سورة ٢ آية ١٦٤.

و فى

و فى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

أفلا يكون لكم فى ذلك آيات تغنيكم[1] عن إرسال الرسل فضلا عن أن تتوقفوا[2] بعد إرسالهم و لا ترضوا[3] منهم من خوارق العادات إلا بما تقترحونه[4] .

و لما أشار إلى ما شارك فيه سائر الحيوان للآدميين[5] من أحوال ٥ الحياة و غيرها، نص على الحشر الذى هو محط الحكمة فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول الحياة و الإقامة فى البرزخ ﴿ الى ربهم ﴾ أى خاصة، [و بنى[6] للفعول على طريق كلام القادرين قوله -[7]]: ﴿ يحشرون ﴾ [أى يجمعون كرها[7] -] بعد أن يعيدهم كلهم كما بدأهم، و ينصف كل مظلوم منهم من ظالمه، كل ذلك [عليه -[7]] هين[8] " ما خلقكم و لا بعثكم ١٠ الا كنفس واحدة[9] " و الكل محفوظون فى كتاب مبين[10] على اختلاف أنواعهم[11] و تباين حقائقهم و أشخاصهم و زيادتهم فى الجد على أن يوجه[12] نحوهم العد - سبحان من أحاط بكل شيء علما، و أحصى كل شيء عددا، إن ذلك على الله يسير، و هو على كل شيء قدير .

/ و لما كان التقدير بعد التذكير بهذه الآية التى تنوعت[13] فيها الآيات ١٥ / ١٩٧

(١) من ظ، و فى الأصل: تعينكم (٢) فى الأصل و ظ: يتوقفوا (٣) من ظ، و فى الأصل: لا تعرضوا (٤) فى الأصل: يفرحونه، و فى ظ: يقترحونه - كذا. (٥) فى ظ: الآدميين (٦) فى ظ: بناه - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: حين (٩) سورة ٣١ آية ٢٨ (١٠) من ظ، و فى الأصل: بين (١١) من ظ، و فى الأصل: انواعكم (١٢) من ظ، و فى الأصل: يوجد (١٣) فى ظ: يتوعب - كذا.

و تكررت وتكثرت فيها الدلالات : فالذين آمنوا أحياء سامعون لأقوالنا ، ناطقون بمحامدنا راؤن[١] لأفعالنا ، عطف عليه قوله : ﴿ و الذين كذبوا ﴾ أى أوقعوا التكذيب ﴿ بايتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة المقتضية لإضافتها إلينا ، مرئية كانت أو[٢] مسموعة ، تكذيبا متكررا على عدد ٥ الآيات بالفعل أو بالقوة و لو[٣] بالإعراض عنها ﴿ صم ﴾ أى أموات فهم[٤] لا يسمعون ﴿ و بكم ﴾ لا ينطقون ﴿ فى الظلمت ﴾ أى عمى لا[٢] يبصرون ، فلذلك[٥] لا يزالون خابطين [٦]خبط العشواء[٦] ساعين غاية السعى إلى الردى[٧] ، لأن ذلك شأن من فى الظلمة ، فكيف بمن هو فى جميع الظلمات ! و[٢] لعله جمعها إشارة إلى أن المكذب لا ينتفع ببصر ١٠ و لا ببصيرة ، و ذلك أنهم لما لم ينتفعوا بحياتهم و لا بأسماعهم و لا نطقهم و لا أبصارهم و لا عقولهم كان كل ذلك منهم عدما .

و لما بين أن الأصم الأبكم الأعمى لا تمكن[٨] هدايته ، بين[٢] أن ذلك إنما هو بالنسبة لغيره سبحانه فطما عن طلب إجابتهم إلى ما يقترحون من الآيات ، و أما هو سبحانه ففعال[٩] لما يريد ، فقال فى[٢] جواب من ١٥ كأنه قال : إنما تمكن هدايتهم : ﴿ من يشا الله ﴾ أى [١٠]الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه[١٠] إضلاله ﴿ يضلله ع و من يشا ﴾ هدايته

(١) فى ظ : راوينا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا . (٤) زيد بعده فى الأصل : صم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : فذلك (٦-٦) فى ظ : العشو - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : المراد (٨) فى ظ : لا يمكن (٩) فى ظ : فعال (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿يجعله﴾ [1] و أشار إلى تمكينه بأداة الاستعلاء فقال [1]: ﴿على صراط مستقيم﴾ بأن يخلق الهداية فى قلبه - و من يهد [2] الله فما له من مضل و من يضلل الله [3] فما له من هاد، مع أن الكل عباده و خلقه، متقلبون فى نعمه، غادون رائحون فى بره و كرمه - إن فى ذلك على وحدانيته و تمام قدرته لآيات بينات لقوم يعقلون. ٥

و لما كانت هذه الآية - بما فيها من التصريح بالتكذيب - شديدة الاعتناق لقوله " و من اظلم ممن افترى على الله كذبا " و قوله " كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا "- الآيتين، رجع [4] بالذى بعدها إلى فذلكة [5] التفاصيل الماضية و واسطة عقدها و فريدة درها [6]، و هو التوحيد الذى أبانته الأدلة قبل الآيتين، فقال دالا على اعتقادهم القدرة التى استلزم ١٠ نعتهم بطلب الآية نفيها [7]، و اعتقادهم للتوحيد فى الجملة و هم يكذبون به [7]، بيانا لأنهم فى الظلمات مقهورون بيد المشيئة لعدم تحاشيهم من التناقض معجبا منهم: ﴿قل ا رءيتكم﴾ أى أخبرونى يا من كذب بالآيات و القدرة [8] عنادا [8] و شهد [9] أن مع الله آلهة أخرى، و عدل [10] بالله الذى يعلم السر و الجهر، و هو مع من يدعوه فى كل سماء و كل أرض بعنايته [11] و نصره. ١٥

و لما كانت حقيقة " ا رءيتكم ": هل رأيتم أنفسكم، و كان هذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يهدى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: وجع (٥) فى ظ: تلك (٦) فى الأصل و ظ: ردها - كذا (٧) فى ظ: معها (٨) من ظ، و فى الأصل: العقدة (٩) فى ظ: اشهد. (١٠) من ظ، و فى الأصل: غدر - كذا (١١) فى الأصل: بغنايه، و فى ظ: بعنايته - كذا.

- لكونه سؤالا عن معلوم لا يجهله أحد - مشيرا[1] إلى أن السؤال عن غيره مما قد يخفى من أحوال النفس، كان كأنه قيل: عن أيّ أحوال نفوسنا نُسأل؟ فقيل تنبيها لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد أو العناد الذى يصير فى العلم به كالسؤال عن رؤية النفس سواء: ﴿ان اتٰكم﴾ أى ٥ قبل مجيء الساعة كما أتى مَن قبلكم ﴿عذاب الله﴾ أى المستجمع لمجامع العظمة، فلا يقدر أحد على كشف ما يأتى به ﴿او اتتكم الساعة﴾ أى القيامة بما فيها من الأهوال.

و لما عجب منهم بما مضى - كما مضى، قال مجيبا للشرط موبخا لهم منكرا عليهم عدم استمرارهم على دعائه[2] و لزوم سؤاله و ندائه، [و يجوز ١٠ أن يكون جواب الشرط محذوفا تقديره: من تدعون؟ ثم زادهم توبيخا و تبكيتا بقوله -[3]]: ﴿اغـيـر الله﴾ أى الملك الذى له العظمة كلها ﴿تدعونج﴾ أى لشدة من تلك الشدائد، و لا تدعون الله مع ذلك الغير ﴿ان كنتم صٰدقين ہ﴾ أى فى أن غير الله يغنى شيئا حتى يستحق الإلهية، و جواب الشرط محذوف تقديره: فادعوا ذلك الغير / ، و هذه حجة ١٩٨ / ١٥ لا يسعهم[4] معها غيرُ التسليم، فان عادتهم[5] كانت مستمرة أنهم إذا اشتد الأمر و ضاق الخناق لا يدعون غير الله و لا يوجهون الهمم إلا إليه، فان سلكوا سبيل الصدق الذى له ينتحلون و به يتفاخرون فقالوا: لا ندعو غيره، فقد لزمتهم الحجة فى أنه لا يعدل به شيء و لا شريك له،

---

(١) من ظ، و فى الأصل: مشير (٢) فى ظ: دعايهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: لا يستفهم - كذا (٥) فى ظ: عداتهم - كذا.

و إن

و إن عاندوا نطق[1] لسان الحال أنهم على محض الضلال، و إن سكتوا أثبت عليك الخطاب[2]. و هي مع ذلك - كما ترى - دليل على ما أخبرت به الآية[3] قبلها من أن الأمر كله لله، أي إنكم كلكم مشتركون في وضوح الأمر في أنه [4]لا منصرف إلا إليه[4] و قد افترقتم[5] فصدق بعض[6] و كذب آخرون. فلو أن الأمر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على ٥ نهج واحد، هذا و نقل أبو حيان عن الفراء أنه قال: للعرب في 'أرأيت' لغتان و معنيان: أحدهما أن تسأل[7] الرجل: أرأيت زيدا[8]، أي بعينك، فهذه مهموزة، و ثانيهما أن تقول[9]: أرأيت، وأنت تريد[10]: أخبرني، فههنا[11] تترك الهمزة إن شئت، و هو أكثر[12] كلام العرب، و تومى[13] إلى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين؛ ثم قال أبو حيان: و كون 'أرأيت' و 'أرأيتك' بمعنى ١٠ 'أخبرني'[14] نص عليه سيبويه و غيره من أئمة العرب، و هو تفسير معنى لا تفسير إعراب، لأن 'أخبرني[14]' يتعدى بعن، و [15]'أرأيت' متعد[15] لمفعول به صريح و إلى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني؛ و قال

(١) سقط من ظ (٢) في الأصل: الحماب، و في ظ: الحقايب - كذا (٣) في ظ: العادة (٤ - ٤) في ظ: لا يتصرف الا الله (٥) من ظ، و في الأصل: احترقتم - كذا (٦) من ظ، و في الأصل: بعضهم (٧) من البحر المحيط ٤/١٢٥، و في الأصل: يسئل، و في ظ: اما ان قيل - كذا (٨) في ظ: زيد (٩) من البحر، و في الأصل و ظ: يقول (١٠) في البحر: تقول - كذا (١١) في ظ: و ههنا. (١٢) في ظ: الاكثر (١٣) من ظ والبحر، و في الأصل: و ترى (١٤-١٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٥ - ١٥) في ظ: رايت يتعدى - كذا.

فى سورة يونس عليه السلام: تقدم فى سورة الأنعام أن العرب تضمن 'أ رأيت' معنى 'أخبرنى' و أنها تتعدى[1] إذ ذاك إلى مفعولين، و[2] أن المفعول الثانى أكثر ما يكون جملة استفهام، ينعقد منها و مما قبلها مبتدأ و خبر، يقول العرب: أ رأيت زيدا ما صنع؟ المعنى: أخبرنى[3] عن زيد
٥ ما صنع! و قبل دخول[4] 'أ رأيت' كان الكلام: زيد ما صنع - انتهى.
قلت: و حقيقة المعنى كما مر: هل رأيت زيدا؟ فلما استفهم عن رؤيته - و المراد الخبر لا البصر - عُلم أن السؤال عن بعض أحواله، فكأنه قيل: ما له؟ فقيل: ما صنع؟

و لما كان استفهام الإنكار بمعنى النفى، كان كأنه قيل: لا تدعون[4]
١٠ غيره، فعطف عليه قوله: ﴿ بل اياه ﴾ أى خاصة ﴿ تدعون ﴾ أى حينئذ؛ و لما كان يتسبب[5] عن دعائهم تارة الإجابة و أخرى[6] غيرها قال: ﴿ فيكشف ﴾ أى الله فى الدنيا أو[7] فى الآخرة، فانه لا يجب عليه[8] شيء، و لا يقبح منه شيء ﴿ما تدعون اليه﴾ أى إلى كشفه ﴿ ان شآء ﴾ أى ذلك تفضلا عليكم كما هى عادته معكم فى وقت شدائدكم، و لكنه لا يشاء
١٥ كشفه فى الآخرة، لأنه لا يبدل القول لديه و إن كان له أن يفعل ما يشاء، و لو كان يجيبكم دائما و أنتم لا تدعون غيره، لكان ذلك كافيا فى الدلالة على اعتقادكم أنه لا قادر إلا هو، فكيف و هو يجيبكم فى الدنيا

(١) من ظ، و فى الأصل: متعدى (٢) سقط من ظ (٣) تكرر فى ظ (٤) فى ظ: لا يدعون (٥) من ظ، و فى الأصل: تسبب (٦) من ظ، و فى الأصل: الاحرى (٧) فى ظ «و» (٨) من ظ، و فى الأصل: على.

إذا دعوتموه[1] تارة و يجيبكم أخرى ، و[2] مع ذلك[2] فلا يردكم عدم إجابته عن اعتقاد قدرته و دوام الإقبال عليه فى مثل تلك الحال لما ركز فى العقول[3] السليمة و الفطر[4] الأولى من أنه الفاعل المختار ، و على ذلك دل قوله عطفا على " تدعون " : ﴿ و تنسون ﴾ أى تتركون فى تلك الأوقات دائما ﴿ ما تشركون ؏ ﴾ أى من معبوداتكم الباطلة لعلمكم أنها لا تغنى ٥ شيئا ، كما هى عادتكم دائما فى أوقات الشدائد رجوعا إلى حال الاستقامة . أفلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك فى وقت الرخاء خوفا من إعادة الضراء !

و لما أقام لهم بهذه الآية على توحيده الدليل حتى استنارت[5] السبل[6] فى تذكيرهم أن التضرع قد يكشف به البلاء ، أخبرهم أن تركه[7] يوجب ١٠ / الشقاء ، ترغيبا فى إدامته و ترهيبا من[8] مجانبته فقال : ﴿ و لقد ارسلنآ ﴾ / ١٩٩ أى بما لنا من العظمة ﴿ الىٓ امم ﴾ أى أناس يؤم بعضهم بعضا ، و هم أهل لأن يقصدهم الناس ، لما لهم من الكثرة و العظمة .

و لما كان المراد بعض الأمم ، و هم الذين أراد الله إشهادهم[9] و قص[9] أخبارهم ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ أى رسلا فخالفوهم ، و حسّن ١٥ هذا الحذف[10] كونه مفهوما ﴿ فاخذنٰهم ﴾ أى فكان إرسالنا[11] إليهم سببا

---

(١) فى ظ : دعوتكم (٢-٢) فى ظ : فى ذلكم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : الفكر .
(٥) فى ظ : استنار (٦) من ظ ، و فى الأصل : السبيل (٧) فى ظ : تركهم (٨) فى ظ : فى (٩ - ٩) فى ظ : شهادتهم وخص (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الحديث .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : ارسلنا .

لأن أخذناهم بعظمتنا، ليزجعوا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم[1] إليه الرسل ﴿ بالبأسآء ﴾ من تسليط القتل عليهم ﴿ و الضرآء ﴾ بتسليط الفقر و الأوجاع ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ أي ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه و تذلله على وجه بليغ[2]، بما يرشد إليه - [3]مع صيغة التفعل[3] - الإظهار، و لأن مقصودها الاستدلال على التوحيد، و عند الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة، بخلاف ما يأتي في الأعراف[4].

و لما لم يقع منهم ما أوجبت الحال رجاءه، تسبب عنه الإنكار عليهم، فقال معبرا بأداة التخصيص ليفيد مع النفي أنهم ما كان لهم عذر في ترك التضرع: ﴿ فلو لآ ﴾ أي فهلا ﴿ اذ جآءهم باسنا تضرعوا ﴾ [و لما -[5]] كان معنى الإنكار أنهم [ما -[5]] تضرعوا قال: ﴿ و لكن قست قلوبهم ﴾ أي فلم يذكروا ربهم أصلا ﴿ و زين لهم الشيطن ﴾ أي بما دخل عليهم به[2] من باب الشهوات ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ من العظائم و المناكر التي أوجبها النكس بالرد أسفل سافلين ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أي فتسبب[6] - عن تركهم التذكير[7] و الأخذ بفائدته التي هي التخشع و التسكن[8]، كما هو اللائق بهم لا سيما في تلك الحالة - أنا ﴿ فتحنا ﴾ أي بما يليق بعظمتنا ﴿ عليهم ابواب كل شيء ﴾ أي من الخيرات و الأرزاق و الملاذ التي كانت مغلقة عنهم و نقلناهم من

(١) في ظ: يدعوهم (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) راجع آية ٩٤ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: فسبب.
(٧) في ظ: التذكر (٨) في ظ: التمسكن، و هو مرادف لما في الأصل.

الشدة إلى الرخاء، و ذلك استدراجا لهم، و مددنا زمانه و طوّلنا أيامه ﴿ حتىّٰ اذا فرحوا ﴾ أى تناهى بهم الفرح ﴿ بمآ اوتوآ ﴾ أى معرضين عمن آتاهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلاهم بذلك، فعلم أنهم [فى - [1]] غاية من الغباوة، لا يرتدعون بالتأديب بسياط [2] البلاء، و لا ينتفعون ببساط [2] المنة و الرخاء، بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان، و الرخاء باستحقاقهم ٥ الامتنان، فعلم أن قلوبهم لا يرجى لها انتباه بحار و لا بارد و لا رطب و لا يابس ﴿ اخذنهم ﴾ بعظمتنا، و إنما أخذناهم فى حال الرخاء ليكون أشد لتحسرهم ﴿ بغتة ﴾ فلم نمكنهم [3] من التضرع عند خفوق الأمر، و لا أمهلناهم أصلا بل نزل عليهم من أثقال العذاب، و أباح بهم من أحمال الشدائد و صروف البلايا ما أذهلهم و شغلهم عن كل شىء حتى ١٠ بهتوا ﴿ فاذا [4] هم مبلسون ﴾ أى تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا [5] السكوت على ما فى أنفسهم و اليأس تحسرا و تحيرا [6]، و استمروا بعد أن سكتوا إلى أن همدوا و خفتوا [7]، فى نفى [8] التضرع عن المتقدمين بعد أن أثبته لمشركى [9] هذه الأمة استعطاف لطيف، و [8] فى ذكر استدراج أولئك بالنعم عند نسيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بغتة من قواصم [10] ١٥ النقم غاية التحذير.

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : فلم يمكنهم.
(٤) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل : فاذ (٥) زيد فى ظ : او (٦) فى ظ : تحسيرا (٧) فى ظ : احقنوا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل : لمشرك (١٠) فى ظ : قواسم.

و لما كان من عادة الغالب من[1] أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش و شذّابهم[2] لملل أصحابه من الطلب و ضجرهم[3] من النصب و التعب و قصورهم عن الإحاطة بجميع الأرب ، أخبر تعالى أن أخذه على غير[1] ذلك ، و أن نيله للآخر[1] كنيله للأول على حد سواء ، فقال مسبيا عن الأخذ
٥ الموصوف مشيرا بالبناء[4] للفعول إلى تمام القدرة ، و بالدابر إلى الاستئصال : ﴿ فقطع دابر ﴾ أي آخر ﴿ القوم الذين ظلموا[4] ﴾ أي بوضع الشيء في غير موضعه دأب[5] الماشي في الظلام ، 'وضعوا لقسوة موضع الرقة/ التي /٢٠٠ تدعو إليها الشدة ، و وضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد إلى الشدة ، كما ظلمتم أنتم بدعاء الأصنام وقت الرخاء و كان[6] ذلك[7] موضع
١٠ دعاء من أفاض تلك النعم ، و دعوتم الله وقت الشدة و كان ذلك موضع دعاء[8] من عبدتموه وقت الرخاء ، لئلا تقعوا[9] فيما جرت عادتكم بالذم به .

و إذا [10]تكون كريهة[10] أدعى لها و إذا يحاس الحيس[11] يدعى جندب

و لما كان استئصالهم من أجل النعم على من عادوهم فيه من الرسل عليهم السلام و أتباعهم رضى الله عنهم ، نبه على ذلك بالجملة[12] مع ما يشير

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : سداتهم ـ كذا (٣) من ظ ، و في الأصل : صخرهم (٤) في ظ : البناء (٥) في ظ : ذات (٦) في ظ : كل (٧) من ظ ، و في الأصل : ذكر (٨) زيد بعده في الأصل : افاض ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٩) من ظ ، و في الأصل : لئلا تقعوا (١٠ - ١٠) من اللسان ، و في الأصل : يكون كريهته ، و في ظ : يكون كرتبة ـ كذا ، و البيت لهنيّ بن أحمر الكناني ، و قيل : هو لزرافة الباهلي (١١) من ظ و اللسان ، و في الأصل : الحسين ـ كذا (١٢) من ظ ، و في الأصل : بالحد .

إليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال: ﴿ و الحمد ﴾ أى قطع أمرهم كله و الحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ المتفرد[1] بنعوت الجلال و الجمال ﴿ رب العٰلمين ﴾ الموجد لهم أجمعين، أى له[2] ذلك كله[3] بعد فناء الخلق على أىّ صفة كانوا من إيمان أو كفر، كما كان له ذلك قبل وجودهم و عند خلقهم على كل من حالتيهم - كما أشير إليه بأول السورة، ٥ فكأنه قيل: الكمال لله الذى خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، فقطع دابرهم، و الكمال له لم يتغير، لأنه لا يزيده وجود موجود، و لا ينقصه فقد مفقود، فهو محمود حال الإعدام و المحق كما كان محمودا حال الإيجاد و الخلق، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فانه لا يخرج [3]شىء عن[3] إيمانهم و لا كفرانهم ١٠ عن إرادته سبحانه، فلا عليك منهم اقترحوا[4] الآيات أو لا، فانه ليس عليك إلا البلاغ.

و لما قدم التنبيه باتيان مطلق العذاب فى مطلق الأحوال، و كان الإتيان بالكاف ثَمّ مشيرا مع إفادة التأكيد إلى أن ثَمّ نوع مهلة، و أتبعه أن أخذ الأمم كان بغتة، أعقبه التنبيه بعذاب خاص تصورُ شناعته يهدّ[5] ١٥ الأركان و يقطع الكبود و يملأ الجنان، فانه لا أشنع حالا من أصم أعمى مجنون، فقال مشيرا - باسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالأخذ الذى عهد أنه للبغت بالسطوة و القهر - إلى غاية التحذير من سرعة أىّ[1]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: لهم (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: بين من (٤) فى ظ: اجترحوا (٥) أى يقطع قطعا سريرا.

الأخذ[1] : ﴿قل ارءيتم﴾ فكانت حقيقة المقترن بالكاف : هل رأيتم أنفسكم ، و هذا هل رأيتم مطلق رؤية ، لما تقدمت الإشارة إليه من الإيماء إلى طلب الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب و إن كان المراد فى الموضعين: أخبرونى ﴿ ان اخذ الله ﴾ أى القادر على كل شيء العالم بكل شيء ﴿ سمعكم﴾
٥ و أفرده[2] لقلة المفاوتة [3]فيه ، لأنه[3] أعظم الطرق لإدراك القلب الذى لا أعظم من المفاوتة فيه حتى للانسان الواحد بالنسبة إلى الأحوال المختلفة ، ليكون ذلك أدل على الفعل بالاختيار ﴿و ابصاركم﴾ أى فأصمكم و أعماكم عمى و صما ظاهرين و باطنين بسلب المنفعة ﴿و ختم على قلوبكم﴾ فجعلها لا تعى أصلا أو لا ينتفع بالوعى ﴿ من اله ﴾ أى معبود بحق،
١٠ لأن له[4] إحاطة العلم و القدرة ؛ ثم وصف هذا الخبر بقوله: ﴿ غير الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ ياتيكم به ﴾ أى بذلك الذى هو أشرف معانى أشرف أعضائكم، أو بشيء منه .

و لما بلغت هذه الآيات - من الإبلاغ فى البيان فى[5] وحدانيته و بطلان كل معبود سواه - أعلى المقامات ، نبه على أنه[4] على ذلك ، بالأمر
١٥ بالنظر فيها و فى حالهم بعدها ، دالا على[6] ما تقدم[7] من أن المقترحات لا تنفع[8] من أراد سبحانه شقاوته فقال : ﴿ انظر كيف نصرف ﴾ [أى -[9]] بما لنا من العظمة ﴿ الأيٰت ﴾ أى نوجبها لهم و لغيرهم فى كل وجه

(١) من ظ ، و فى الأصل : للاخذ (٢) من ظ ، و فى الأصل : افرد .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ «و» .
(٦) تكرر فى ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل: قدم (٨) فى ظ : لا ينفع (٩) زيد من ظ .

من

من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ بالعقول و يدهش الألباب ،
و يكون كافيا فى الإيصال إلى المطلوب ؛ و لما كان / الإعراض عن مثل / ٢٠١
هذا فى غاية البعد ، عبر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم هم ﴾ أى بعد هذا البيان
بصميم[1] ضمائرهم ﴿ يصدفون ه ﴾ أى يعرضون إعراضا لازما لهم لزوم الصفة[2].
و لما قرن الأخذ بالبغت تارة صريحا و تارة إشارة باسقاط الكاف ؛ ٥
كان ربما وقع فى وهم السؤالُ عن حالة الجهر ، أتبع ذلك ذكره مفصلا
لما أجمل من الأحوال فى الآيتين قبل فقال : ﴿ قل اريتكم ﴾ و لما كان
المعنى : أخبرونى ، و كان كأنه قيل : عما ذا ؟ قيل : ﴿ ان اتىكم عذاب الله ﴾
أى الذى له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شىء ﴿ بغتة ﴾ [3]أى بحيث
لا يرى إلا ملتبسا بكم من غير أن يشعر به و يظهر شىء من أماراته[3]، ١٠
﴿ [4]او جهرة[4] ﴾ أى بحيث ترونه مقبلا إليكم مقدما عليكم ﴿ هل ﴾ .
و لما كان المخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر إلى تعيين الفاعل،
بنى للفعول قوله : ﴿ يهلك ﴾ أى فى واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك ،
[3] و هو هلاك السخط[3] ﴿ الا القوم ﴾ أى الذين لهم قوة المدافعة و شدة
المقاتلة فى زعمكم و المقاومة ﴿ الظلمون ه ﴾ أى بوضع الأشياء فى غير مواضعها ١٥
من إعطاء الشىء[5] لمن لا يستحقه و منع المستحق ما له، و أما المصلح
فانه ناج[6] إما فى الدارين و إما فى الآخرة التى من [7]فاز فيها[7] فلا توى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : تصميم (٢) فى ظ : الصعد ـ كذا (٣ ـ ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « مقدما عليكم » .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : باح ـ كذا (٧ ـ ٧) فى ظ : فاوتها ـ كذا .

عليه؛ و ذكر أبو حيان [أنه -[1]] لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل أهواله و ما لا يعلم، كان التوعد به أهول[2]، فلذلك أكد فيه فى الآيتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب، و التوعد بأخذ السمع و ما معه من جملة الأنواع التى اشتمل عليها ذلك المطلق[3] فأعرى
٥ من حرف الخطاب.

و لما كان ذلك كله فى مناضلة من كذب الرسل، و أعرض عما أرسلهم به ربهم من الآيات التى ما[3] منها إلا[3] ما آمن على مثله البشر، و طلبه منهم[4] ما لا يقدر عليه إلا مرسلهم من الإتيان بغير ما أتوا به من الآيات؛ بين لهم حقيقة الرسالة إشارة إلى ظلمهم فى طلبهم من الرسل
١٠ ما لا يطلب إلا من الإله، فقال عاطفا على "و لقد ارسلنا الى امم من قبلك": ﴿ و ما نرسل ﴾ أى[3] بما لنا من العظمة ﴿ المرسلين ﴾ أى نوجد هذا الأمر فى هذا الزمان و كل زمان [5]من الماضى[5] و غيره ﴿ الا مبشرين ﴾ لمن أطاع ﴿ و منذرين[6] ﴾ لمن عصى، عريقين فى كل من الوصفين، لا مجيبين[6] إلى ما يقترح الأمم، و لا معذبين لمن يعاندهم؛
٥ ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من [7]النفع و الضر[7] فقال: ﴿ فمن امن و اصلح ﴾ أى تصديقا لإيمانه ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أى فى الدنيا و لا فى الآخرة. أما فى الآخرة فواضح، و أما فى الدنيا

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ. و فى الأصل: اهون (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: منه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: محسنين. (٧ - ٧) من ظ، و فى الأصل: الضر و النفع.

الفانية فلأن خوفهم فيها[1] يزيد أمنهم فى الآخرة الباقية، فهو إلى فناء ثم إلى سرور دائم، فهو عدم ﴿ و لا هم يحزنون ﴾ أى حزنا يضر[2] بحياتهم[3] الأبدية .

و لما بين حال المصلحين، أتبعه حال المفسدين فقال: ﴿والذين كذبوا بآيتنا﴾ أى على[1] ما لها بنسبتها إلينا من العظمة ﴿يمسهم العذاب﴾ أى الدائم ٥ المتجدد[4]، وكنى عن قربه[5] بأن جعل له قوة المس، كأنه [6]حي مريد[6] فقال: ﴿ بما كانوا ﴾ أى[1] جبلة و طبعا ﴿ يفسقون ﴾ أى يديمون الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه من الإيمان و ما يقتضيه، و أما الفسق العارض فان صاحبه يصدر التوبة منه فيعفى عنه .

و لما بين وظيفة الرسل، و قسم المرسل إليهم، أمره بنفى ما يتسبب[7] ١٠ عنه قولهم من أن البشر لا يكون رسولا، و اقتراحهم عليه الآيات من ظن قدرته على ما يريد، [8]أو أن كل ما يقدر عليه يبديه لهم[8]، أو إلزامه بذلك[9]، منبها لهم على وجه ظلمهم بغلظهم أو عنادهم فقال: ﴿ قل ﴾ [أى -[10]] فى جواب قولهم "لو لا أنزل عليه آية" و نحوه .

و لما [لم -[10]] يكن لهم عهد بأن بشرا يكون عنده الخزائن، ١٥ يتصرف فيها بما يريد، و كان يأتيهم من الآيات من انشقاق / القمر /٢٠٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يصير (٣) فى ظ: بحيايتهم -كذا.
(٤) فى ظ: المتجرد (٥) من ظ، و فى الأصل: قوته (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: مريد حى (٧) فى ظ: ينسب (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد بعده فى ظ: منها (١٠) زيد من ظ .

و مشى الشجر و كلام الضب و الحجر و نبع الماء و الحراسة بشواظ النار و حمل الجمال و نحو ذلك مما هو معلوم فى دلائل النبوة بما ربما أوقع[1] فى ظنهم أن لازمه دعواه لأنه يملك الخزائن، فكانوا يقترحون عليه الآيات الدالة [إلزاما له ـ[2]] بذلك[3] لقصد التكذيب. نفى ما ظنوا
٥ أنه يلزمه دعواه فقال : ﴿ لآ[3] اقول لكم ﴾ أى الآن و لا فيما يستقبل من الزمان ، و لما كان تعالى قد أعطاه مفاتيح خزائن الأرض ، فأباها[4] تواضعا لله سبحانه ، قيد بقوله "لكم" إفهاما لما يخبر به المؤمنين من ذلك ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، و أما الكفرة فان إخبارهم بذلك مما يغريهم على الاقتراحات استهزاء فلا فائدة له ﴿ عندى خزآئن الله ﴾ أى الملك
١٠ الأعظم الذى له الغنى المطلق و العزة البالغة ، فلا كفوء له أى[3] فآتيكم ما تقترحون[5] من الآيات و ما تشتهونه[6] من الكنوز و ما [7] تستهزؤن به[7] من العذاب ، و إنما الخزائن بيده ، يفعل فيها ما يشاء .

و لما كانوا يعهدون أن بعض البشر من الكهان يخبرون بشيء من المغيبات ، و كان الكهان يخلطون الصدق بالكذب ، و كان النبى صلى الله
١٥ عليه و سلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال دائما لا خلف فى شيء منها و لا زيادة و لا نقص ، فصاروا يظنون أنه يعلم الغيب ، و لكنهم

---

(١) فى ظ : وقع (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : وإباها (٥) فى ظ : يقترحون (٦) فى ظ : يشتهونه (٧-٧) فى الأصل : يشتهون به ، و فى ظ : يستهزونه ـ كذا .

يظنونه من آيات[1] الكهان حتى أطلقوا عليه أنه كاهن، فكانوا يسألونه عن وقت العذاب الذي يتوعدهم به وعن غيره، لعلهم[2] يظفرون عليه[2] بشيء مما يقوله الكهان ولا يكون، فيعدونه عليه؛ نفي ما ظنوه غيره على هذا المقام أن ينسب[3] إلى غير مالكه الذي لا يجوز أن يكون لغيره، فقال نافيا له من أصله، لا للقول فقط كما في سابقه ولاحقه، ٥ عاطفا على "لا[4] اقول" لا على "عندي": ﴿ ولآ أعلم الغيب ﴾ أي فأخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم من مطلق العذاب أو[5] قيام الساعة، فإن هاتين الحالتين - ملك الخزائن وعلم الغيب - ليستا[6] إلا لمرتبة[7] الألوهية، وإنما لم أدع الأول كما ألزمتموني به، ولا اتصفت بالثاني بما ظننتم. ١٠

ولما كانوا يظنون أن الرسول لا يكون إلا ملكا، فكانوا يلزمونه بدعواه الرسالة دعوى الملائكة ليلزموه بذلك ادعاء ما[4] هو ظاهر البطلان، قال: ﴿ ولآ اقول ﴾ أي بدعوى الرسالة؛ ولما كان صلى الله عليه وسلم أعلى[8] الأنبياء صفاء، وأنورهم قلبا وأشدهم[9] في كل هدى إضاءة وأنقاهم من نقائص البشر، وكان هذا أمرا من الله له[4]، قيد بقوله: ﴿ لكم ﴾ ١٥ إفهاما لأنه "[10]لا يمتنع[10]" عليه أن يقول ذلك، بل لو قاله كان صادقا،

---

(١) في الأصل: بابه، وفي ظ: آياته - كذا (٢-٢) من ظ، وفي الأصل: يظفرن عليهم (٣) من ظ، وفي الأصل: يسبب - كذا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ «و» (٦) في ظ: ليسا (٧) في ظ: لرتبة (٨) في ظ: على (٩) من ظ، وفي الأصل: اسدهم (١٠-١٠) في ظ: يمتنع.

و مثله كثير فى مجازاتهم و مجارى عاداتهم[١] [فى محاوراتهم - [٢]]، و أما إسقاط "لكم" فى قصة نوح من[٣] سورة هود[٤] عليهما السلام فتواضعا منه لكونه من قوله، من غير تصريح بأسناد الأمر فيه إلى الله تعالى ﴿انى ملك[٤]﴾ فأقوى على الأفعال التى تقوى[٥] عليها الملائكة من التحرز[٦] عن المآكل ٥ و المشرب و غيرهما من أفعال الملائكة.

فلما انتفى عنه ما ألزموه به و [ما - [٧]] ظنوه فيه من كونه إلها أو ملكا، انحصر الأمر فى أنه رسول واقف عند ما حده له مرسله، فقال على وجه النتيجة: ﴿ان﴾ أى ما ﴿اتبع﴾ أى بغاية جهدى ﴿الا ما يوحىٰ الى[٤]﴾ أى ما رتبتى إلا امتثال ما يأمرنى به ربى فى هذا القرآن الذى ١٠ هو - بعجزكم عن معارضته - أعظم شاهد لى، و لم يوح إلى فيه أن أقول شيئا مما تقدم نفيه، و أوحى إلى لأنذركم به خصوصا، و أنذر به كل من بلغه عموما، و ذلك / غير منكر فى[٨] العقل و لا مستبعد[٩] بل قد وقع ٢٠٣ / الإرسال لكثير من البشر، و قد قام على ثبوته لى[١٠] واضح الدلائل و ثابت الحجج و قاطع البراهين، فان كان فيه الإذن لى[٨] بابراز خارق ١٥ أبرزته، و ان كان فيه الإعلام بمغيب أبديته. و إلا اقتصرت على الإبلاغ

---

(١) من ظ، و فى الأصل: عادتهم (٢) زيد من ظ غير أن فيه: مجاوزاتهم (٣) من ظ، و فى الأصل: فى (٤) راجع آية ٣١ (٥) من ظ، و فى الأصل: تعول (٦) فى ظ: التجرد (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل: مستبعدا (١٠) فى ظ: الى.

مع التحدي ، و هو مخبر بأن الله - الذي [1] ثبت بعجزكم عن معارضته أنه قوله - شاهد لي بصحة الرسالة و صدق المقالة .

و لما [1] ثبت بهذا أنهم عمي الأبصار و البصائر ، لا يهتدون إلى ما ينفعهم ، و لا يقدرون على إفحام خصم و لا التفصي عن وهم و لا وصم ، بل هم كالسالك بين المهالك ، يتبين بادئ بدئه في دعواه الحكمة زوره و كذبه و فجوره لاتباع الهوى الذي هو أدوأ [أدواء - [2]] ، [3] و أنه [3] صلى الله عليه و سلم أبصر البصراء و أحكم الحكماء لاتباعه علام الغيوب ، و كان موضع أن يقال : ما يوحى إليك في هذا المقام؟ قال على وجه التبكيت لهم : ﴿ قل ﴾ أي لكل من يسمع [4] قولك بعد هذا البيان الفائت لقوى الإنسان ﴿ هل يستوي ﴾ أي يكون سواء من غير مرية ﴿ الاعمى و البصير [5] ﴾ فان قالوا : نعم ، كابروا الحس ، و إن قالوا : لا ، قيل : فمن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ، و من أعرض عنها فهو العمي ، و من سوى بين الخالق و بين شيء من خلقه فهو أعمى العمي ؛ ثم أمره بعد الإنكار للتسوية بينهما بأن ينكر عليهم فساد نظرهم و عمى فكرهم بقوله : ﴿ افلا تتفكرون ع ﴾ أي فيردكم فكركم [4] عن هذه الضلالات [5] .

و لما أمره [6] بتوبيخهم ، أمره - عاطفا على قوله " قل " - بالإنذار [7] على وجه محزن لهم أيضا فقال : ﴿ و انذر به ﴾ أي بما يوحى إليك ، و ليس المراد تخصيص الإنذار بالخائف ، بل الإشارة إلى جلافتهم و عظيم بلادتهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) في ظ : به (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : الضلالة (٦) في ظ : امرهم (٧) في ظ : بالانكار .

و كثافتهم فى عدم تجويز الجائز الذى هو أهل لأن يخافه كل واحد[1] بقوله : ﴿ الذين يخافون ﴾ أى تجويزا للجائز عقلا و عادة .

و لما كان المرهوب الحشر نفسه ، لا بقيد كونه من[2] معين ؛ بنى للفعول قوله : ﴿ ان يحشروا ﴾ أى يجمعوا و هم كارهون ﴿ الى ربهم ﴾ ٥ أى[2] المحسن إليهم بالإيجاد و التربية مع التقصير فى الشكر ، حال كونهم ﴿ ليس لهم ﴾ و أشار إلى تحقير ما سواه و سفوله بالجار فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى من المنزلة التى هى تحت منزلته . و من المعلوم أن كل شىء تحت[2] قهر عظمته و متضائل[3] عن رتبته ، ليس لهم[4] ذلك ، أى[2] على وجه الانفراد أو[5] التوسل ﴿ ولى ﴾ يتولى أمورهم فينقذهم ١٠ قهرا مما يخافون ﴿ و لا شفيع ﴾ ينقذهم بحسن سفارته[6] و عظيم رتبته و ترتيبه ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى أن يجعل بينه و بين عذاب الله وقاية .

و لما أمره بدعاء من أعرض عنه و مجاهرته ، أمره بحفظ من تبعه و ملاطفته ، فقال : ﴿ و لا تطرد الذين يدعون ﴾ و هم الفقراء من ١٥ المسلمين ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم عكس ما عليه الكفار فى دعاء من لا يملك لهم ضرا و لا نفعا ؛ ثم بين من حالهم من الملازمة ما يقتضى الإخلاص فقال : ﴿ بالغدوة و العشى ﴾ أى فى طرفى النهار مطلقا

(١) فى ظ : احد (٢) سقط من ظ (٣) أى متقاصر ، و فى الأصل : متصايل ، و فى ظ : متصال ـ كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بهم (٥) فى ظ : « و » . (٦) فى الأصل : سفار به ، و فى ظ : شعاوته ـ كذا .

أو

أو بصلاتيهما أو يكون كناية عن الدوام ، ثم أتبع ذلك نتيجته[1] فقال معبرا عن الذات بالوجه ، لأنه أشرف - على ما تعارفه[2] - و تذكره يوجب التعظيم و يورث الخجل من التقصير : ﴿ يريدون وجهه[3] ﴾ أى[4] لأنه لو كان رياء[4] لاضمحل على طول الزمان و تناوب الحدثان باختلاف الشأن . ٥

و لما كان[4] أكابر المشركين و أغنياؤهم قد وعدوه صلى الله عليه و سلم الاتباع إن طرد من تبعه ممن يأنفون[5] من مجالستهم[6] ، و زهدوه فيهم بفقرهم و بأنهم غير مخلصين فى اتباعه ، إنما دعاهم إلى ذلك الحاجة ؛ بين له تعالى أنه لا حظ له فى طردهم و لا فى اتباع أولئك بهذا الطريق / إلا من جهة الدنيا التى هو[7] مبعوث للتنفير عنها ، فقال معللاً لما مضى ١٠ / ٢٠٤ أو مستأنفا : ﴿ ما عليك ﴾ قدم الأهم عنده و هو تحمله ﴿ من حسابهم ﴾ و أغرق فى النفى فقال[8] : ﴿ من شىء ﴾ أى ليس لك إلا ظاهرهم ، و ليس عليك شىء من حسابهم ، حتى تعاملهم بما يستحقون فى الباطن من الطرد إن كانوا غير مخلصين ﴿ و ما من حسابك ﴾ قدم أهم ما إليه أيضا ﴿ عليهم من شىء ﴾ أى و ليس عليهم شىء من حسابك فتخشى ١٥ أن يحيفوا[9] عليك فيه على[3] تقدير غشهم[10] ، أو ليس عليك[11] من رزقهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ملجية - كذا (٢) فى ظ : يتعارفه (٣) سقط من ظ .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : ماسعون - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لستهم - كذا (٧) فى ظ : هى (٨) من ظ ، و فى الأصل : صار .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : يخففوا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : عتهم - كذا .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : لك .

شيء فيثقلوا به عليك، وما من رزقك عليهم من شيء فيضعفوا عنه لفقرهم، بل الرازق لك[1] ولهم الله؛ ثم أجاب النهي مسببا عنه فقال: ﴿ فتطردهم ﴾ أي فتسبب عن أحد الشيئين[2] طردك لهم ليقبل عليك الأغنياء فلا يكلفوك ما كان أولئك يكلفونك[3]، وإن كلفتهم ما كان أولئك عاجزين عنه أطاقوه؛ والحاصل أنه يجوز أن يكون معنى جملتي "ما عليك من حسابهم" - إلى آخرهما راجعا إلى آية الكهف "ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا[4]" فيكون المعنى ناظرا إلى الرزق، يعني أن دعاءك إلى الله إنما مداره الأمر الأخروي، فليس شيء من رزق هؤلاء عليك حتى تستنفر[5] بهم وترغب في الأغنياء، ولا شيء من رزقك عليهم فيعجزوا[6] عنه، وفي اللفظ من كلام أهل اللغة ما يقبل هذا المعنى؛ قال [صاحب -[7]] القاموس وغيره: الحساب: الكافي، ومنه "عطاء حسابا" وحسّب فلان فلانا: أطعمه وسقاه حتى شبع وروى: و[8] قال أبو عبيد الهروي: يقال: أعطيته فأحسبته، أي أعطيته الكفاية حتى قال: حسبي[9]، وقوله "[10]يرزق من يشاء[10] بغير حساب" أي بغير "[11]تقتير وتضييق[11]"، وفي حديث سماك: ما حسبوا ضيفهم،

(١) من ظ، وفي الأصل: ذلك (٢) من ظ، وفي الأصل: السن - كذا. (٣) في ظ: يكلفونكه (٤) آية ٢٨ (٥) في ظ: يستثقل - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: فتعجزوا (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: حسبي. (١٠-١٠) من ظ. وفي الأصل: نرزق من نشاء، وقد ورد في عدة مواضع من القرآن بالغيبة (١١-١١) من ظ، وفي الأصل: تعبر ولصق - كذا.

أى ما أكرموه ، و قال ابن فارس فى المجمل : و أحسبته : أعطيته ما يرضيه ، و حسّبته أيضا ، و أحسبنى الشىء : كفانى .

و لما نهاه عن طردهم مبينا أنه ضرر لغير[1] فائدة ، سبب عن هذا النهى قوله : ﴿فتكون من الظلمين ﴾ أى بوضعك الشىء فى غير محله ، فان طردك هؤلاء ليس سببا لإيمان أولئك ، و ليس هدايتهم إلا إلينا ، ٥ و قد طلبوا منا فيك لما فتناهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من قولهم "لو لا انزل عليه ملك" و نحوه مما أرادوا به الصرف عنك ، فكما لم نقبلهم[2] فيك فلا تقبلهم أنت فى أوليائنا ، فانا فتناهم بك حتى سألوا [فيك ما سألوا -[3]] و تمنوا [ما تمنوا -[3]] ﴿و كذلك ﴾ أى و مثل ما فتناهم بارسالك ﴿ فتنا ﴾ أى فعلنا فعل المختبر قسرا بما لنا من العظمة ١٠ ﴿ بعضهم ببعض ﴾ بالتخصيص بالإيمان و الغنى و الفقر و نحو ذلك ﴿ليقولوا﴾ أى إنكارا[4] لأن تفضل غيرهم عليهم احتقارا لهم و استصغارا ﴿ اهؤلاء ﴾ أى الذين[5] لا يساوننا بل لا يقاربوننا فى خصلة[6] من خصال الدنيا ﴿ منّ الله ﴾ أى على جلاله[7] و عظمه ﴿ عليهم ﴾ أى وفقهم لإصابة الحق و ما يسعدهم عنده و هم فيما نرى من الحقارة ١٥ ﴿ من بيننا ﴾ فالآية[8] ناظرة إلى ما يأتى فى هذه السورة من قوله تعالى " حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله " .

---

(١) فى ظ : بغير (٢) فى ظ : لم يقبلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : انكار (٥) فى الأصل : الذ ، و فى ظ : الذى - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : حصة (٧) فى ظ : جلا - كذا (٨) سقط من ظ .

و لما كان الإنكار لا يسوغ إلا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين[1]، و أن المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به، أنكر إنكارهم بقوله: ﴿ اليس الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر، فلا اعتراض عليه ﴿ باعلم بالشكرين ﴾ أى الذين يستحقون أن يفضلوا لشكرهم على ٥ غيرهم لكفرهم.

و لما نهاه صلى الله عليه و سلم عن طردهم، علمه كيف يلاطفهم فقال [عاطفا على ما تقديره: و إذا جاءك الذين يحتقرون الضعفاء من عبادى فلا تحفل[2] بهم - [3]]: ﴿ و اذا جاءك ﴾ و أظهر موضع الإضمار دلالة على الوصف الموجب لإكرامهم / و تعميما لغيرهم فقال: ﴿ الذين يؤمنون ﴾ /٢٠٥ ١٠ أى[4] هم أو غيرهم أغنياء كانوا أو فقراء، و أشار بمظهر العظمة إلى أنهم آمنوا بما هو جدير بالإيمان به فقال: ﴿ بايتنا ﴾ على ما لها[4] من العظمة بالنسبة إلينا ﴿ فقل ﴾ أى لهم[4] بادئا بالسلام إكراما لهم و تطييبا لخواطرهم[4] ﴿ سلم عليكم ﴾ أى سلامة منى و من الله،[6] و نكره لما يلحقهم فى الدنيا من المصائب[6]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ كتب ربكم ﴾ أى المحسن إليكم ١٥ ﴿ على نفسه الرحمة لا ﴾ ثم علل ذلك [بقوله - [3]] و[7] استأنف بما حاصله أنه علم من الإنسان النقصان، لأنه طبعه على طبائع الخسران إلا من جعله موضع الامتنان[8] فقال: ﴿ انه من عمل منكم سوءا ﴾ أى أىّ[4] سوء كان

---

(١) فى ظ: الفصلين - كذا (٢) فى ظ: فلا تجعل - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: لنا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: او (٨) فى ظ: الامتهان.

ملتبسا ﴿ بجهالة ﴾ أى بسفه أو بخفة و حركة أخرجته عن الحق و العلم حتى كان كأنه لا يعلم شيئا ﴿ ثم تاب ﴾ أى رجع بالندم و الإقلاع و إن طال الزمان ، و لذا[1] أدخل الجار فقال[2]: ﴿ من بعده ﴾ أى بعد ذلك العمل ﴿ و اصلح ﴾ بالاستمرار على الخير ﴿ فانه ﴾ أى ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لأنه دائما ﴿ غفور ﴾ أى بالغ الستر و المحو لما كان ٥ من ذلك ﴿رحيم ۝[3] ﴾ يكرم من تاب هذه التوبة[4] بأن يجعله كمن أحسن بعد أن جعله بالغفر كمن لم يذنب ، و من أصر و أفسد فانه يعاقبه ، لأنه عزيز حكيم ، و ربما كانت الآية ناظرة[5] إلى [ما - [6]] قذفهم به المشركون من عدم الإخلاص ، و يكون حينئذ مرشحا لأن المراد بالحساب المحاسبة على الذنوب . ١٠

و لما أتى فى هذه السورة و ما قبلها بما أتى من عجائب التفاصيل لجميع الأحوال متضمنة واضح الدلالات و باهر الآيات البينات ، قال عاطفا على " و كذلك فتنا " عطفا[4] للضد على ضده ، فان فى الاختبار نوع خفاء : ﴿ و كذلك ﴾ أى [7]و مثل[7] ذلك الفتن بايراد بعض ما فيه دقة و خفاء من بعض الوجوه لنضل[8] من نشاء ، فيتميز الضال من المهتدى ١٥ ﴿ نفصل الأيٰت ﴾ التى نريد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فيتبع ﴿ ولتستبين ﴾ أى تظهر ظهورا بينا ﴿ سبيل المجرمين ۝ ﴾ فتجتنب ، و خص هذا بالذكر و إن كان يلزم منه[4] بيان الأول ، لأن دفع المفاسد أهم .

---

(١) فى ظ : كذلك (٢) فى ظ : فى قوله (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : ظاهرة (٦) زيد من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) فى ظ : نفضل .

و لما كان محط حالهم فى السؤال طرد الضعفاء قصد اتباع أهوائهم، أمره تعالى بأن يخبرهم أنه مباين لهم - لما[1] بين له بالبيان الواضح من سوء عاقبة سبيلهم - مباينة لا يمكن معها[2] اتباع أهوائهم، و هى المباينة فى الدين فقال[2]: ﴿ قل انى نهيت ﴾ أى ممن له الأمر كله ﴿ ان
٥ اعبد الذين تدعون ﴾ أى تعبدون بناء منكم على[3] محض الهوى و التقليد فى أعظم أصول الدين، و [حقر أمرهم و -[4]] [5]بين سفول[5] رتبتهم بقوله[6]: ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه، فقد وقعتم فى ترك الأعظم و لزوم الدون[7] الذى هو دونكم فى[7] أعظم الجهل المؤذن بعمى القلب مع الكفر بالمحسن، فباينتى مبناها على المقاطعة[8]، فكيف تطمع[9] فى
١٠ متابعة ! ثم أكد ذلك بأمر آخر دال على أنه لا شبهة لهم فى عبادتهم فقال: ﴿ قل لآ اتبع اهوآءكم ﴾ أى عوضا عما أنا عليه من الحكمة البالغة المؤيدة[10] بالبراهين الساطعة و الأدلة القاطعة.

و لما كان من المعلوم أن الهوى لا يدعو إلى هدى، بل إلى غاية الردى، حقق ما أفهمته هذه الجملة بقوله: ﴿ قد ضللت اذا ﴾ أى إذا
١٥ اتبعت أهواءكم؛ و لما كان الضال قد يرجع[11]، بين أن هذا ليس كذلك، لعراقتهم فى الضلال، فقال معبرا بالجملة الاسمية[12] الدالة على الثبات:

---

(١) فى ظ: ما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: من (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ: بسفول (٦) فى ظ: فقال (٧) فى ظ: الدين (٨) من ظ، و فى الأصل: المعاطفة. (٩) من ظ، و فى الأصل: لطمع (١٠) فى ظ: المودية - كذا (١١) فى ظ: رجع (١٢) زيد بعده فى ظ: ضالة.

﴿ و ما انا ﴾ أى إذ ذاك على شىء من الهداية لأعد ﴿ من المهتدين ﴾ .

و لما كان طلبهم للآيات - أى / العلامات[1] الدالة على الصدق تارة بالرحمة فى إنزال الأنهار و الكنوز و[2] إراحة الحياة[2]، و تارة بالعذاب من إيقاع السماء عليهم كسفا و نحو ذلك - ليس فى يده و لا عنده تعين وقت نزوله ، و أمره هنا أن يصرح لهم بالمباينة[3] و يؤيسهم من الملاينة ما داموا على المداهنة ، أمره[4] [5]بأن يخبرهم[5] بما هو متمكن فيه من النور و ما هم فيه من العمى بقوله : ﴿ قل انى ﴾ و أشار إلى تمكنه فى الأدلة الظاهرة و الحجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ على بينة ﴾ أى إن[6] العدو إنما يصانع عدوه إما لعدم الثقة بالنصرة عليه و تعذيبه بعداوته ، [و - [7]] إما لعدم وثوقه بأنه على الحق ، و أما أنا فواثق بكلا الأمرين ﴿ من ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بارسالى بعد الكشف التام لى عن سر[8] الملك و الملكوت ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ كذبتم به ﴾ أى ربى حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة .

/ ٢٠٦

و لما قيل ذلك ، فرض أن لسان حالهم قال : فائتنا بهذه البينة ! فقال : إن ربى تام القدرة ، فلا يخاف الفوت فلا يعجل ، و أما أنا فعبد ﴿ ما عندى ﴾ أى [فى - [7]] قدرتى و إمكانى ﴿ ما تستعجلون به ﴾ أى فى قولكم "امطر علينا حجارة من السماء" و نحوه حتى أحكم فيكم[6] بما يقتضيه

---

(١) فى ظ : العاملات (٢-٢) فى ظ : ازاحة الجبال - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : المباينة (٤) فى ظ : امرهم (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : بانا نخبرهم . (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : شرك .

طبع البشر من العجلة ! ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ الحكم ﴾ في شيء من الأشياء هذا و غيره ﴿ الا لله [1] ﴾ أي الذي له الأمر كله فلا كفوء له ، ثم استأنف قوله مبينا أنه سبحانه يأتي بالأمر في الوقت الذي حده [2] له على ما هو الأليق به من غير قدرة لأحد غيره على تقديم و لا تأخير
٥ فقال : ﴿ يقض [3] ﴾ أي يفصل و ينفذ بالتقديم و التأخير ، و هو معنى قراءة الحرميين و عاصم "يقص" أي يقطع القضاء أو القصص ﴿ الحق ﴾ و يظهره فيفصله من الباطل و يوضحه ، ليتبعه من قضى بسعادته ، و يتنكب عنه من حكم بشقاوته ﴿ و هو خير الفصلين ﴾ لأنه إذا أراد ذلك لم يدع لبسا لمن يريد هدايته ، و جعل في ذلك الظاهر سببا [4] لمن
١٠ يريد ضلالته ؛ ثم أكد ذلك لمن زاد قلبه في الجلافة مبينا ما في غيره من [5] وخيم العاقبة فقال : ﴿ قل لو ان عندي ﴾ أي على سبيل الفرض [5] ﴿ ما تستعجلون به ﴾ أي من العذاب ﴿ لقضي ﴾ و بناه للمفعول لأن المخوف إنما هو الإهلاك [6] ، لا كونه من معين ﴿ الامر بيني و بينكم [1] ﴾ أي فكنت أهلك [من - [7]] خالفني [8] غضبا لربي بما [9] ظهر لي منه من التكبر
١٥ عليه ، و قد يكون فيهم مَنْ كُتِبَ في ديوان السعداء ، لكنه لم يكن الأمر

---

(١) زيد بعده في الأصل : ما عندي ما تستعجلون به اى حتى احكم فيكم ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) في ظ : حد (٣) في ظ : يقضي ـ كذا باثبات الياء و الصواب ما في الأصل ، و قال في روح المعاني ٢ / ٤٨٩ : و حذفت الياء في الخط تبعا لحذفها في اللفظ لالتقاء الساكنين (٤) في ظ : شبها (٥) سقط من ظ .
(٦) في ظ : الهلاك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و في الأصل : خالفين .
(٩) في ظ : لما .

إلىّ لأنى لا أعلم الظالم عند الله من غيره ، فليس الأمر إلا إلى الله ، لأنه أعلم بالمنصفين فينجيهم ﴿ والله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ اعلم بالظّٰلمين ۝ ﴾ أى المكتوبين فى ديوان الظلمة فيهلكهم .

و لما كانت هذه الآيات مثبتة لجزئيات من علمه تعالى و قدرته ، و كان ختامها العلم بالظالم و غيره ، أتبعها الاختصاص بما هو أعم من ذلك ، و هو ٥ علم مفاتح الغيب الذى لا يصل إليه إلا من حازها ، إذ لا يطلع على الخزائن إلا من فتحها ، و لا يفتحها إلا من حاز مفاتيحها و علم كيف يفتح بها ، فاثبات ذلك فى هذا الأسلوب من باب الترقية فى مراقى الاعتقاد من درجة كاملة إلى أكمل منها ، فقال عاطفا على معنى ما سبق ، و هو : فعنده خاصة[1] جميع ذلك : ﴿ و عنده ﴾ أى وحده ﴿ مفاتح الغيب ﴾ ١٠ [أى ـ[2]] التى[3] لا يدرك الغيب إلا من علمها .

و لما كان معنى ذلك الاختصاص ، صرح به فى قوله : ﴿ لا يعلمهآ الا هوۜ ﴾ و تخصيصها بالنفى دون الخزائن دال على ما فهمته من أن التقييد [فيها ـ[2]] بـ "لكم" يفهم أنه يجوز / أن تقول[4] ذلك للمؤمنين[5] . / ٢٠٧

و لما ذكر علم الغيب ، أتبعه علم الشهادة ، لأن القضايا العقلية ١٥ المحضة يصعب تحصيل العلم[6] بها على سبيل التمام إلا للكُمّل من الأنام

(١) فى ظ : حاصله (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) فى ظ : يقول (٥) زيد بعده فى الأصل : ما يعم الثابت و المنتقل ، خص المنتقل تنصيصا على الجزئيات و تعظيما للعلم بتعظيم المعلومات ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها ، و ستأتى فى موضعها الأليق بها (٦) سقط من ظ .

الذين[1] تجردوا فتعودوا[2] استحضار المعقولات المجردة، و القرآن إنما أنزل لنفع[3] جميع الخلق: الذكى منهم و الغبي[4]، فكان ذكر المحسوسات الداخلة تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول و رسوخه فى القلب، فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلى المجرد بمثال[5] داخل تحته[6] يجرى ٥ مجرى المحسوس، و عطفه بالواو عطف الخاص على العام إشارة إلى تعظيمه فقال: ﴿ و يعلم ما فى البر ﴾ و قدمه لأن الإنسان أكثر ملابسة له بما فيه من القرى و المدن و المفاوز و الجبال و التلال و كثرة ما بها من الحيوان [7]و النبات[7] النجم[8] و ذى الساق و المعادن ﴿ و البحر[9] ﴾ و أخره لأن إحاطة العقل بأحواله أقل و إن كان الحس يدل على أن ١٠ عجائبها أكثر، و طولها و عرضها أعظم، و ما فيها من الحيوانات و أجناس المخلوقات أعجب، فكان هذا الأمر المحسوس مقويا لعظمة ذلك الأمر المعقول.

و لما ذكر ما يعم الثابت و المنتقل، خص المنتقل تنصيصا على الجزئيات و تعظيما للعلم بتعظيم المعلومات فقال: ﴿و ما تسقط﴾ و أغرق فى ١٥ النفى بقوله: ﴿من ورقة﴾ و نكرها إتماما للتعميم ﴿ الا يعلمها ﴾ و لما كان هذا مع عظمه ظاهرا، ذكر ما هو أدق منه فقال: ﴿ و لا ﴾ أى

(١) فى ظ: الذى (٢) فى الأصل: فيعودوا، و فى ظ: فتعود (٣) من ظ، و فى الأصل: النفع (٤) فى ظ: الغنى (٥) من ظ، و فى الأصل: لمثال (٦) فى ظ: تحت (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: الحم، و النجم من النبات ما لا ساق له.

و ما[1] من ﴿ حبة ﴾ و دل على أن الأرض ليس لها من نفسها نور تنبيها على ما أودع هذا الآدمى المكوّن منها من الغرائب بقوله: ﴿ فى ظلمت الارض ﴾ أى و لو كان فى أقصى بطنها، فكيف بما هو فى النور و هو أكبر[2] من الحبة.

و لما خص، رجع إلى التعميم ردا للآخر على الأول فقال: ٥ ﴿ و لا رطب و لا يابس ﴾ أى وجد أو لم يوجد أو[3] سيوجد ﴿ الا فى كتب مبين ۵ ﴾ أى موضح لأحواله و أعيانه و كل أموره و أحيانه[4]، فثبت أنه فاعل لجميع العالم بجواهره و أعراضه على سبيل الإحكام و الإتقان، لأنه وحده عالم بجميع المعلومات، و من اختص بعلم جميع المعلومات كان مختصا بصنع جميع المصنوعات و قادرا على ١٠ جميع المقدورات.

و لما كان من مفاتح الغيب الموت و البعث الذى ينكرونه، و كان من أدلته العظيمة النوم و الإيقاظ منه مع ما فيه من الإحسان المتكرر، و كان فيه مع ذلك تقرير لكمال[5] القدرة بعد تقريره لكمال العلم، أتبع ذلك قوله: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى يتوفكم ﴾ أى يقبض أرواحكم ١٥ كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور أصلا، فيمنعكم التصرف بالنوم كما يمنعكم بالموت، و ذكر الأصل فى ذلك فقال: ﴿ باليل و يعلم ﴾ أى و الحال أنه يعلم ﴿ ما جرحتم ﴾ أى كسبتم ﴿ بالنهار ﴾ أى الذى

(١) فى ظ: لا (٢) من ظ، و فى الأصل: اكرم (٣) فى الأصل و ظ «و».
(٤) فى ظ: اختانه (٥) فى ظ: الكمال.

تعقبه[1] النوم، من الذنوب الموجبة للاهلاك، و يعاملكم فيها بالحلم بعد العلم و لا يعجل عليكم، و هو معنى ﴿ ثم يبعثكم ﴾ أى يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق، فيصرفكم فيما يشاء ﴿ فيه ﴾ أى فى النهار الذى تعقب[2] ذلك النوم[3] بعد استحقاقكم للانتقام ﴿ ليقضىٓ ﴾ أى يتم ﴿ اجل مسمى[4] ﴾
٥ كتبه للموتة الكبرى .

[4]و لما تمهد بهذا النشر بعد ذاك الطى فى الموتة الصغرى القدرة على مثل ذلك فى الموتة الكبرى[4]، و كان فيه تقريب عظيم [له - [5]] قال: ﴿ ثم ﴾ [6]يبعثكم من تلك الموتـــة كما بعثكم من هذه، و يكون[6] ﴿ اليه ﴾ [4]أى وحده[4] ﴿ مرجعكم ﴾ أى حسا[7] بالحشر إلى دار الجزاء،
١٠ و معنىً/ بانقطاع الأسباب على ما عهد فى الدنيا ﴿ ثم ﴾ بعد تلك[8] المواقف الطوال و الزلازل و الأهوال، [و يمكن أن تشير أداة التراخى إلى عظمة العلم بذلك، و إليه يرشد أكثر ما قبله من السياق - [5]] ﴿ ينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما جليلا مستقصى ﴿ بما كنتم تعملون ع ﴾ أى فيجازيكم عليه، و لعله عبر بالعمل لأن الحساب يكون على المكلفين
١٥ الذين لهم أهلية العلم، فتقرر - مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الأشياء و العلم بها - استقلاله[9] بحفظها فى[10] كل حال و تدبيرها[11] على

---

(١) فى ظ : يعقبه (٢) فى ظ : يعقب (٣) فى ظ : اليوم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « اليه » (٧) فى ظ : حسابا (٨) فى ظ : ذاك (٩) من ظ، و فى الأصل : استقلالا له - كذا (١٠) من ظ، و فى الأصل : من (١١) من ظ، و فى الأصل : يديرها .

أحسن

أحسن وجه .

و لما أخبر بتمام العلم و القدرة ، أخبر بغالب سلطنته و عظيم جبروته و أن أفعاله هذه على سبيل القهر لا يستطاع مخالفتها ، فلو بالغ أحد فى الاجتهاد فى أن ينام فى غير وقته ما قدر ، أو أن يقوم وقت النوم لعجز ، أو أن يحيي وقت الموت لم يستطع إلى غير ذلك فقال : ٥
﴿ و هو ﴾ أى يفعل ذلك و الحال أنه وحده بما له من غيب الغيب و حجب الكبرياء[1] ﴿ القاهر ﴾ و صور ذلك بقوله : ﴿ فوق عباده ﴾ أى فى الإحاطة بالعلم و الفعل ، أما قهره للعدم[2] فبالتكوين[3] و الإيجاد ، و أما قهره للوجود[4] فبالإفناء و الإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود تارة و[5] من الوجود إلى العدم أخرى ، فيقهر النور بالظلمة و الظلمة ١٠ بالنور ، و النهار بالليل و الليل بالنهار - إلى غير ذلك من ضروب الكائنات و صروف[6] الممكنات ﴿ و يرسل ﴾ و رجع إلى الخطاب لأنه أصرح فقال : ﴿ عليكم ﴾ من ملائكته ﴿ حفظة ﴾ أى يحفظون عليكم كل حركة و سكون لتستحيوا منهم و تخافوا[7] عاقبة كتابتهم . و يقوم عليكم بشهادتهم الحجة على مجارى عاداتكم ، و إلا فهو سبحانه غني عنهم ، لأنه العالم القادر ١٥ فيحفظونكم على حسب مراده فيكم ﴿ حتى اذا جاء ﴾ .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الكبر (٢) فى ظ : بالعدم (٣) من ظ ، و فى الأصل : فبالسكون (٤) من ظ ، و فى الأصل : بموجود (٥) تقدمت فى ظ على « تارة » .
(٦) فى ظ : صنوف (٧) من ظ ، و فى الأصل : يخافوا .

و لما كان تقديم المفعول أخوف قال : ﴿ احدكم الموت ﴾ أى الذى لا محيد له عنه و لا محيص ﴿ توفته ﴾ أى أخذت روحه كاملة ﴿ رسلنا ﴾ من ملك الموت و أعوانه على ما لهم من العظمة بالإضافة إلينا ﴿ و هم لا يفرطون ه ﴾ فى نفس واحد و لا ما دونه و لا ما فوقه

٥ بالتوانى عنه[1] ليتقدم ذلك عن وقته أو يتأخر ؛ و لما أشار سبحانه إلى قوته بالجنود التى تفوت الحصر - و إن كان عنهم غنيا بصفة [القهر[2]] - نبه[3] بصيغة المجهول إلى استحضار عظمته و شامل جبروته و قدرته فقال : ﴿ ثم ﴾ أى بعد حبسهم فى قيد البرزخ ﴿ ردوّا ﴾ أى ردهم راد[4] منه لا يستطيعون دفاعه أصلا ﴿ الى الله ﴾ أى الذى لا تحد عظمته

١٠ و لا تعد جنوده و خدمته ﴿ مولٰهم ﴾ أى مبدعهم و مدبر أمورهم[5] كلها ﴿ الحق ط ﴾ أى الثابت الولاية ، و كل ولاية غير ولايته من الحفظة و غيرهم عدم ، لأن الحفظة لا يعلمون إلا ما ظهر لهم ، و هو سبحانه يعلم السر و أخفى .

و لما استحضر المخاطب عزته و قهره ، و تصور جبروته و كبره ،

١٥ فتأهل[6] قلبه و سمعه لما يلقى إليه و يتلى عليه ، قال : ﴿ الا له ﴾ أى وحده [حقا -[2]] ﴿ الحكم قف ﴾ و لما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلق أمرا يحير الفكر ، و لا يكاد يدخل تحت الوهم ، قال محقرا فى جنب قدرته :

---

(١) فى ظ : منه (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ : منه - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : رادا (٥) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٦) فى ظ : فتامل .

﴿ وهو ﴾ أى وحده ﴿ اسرع الحسبين ﴾ يفصل بين الخلائق كلهم فى أسرع من اللح كما أنه يقسم أرزاقهم فى الدنيا فى مثل[1] ذلك، لا يقدر أحد[2] أن ينفك عن عقابه بمطاولة[3] فى الحساب و لا مغالطة[4] فى ثواب و لا عقاب، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى فكر و روية و لا عقد و [لا -[5]] كتابة، فلا يشغله حساب[6] عن حساب[6] و لا شيء عن شيء. ٥

و لما تعرف بأفعاله و شؤنه حتى اتضحت وحدانيته و ثبتت فردانيته، ذكرهم أحوالهم فى[7] إقرار توحيده[7] وقت الشدائد و الرجوع عن ذلك عند الإنجاء منها، فكانوا كمن طلب من شخص شيئا و أكد له الميثاق / على الشكر، فلما أحسن إليه باعطائه سؤله نقض عهده و بالغ فى الكفر[8]، ٢٠٩/ و ذلك عندهم فى غاية من القبائح لا توصف[9] فقال: ﴿ قل ﴾ أى ١٠ لهؤلاء الذين يدعون محاسن الأعمال ﴿ من ينجيكم ﴾ أى كثيرا و عظيما ﴿ من ظلمت البر و البحر ﴾ أى حيث لا هداية لكم بنجم و لا جبل و لا غيرهما، أو عبر بالظلمات عن الكروب[10] التى بلغت شدتها [إلى أن صاحبها يكون كأنه فى أشد ظلام، فهو بحيث -[5]] أنه لا يهتدى فيها إلى وجه حيلة بنوع وسيلة ﴿ تدعونه ﴾ أى على وجه الإخلاص له و التوحيد ١٥ و الإعراض عن كل شرك[11] و شريك لزوال الحظوظ عند إحاطة الرعب

---

(١) من ظ، و فى الأصل: تقل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: مطاولة (٤) من ظ، و فى الأصل: مغاطة (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٧-٧) فى ظ: الافراد بتوحيده (٨) فى ظ: الفكر (٩) فى ظ: لا يوصف (١٠) من ظ، و فى الأصل: الكرب (١١) من ظ، و فى الأصل: شريك.

واستيلائه على مجامع القلب ، فلا يبقى إلا الفطرة السليمة ؛ قال الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه الواعي : ﴿ تضرعا ﴾ أي مظهرين الضراعة ، وهي شدة الفقر ، وحقيقته[1] الخشوع ﴿ و ﴾ قوله : ﴿ خفية ٤ ﴾ أي تخفون في أنفسكم مثل ما تظهرون ؛ قال شمر[2] : يقال : ضرع له وضرع ٥ وتضرع أي تخشع[3] وذل ؛ ثم قال : وضرع الرجل يضرع ضرعا - إذا استكان وذل ، وهو ضارع بيّن الضراعة ، وهؤلاء قوم ضرع ، أي إذلاء ، وهم ضرعة أي متضرعون ، والتضرع إلى الله : التخشع إليه والتذلل ، وإذا كان الرجل محتل الجسم قلت : إنه لضارع الجسم بيّن الضروع ، وفي الذل بيّن الضراعة - انتهى .

١٠ ولما بين وصفهم[4] وقت الدعاء ، بين قولهم إذ ذاك فقال[5] : ﴿ لئن انجيتنا[6] من هذه ﴾ فأكدوا وخصوا وبينوا[5] غاية البيان ﴿ لنكونن من الشكرين ۝ ﴾ أي العريقين في الشكر ؛ ولما كانوا مقرين بأن فاعل ذلك هو الله ، ولكنهم يكفرون نعمته ، عدوا منكرين ، فأمره بالجواب غير منتظر لجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أي الذي له جميع ١٥ العظمة ﴿ ينجيكم منها ﴾ أي [من -[7]] تلك الشدة ﴿ ومن كل كرب ﴾

(١) في ظ : حقيقة (٢) في ظ : ممر - كذا ، والصواب ما في الأصل ، وهو شمر بن حمدويه الهروي - راجع معجم المؤلفين ٤ / ٣٠٦ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يخشع (٤) في ظ : صفتهم (٥) سقط من ظ (٦) وقرأ أهل الكوفة : أنجانا - بلفظ الغيبة مراعاة لتدعونه دون حكاية خطابهم في حالة الدعاء - راجع روح المعاني ٢ / ٤٩٦ (٧) زيد من ظ .

أي

أى وقعتم فيه، و ما أعظم موقع قولـه: ﴿ ثم انتم ﴾ مع التزام الإخلاص فى وقت الكرب و مع التزام الشكر ﴿ تشركون[1] ﴾ مشيرا إلى استبعاد نقضهم بأداة التراخى مع ما فيه من الجناس لما كان ينبغى لهم من أنهم يشكرون[2] .

و لما كانوا باشراكهم[3] كأنهم[4] يظنون أن الشدة زالت عنهم زوالا ٥ لا يعود ، و كان اللائق بهم دوام التذلل إما وفاء و إما خوفا ، أخبرهم ترهيبا لهم من سطوته و تحذيرا من بالغ قدرته أن[5] شدتهم تلك التى[6] أذلتهم لم تزل فى الحقيقة ، فان قدرة الملك عليها حالة[7] الرخاء كقدرته عليها فى وقتها سواء ، فانه[8] خالق الحالتين و أسبابهما و ما فيهما ، و لكنهم عمى الأبصار[9] أجلاف الطبائع فقال: ﴿ قل هو ﴾ أى وحده ﴿ القادر ﴾ ١٠ [و لم يصفه صيغة مبالغة لأنهم لم يكونوا ينكرون قدرته إنما كانوا يدعون المشاركة [10] التى نفاها[10] بالتخصيص ، على أن التعريف يفيد به المبالغة -[11]] ﴿ علىٓ ان يبعث ﴾ أى فى أىّ[12] وقت يريده[13] ﴿ عليكم ﴾ أى فى كل حالة ﴿ عذابا من فوقكم ﴾ باسقاط السماء قطعا أو شىء منها كالحجارة التى حصب[14] بها قوم لوط و أصحاب الفيل أو[15] بتسليط أكابركم ١٥

---

(١) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : تشكرون (٢) فى ظ : يشركون.
(٣) فى ظ : باشرافهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الى .
(٦) فى ظ الذى (٧) فى ظ : حال (٨) من ظ ، و فى الأصل : فان (٩) فى الأصل : الابصارر ، و فى ظ : البصاير (١٠ - ١٠) فى ظ : الذى نفاه (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١٢) فى ظ : كل (١٣) من ظ ، و فى الأصل : يريد (١٤) فى ظ : خصت (١٥) من ظ ، و فى الأصل « و » .

﴿ او من تحت ارجلكم ﴾ أى بالخسف أو إثارة[1] الحيات أو غيرها[2] من الأرض كما وقع لبعض من سلف، أو بتسليط سفلتكم و عبيدكم [عليكم -[3]] ﴿ او يلبسكم ﴾ أى يخلط بينكم حال كونكم ﴿ شيعا ﴾ أى متفرقين، كل شيعة على هوى، فيكون ذلك سببا للسيف ﴿ و يذيق بعضكم ﴾ أى ٥ بعض تلك الشيع ﴿ باس بعض[5] ﴾ فيساوى فى ذلك بين الحرم و غيره، و يصير التخطف بالنهب و الغارات عاما، و سوق هذا الكلام هكذا يفهم إيقاعه فى وقت ما لناس ما، لأن كلام الملوك يصان عن أن لا يكون له صورة توجد و إن كان على سبيل الشرط و نحوه، فكيف بملك الملوك علام الغيوب! و للتدريب على مثل هذا الفهم فى كلام الله تعالى ١٠ قال النبى صلى الله عليه و سلم فيما رواه الترمذى فى التفسير عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: أما إنها كائنة. و لم يأت تأويلها بعد، و قال: حسن غريب، / و سيأتى لهذا مزيد بسط و تحقيق فى قوله تعالى فى الفرقان ٢١٠ / "تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك[4]" ـ الآية.

و لما كان هذا بيانا عظيما، أشار إلى عظمه بقوله: ﴿ انظر ﴾ ١٥ و عظمه تعظيما آخر بالاستفهام فقال ﴿ كيف نصرف[5] الأيٰت ﴾ أى أى نكررها[6] موجهة فى جميع [الوجوه -[3]] البديعة النافعة البليغة ﴿ لعلهم يفقهون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى فهمه و انتفاعه به، كان هذا ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ كذب بـه ﴾ أى هذا العذاب

---

(١) فى ظ: اشارة (٢) من ظ، و فى الأصل: غيرهما (٣) زيد من ظ (٤) آية ١٠.
(٥) فى ظ: يصرف (٦) فى ظ: يكررها.

أو القرآن المشتمل على الوعد و الوعيد و الأسباب المبينة للخلق جميع ما ينفعهم ليلزموه[1] و ما يضرهم ليحذروه[2] ﴿ قومك ﴾ أى الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك و يسروا بسيادتك ، فان القبيلة إذا ساد أحدها عزت به ، فان عزه عزها و شرفه شرفها ، و لا سيما إذا كان[3] من بيت الشرف و معدن السيادة ، و إذا سفل أحدها اهتمت به غاية الاهتمام و سترت ٥ عيوبه مهما أمكنها[4] فان عاره لاحق بها ، فهو من عظيم التوبيخ لهم[5] و دقيق التقريع ، و زاد ذلك بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ الحق ﴾ أى الثابت الذى لا يضره التكذيب به و لا يمكن زواله .

و لما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه ، كان صلى الله عليه و سلم فى هذا المقام بمعرض أن يخاف عاقبة ذلك و يقول: فما ذا[6] ١٠ أصنع بهم ؟ فقال تعالى معلما أنه ليس عليه بأس من تكذيبهم : ﴿ قل لست ﴾ و قدم الجار و المجرور للاهتمام به معبرا بالأداة الدالة على القهر و الغلبة فقال[7]: ﴿ عليكم بوكيل ﴾ أى حفيظ و رقيب لأقهركم على الرد عما أنتم فيه .

و لما كانوا بصدد أن يقولوا تهكما : كن كذلك ، فلا علينا[8] منك ! ١٥ قال مهددا : ﴿ لكل ﴾ و أشار إلى جلالة خبره بقوله : ﴿ نبا ﴾ [أى خبر أخبرتكم به من هذه الأخبار العظيمة -[9]] ، و معنى ﴿ مستقر ﴾

---

(١) فى ظ : فيلزموه (٢) من ظ ، و فى الأصل : ليحذرون (٣) فى ظ : كانت - كذا (٤) فى ظ : امهلها (٥) فى ظ : بهم (٦) فى ظ : فما (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : عليك (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

موضع [١] و وقت [١] قرار من صدق أو كذب ، أى لا بد أن [يحط - [٢]] الخبر على واحد منهما [٣] ، لا ينفك خبر من الأخبار عن ذلك ﴿ و سوف تعلمون ۝ ﴾ أى محط خبره العظيم بوعد صادق [٤] لا خلف فيه و إن تأخر وقوعه .

٥ و لما أمره بما يقول جوابا لتكذيبهم ، تقدم إليه فيما يفعل وقت خوضهم فى التكذيب فقال : ﴿ و اذا رايت ﴾ خاطب النبى صلى الله عليه و سلم و المراد غيره ليكون أردع ﴿ الذين يخوضون ﴾ أى يتكلمون ﴿ فى ايتنا ﴾ أى بغير تأمل و لا بصيرة بل طوع الهوى ، كما يفعل خائض الماء فى وضعه لرجله على غير بصيرة لستر [٥] مواضع الخطا

١٠ و بغير [٦] تمام الاختيار لغلبة [٧] الماء ﴿ فاعرض عنهم ﴾ بترك المجالسة أو ما يقوم مقامها ؛ و لما كان الخوض فى الآيات دالا على قلة العقل قال : ﴿ حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ فحكم على حديثهم فيما سوى ذلك أيضا بالخوض ، لأن فيه الغث و السمين ، لأنه غير مقيد بنظام الشرع .

١٥ و لما كان الله تعالى - و له الحمد - قد رفع حكم النسيان عن هذه الأمة [٤] ، قال مؤكدا : ﴿ و اما ينسينك الشيطن ﴾ أى إنساء عظيما إشارة إلى أن مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسى ﴿ فلا تقعد بعد الذكرىٰ ﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : منهما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لسند .
(٦) فى ظ : تغير (٧) من ظ ، و فى الأصل : اغسله - كذا .

التذكر لهذا النهي ﴿ مع القوم الظلمين ﴾ أظهر موضع الإضمار تعميما و دلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض ، و هو الكون في الظلام .

و لما كانت هذه الآية [1] مكية ، و كانوا إذ ذاك عاجزين عن [2] الإنكار بغير القلب ، قال : ﴿ و ما على الذين يتقون ﴾ أي يخافون الله فلا يكذبون بآياته [في مجالسة الكفرة - [3]] ﴿ من حسابهم ﴾ أي الخائضين إذا كانوا ٥ أقوى منهم ﴿ من شيء ﴾ و ما نهينا عن المجالسة لأن عليهم فيها - و الحالة هذه - إثما ﴿ و لكن ﴾ نهينا لتكون المفارقة إظهارا للكراهة [4] ﴿ ذكرى ﴾ للخائضين لاستحيائهم من أذى الجليس [5] ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي ليكون حالهم بذلك حال من يرجى منه التقوى ، فيجتنب الخوض في الآيات / إكراما للجليس . ١٠ /٢١١

و لما أبرز هذا الأمر في صيغة النهي ، أعاده بصيغة الأمر اهتماما به [1] و تأكيدا له ، و أظهر لهم وصفا آخر هو غاية الوصف الأول مع ما ضم إليه من الإرشاد إلى الإنقاذ من المعاطب [6] فقال : ﴿ و ذر ﴾ أي اترك [7] أي ترك كان [7] و لو كان على أدنى الوجوه ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أي كلفوا أنفسهم في اتباع الهوى بمخالفة العقل المستقيم و الطبع الفطري ١٥ السليم بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ على نمط الأسخف من دنياهم ؛ [و لما كان

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : من (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : الكراهة (٥) من ظ ، و في الأصل : الحس (٦) في ظ : المخاطب (٧ - ٧) موضعه في ظ : و ما يتبعه من البحاير و السوايب و نحو ذلك فلا تبال بهم و لا يشغل قلبك أمرهم - كذا ، و هذه العبارة ستأتي بفرق يسير .

الدين ملكة راسخة فى النفس ، [1]و لا شيء[1] من كيفيات النفس أرسخ منها و لا أثبت ، و هو أشرف ما عند الإنسان ، و كان اللعب ضده لا شيء أسرع من انقضائه و لا أوهى من بنائه ، قال ذامًّا[2] لهم بأنهم بدلوا مقصود هذه السورة - الذى هو من الاستدلال على التوحيد الذى لا أشرف منه ٥ مطلقا و لا أعلى و لا أنفس بوجه و لا أحلى - بما لا أدنى منه و لا أوهى و لا أحق للروءة و لا أدهى -[3]] : ﴿ لعبا ﴾ [و لما كان ربما قيل : إنهم إذا انقضى اللعب عادوا إلى الاشتغال بالدين ، أتبعه الباعث عليه إشارة إلى أنه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس إليه باللهو كما ترى الراقص كلما فتر فى رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو أو الانتقال من فن إلى آخر ١٠ من فنونه و شأن بديع من شؤنه[4] فقال -[3]] : ﴿ و لهوا ﴾ [أى -[3]] فى الاستهزاء بالدين الحق [5]بالمكاء و التصدية و بالبحائر و السوائب و غير ذلك ، فلا تبال بهم و لا يشغل قلبك بهم[5] ﴿ و غرتهم ﴾ أى خدعتهم ﴿ الحيوٰة الدنيا ﴾ التى هم من أعرف الناس بزوالها ، و أن كل من بها هالك ، فشتتهم النعم التى منّ عليهم سبحانه بها فيما لا ينالونه من السعادة ١٥ إلا باتباع أوامره و اجتناب نواهيه .

و لما كان ربما أفهم ذلك تركهم فى كل حالة ، نفاه بقوله : ﴿ و ذكر بهٖ ﴾ أى تحديث[6] الآيات ، و هى القرآن المتجدد إنزاله ،

(١ - ١) فى ظ : الاسى - كذا (٢) فى ظ : اذا ما - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : شانه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) من ظ ، و فى الأصل : تحذير .

و الضمير فى الحقيقة للآيات ، أى دعهم[1] يفعلوا ما أرادوا، لا تبال بشيء[2] من ذلك ، و لا تترك[3] وعظهم بهذا القرآن ، أى ما عليك إلا البلاغ ، لم نكلفك[4] فى هذه الحالة أكثر[5] منه ﴿ ان تبسل ﴾ قال فى الجمل : البسل : النخل[6] ، و أبسلته : أسلمته للهلكة[7] ، فالمعنى : كراهة أن تخلى و تسلم ﴿ نفس بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كسبت ﴾ فى دنياها كائنة ﴿ ليس لها من ٥ دون الله ﴾ أى المنفرد بالعظمة ﴿ ولى ﴾ أى يتولى[8] نصرها ﴿ و لا شفيع ج ﴾ ينقذها بشفاعته .

و لما كان الفداء من أسباب الخلاص قال : ﴿ و ان تعدل ﴾ أى تلك النفس لأجل التوصل إلى الفكاك ﴿ كل عدل ﴾ أى كل شيء يظن أنه يعدلها و لو[9] كان أنفس[10] شيء؛ [11]و لما[11] كان الضار عدم الأخذ ، ١٠ لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ لا يؤخذ منها ط ﴾ و لما أنتج[12] ذلك قطعا أن من هذا حاله هالك ، قال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى الذين عملوا[13] هذه الأعمال البعيدة عن الخير ﴿ الذين ابسلوا ﴾ أى أسلموا ﴿ بما كسبوا ج ﴾ ثم استأنف قوله[14] : ﴿ لهم شراب من حميم ﴾ أى هو فى غاية الحر يصهر به

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : دعاهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : شيء (٣) فى الأصل و ظ : لا يترك (٤) فى ظ : لم تكلف (٥) من ظ ، و فى الأصل : لاكثر (٦) فى ظ : المحل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : متول (٩) فى ظ : لما (١٠) فى ظ : الشيء (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) زيد بعده فى ظ : من (١٣) من ظ ، و فى الأصل : عهدوا (١٤) من ظ ، و فى الأصل : بقوله .

ما فى بطونهم ، بما أعتقدوا فى الآيات ما ظهر على ألسنتهم ﴿ و عذاب أليم ﴾ أى يعم دائما ظواهرهم و بواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا يكفرون ؏ ﴾ أى يجددون[1] من تغطية الآيات.

و لما تقرر أن غير الله لا يمنع من الله بنوع[2] ، لا آلهتهم التى زعموا أنها[3] ٥ شفعاؤهم و لا غيرها ، ثبت أنهم على غاية البينة من أن كل ما سواه لا ينفع شيئا و لا يضر ، فكان فى غاية التبكيت لهم[4] قوله : ﴿ قل ﴾ أى بعد ما أقمت[5] من الأدلة على أنه ليس لأحد مع الله أمر ، منكرا عليهم موبخا لهم ﴿ أ ندعوا ﴾ أى دعاء عبادة ، و بين حقارة معبوداتهم فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى[4] المنفرد بجميع الأمر .

١٠ و لما كان السياق لتعداد النعم " الذى خلق السموت و الارض " " خلقكم من طين " ، " يطعم و لا يطعم " ، " و يرسل عليكم حفظة " ، " من ينجيكم من ظلمت البر و البحر " ، " الله ينجيكم منها و من كل كرب " قدم النفع فى قوله : ﴿ ما لا ينفعنا و لا يضرنا ﴾ أى لا يقدر على شيء من ذلك ، ليكونوا على غاية اليأس من[6] [7]اتباع حزب[7] الله ١٥ لهم ، و هذا كالتعليل لقوله " انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله " :

و لما ذكر عدم المنفعة فى دعائهم ، أشار إلى وجود الخسارة فى

(١) من ظ ، و فى الأصل : يجدون (٢) زيد بعده فى ظ : منهم (٣) زيد بعده فى ظ : زعموا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : انهمت (٦) من ظ ، و فى الأصل : عن (٧-٧) فى ظ : ايقاع الحرب .

رجائهم فقال: ﴿ و نرد ﴾ أى برجوعنا[1] إلى الشرك، [و بناه للمفعول لأن المنكر الرد نفسه من أى راد كان -[2]] ﴿ على اعقابنا ﴾ أى فأخذ[3] فى الوجه المخالف لقصدنا فنصير كل وقت فى خسارة بالبعد عن المقصود ﴿بعد اذ هدىنا الله ﴾ أى الذى لا خير إلا و هو عنده و لا ضر[4] إلا و هو قادر عليه، إلى التوجه[5] نحو المقصد، و وفقنا له و أنقذنا من الشرك. ٥

و لما صور حالهم، مثله فقال: ﴿ كالذى ﴾ أى نرد من علو القرب[7] إلى المقصود إلى سفول البعد / عنه ردا كرد الذى ﴿استهوته ﴾ أى طلبت / ٢١٢ نزوله [عن د رجته -[8]] ﴿ الشيطين ﴾ فأنزلته عن أفق مقصده إلى حضيض معطبه، شبه حاله بحال من سقط من عال فى [9] مهواة مظلمة[9] فهو فى حال هويه[10] فى غاية الاضطراب و تحقق التلف و العمى عن ١٠ الخلاص ﴿فى الارض﴾ حال[11] كونه ﴿ حيران ﴾ تائها ضالا، لا يهتدى لوجهه و لا يدرى كيف يسلك، ثم استأنف قوله: ﴿ له ﴾ أى هذا الذى هوى[12] ﴿ اصحب ﴾ أى عدة، و لكنه لتمكن الحيرة منه لا يقبل ﴿ يدعونه الى الهدى ﴾ و بين دعاءهم بقوله: ﴿ ائتنا ﴾ و هو قد اعتسف المهمة تابعا للشياطين، لا يجيبهم و لا يأتيهم لأنه قد غلب على نفسه، ١٥ و حيل [13] بينه و[13] بين العبر و النزوان.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: رجوعنا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: فياخذ (٤) من ظ، و فى الأصل: امر (٥) من ظ، و فى الأصل: التوجيه. (٧) فى ظ: القرآن (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) من ظ، و فى الأصل: مهول مظلمه (١٠) فى ظ: مهوية - كذا (١١) فى ظ: حالة (١٢) فى ظ: هو. (١٣ - ١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما كان هذا مما يعرفونه و شاهدوه مرارا ، و كانوا عالمين بأن دعاء أصحابه له [1]في غاية النصيحة و الخير ، و أنه إن تبعهم نجا ، و إلا هلك هلاكا لا تدارك له ، فكان جوابهم : إن دعاء أصحابه له[1] لهدى ، بين أنه مضمحل تافه جدا بحيث[2] أنه يجوز أن يقال : ليس هدى بالنسبة إلى

٥ هذا الذي يدعوهم إليـه ، بقوله : ﴿ قل ان هدى الله ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال ﴿ هو ﴾ أي خاصة ﴿ الهدى ط ﴾ أي لا غيره كدعاء أصحاب المستهوى ، بل ذاك الهدى مع إنقاذه من الهلاك [إلى - [3]] جنب هذا الهدى كلا شيء ، لأن الشيء هو الموصل إلى سعادة الأبد .

و لما كان التقدير : فقد أمرنا أن نلزمه و نترك كل[4] ما عداه ،

١٠ عطف عليه أمرا عاما فقال : ﴿ و امرنا لنسلم ﴾ أي ورد علينا الأمر ممن لا أمر لغيره بكل ما يرضيه لأن نسلم بأن نوقع الإسلام و هو الانقياد التام فنتخلى عن كل هوى ، و أن نقيم الصلاة بأن نوقعها بجميع حدودها الظاهرة و الباطنـة فنتحلى[5] بفعلها أشرف حلى ﴿ لرب العٰلمين لا ﴾ أي لإحسانه إلى كل أحد بكل شيء خلقه ؛ ثم فسر المأمور به ، فكأنـه

١٥ قال : أن أسلموا ﴿ و ان اقيموا الصلوٰة ﴾ لوجهه ﴿ و اتقوه ط ﴾ مع ذلك ، أي افعلوها لا على وجـه الهزء و اللعب ، بل على وجه التقوى و المراقبة ليدل[6] ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للحسن .

و لما كان التقدير : فهو الذي ابتدأ خلقكم من طين فاذا أنتم بشر مصورون[7] ، و جعلكم أحياء فبقدرته على مدى الأيام تنتشرون[8] ، عطفه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : تحسب - كذا .
(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) في الأصل : فيحلى ، و في ظ : فيتحلى .
(٦) زيد بعده في ظ : على (٧) في ظ : تنتشرون (٨) من ظ ، و في الأصل : تنشرون .

عليه قوله: ﴿ و هو الذيّ اليه ﴾ أى لا إلى غيره بعد بعثكم من الموت ﴿ تحشرون ه ﴾ فأتى بالبعث الذى هم له منكرون لكثرة ما أقام من الأدلة على تمام القدرة فى سياق دال على أنـــه مما لا مجال للخلاف [فيه -[1]] ، و أن النظر إنما هو فيما وراء ذلك ، و هو أن عملهم للباطل سوّغ تنزيلهم منزلة من [2]يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه ممن لا قدرة ٥ له على جزائهم ، فأخبرهم أن الحشر إليه لا إلى غيره ، لأنه[2] لا كلام هناك لسواه ، فلا علق بين المحشورين و لا تناصر كما فى الدنيا ، و الجملة مع ذلك كالتعليل للأمر بالتقوى ، و قد بان أن الآية من الاحتباك ، فانه حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا ، و الإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا .

و لما كانوا بعبادة غيره تعالى - مع إقرارهم بأنه [هو - [1]] خالق ١٠ السماوات و الأرض - فى حال من يعتقد أن ذلك الذى يعبدونه من دونه هو الذي خلقهما ، او شاركا فيهما . فلا قدرة لغيره على حشر من فى مملكته ، قال تعالى منبها لهم من غفلتهم و موقظا من رقدتهم معيدا الدليل الذى ذكره[3] أول السورة على وجه آخر : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد و اخترع و قدر ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ ١٥ [أى - [1]] علي[4] عظمهما و فوت ما فيهما من الحكم و المنافـــع الحصر ﴿ بالحق ط ﴾ أى بسبب إقامة الحق ، و أنتم ترون أنه غير قائم فى هذه الدار و لا هو قريب من القيام ، فوجب على كل من يعلم أن الله حكيم

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: ذكر (٤) سقط من ظ .

خبير أن يعتقد أنه لا بد من بعثة العباد [بعد -[1]] موتهم - كما وعد بذلك - ليظهر العدل بينهم، فيبطل كل باطل[2] و يحق كل حق، و يظهر الحكم[3] لجميع[4] الخلق.

٢١٣ / و لما قرر أن / إقامة الحق هي المراد، قرر قدرته عليها بقوله :

٥ ﴿ و يوم يقول ﴾ أي للخلق[5] و لكل[6] شيء يريده في هذه الدار و تلك الدار ﴿ كن فيكون ﴾ أي فهو[7] يكون لا يتخلف[8] أصلا.

و لما قرر أنه لا يتخلف شيء عن أمره، علله فقال: ﴿ قوله الحق ﴾ أي لا[9] قول غيره[9]، لأن أكثر قول غيره باطل، لأنه يقول شيئا فلا يكون ما أراد؛ و لما كان في مقام الترهيب من سطوته، قال مكررا

١٠ لقوله " و هو الذي اليه تحشرون ": ﴿ و له ﴾ أي وحده بحسب الظاهر و الباطن ﴿ الملك يوم ﴾ و لما كان المقصود تعظيم النفخة، بني للمفعول قوله : ﴿ ينفخ في الصور ﴾ لانقطاع العلائق بين الخلائق، لا كما ترون في هذه الدار من تواصل الأسباب، و قوله - : ﴿ علم الغيب ﴾ و هو ما غاب عن كل ما سواه سبحانه ﴿ و الشهادة ﴾ و هو ما[10] صار بحيث

١٥ يطلع عليه[11] الخلق - مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتي إن شاء الله تعالى [في ظه - [1]] من تمام الترهيب، أي أنه لا يخفى عليه شيء

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : بما بطل (٣) في ظ : الحكمة (٤) من ظ، و في الأصل : الجميع (٥) من ظ، و في الأصل : للحق (٦) في ظ : كل (٧) سقط من ظ. (٨) في ظ : فلا يتخلف (٩-٩) من ظ، و في الأصل : غير قوله (١٠) في ظ : العلائق (١١) من ظ، و في الأصل : على.

من أحوالكم، فاحذروا جزاءه يوم تنقطع[1] الأسباب، و يذهب التعاضد و التعاون، و هو على عادته سبحانه فى أنه [ما - [2]] ذكر أحوال البعث إلا قرر فيه أصلين : القدرة على جميع الممكنات ، و العلم بجميع المعلومات الكليات و الجزئيات ، لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الحكيم ﴾ أى التام الحكمة ، فلا يضع شيئا فى ٥ غير محله و لا على غير إحكام ، فلا معقب لأمره ، فلا بـــد من البعث ﴿ الخبير ﴾ بجميع الموارد و المصادر ، فلا خفاء لشئ[3] من أفعال أحد من الخلق عليه فى ظاهر و لا باطن ليهملهم عن الحساب .

و لما كان مضمون هذه الآيات [مضمون الآيات - [2]] الثلاث المفتتح بها السورة الهادمة[4] لمذهب الثنوية ، و هم أهل فارس قوم إبراهيم ١٠ عليه السلام ، و كان إبراهيم عليه السلام يعرف بفضله جميع الطوائف ، لأن أكثرهم من نسله كاليهود و النصارى و المشركين من العرب ، و المسلمون لما يعلمون من إخلاصه لله تعالى و انتصابه لمحاجة من أشرك به و احتمال الأذى فيه سبحانه ، تلاها بمحاجتــه [5]لهم بما[5] أبطل مذهبهم و أدحض حججهم[6] فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر ذلك المتقدم كله لهم ١٥ فى الدلائل على اختصاصنا بالخلق و تمام القدرة ، ما أعظمه و ما أجله و أضخمه ! و تفكر فى عجائبه و تدبر فى دقائقه [7]و غرائبه[7] تجد ما لا يقدر على مثله إلا الله ، و اذكر إذ ﴿ قال ابرٰهيم ﴾ أى اذكر قوله ، و حكمة

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينقطع (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : شىء (٤) من ظ ، و فى الأصل : الهادية - كذا (٥ - ٥) فى ظ : بما (٦) فى ظ : حجته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التذكير بوقته التنبيهُ على أن هذا لم يزل ثابتا مقررا على ألسنة جميع[1] الأنبياء فى جميع الدهور، و كان فى هذه المحاجة التصريح بما لوح إليه [أول -[2]] هذه[1] السورة من إبطال هذا المذهب، و انعطف هذا على ذلك أىّ انعطاف! و صار كأنه قيل: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

٥ الأصنام و النجوم و النور و الظلمة، فنبههم يا رسول الله على ذلك بأنه لا متصرف غيرنا، اذكر لهم أنى أنا الذى خلقتهم[4] و خلقت جميع ما يشاهدون من الجواهر و الأعراض، فان تنبهوا فهو حظهم، و إلا فاذكر[5] لهم محاجة خليلنا إبراهيم عليه السلام [إذ قال -[2]] ﴿لابيه﴾ ثم بينه فى قراءة الجر[6] بقوله: ﴿ازر﴾ و ناداه فى قراءة

١٠ يعقوب بالضم؛ قال البخارى فى تاريخه الكبير: إبراهيم [بن -[7]] آزر، و هو فى التوراة: تارح[8] - انتهى. و قد مضى ذلك عن التوراة فى البقرة، فلعل أحدهما لقب، و كان أهل تلك البلاد و هم الكلدانيون، و يقال لهم أيضا الكسدانيون - بالمهملة موضع اللام - يعتقدون إلهية النجوم فى السماء و الأصنام فى الأرض و يجعلون لكل نجم صنما،

١٥ إذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم - [كما -[2]] زعموا - إلى النجم، فقال عليه السلام لأبيه منكرا عليه منبها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه: ﴿اتتخذ﴾ أى أ تكلف نفسك /٢١٤

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: خلقهم (٥) من ظ، و فى الأصل: قادر (٦) من ظ، و فى الأصل: الخبز (٧) زيد من ظ و التاريخ الكبير ١/١/٥ (٨) و فى تاريخ اليعقوبى ١/٢٣: تارخ.

إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى بأن تجعل[1] ﴿ اصناما الهة ج ﴾ أى تعبدها و تخضع لها و لا نفع فيها و لا ضر ، فنبه[2] بهذا الإنكار على أن معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج إلى كثير[3] تأمل ، بل هو أمر بديهى[4] أو قريب منه ، فانهم يباشرون أمرها بجميع جوانبهم[5] و يعلمون أنها مصنوعة و ليست بصانعة ، وكثرتها تدل على بطلان إلهيتها بما أشار ٥ إليه قوله تعالى "لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا[6]" .

و لما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه ، عم بقية أقاربه فقال : ﴿ انى ارىك و قومك ﴾ أى فى اتفاقكم على هذا ﴿ فى ضلل ﴾ أى بُعد عن الطريق[7] المستقيم ﴿ مبين ه ﴾ أى ظاهر جدا ببديهة العقل مع مخالفته لكل نبي نبأه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده ، فهو مع ظهوره ١٠ فى نفسه مظهر للحق من أن الإله لا يكون إلا كافيا لمن يعبده ، و إلا كان فقيرا إلى تأله من يكفيه .

و لما كان كأنه قيل : بصرنا[8] إبراهيم عليه السلام هذا التبصير[9] فى هذا الأمر الجرىء من بطلان الأصنام ، قال عاطفا عليه : ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل هذا التبصير[10] العظيم الشأن ، وحكى الحال الماضية بقوله : ﴿ نرى ﴾ ١٥ أى بالبصر و البصيرة على مر الزمان وكر الشهور و الأعوام إلى ما لا

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : يجعل (٢) من ظ ، و فى الأصل : فدل (٣) فى ظ : كبير (٤) فى ظ : بديه (٥) من ظ ، وفى الأصل : حواسهم -كذا (٦) سورة ٢١ آية ٢٢ (٧) فى ظ : الصراط (٨) فى ظ : نصرنا (٩) فى ظ : التنصير (١٠) فى ظ : التقصير - كذا .

آخر له [بنفسه و الصلحاء من أولاده - [1]] ﴿ ابرٰهيم ملكوت ﴾ أى باطن ملك ﴿ السمٰوٰت [2] و الارض ﴾ أى ملكهما العظيم أجمع و ما فيه من الحكم، ليرسخ فى أمر التوحيد فيعلم [3] أن كل من عبد غير الله من صنم و [4] غيره من قومه و غيرهم فى ضلال، كما علم ذلك فى قومه فى ٥ الأصنام ﴿ و ليكون من الموقنين ﴾ أى الراسخين فى وصف الإيقان فى أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه ببصره و بصيرته، فتأمل فيه حتى وقع [فيه - [1]] بعد علم اليقين على عين [5] اليقين بل حق اليقين .

و لما كانت الأمور السماوية مشاهدة لجميع الخلق : دانيهم و قاصيهم، ١٠ و هى أشرف من الأرضية، فاذا بطلت صلاحيتها للالٰهية بطلت الأرضية من باب الأولى : نصب لهم الحجاج فى أمرها، فقال مسببا عن الإراءة المذكورة : ﴿ فلما جن ﴾ [أى - [1]] ستر و أظلم، و قصره [6] - و إن كان متعديا - دلالة على شدة ظلام تلك الليلة، و لذلك عداه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليه [7] الّيل ﴾ أى وقع [8] الستر عليه، فحجب ملكوت الأرض فشرع ١٥ ينظر فى ملكوت السماء ﴿ رءا كوكبا ﴾ أى [7] قد بزغ، فكأنه قيل : فما ذا [9]

---

(١) زيد من ظ (٢) تقدم فى الأصل على « أى باطن » و الترتيب من ظ .
(٣) من ظ، و فى الأصل : فنعلم (٤) فى ظ : او (٥) فى الأصل و ظ : غير - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل : قصر (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : اوقع .
(٩) من ظ، و فى الأصل : بما ذا .

فعل ؟ فقيل : ﴿ قال هذا ربى ﴾ فكأنه[1] مِنْ بَصِره[2] أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبرا و استفهاما ، ليوهمهم[3] أنه مخبر ، فيكون ذلك أنفى[4] للغرض و أنجى من الشعب ، فيكون أشد استجلابا لهم إلى إنعام النظر و تنبيها على موضع الغلط و قبول الحجة ، و لمثل ذلك ختم الآية بقوله : ﴿ فلمآ افل ﴾ أى غاب بعد ذلك الظهور الذى كان آية[5] ٥ سلطان ﴿ قال لآ احب الأفلين ﴾ [لأن -[6]] الأفول حركة ، و الحركة تدل على حدوث المتحرك و إمكانه ، [و لا نظن أن يظن به أنه قال ما قاله أولا عن اعتقاد ربوبية الكواكب ، لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقين و جعله موقنا -[6]] ، فأسند الأمر إلى نفسه تنبيها لهم ، و استدل بالأفول[7] لأن دلالته لزوال ١٠ سلطانه و حقارة[8] شأنه أتم ، و لم يستدل[9] بالطلوع لأنه - و إن كان حركة دالة على الحدوث[10] و النقصان - شرف فى الجملة و سلطان ، فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان ، و الممكن لا بد له من موجد واجب الوجود ، يكون منتهى الآمال و محط الرحال[11] "و ان الى ربك المنتهى" و الأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة ، فلابد من الاستناد إلى قديم ، ١٥

---

(١) فى ظ : وكان (٢) من ظ ، و فى الأصل : نصره (٣) فى ظ : ليفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : النفى (٥) فى ظ : له به - كذا (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالاقوال (٨) من ظ ، و فى الأصل : خفا - كذا (٩) فى ظ : لما استدل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الحدث (١١) من ظ ، و فى الأصل : الرجال .

و العوام يفهمون أن الغارب كالمعزول لزوال نوره و سلطانه ، و أن ما كان كذلك لا يصلح للالهية ، و خص الأفول أيضا لأن قومه الفرس كانوا منجمين ، و مذهبهم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق[1] إلى وسط السماء كان قويا عظيم التأثير ، فاذا كان نازلا إلى المغرب[2] كان ضعيف الأثر ، و الإله / هو من لا يتغير ، و هذا الاستدلال ٢١٥ / د برهان في [أن -[3]] أصل الدين مبنى على الحجة دون التقليد[4] .

و لما بصرهم قصور صغير الكواكب ، ورقى النظر إلى أكبر منه ، فسبب عن الإعراض عن الكواكب لقصوره قوله : ﴿ فلما رأ القمر بازغا ﴾ أى طالعا أول طلوعه ؛ قال الأزهرى : كأنه مأخوذ من البزغ الذى ١٠ هو الشق ، كأنه بنوره يشق الظلمة شقا ﴿ قال هذا ربى ﴾ دأبه في الأولى .

و لما كان تأمل أن الكوكب محل الحوادث[5] بالأفول قد طرق أسماعهم تخالج صدورهم ، قال[6] : ﴿ فلما افل قال ﴾ مؤكدا غاية التأكيد ﴿ لئن لم يهدنى ربى ﴾ أى الذى قدر على الإحسان إلىّ بالإيجاد و التربية ١٥ لكونه لا يتغير و لا شريك له بخلق الهداية فى قلبى ، فدل ذلك على أن الهداية ليست إلى غيره ، و لا تحمل[7] على نصب الأدلة ، لأنها منصوبة قبل ذلك ، و لا على معرفة[8] الاستدلال فانه عارف [به -[3]]

(١) فى ظ ، الشرق (٢) فى ظ : الغرب (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل: فاسمند الأمر، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : للحوادث (٦) فى ظ : قال (٧) من ظ، و فى الأصل: لا يحمل (٨) سقط من ظ .

﴿ لاكونن ﴾ أى بعبادة غيره ﴿ من القوم الضالين ۝ ﴾ فكانت هذه أشد من الأولى و أقرب إلى التصريح بنفي الربوبية عن الكواكب و إثبات أن الرب غيرها، مع الملاطفة و إبعاد الخصم عما يوجب عناده؛

و لما كان قد نفى عن الأجرام السماوية ما ربما يضل[1] به الخصم قال: ﴿ فلما را ﴾ أى بعينه ﴿ الشمس بازغة ﴾ أى عند طلوع النهار و إشراق ٥ النور الذى ادعوا فيه ما ادعوا ﴿ قال ﴾ مبينا لقصور ما هو أكبر من النور و هو ما عنه النور[2] ﴿ هذا ﴾ مذكرا إشارته لوجود المسوغ ، و هو تذكير الخبر إظهارا لتعظيمها[3] إبعادا عن التهمة ، و تنبيها من أول الأمر على أن المؤنث[4] لا يصلح للربوبية [﴿ ربى ﴾ - [5]] كما قال فيما مضى؛ ثم علل ذلك بيانا للوجه الذى فارق فيه ما مضى فأورث شبهة ، فقال : ١٠ ﴿ هذآ اكبر ج ﴾ أى مما[6] تقدم ﴿ فلمآ افلت ﴾ أى غربت فخفى ظهورها و غلب نورها و هزمه جيش الظلام بقدرة الملك العلام ﴿ قال يقوم ﴾ فصرح بأن الكلام لهم أجمعين ، و نادى على رؤس الأشهاد .

و لما كانت القلوب قد فرغت بما ألقى من هذا الكلام المعجب للحجة ، و تهيأت لقبول الحق ، ختم الآية بقوله : ﴿ انى برىء مما تشركون ۝ ﴾ ١٥ أى من هذا و غيره من باب الأولى ، فصرح بالمقصود لأنه لم يبق فى المحسوس من العالم العلوى كوكب أكبر من الشمس و لا أنور . فلما أبطل

---

(١) فى ظ : نفتل - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : قال (٣) من ظ ، و فى الأصل: لتعظيم بها (٤) من ظ ، و فى الأصل : المرتب (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم . (٦) من ظ ، و فى الأصل : بما .

بذلك جميع مذهبهم أظهر التوجه[1] إلى الإله الحق، و أنه قد انكشف له الصواب بهذا النظر، و المراد هم، و لكن[2] سوقه على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه، فقال مستنتجا عما دل عليه الدليل العقلى فى الملكوت[3] : ﴿ انى وجهت وجهى ﴾ أى أخلصت قصدى غير معرج على شيء
٥ أصلا، فعبر بذلك [عن - [4]] الانقياد التام، لأن من انقاد لشيء أقبل عليه[5] بوجهه، و دل على كماله و تفرده بالكمال مبدعاتُه[6]، و عبر باللام دون "إلى" لئلا يوهم الحيز، فقال : ﴿ للذى فطر ﴾ أى لأجل عبودية [من - [4]] شق و أخرج ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ فختم الدليل بما افتتحت به السورة من قوله " الذى خلق السمٰوٰت و الارض " و أدل
١٠ دليل على ما تقدم - أنى فسرت الحنف به من أنه الميل مع الدليل سهولة و لطافة[7] على ما هو دأب الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها - قولُه بعد نصب هذا الدليل : ﴿ حنيفا ﴾ أى سهلا هينا لينا لطيفا ميالا[8] مع الدليل غير كزّ جاف جامد على التقليد دأب الغليظ[9] البليد، و أكد البراءة منهم بقوله : ﴿ و مآ انا من المشركين ﴾ أى منكم، و لكنه
١٥ أظهر الوصف المقتضى للبراءة و التعميم، أى لا أعد فى عدادكم بشيء أقاربكم به[10].

(١) من ظ، و فى الأصل : التوحيد (٢) فى ظ : لأن (٣) من ظ، و فى الأصل : المكتوب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : على (٦) فى ظ : بمبدعاته (٧) من ظ، و فى الأصل : اطاقة (٨) من ظ، و فى الأصل : مثالا (٩) من ظ، و فى الأصل : الغلط (١٠) سقط من ظ.

و لما أبدى هذه الأدلة فى إبطال الضلال بالكواكب[1] و الشمس [2]التى هى[2] أوضح من الشمس، عطف عليها الإخبار بأنهم لم يرجعوا / إليه[3] بل حاجوه، فقال: ﴿ و حآجه قومه ﴾ بأنهم لا ينفكون عن /٢١٦ عبادتها لأنهم[4] وجدوا آباءهم كذلك، و أنه [إن - [5]] لم يرجع عن الكلام فيها أصابته ببعض النوازل، و ذلك من أعظم التسلية لهذا النبى ٥ العربى الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم.

و لما كان من المعلوم أن محاجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة فى غاية من السقوط - سفلت عن الحضيض، نزه المقام عن ذكرها، إشارة إلى أنها بحيث لا يستحق الذكر، و بين جوابه لما فيه من الفوائد الجمة[6] بقوله: ﴿ قال ﴾ أى بقول[7] منكرا عليهم موبخا لهم: ﴿ اتحآجونى ﴾ و صرح ١٠ باسم الرب العلم الأعظم فى قوله: ﴿ فى الله ﴾ أى شىء[7] مما يختص به المستجمع لصفات الكمال لا سيما التوحيد ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ هدٰن ﴾ [أى - [5]] أرشدنى بالدليل القطعى إلى معرفة كل ما يثبت[7] له و ينفى عنه، أى لأنه قادر، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، و يخافه من[8] عواقب العصيان، لأن ١٥ من رُجى خيره خيف ضيره، و من كان بيده [9]النفع و الضر[9] و الهداية و الإضلال فهو من وضوح الأمر و ظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه

(١) فى ظ: الكواكب (٢-٢) فى ظ: الذى هو (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: لا (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: الجملة (٧) فى ظ: ينسب (٨) من ظ، و فى الأصل: عن (٩-٩) فى ظ: الضر و النفع.

المحاجة ، و أتبعه بيان أن معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجه إليه الهمم ، فقال عاطفا على ما تقديره : فأنا أرجوه و أخافه لأنه قادر : ﴿ و لآ اخاف ما تشركون بـهٖٓ ﴾ و لا أرجوه لهداية و لا إضلال [و لا غيرهما لأنه عاجز ، فأثبت لله القدرة بالهداية لأنها أشرف ، و طوى الإضلال - ١] ٥ لدلالتها و دلالة ما نفى فى جانب الشركاء عليه ، و أثبت لآلهتهم العجز بنفى الخوف المستلزم لنفى القدرة على الضر . و ذلك دال على أن الله تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحا لهم بأن العاقل لا ينبغى له أن يخالف إلا من [يأمن - ١] ضره ، فهم فى مخالفتهم لله فى غاية من الخطر ، لا يرتكبها عاقل ، و الآية من الاحتباك .

١٠ و لما نفى عن نفسه خوف آلهتهم أبدا فى الحال و الاستقبال ، و كان من الأمر البين فى الدين الحق أنه لا يصح الإيمان إلا مع الإقرار بخفاء العواقب[2] على العباد و إثبات العلم بها لله[3] تسليما لمفاتيح الغيب إليه ، و قصرها عليه ؛ قال مستثنيا من سبب[4] النفى ، و هو أنها لا تقدر[5] على شىء : ﴿ الآ ان يشآء ربى ﴾ المحسن إلىّ فى حال الضر كما هو محسن ١٥ فى حال النفع ﴿ شيئا ﴾ أى من تسليطها بأنفسها أو باتباعها ، لأنه قادر على ما يريد ، فان أراد أنطق[6] الجماد و أقدره ، و أخرس الناطق الفصيح و أعجزه ، فأنا لا أخاف فى الحقيقة غيره .

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : العرابق ، و زيد بعده فى ظ : على العواقب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مسبب (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر (٦) فى ظ : نطق .

و لما كان هذا فى صورة التعليق ، [و كان التعليق - [1]] و ما شابهه من شأنه أن لا يصدر إلا من متردد[2] ، فيكون موضع إطماع للخصم فيه ، علله بما أزال هذا الخيال فقال : ﴿ وسع ربى كل شىء علما ﴾ أى فأحاط بكل شىء قدرة ، فهو إذا أراد إقدار العاجز أزال عنه كل مانع من القدرة ، و[3] أثبت[3] له كل مقتض لها ، و ذلك ثمرة شمول العلم - كما ٥ سيأتى برهانه إن شاء الله تعالى فى سورة طٰهٰ ، فالمراد أنى ما تركت الجزم لشك عندى ، و إنما تركته لعدم علمى بالعواقب إعلاما بأن تلك رتبة لا تصلح إلا لله الذى وسع علمه كل شىء ، و أدل دليل على هذا اتباعه له بانكاره عليهم عدمَ [الإبلاغ فى - [2]] التذكر[4] بقوله مظهرا تاء التفعل إشارة إلى أن فى جبلاتهم أصل التذكر[5] الصاد[6] عن الشرك : ﴿ افلا تتذكرون ٥[7] ﴾ ١٠ أى يقع منكم تذكر ، فتميزوا بين الحق و الباطل بأن تذكروا مآلكم من أنفسكم [8]بأن من[8] غاب عن مربوبه فسد أو كاد ، [9]و أن هذه[9] الجمادات لا تنفع و لا تضر ، و أنها مصنوعكم ، و تعجب[10] منهم فى ظنهم خوفه[11] من / معبوداتهم بقوله[12] منكرا : ﴿ و كيف اخاف مآ اشركتم ﴾ /٢١٧ أى من دون الله من الأصنام و غيرها مع أنها لا تقدر[13] على شىء ١٥

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مردد (٣ - ٣) فى ظ : فاثبت .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : التذكير (٥) فى ظ : الذكر (٦) فى ظ: الصادد (٧) من القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : افلا تذكرون ، و الآية باظهار التاءين بلا خلاف (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : من ان (٩-٩) من ظ ، و فى الأصل: او هداه - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تعجيبه (١١) فى ظ : عرفه (١٢) فى ظ : فقال (١٣) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر .

﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنكم أنتم لا ﴿ تخافون انكم اشركتم بالله ﴾ أى [المستجمع - [1]] لصفات العظمة و القدرة على العذاب و النقمة [2] .

و لما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء قال : ﴿ ما لم ينزل به ﴾ أى باشراكه ؛ و لما كان المقام صعبا لأنه أصل الدين ، أثبت الجار و المجرور ٥ و قدمه فقال : ﴿ عليكم سلطنا [4] ﴾ أى حجة تكون مانعة من إنزاله الغضب بكم [3] ، و الحاصل أنه عليه السلام أوقع الأمن فى موضعه و هم أوقعوه فى موضع الخوف ، فعجب منهم لذلك [4] فبان أن هذا و قول شعيب عليه السلام فى الأعراف " و ما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا [5] " - الآية ، و قوله تعالى فى الكهف " و لا تقولن لشيء إنى ١٠ فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله [6] " من مشكاة واحدة ؛ و لما كان المحذور المنفى هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم ، وكان حصول الضرر لمخالفها بواسطة أتباعها أو غيرهم من سنن الله الجارية فى عباده ، اقتصر الخليل عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرأفة و الرحمة و الكفاية و الحماية ، و قد وقع فى قصته الأمران : إمكانهم من أسباب [7] ضرره بايقاد النار [7] ١٥ و إلقائهم له فيها ، و رحمته بجعلها عليه بردا و سلاما ؛ و لما كان المحذور فى قصة شعيب عليه السلام العود فى ملتهم ، زاد الإتيان بالاسم الأعظم الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقائص المقتضى لاستحضار الجلال و العظمة و التفرد و الكبر المانع من [8] دنو ساحات الكفر [8]

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : عليكم (٤) العبارة من هنا إلى « فى الكهف » سقطت من ظ (٥) آية ٨٩ (٦) آية ٢٤ (٧-٧) فى ظ : ضررهم بانقاد - كذا (٨-٨) فى ظ : دنو سات الله - كذا .

ـ و الله الموفق .

و لما بان كالشمس بما أقام من الدليل أنه أحق بالأمن منهم ، قال مسبيا عما مضى تقريرا لهم : ﴿ فاىّ الفريقين ﴾ أى حزب الله و حزب ما أشركتم به ، و لم يقل : فأينا[1] ، تعميما للعنى ﴿ احق بالامن ﴾ و ألزمهم بالجواب حتما بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى إن كان لكم علم[2] ٥ فأخبرونى عما سألتكم[3] عنه ؛ ثم وصل بذلك دلالة على أنه لا علم لهم أصلا ليخبروا عما سئلوا عنه [قوله ـ[4]] مستأنفا : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الفعل ﴿ و لم ﴾ أى و صدقوا دعواهم بأنهم لم ﴿ يلبسوا ايمانهم ﴾ أى يخالطوه و يشوبوه ﴿ بظلم ﴾ .

و لما كان المعنى : أحق بالأمن ، عدل عنه إلى قوله مشيرا إليهم ١٠ بأداة البعد تنبيها على [علو ـ[4]] رتبتهم : ﴿ اولئك لهم ﴾ أى خاصة ﴿ الامن ﴾ أى لما تقدم من وصفهم ﴿ و هم مهتدون ﴾ أى و أنتم ضالون ، فأنتم هالكون لإشرافكم على المهالك ، و تفسير النبى صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان[5] و الترمذى و النسائى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لهذا الظلم المطلق فى قوله تعالى " بظلم " بالشرك ١٥ الذى هو ظلم موصوف بالعظم فى قوله تعالى " ان الشرك لظلم[6] عظيم " تنبيه للصحابة رضوان الله عليهم على أن هذا التنوين للتعظيم ، و لأنهم أهل اللسان المطبوعون فيه صفوا بذلك و اطمأنوا إليه ، و لا شك أن السياق كله فى التنفير عن الشرك . و أنه دال على [7] الحث على التبرى[7]

(١) فى ظ : فاننا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سالتم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : البخارى (٦) سورة ٣١ آية ١٣ (٧-٧) من ظ . و فى الأصل : النهى عن التنزه ـ كذا .

عن قليل الشرك و كثيره ، فآل الأمر إلى أن المراد : و لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك ، فالتنوين حينئذ للتحقير كما هو للتعظيم ، فهو من استعمال الشيء في حقيقته و مجازه أو في معنيه المشترك فيهما لفظه معا - و الله أعلم .

٥ و لما كان إبراهيم عليه السلام قد انتصب لإظهار حجة[1] الله في التوحيد و الذب عنها ، و كان التقدير تنبيها للسامع على حسن ما مضى ندبا لتدبره : هذه مقاولة[2] إبراهيم عليه السلام لأبيه و قومه ، عطف عليه قوله معددا وجوه نعمه عليه و إحسانه[3] إليه ، دالا على إثبات النبوة بعد إثبات الوحدانية : ﴿ و تلك ﴾ أي و[4] هذه الحجة العظيمة / الشأن ٢١٨ /

١٠ التي تلوناها عليكم ، و هي ما حاج إبراهيم عليه السلام[4] به قومه ، [و - [5]] عظمه بتعظيمها فقال[4] : ﴿ حجتنآ ﴾ أي التي يحق[6] لها بما فيها من الجلالة أن تضاف إلينا ، لأنها من أشرف النعم و أجل العطايا ﴿ ءاتينٰهآ ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ ابرٰهيم ﴾ و أوقفناه على حقيقتها و بصرناه بها ، و نبه على ارتفاع شأنها بأداة الاستعلاء مضمنا لأتينا

١٥ أقنا ، فقال : ﴿ على قومهۦ ﴾ أي مستعليا[7] عليهم غالبا[8] لهم قائمة عليهم الحجة التي نصبها ، ثم زاد في الإعلام بفضله بقوله مستأنفا : ﴿ نرفع ﴾ أي بعظمتنا ﴿ درجٰت من نشآءُ ﴾ بما لنا من القدرة على ذلك كما رفعنا

---

(١) من ظ ، و في الأصل : صحة (٢) في ظ : مقالة (٣) في ظ : احسانا . (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : يحقها (٧) من ظ ، و في الأصل : مستغلبا (٨) في ظ عاليا.

درجة إبراهيم عليه السلام على جميع أهل ذلك العصر .

و لما كانت محاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوى الذى نسبوا الخلق و التدبير بالنور و الظلمة إليه، وكان فى ختام[1] محاجته لهم أن الجارى على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده[2] فلا خوف عليهم، وكان قبل ذلك فى الاستدلال على البعث الذى هو محط الحكمة ؛ كان الأنسب ٥ أن يقدم[3] فى ختم الآية وصف الحكمة فقال : ﴿ ان ربك ﴾ [أى - [4]] خاصا لنبيه صلى الله عليه و سلم بالمخاطبة باسم الإحسان تنبيها على أن حَجْبَه[5] الدليل عمن يشاء لِحِكَمٍ أرادها سبحانه، ففيه تسلية له صلى الله عليه و سلم ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يفعل[6] بحزبه إلا ما ظنه به خليله صلى الله عليه و سلم بما يقر أعينهم[7]، إما فى الدنيا و إما فى الآخرة و إما ١٠ فيهما ﴿ عليم ه ﴾ فلا يلتبس عليه أحد من غيرهم ، فيفعل به ما يحل بالحكمة .

و لما أشار إلى رفعته بأنه بصّره بالحجة[8] حتى كان على بصيرة من أمره، و أنه علا[9] على المخالفين برفع الدرجات ، أتبع ذلك ما دل عليها و على حكمته بعلمه بالعواقب ، فقال معلما بأنه جعله عزيزا فى الدنيا لأن[10] ١٥

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ختامه (٢) فى ظ : عبده (٣) من ظ ، و فى الأصل : تقدم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حجته (٦) زيد بعده فى ظ : به (٧) فى ظ : عينهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : علاه (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لأنه .

أشرف الناس الأنبياء و الرسل ، و هم من نسله و ذريته ، و رفع ذكره أبدا لأجل[1] قيامه بالذب عن توحيده : ﴿ و وهبنا لهٓ ﴾ أى لخليلنا[2] عليه السلام بما لنا من العظمة ﴿ اسحٰق ﴾ ولداً[3] له على الكبر حيث لا يولد لمثله و لا لمثل زوجته ﴿ و يعقوب ط ﴾ أى ولد ولد ، و ابتدأ سبحانه بهما

٥ لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام ، و هو أشد سرورا بابنه[4] الذى متع[5] به و لم يؤمر[6] بفراقه و ابن ابنه[7] الذى أكثر[8] الأنبياء الداعين إلى الله من نسله و من خواصه ، و هو الموجب الأعظم للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التى هى مهاجر إبراهيم عليه السلام و مختاره للسكنى بنفسه و نسله ، بل مختار الله له و لهم بعده

١٠ بمدد طهورها[9] من الشرك و عبادة الأوثان ، و دعوا إلى الله و نوروا الأرض بعبادته[9] .

و لما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية ، قال مستأنفا مقدما للفعول ليشمل الكلام إياهما[10] : ﴿ كلا ﴾ أى منهما و من أبيهما[11] ﴿هدينا ج ﴾ ثم أتبع ذلك المهتدين قديما و حديثا تأكيدا لأن هذا المذهب لم يزل[12] خلص العباد[13]

١٥ دعاة إليه فى قديم الزمان و جديده . فكأنه يقول : إن كنتم تلزمون دينكم لأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لاجله (٢) فى ظ : خليلنا (٣) من ظ ، و فى الأصل: اولدا (٤) فى ظ : باتيه (٥) فى ظ : يقع (٦) فى ظ : لم ياس (٧) فى ظ : ابيه . (٨) من ظ ، و فى الأصل : الاكثر (٩-٩) سقط مابين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ : اباهما (١١) من ظ ، و فى الأصل : انهما (١٢) فى ظ : لم تزل (١٣) فى ظ : العبادة .

عندكم

عندكم حق، فقد تبين [لكم - [1]] بطلانه، و أن الحق إنما هو التوحيد، و إن كنتم تلزمونه لِقِدَمِه فهذا الدين - [الذى - [1]] دعاكم إليه رسولى مع وضوح الدلالة على حقيته - هو القديم الذى دعاكم إليه نوح و من تلاه من خلص ذريته إلى إبراهيم[2] أبيكم الأعظم [و - [1]] من بعده من خلص ذريته إلى عيسى، ثم إلى هـذا الرسول الذى هو دعوة إبراهيم ٥ و بشارة عيسى - على الكل أبلغ الصلاة و أتم التسليم، فهو أحق بالاتباع من جهة الحقية[3] و الأقدمية، و إن كنتم تلزمونه لمجرد اتباع الآباء فليس فى آبائكم / مثل إبراهيم عليه السلام، و قد تلوت عليكم فى كلامى الذى ٢١٩ / أقمت الدليل القطعى بعجزكم عنه على صحة نسبته إلى ما حاج به أباه و قومه فى إبطال الأوثان التى أضلتكم، فهو أولى آبائكم أن تعتدوا[4] به - ١٠ و الله الموفق.

و لما كان ربما وقع فى وهم أن هداية كل من إسحاق و ابنه بتربية [أبيه - [1]]، ذكر العاشر من آباء الخليل و هو نوح عليهما السلام لدفع ذلك، و لأن السياق لإنكار الأوثان، و هو أول من نهى عن عبادتها، و هو أجلّ آباء الخليل عليه السلام فقال: ﴿ و نوحا هدينا ﴾ أى بما لنا ١٥ من العظمة من بين ذلك الجيل الأعوج.

و لما كانت لم تتجاوز منه، و كان زمنه بعض الزمن المتقدم، أثبت الجار و قطعه عن الإضافة لتراخى زمانهم كثيرا عن زمانه فقال:

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ: هو (٣) فى ظ: الحقيقة (٤) من ظ، و فى الأصل: يعتدوا.

﴿ من قبل ﴾ أى و لم تكن هدايته إلا بنا فى زمان كان أهله من شدة الضلال و لزوم الظلم فى مثل استقبال الليل ، كلما امتد احلولك ظلامه و اشتد ، و طالما دعاهم إلى الله و ربّاهم فلم يرجع منهم كثيرا[1] [أحد - [2]] حتى لقد خالفه زوجه و بعض ولده ، و [3] لمثل ذلك[3] فصل بين إسماعيل ٥ و أبيه و يوسف و أبيه عليهم السلام إشارة إلى فراق كل منهما لأبيه فى الحياة ، و أنه ما[4] حفظ كلا منهما على سنن الهدى طول المدى إلا الله[5] ؛ ثم ابتدأ المذكورين[6] بعدُ بمن بنى على يده و يد ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذى بناه إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام فقال: ﴿ و من ذريته ﴾ .

١٠ و لما كان السياق كله لمدح الخليل ، و كان المذكورون - إلا لوطا - من نسله ، و كان التغليب مستعملا[7] شائعا فى لسان العرب ، لا سيما و لوط ابن أخيه و مثل ولده ؛ حكم بأن الضمير لإبراهيم عليه السلام ، و قولُ من قال : إن يونس عليه السلام ليس من نسله ، غير صحيح . بل هو من بنى إسرائيل ، و هو أحد من ذكر فى سفر الأنبياء ، و سيأتى ١٥ خبره من[8] السفر المذكور فى سورة "و[7] الصٓفّٓت" إن شاء الله تعالى ، و قد صرح أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائى فى قصص الأنبياء أنه من ذرية إبراهيم ، و اقتضى[9] كلامه أنه من بنى إسرائيل ، كما اقتضى ذلك

(١) فى ظ : كثير (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : لذلك (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا (٥) من ظ ، و فى الأصل : ابيه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : المذكورون (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩) من ظ ، و فى الأصل : اقتص .

كلام البغوى فى سورة الأنبياء عليهم السلام ، و أما أيوب فروى[1] : من نسل [عيص بن -[2]] إسحاق عليهم السلام ﴿ داود ﴾ أى هديناه ﴿ و سليمٰن ﴾ أى اللذين بنيا بيت المقدس بأمر الله[3] : داود بخطه و تأسيسه ، و سليمان باكماله و تشييده .

و لما كانا[4] مع ذلك ملكين ، تلاهما بمن شابههما فى الملك أو الحكم ٥ على الملوك فقال : ﴿ و ايوب ﴾ و قدمه لمناسبة ما بينه و بين سليمان[5] فى أن[5] كلا منهما ابتلى بأخذ كل ما فى يده ثم ردّ[6] الله إليه ﴿ و يوسف ﴾ و كل من هؤلاء الأربعة ابتلى فصبر ، و اغتنى[7] فشكر ، و أيوب إن لم يكن ملكا فقد كانت ثروته غير مقصرة[8] [عن -[2]] ثروة الملوك ، على أن بعض بعض الطلبة أخبرنى عن تفسير الهكارى[9] - فيما أظن - أنه صرح بأنه ملك ، ١٠ [10]و أيضا[10] فالاثنان[11] الأولان كانا سبب إصلاح بنى إسرائيل بعد الفساد و استنقاذهم من ذل[12] الفلسطين ، و الاثنان[13] الباقيان كل منهما[14] ابتلى بفراق أهله ثم ردوا عليه : أيوب بعد أن ماتوا ، و يوسف قبل الموت ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فرد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اله .
(٤) فى ظ : كان (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : بان (٦) كذا فى الأصل ، وفى ظ : رده (٧) من ظ ، وفى الأصل : اغنى -كذا (٨) من ظ وفى الأصل : مقصورة .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : المكارى ، و المنسوب إلى هذه النسبة ثلاثة - راجع معجم المؤلفين (١٠-١٠) سقط مابين الرقمين من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : الاننان (١٢) من ظ ، وفى الأصل : ذى -كذا (١٣) من ظ ، وفى الأصل : الامان.
(١٤) فى ظ : منهم .

و أيضا فداود عليه السلام شارك إبراهيم عليه السلام فى أنه كان سببَ سلامته من ملك زمانه الاختفاءُ فى غار، و ذلك أن نمرود بن الكنعان كان ادعى الإلٰهية و أطمع فيها، و قال له منجموه: يولد فى بلدك هذا العام غلام يغير دين أهل الأرض، و يكون هلاكك على يده، فأمر ٥ بذبح كل غلام فى[1] ناحيته فى تلك السنة، و أمر بعزل الرجال عن النساء، و حملت أم إبراهيم عليه السلام به[2] فى تلك السنة، فلما وجدت الطلق خرجت ليلا إلى غار قريب منها فولدت فيه إبراهيم / و أصلحت ٢٢٠ / من شأنه[3]، ثم سدت فم الغار و رجعت، ثم كانت تطالعه فتجده يمتص[4] إبهامه، و كان يشب فى اليوم كالشهر و فى[2] الشهر كالسنة؛ و أما داود ١٠ عليه السلام فانه لما قتل جالوت [5]و زوّجه طالوتُ ابنته، و ناصفه ملكه - على ما كان شرط لمن قتل جالوت[5] - مال إليه الناس و أحبوه، فحسده فأراد قتله، فطلبه فهرب منه، فدخل غارا فنسجت[6] عليه العنكبوت، فقال طالوت: لو دخل هنا لخرق بناء العنكبوت، فأنجاه الله منه؛ و تلاه بسليمان[7] لأنه مع كونه من أهل الملك و البلاء شارك إبراهيم عليهما السلام ١٥ فى إبطال عبادة الشمس فى قصة بلقيس رضى الله عنها؛ و قصة يوسف عليه السلام فى إبطال عبادة الأوثان شهيرة فى قوله تعالى " يٰصاحبى السجن ء ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار[8] ".

---

(١) فى ظ: من (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: شانها (٤) فى ظ: يمص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: نسجت (٧) من ظ، و فى الأصل: سليمان (٨) سورة ١٢ آية ٣٩.

و لما

و لما كان يوسف عليه السلام ممن أعلى الله كلمته [على كلمة - [1]] ملك مصر و أعز [ملكها و - [1]] أهلها [2] و أحياهم به، أتبعه من أعلى الله كلمتهما على كلمة ملك مصر و أهلها و أهلكهم بهما، فكأن [3] بعض قصصهم [3] وفاق، و بعضها تقابل و طباق، فقال: ﴿ وموسى و هرون ﴾ و لما كان التقدير: هديناهم جزاء لإحسانهم باهتدائهم في أنفسهم و دعائهم لغيرهم إلى ٥ الهدى، لم يشغل [4] أحدا منهم منحة السراء و لا محنة [5] الضراء، عطف عليه قوله: ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما جزيناهم ﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى كلهم، ففى ذلك إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، و هى أنهم من أهل السراء [6] المطغئة [7] و الضراء المنسية [8]، و مع ذلك فقد أحسنوا و لم يفتروا [9] و لم ينوا. ١٠

و لما كان المذكوران قبله ممن سلطهما على الملوك، أتبعهما من سلط الملوك عليهما بالقتل فقال: ﴿ و زكريا و يحيى ﴾ ثم أتبعهما من عاندهما الملوك و لم يسلطوا عليهما، و أدام الله سبحانه حياتهما إلى أن يريد سبحانه فقال: ﴿ و عيسى و الياس ﴾ و لما كان هؤلاء الأربعة من الصابرين، قال مادحا لهم على وجه يعم من قبلهم: ﴿ كل ﴾ أى من ١٥ المذكورين ﴿ من الصلحين ﴾ ثم أتبعهم [10] من لم يكن بينهما و بين الملوك

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: اهلكهم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها، والعبارة من هنا إلى «أهلكهم بهما» ساقطة منه (٣-٣) من ظ، وفى الأصل: بين مصتهم (٤) فى ظ: لم يشتغل (٥) فى ظ: منحة (٦) من ظ، وفى الأصل: السر (٧) فى ظ: المطيعة (٨) فى ظ: المهبه - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل: لم يقروا (١٠) فى ظ: اتبعهما.

أمر ، و هدى بهما من كان بين ظهرانيه فقال: ﴿ و اسمٰعيل و اليسع ﴾ هذا إن كان اليسع هو ابن أخطوب[١] بن العجوز خليفة إلياس ، كما ذكر البغوى [٢]فى سورة الصٰفٰت[٢] أن الله تعالى أرسل إلى إلياس - و هو من سبط لاوى من نسل هارون عليه السلام - فرسا من نار فركبه فرفعه الله[٣]
٥ و قطع عنه[٤] لذة المطعم و المشرب ، و كساه الريش ، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا[٥] ، و سلط الله[٣] على آجب[٦] - يعنى الملك الذى سلط على إلياس - عدوا فقتله و نبأ[٧] الله اليسع و بعثه رسولا إلى بنى إسرائيل ، و أيده فآمنت به بنو إسرائيل و كانوا يعظمونه و إن كان اليسع هو يوشع بن نون - كما قال زيد بن أسلم - فالمناسبة بينه و بين إسماعيل عليهما السلام أن
١٠ كلا منهما كان صادق الوعد ، لأن يوشع أحد النقيبين اللذين وفيا لموسى عليه السلام حين بعثهم يجسون بلاد بيت المقدس [كما أشير إليه فى قوله تعالى "و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل -[٨]] و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا[٩]"، [١٠]و قوله[١٠] " و قال رجلٰن من الذين يخافون انعم الله عليهما " - الآية[١١] ، و أيضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الأعظم بالتوحيد ، فاسماعيل
١٥ سبب عمارة مكة المشرفة ، و يوشع سبب عمارة البلدة المقدسة - كما سيأتى[١٢]

---

(١) من معالم التنزيل للبغوى ٦/ ٩٢ ، و فى الأصل : احطوب ، وفى ظ : حطوب .
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ والعالم ، وفى الأصل : ابنه .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : سحابيا - كذا (٦) من العالم ، و فى الأصل و ظ : احب (٧) فى ظ : نباه (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٩) سورة ٥ آية ١٢ .
(١١) سورة ٥ آية ٢٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ياتى .

فى سورة يونس إن شاء الله تعالى .

و لما كان إسماعيل و اليسع ممن هدى الله بهما قومهما من غير عذاب ، أتبعهما مَنْ هدى الله قومه بالعذاب و أنجاهم بعد [1]إتيـان مخايله[1] فقال : ﴿ و يونس ﴾ أى هديناه ؛ و لما انقضت / ذرية إبراهيم عليه السلام ، ختم / ٢٢١
بابن أخيه الذى ضل قومه فهلكوا بغتة ، فبين قصتى هذين الآخرين طباق ٥
من جهة الهلاك و النجاة ، و وفاق من حيث أن كلا منهما أرسل إلى غير قومه فقال : ﴿ و لوطا ط ﴾ ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال : ﴿ و كلا ﴾ أى ممن ذكرنا ﴿ فضلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة بتمام العلم[2] و شمول القدرة ﴿ على العٰلمين لا ﴾ فكل هؤلاء الأنبياء ممن هداه الله بهداه و جاهد فى الله
حق جهاده ، و بدأهم تعالى بابراهيم عليه السلام و ختمهم بابن أخيه لوط ١٠
عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة ؛ و قيل : إن الله تعالى أهلك قوم إبراهيم - نمرود و جنوده - بعد هجرته ، فان صح ذلك تمت المناسبة فى هلاك كل من قومه و قوم [ابن أخيه -[3]] لوط بعد خروج نبيهم عنهم ، فيكون بينهما وفاق كما[4] كان بين [5]قصته و[5] قصة يونس عليه السلام
طباق . [6]و من[6] لطائف ترتيبهم هكذا أيضا أن إسماعيل عليه السلام يوازى ١٥
نوحا عليه السلام ، فانه رابع فى العدّ لهذا العقد إذا عددته من آخره ، كما أن نوحا عليه السلام رابعه إذا عددته من أوله ، و المناسبة بينهما أن

(١-١) فى ظ : بيان مخايله - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل : من قبلهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) فى ظ : سر - كذا .

نوحا عليه السلام نشر[1] الله منه الآدميين حتى كان منهم إبراهيم عليه السلام [2]الذى جعله الله أبا للأنبياء و المرسلين، و إسماعيل عليه السلام[2] نشر[1] الله منه العرب الذين هم خلاصة الخلق[3] حتى كان منهم محمد[4] صلى الله عليه و سلم الذى جعله الله خاتم الأنبياء و المرسلين، فهذا[5] كان بداية و هذا[6] كان نهاية، ٥ وأن المذكورين قبل ذرية إبراهيم عليه السلام و بعدها - و هما نوح و لوط عليهما السلام - أهلك الله قوم كل منهما عامة، و غيب هؤلاء فى جامد الأرض كما أغرق أولئك فى مائع الماء، و أشقى[7] بكل منهما زوجته، بيانا لأن الرسل كما يكونون لناس رحمة يكونون على قوم نقمة، و أنه لا نجاة بهم و لا انتفاع إلا بحسن الاتباع، و أن ابن عمران اشترك[8] مع إبراهيم عليهم السلام فى ١٠ أن كلا من ملكى زمانهم أمر بقتل الغلمان خوفا ممن يغير دينه و يسلبه ملكه[9]، و كما أن الله تعالى أنجى إبراهيم عليه السلام و ابن أخيه لوطا[10] عليه السلام من ملك زمانهما المدعى للالهية [11]فكذلك أنجى موسى و أخاه هارون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعى للالهة[11]، و أنجى ذرية إبراهيم بهما، فاذا جعلت إبراهيم و ابن أخيه لوطا - لكونه تابعا [له -[12]] - واحدا، ١٥ و موسى و أخاه هارون واحدا لمثل ذلك، و نظمت أسماء جميع هذه

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بشر (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) فى ظ: الحق (٤) فى ظ: محمدا (٥) فى ظ: هذا (٦) من ظ، و فى الأصل: لهذا (٧) فى ظ: انتفى (٨) فى الأصل وظ: اشتركا (٩) من ظ، وفى الأصل: ملك (١٠) فى الأصل وظ: لوط (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) زيد من ظ.

الأنبياء فى سلك النق[1]: لوط مع إبراهيم كموسى مع هارون ، و كان الأربعة واسطة عقدة[2] ، فبين إبراهيم و موسى حينئذ سبعة كما أن بين هارون و لوط سبعة ، و إذا ضممت إليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الآيات المأمور بقوله " فبهدٰهم اقتده " كان منزله فى السلك بين ابن عمه لوط و أبيه إبراهيم ، و[3] يكون من بين يديه تسعة ، و من خلفه تسعة ، فمن[4] ٥ إبراهيم إلى موسى تسعة ، و من لوط إلى هارون كذلك ، فكان [رسول الله - [5]] صلى الله عليه و سلم واسط العقد و مكمل العقد ، فانه العاشر من كل جانب ، فبه تكمل الهدى و إيجاب[6] الردى ، و ذلك طبق قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه : مثلى و مثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه ١٠ و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، [7]فأنا اللبنة[7] و أنا خاتم النبيين . و للبخارى نحوه عن جابر ، هذا مع اقترانه بأقرب أولى العزم رتبة و نسبا صاحب القصة إبراهيم عليه السلام ، و إن / جعلت[8] موسى / ٢٢٢ و هارون عليهما السلام كشىء واحد كانا واسطة من الجانب الآخر ، فان ١٥ عددت من جهة إبراهيم عليه السلام كان بينه و بينهما ثمانية ، و إن عددت

---

(١) فى الأصل و ظ : النفى - كذا بالفاء (٢) من ظ ، و فى الأصل : عقده (٣) فى ظ : فمن (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : انجاب .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : جعل .

من جهة لوط عليه السلام كان كذلك .

و لما نص سبحانه على هؤلاء ، و ختم بتفضيل كل على العالمين ، أتبعه على سبيل الإجمال أن غيرهم كان مهديا ، و أن فضل هؤلاء علة[1] النص لهم[2] على أسمائهم ، فقال ترغيبا فى سلوك هذا السبيل بكثرة ٥ سالكيه و حثا على منافستهم فى حسن الاستقامة عليه و السلوك فيه : ﴿ و من ﴾ أى و هدينا أو و فضلنا من ﴿ ءابآئهم ﴾ أى أصولهم ﴿ و ذريتهم ﴾ أى من فروعهم[3] [من - [4]] الرجال [5]و النساء[5] ﴿ و اخوانهم ﴾ [6]أى فروع أصولهم[6] ، و عطف على العامل المقدر قوله[7] : ﴿ و اجتبينهم ﴾ أى و اخترناهم[6] ، ثم [7]عطف عليه بيان[7] ما هدوا ١٠ إليه حثا لنا[7] على شكره على ما زادنا من فضله فقال : ﴿ و هدينهم ﴾ أى بما تقدم من الهداية ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ و أما الصراط المستقيم فخصصناكم به و أقمناكم عليه ، فاعرفوا نعمتنا عليكم و اذكروا[8] تفضيلنا لكم .

و لما كان ربما أوهم تنكيره نقصا فيه ، قال مستأنفا بيانا لكماله و تعظيما لفضله و افضاله : ﴿ ذلك ﴾ أى الهدى العظيم الرتبة ﴿ هدى الله ﴾ ١٥ أى[9] المستجمع لصفات الكمال ﴿ يهدى ﴾ أى يخلق الهداية ﴿ به ﴾ أى بواسطة الإقامة عليه ﴿ من يشآء من عباده ﴾ أى سواء كان له أب

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : علية (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فرعهم ، وفى ظ : فروع اصولهم (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) من ظ ، و فى الأصل : اخبرناهم (٧ - ٧) فى ظ : عقبه ببيان (٨) من ظ ، و فى الأصل : اذكر (٩) من ظ ، و فى الأصل : انما .

يعلمه أو كان له من يحمله على الضلال أو لا ؛ [و لما -[١]] بين فضل الهدى و نص على رؤس أهله ، تهدد من تركه كائنا من كان ، فقال مظهرا لعز[٢] الإلهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لوحظ فيه غيره و لو بأدنى لحظ : ﴿ و لو اشركوا ﴾ - أى هؤلاء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعتَ و [بيّنا -[١]] من اختصاصنا لهم ما علمت - شيئا من شرك و قد أعاذهم الله من ذلك ، ٥ و أقام بهم معوج المسالك ، و أنار بهم ظلام الأرض بطولها و العرض ﴿ لحبط عنهم ﴾ أى فسد و سقط ﴿ ما كانوا يعملون ۝ ﴾ أى و إن كان[٣] فى غاية الإتقان[٤] بقوانين العلم ، و زاد فى الترهيب من التوانى فى السير و الزيغ عن سوء القصد بقوله : ﴿ اولّٓئك ﴾ أى العالو الرتبة الذين[٥] قدمنا ذكرهم و أخبرنا أنهم لو أشركوا سقطت أعمالهم ﴿ الذين اٰتينٰهم ﴾ ١٠ أى بعظمتنا ﴿ الكتٰب ﴾ أى الجامع لكل خير ، فمن ملك ما فيه من العلوم و المعارف حكم على البواطن ، و ذلك لأن[٦] الناس يحبونه فينقادون له[٧] ببواطنهم ﴿ و الحكم ﴾ أى العمل المتقن بالعلم ، و منه نفوذ الكلمة على الظواهر بالسلطنة و إن كرهت البواطن ﴿ و النبوة ج ﴾ أى العلم المزين بالحكم[٨] و هى[٩] وضع [١٠]كل شىء[١٠] فى أحق مواضعه ، فهى جامعة ١٥ للرتبتين الماضيتين ، فلذلك كان الأنبياء يحكمون على البواطن بما عندهم

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لغير (٣) فى ظ : كانا (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاتفاق (٥) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٦) فى ظ : ان (٧) فى ظ : اليه. (٨) فى ظ : الحكمة (٩) زيد بعده فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٠-١٠) فى ظ : الشىء .

من العلم، و على الظواهر بما يظهر[1] من المعجزات؛ ثم سبب عن تعظيمها [بذلك تعظيمَها - [2]] بأنها لا تبور، فقال تسلية عن المصيبة بطعن[3] الطاعنين فيها و إعراض الجاهلين عنها و ترجيةً عند ما يوجب اليأس من نفرة أكثر المدعوين: ﴿ فان يكفر بها ﴾ أى هذه الأشياء العظيمة ﴿ هٰؤلاء ﴾ أى أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم، و قد حبوناهم بها على أتم وجه و أكمله و أعلاه و أجمله، و أنت[4] تدعوهم إلى أن يكونوا سعداء بما اشتملت عليه من الهدى و هم عنه معرضون، و لعل الإشارة[5] على هذا الوجه لتحقيرهم ﴿ فقد وكلنا ﴾ [6] أى لما لنا من العظمة فى الماضى و الحال و الاستقبال ﴿ بها قوما[6] ﴾ أى ذوى قوة على القيام بالأمور [بالإيمان بها و الحفظ لحقوقها - [7]] ﴿ ليسوا[7] ﴾ و قدم الجار اهتماما فقال: ﴿ بها[7] بكفرين ۞ ﴾ أى بساترين الشىء مما ظهر من شموس أدلتها، و هم الأنبياء /223 [و من - [7]] تبعهم، و قد صدق الله - و من أصدق من الله حديثا ! فقد جاء فى هذه الأمة من العلماء الأخيار و الراسخين الأحبار من[8] لا يحصيهم إلا الله .

و لما كان المراد بسوقهم هكذا - و الله أعلم - أن كلا منهم بادر بعد الهداية إلى الدعاء إلى الله و الغيرة على جلاله من الإشراك، لم يُشغِل

(١) فى ظ : يظهرون (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بمطعن (٤) فى ظ : ان.
(٥) زيد بعده فى الأصل : وقدم الجار اهتماما فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ فحولناها إلى موضعها اللائق بها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) فى ظ : ممن .

أحدا

أحدا منهم عن ذلك سراء و لا ضراء بمُلك و لا غيره من ملك أو غيره بل لازموا الهدى[1] و الدعاء إليه على كل حال؛ قال مستأنفا لتكرار[2] أمداحهم بما يحمل على التحلي بأوصافهم . مؤكدا لإثبات[3] الرسالة: ﴿ اولٓـئك ﴾ أى العالو المراتب ﴿ الذين هدى الله ﴾ أى الملك الحائز لرتب الكمال ، الهدى الكامل ، و لذلك سبب عن مدحهم قوله: ﴿ فبهدٰهم ﴾ أى خاصة فى ٥ واجبات الإرسال و غيرها ﴿ اقتده ﴾ و أشار بهاء السكت التى هى أمارة الوقوف - و هى ثابتة فى جميع المصاحف - إلى أن الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء؛ ثم فسر الهدى بمعظم أسبابه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن تدعوهم كما كانوا يقولون مما ينفى التهمة و يمحص النصيحة فيوجب الاتباع إلا من شقى ﴿ لآ اسئلكم ﴾ أى أيها المدعوون ﴿ عليه ﴾ أى على ١٠ الدعاء ﴿ اجرا ﴾ فان الدواعى تتوفر بسبب ذلك على الإقبال إلى الداعى[4] و الاستجابة للرشد؛ ثم استأنف قوله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾ أى هذا الدعاء الذى أدعوكم به ﴿ الا ذكرىٰ ﴾ أى تذكير بليغ من كل[5] ما يحتاج إليه فى المعاش و المعاد ﴿ للعٰلمين ﴾ أى الجن و الإنس و الملائكة دائما، [لا -[6]] ينقضى دعاؤه و لا ينقطع نداؤه، و فى التعبير بالاقتداء ١٥ إيماء إلى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من آبائهم، و تركوا من يجب الاقتداء به . و لما حصر[7] الدعاء فى الذكرى، و كان ذلك نفعا[8] لهم و رفقا بهم، لا تزيد[9] طاعتهم فى ملك الله شيئا و لا ينقص

(١) من ظ، و فى الأصل: الهداية (٢) فى ظ: لتكرير (٣) فى ظ: باثبات.
(٤) فى ظ: الداعين (٥) فى ظ: قل - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: خص.
(٨) فى ظ: تبعا (٩) من ظ، و فى الأصل: لا يزيد.

إعراضهم من عظمته شيئا، لأن كل ذلك بإرادته؛ بنى حالا منهم، فقال تأكيدا لأمر الرسالة بالإنكار على من جحدها و إلزاما لهم[1] بما هم معترفون به، أما أهل الكتاب فعلما قطعيا، و أما العرب فتقليدا لهم و لأنهم سلموا لهم العلمَ و جعلوهم محط سؤالهم عن محمد صلى الله عليه و سلم: ﴿ و ما ﴾ أى
٥ فعلنا ذلك لهم خاصة و الحال أنهم ما ﴿ قدروا ﴾ أى عظموا ﴿ الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ حق قدرهٖ ﴾ أى تعظيمه فى جحدهم لذكراهم و صدهم عن بشراهم و مقابلتهم للشكر عليه بالكفر له؛ قال الواحدى: يقال قدر[2] الشيء - إذا سبره و حزره و أراد أن يعلم مقداره - يقدره - بالضم - قدرا، و منه قوله صلى الله عليه و سلم: فان غم عليكم فاقدروا
١٠ [له -[3]]، أى فاطلبوا[4] أن تعرفوه - هذا أصله فى اللغة، ثم قيل لمن عرف شيئا: هو يقدر قدره، و إذا لم يعرفه بصفاته[5]: إنه [لا -[3]] يقدر قدره ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قالوا ﴾ أى اليهود، و الآية مدنية و قريش[6] فى قبولهم لقولهم، و يمكن أن تكون مكية، و يكون قولهم هذا حين أرسلت إليهم قريش تسألهم عنه صلى الله عليه و سلم فى أمر رسالته و احتجاجه
١٥ عليهم بارسال موسى عليه السلام و إنزال التوراة عليه ﴿ مآ انزل الله ﴾ أى[7] ناسين ما[7] له من صفات الكمال[8] ﴿ على بشر من شيء ﴾ لأن[9]

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ وروح المعانى ٧/٢٠٥ حيث نقل قول الواحدى، فحذفناها (٣) زيد من ظ والروح (٤) من الروح، و فى الأصل وظ: فاطلبوه (٥) من ظ و الروح، و فى الأصل: لصفاته (٦) من ظ، و فى الأصل: قدس - كذا (٧-٧) من ظ، و فى الأصل: ناسين مما (٨) زيد بعده فى الأصل: الذين هم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) فى ظ: لا - كذا.

من نسب[1] مَلِكا تام الملك إلى أنه لم يُثبِتْ أوامره في[2] رعيته بما يرضيه ليفعلوه و ما يسخطه ليجتنبوه، فقد نسبه إلى نقص عظيم، فكيف إذا كانت تلك النسبة كذبا! و هذا و إن كان ما قاله إلا بعض العالمين بل بعض أهل الكتاب الذين هم بعض العالمين، أسند إلى الكل، لأنهم لم يردوا على قائله و لم يعاجلوه بالأخذ تفظيعا[3] للشأن و تهويلا للأمر، و بيانا ٥ لأنه يجب على كل من سمع بآية من آيات الله أن يسعى إليها و يتعرف أمرها، فاذا[4] تحققه فمن طعن فيها أخذ على يده بما يصل[5] إليه قدرته، / كما أنه كذلك كان يفعل لو كان ذلك ناشئا عن أبيه أو أحد ممن يكون | ٢٢٤ نحره[6] به من أبناء الدنيا، و في ذلك أتم إشارة إلى أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عماد الأمور كلها، من فرّط فيه هلك و أهلك؛ ١٠ روى الواحدي في أسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما و محمد بن كعب القرظي أن اليهود قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى - يعني هذه الآية، فقال مشيرا إلى أن اليهود قائلو ذلك، و ملزما بالاعتراف بالكذب أو المساواة للأميين في التمسك بالهوى دون كتاب، موبخا لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم[7] و عظيم بهتهم و شدة ١٥ وقاحتهم و عدم حيائهم: ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء السفهاء الذين تجرؤا على هذه المقالة غير ناظرين في عاقبتها و ما يلزم منها توبيخا لهم و توقيفا على

---

(١) من ظ، و في الأصل: تسبب (٢) من ظ، و في الأصل: من (٣) في ظ: في ظ: تعطيلا (٤) و اذا (٥) في ظ: تصل (٦) في ظ: نحوه (٧) من ظ، و في الأصل: جهتهم.

موضع جهلهم ﴿ من انزل الكتب ﴾ أى الجامع للأحكام و المواعظ و خيرى الدنيا و الآخرة ﴿ الذي جآء به موسى ﴾ أى الذى أنتم تزعمون التمسك بشرعه، حال كون ذلك الكتاب ﴿ نورا ﴾ أى ذا نور يمكن الأخذ به من وضع الشيء[1] فى حاقّ موضعه ﴿ و هدى للناس ﴾ أي

٥ ذا هدى لهم كلهم، أما فى [ذلك -[2]] الزمان فالتقيد به، و أما عند إنزال الإنجيل فبالأخذ بما أرشد إليه من اتباعه، و كذا عند إنزال القرآن، فقد بان أنه هدى فى كل زمان تارة بالدعاء إلى ما فيه و تارة بالدعاء إلى غيره؛ ثم بين أنهم أخفوا منه ما هو نص و صريح فى الدعاء إلى غيره[3] اتباعا منهم للهوى و لزوما للعمى فقال: ﴿ تجعلونه ﴾ أى أيها اليهود

١٠ ﴿ قراطيس ﴾ أى أوراقا مفرقة[4] لتتمكنوا[5] بها من إخفاء ما أردتم ﴿ تبدونها ﴾ أى تظهرونها للناس ﴿ و تخفون كثيرا ج ﴾ أى منها ما تريدون به تبديل الدين - هذا على قراءة الجماعة بالفوقانية، و على قراءة ابن كثير و أبي عمرو بالغيبة هو التفات مؤذن بشدة الغضب مشير[6] إلى أن ما قالوه حقيق بأن يستحي من ذكره فكيف بفعله! ثم التفت إليهم للزيادة

١٥ فى تبكيتهم إعلاما بأنهم متساوون لبقية الإنسان فى أصل الفطرة، بل العرب أزكى منهم و أصح أفهاما، فلولا ما أتاهم به موسى عليه السلام ما فاقوهم بفهم، و لا زادوا عليهم فى علم، فقال: ﴿ و علمتم ﴾ أى أيها اليهود بالكتاب الذى أنزل على موسى ﴿ ما لم تعلموٓا انتم ﴾ [أى -[2]]

---

(١) فى ظ: كل شيء (٢) زيد من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ: معرفة (٥) فى الأصل و ظ: ليتمكنوا (٦) فى ظ: مشيرا.

أيها اليهود من أهل هذا الزمان ﴿و [لآ -[1]] اٰبآؤكم[2] ﴾ أى الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم .

و لما كانوا قد وصلوا فى هذه المقالة إلى حد من الجهل عظيم، قال مشيرا إلى عنادهم : ﴿ قل ﴾ أى أنت فى الجواب عن هذا السؤال [3]غير منتظر[3] لجوابهم فانهم أجلف الناس و أعتاهم ﴿ الله لا ﴾ أى الذى أنزل ذلك الكتاب ﴿ ثم ﴾ بعد [3]أن تقول[3] ذلك لا تسمع لهم شيئا بل ﴿ ذرهم فى خوضهم ﴾ أى قولهم و فعلهم المثبتين[4] على الجهل المبنيين على أنهم[5] فى ظلام الضلال كالخائض فى الماء يعملون ما لا يعلمون ﴿ يلعبون * ﴾ أى يفعلون [فعل -[6]] اللاعب، و هو ما لا يجر لهم نفعا و لا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان .

و لما أثبت سبحانه أنه الذى أنزل التوراة [و الإنجيل -[6]] تكميلا لإثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم، عطف على ذلك قوله تأكيدا لإثباتها و تقريرا : ﴿ و هذا ﴾ أى القرآن الذى هو حاضر الآن فى جميـــع الأذهان ﴿ كتٰب ﴾ أى جـامع لخيرى[7] الدارين، وكان السياق لأن يقال : أنزل الله، و لكـنه أتى بنون العظمة، لأنها أدل على تعظيمه فقال : ﴿ انزلنٰه ﴾ أى و[8] ليس من عند محمد صلى الله

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢ - ٢) فى ظ : منتظرا (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل : انه يقول (٤) من ظ، و فى الأصل : المتبين (٥) من ظ، و فى الأصل : انـتم (٦) زيد من ظ (٧) من ظ . و فى الأصل : لخير (٨) سقطت الواو من ظ .

عليه و سلم من نفسه ، و إنما هو بانزالنا إياه إليه و إرسالنا [له - [1]]
به ﴿ مبرك ﴾ أى كثير الخير ثابت الأمر ، لا يقدر أحد من الخلق
على إنكاره لإعجازه ، لتعلم أهل الكتاب خصوصا حقيقته بتصديقه
لكتابهم لأنه ﴿ مصدق الذى بين يديه ﴾ أى كله من كتبهم و غيرها ،
٥ فيكون أجدر لإيمانهم به ،/ و تعلم جميع أهل الأرض عموما ذلك بذلك ٢٢٥ /
و باعجازه ﴿ و لتنذر ﴾ أى به ﴿ ام القرىٰ ﴾ أى مكة لأنها أعظم
المدن بما لها من الفضائل ﴿ و من حولها ﴾ من [2] لا يؤمن [2] بالآخرة فهو
لا يؤمن به من أهل الأرض كلها من جميع [3] البلدان و القرى ، لأنها
أم الكل ، و هم فى ضلالتهم [4] مفرطون ﴿ و الذين يؤمنون بالأخرة ﴾
١٠ أى فيهم قابلية الإيمان بها على ما هى عليه ، من أهل أم القرى و من
حولها [5] بكل خير ينشرون [5] ﴿ يؤمنون به ﴾ أى بالكتاب بالفعل
لأن الإيمان بها داع إلى كل خير بالخوف و الرجاء ، و الكفر بها
حامل على كل بشر .

و لما تكرر وصف المنافقين بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة
١٥ عليها علما على الإيمان فقال : ﴿ و هم على صلاتهم يحافظون ه ﴾ أى
يحفظونها غاية الحفظ ، فالآية من عجيب فن الاحتباك : ذكر الإنذار
و الأم أولا دالا [6] على حذفهما ثانيا [7] ، و إثبات الإيمان و الصلاة ثانيا دليل
على نفيهما [8] أولا .

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : يومن (٣) فى ظ : حيث (٤) فى ظ : ضلالهم .
(٥ - ٥) فى ظ : مبشرون (٦) من ظ ، و فى الأصل : داله (٧) فى الأصل : باقيا ،
و فى ظ : ثابتا - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : نعتهما .

و لما كان فى قولهم " ما أنزل الله على بشر من شيء " صريح[1] الكذب و تضمن[2] تكذيبه - و حاشاه صلى الله عليه و سلم ! أما من اليهود فبالفعل ، و أما من قريش فبالرضى ، و كان بعض الكفرة قد ادعى الإيحاء إلى نفسه إرادة للطعن فى القرآن؛ قال تعالى مهولا لأمر[3] الكذب لا سيما عليه لا سيما فى أمر الوحى ، عاطفا على مقول " قل[4] من انزل " مبطلا ٥ للتنبؤ بعد تصحيح أمر الرسالة و إثباتها إثباتا لا مرية فيه ، فكانت براهين إثباتها أدلة على إبطال التنبؤ و كذب مدعيه: ﴿ و من اظلم ممن افترى ﴾ أى بالفعل كاليهود و الرضى كقريش[5] ﴿ على الله كذبا ﴾ أى أىّ كذب كان ، فضلا عن إنكار الإنزال على البشر[5] ﴿ او قال اوحى الىّ و لم ﴾ أى و الحال أنه لم ﴿ يوح اليه شيء ﴾ فهذا[6] تهديد على سبيل الإجمال كعادة ١٠ القرآن المجيد[7] ، يدخل فيه كل من اتصف بشيء من ذلك كمسيلمة و الأسود[8] العنسى و غيرهما ، ثم رأيت فى كتاب ' غاية المقصود فى الرد على النصارى و اليهود ' للسموءل[9] بن يحيي المغربي الذى كان من أجل علمائهم فى حدود سنة ستين و خمسمائة ، ثم هداه الله للاسلام ، و كانت له يد طولى فى الحساب و الهندسة و الطب و غير ذلك من العلوم ، فأظهر ١٥

(١) فى ظ : صرح (٢) من ظ ، و فى الأصل : يضمن (٣) من ظ ، وفى الأصل : لا - كذا (٤) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بهذا - كذا . (٧) فى ظ : الجميل (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من طبقات الأطباء ٢/٣٠ ، وفى الأصل : للسول ، و فى ظ : للسمول - كذا .

بعد إسلامه فضائحهم أن الربانيين منهم زعموا أن الله كان يوحى إلى جميعهم فى كل يوم مرات، ثم قال [بعد -[1]] أن قسمهم إلى قرّائين و ربانيين[2] : إن الربانيين أكثرهم عددا، و قال: و هم الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم فى كل مسألة بالصواب، قال: و هذه الطائفة أشد اليهود عداوة ٥ لغيرهم من الأمم ﴿ و من قال سأنزل ﴾ أى بوعد [3]لا خلف فيه[3] ﴿ مثل مآ انزل الله ﴾ كالنضر بن الحارث و نحوه.

و لما كان الجواب قطعا من كل منصف: لا أحد[4] أظلم منه، بل هم أظلم الظالمين، كان كأنه قيل: فلو رأيتهم و قد حاق بهم جزاء هذا الظلم كرد[5] وجوههم مسودة و هم يسحبون فى السلاسل على وجوههم، ١٠ [و جهنم - [1]] تكاد تتميز عليهم غيظا، وهم قد هدّهم[6] الندم و الحسرة، و قطع بهم الأسف و الحيرة لرأيت أمرا يهول منظره[7]، فكيف يكون مذاقه [و - [1]] مخبره[8] ! فعطف عليه ما هو أقرب منه، فقال كالمفصل لإجمال ذلك التهديد مبرزا بدل ضميرهم الوصف الذى أداهم إلى ذلك: ﴿ و لو ترىٓ ﴾ أى يكون منك رؤية فيما هو دون ذلك ﴿ اذ الظّٰلمون ﴾ أى لأجل ١٥ مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه ! و اللام للجنس الداخل فيه هؤلاء دخولا أوليا ﴿ فى غمرٰت الموت ﴾ أى شدائده التى قد غمرتهم كما يغمر البحر الخضم[9] من يغرق[10] فيه، فهو يرفعه و يخفضه[11] و يبتلعه و يلفظه، لا بد له

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: ثم قال، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٣-٣) من ظ، وفى الأصل: لا بد منه (٤) من ظ، و فى الأصل: حد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: هددهم (٧) من ظ، و فى الأصل: بنظره (٨) زيد بعده فى ظ: فكيف (٩) أى العظيم، وفى ظ: الخضر (١٠) فى ظ: يعرف (١١) من ظ، و فى الأصل: يحفظه - كذا.

منه ﴿و الملٓئكة﴾ أي الذين طلبوا جهلا منهم إنزال بعضهم على وجه الظهور لهم، و أخبرناهم [أنهم - [1]] لا ينزلون إلا لفصل الأمور و إنجاز المقدور[2] / ﴿باسطوٓا ايديهم ج﴾ أي إليهم بالمكروه لنزع أرواحهم و سلّها وافية من أشباحهم كما يسل السفود[3] المشعب[4] من الحديد من الصوف [5]المشتبك المبلول[5]، لا يعسر عليهم تميزها من الجسد، و لا يخفى عليهم شيء منها في شيء منه، قائلين[6] ترويعا لهم و تصويرا للعنف و الشدة في السياق و الإلحاح و التشديد في الإزهاق من غير تنفيس و إمهال، و أنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط الملازم ﴿اخرجوٓا انفسكم ط﴾ فكأنهم قالوا: لما ذا يا رسل ربنا؟ فقالوا: ﴿اليوم﴾ أي هذه الساعة، و كأنهم عبروا به لتصوير طول العذاب ﴿تجزون عذاب الهون﴾ أي العذاب الجامع بين الإيلام العظيم و الهوان الشديد و الخزي المديد بالنزع و سكرات الموت و ما بعده في البرزخ - إلى ما لا نهاية له ﴿بما كنتم تقولون﴾ أي تجددون[7] القول دائما ﴿على الله﴾ أي الذي له جميع العظمة ﴿غير الحق﴾ أي غير القول المتمكن غاية التمكن في درجات الثبات، و لو قال بدله: باطلا، لم يؤد هذا المعنى، و لو قال: الباطل، لقصر عن المعنى أكثر، و قد مضى في المائدة ما ينفع هنا، و إذا نظرت إلى أن[8] السياق لأصول الدين ازداد المراد وضوحا ﴿وكنتم﴾ أي و بما كنتم ﴿عن ايٰته تستكبرون ۝﴾

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: القدور (٣) من ظ، و في الأصل: النفود - كذا. (٤) في ظ: المتشعب (٥-٥) في ظ: المتشبك المعلول (٦) زيدت الواو بعده في ظ (٧) من ظ، و في الأصل: تجدون (٨) سقط من ظ.

أي تطلبون الكبر للمجاوزة عنها، و من استكبر عن آية واحدة كان مستكبرا عن الكل، أي لو رأيت ذلك لرأيت أمرا فظيعا[1] و حالا هائلا شنيعا، و عبر بالمضارع تصويرا لحالهم .

و لما كانوا ينكرون أن يحس الميت شيئا بعد [الموت - [2]] أو يفهم ٥ كلاما ، وكان التقدير كما دل عليه السياق : فتوفاهم الملائكة ، لا يقدر أحد على منعهم ، فيقول لهم : قد رأيتم ملائكتنا الذين أخبرناكم أول السورة أنهم إذا أبصروا كان القضاء الفصل و الأمر البت الحتم الذى ليس[3] فيه مهل ، عطف عليه قوله مشيرا إلى ما كان سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال و التقوّى بالأموال : ﴿ و لقد جئتمونا ﴾ ١٠ أى لما لنا من العظمة بالموت الذى هو دال على شمول علمنا و تمام قدرتنا قطعا ، و دل على تمام العظمة و أن المراد بجيئهم بالموت[4] قوله[5] : ﴿ فرادى ﴾ أى متفرقين ، [ليس - [2]] أحد منكم مع أحد ، و منفردين[6] على كل شيء صدكم عن اتباع رسلنا ﴿ كما خلقنٰكم ﴾ أى بتلك العظمة التى[7] أمتناكم بها بعينها ﴿ اول مرة ﴾ فى الانفراد و الضعف ١٥ و الفقر ، فأين جمعكم الذى كنتم به تستكبرون ! ﴿ و تركتم ما خولنٰكم ﴾ أى ملكناكم[8] من المال و مكناكم[9] من إصلاحه نعمة عليكم لتتوصلوا[10] به إلى رضانا ، فظننتم أنه لكم بالأصالة ، و أعرضتم عنا [و - [2]] بدلتم ما دل

---

(١) فى ظ : قطعيا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: الموت (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : متفرقين (٧) فى ظ : الذى (٨) من ظ ، و فى الأصل : مكناكم (٩) فى ظ : ملكناكم (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ليتوصلوا .

عليه من عظمتنا بضد ذلك من الاستهانة بأوامرنا[1] ﴿ ورآء ظهوركم ﴾ فما أغنى عنكم ما كنتم منه تستكبرون.

و لما كانوا يعدون الأصنام آلهة، و يرجون شفاعتها، إما استهزاء، و إما فى الدنيا، و إما فى الآخرة - على تقدير التسليم لصحة البعث، قال تهكما بهم و استهزاء بشأنهم[2]: ﴿ و ما نرى معكم شفعآءكم ﴾ أى ٥ التى كنتم تقولون فيها ما تقولون ﴿ الذين زعمتم ﴾ أى كذبا و جراءة[3] و فجورا ﴿ انهم فيكم شركٰؤا ﴾ أى أن لهم فيكم نصيبا مع الله حتى كنتم تعبدونهم فى وقت الرخاء و تدعونه فى وقت الشدة، أرُوناهم لعلهم سترهم عنا ساتر أو حجبنا عنهم حاجب؛ ثم دل على بهتهم فى جواب هذا الكلام الهائل المرعب[4] حيرة و عجزا و دهشا و ذلا بقوله: ﴿ لقد تقطع ﴾ ١٠ أى تقطعا كثيرا.

و لما كان ذكر البين فى شيء يدل على قربه[5] فى الجملة و حضوره و لو فى الذهن، لأنه يقال: بينى و بين كذا كذا، و كان فلان بيننا، و نحو ذلك مما يدل على الحضور؛ قال منبها على زوال ذلك حتى بالمرور بالبال و الخطور[6] فى الذهن[7] لشدة الاشتغال ﴿ بينكم ﴾ فأسند ١٥ القطع المبالغ فيه[8] إلى البين، و إذا / انقطع البين تقطّع ما كان فيه من الأسباب التى كانت تسبب[9] الاتصال، فلم يبق لأحد منهم اتصال /٢٢٧

(١) فى ظ: مافيه امرنا - كذا (٢) فى ظ: لشانكم (٣) من ظ، و فى الأصل: جراه (٤) فى ظ: الموعب (٥) من ظ، و فى الأصل: قوته (٦) فى ظ: الحضور. (٧) من ظ، و فى الأصل: النصر (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: سبب.

بالآخر[١] ، لأن ما بينهما صار كالخندق بانقطاع نفس البين ، فلا يتأتى معه الوصول ، هذا على قراءة الجماعة بالرفع ، و هذا المثال[٢] معنى قراءة نافع و الكسائي و حفص عن عاصم بالنصب على الظرفية ؛ و لما رجع المعنى إلى[٣] تقطع الوصل ، بين سبب ذلك ، و هو زوال المستند الذى ٥ كانوا يستندون إليه فقال : ﴿ و ضل عنكم ﴾ أى ذهب و بطل ﴿ ما كنتم تزعمون ع ﴾ أى من تلك الأباطيل كلها .

و لما ثبتت[٤] الوحدانية و النبوة و الرسالة و تقاريع من تقاريعها ، و انتهى الكلام هنا إلى ما تجلى[٥] به مقام العظمة ، و انكشف له قناع الحكمة [و - ٦] تمثل نفوذ الكلمة ، فتهيأ السامع لتأمله ، و تفرغ فهمه ١٠ لتدبره ؛ قال دالا عليه مشيرا إليه ، معلما أن ما مضى أنتجه و أظهره لا بد و أبرزه ، مذكرا بآياته[٧] " و الذين يؤمنون بالأخرة " و بمحاجة إبراهيم عليه السلام ، مصرفا ما مضى أول السورة من دلائل الوحدانية على أوجه[٨] أخرى ، إعلاما بأن دلائل الجلال تفوق عدد الرمال ، و تنبيها على أن القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته و صفاته : ﴿ ان الله ﴾ أى ١٥ الذى له جميع صفات الكمال ، فهو[٩] قادر على كل ما يريد ﴿ فالق الحب ﴾ أى فاطره و شاقه عن الزروع[١٠] و النبات ، و عبر بذلك لأن الشيء قبل وجوده كان معدوما ، و العقل يتوهم و يتخيل من العدم ظلمة متصلة .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالاخرى (٢) من ظ ، و فى الأصل : المساك - كذا .
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ثبت (٥) من ظ ، و فى الأصل : بجلى - كذا .
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : باته (٨) فى ظ : وجه (٩) فى ظ : و هو (١٠) فى ظ : الزرع .

فاذا خرج من العدم المحض و الفناء الصرف فكأنه بحسب التخيل و التوهم شق[1] ذلك العدم ﴿ و النوى ﴾ أى و هو ما يكون داخل الثمار المأكولة كالتمر، و لا يكون مقصودا لذاته بفلقها عن الأشجار، و فى ذلك حكم و أسرار تدق عن[2] الأفكار، و تدل على كمال الواحد المختار[3]؛ قال الإمام الرازى ما حاصله: إن النواة و الحبة تكون فى الأرض الرطبة مدة، فيظهر الله فيها ٥ شقا فى أعلاها و آخر فى أسفلها، و تخرج الشجرة من الأعلى فتعلو و تهبط من الأسفل شجرة أخرى فى أعماق الأرض، هى العروق، و تلك الحبة أو[4] النواة سبب [و - [5]] أصل بين الشجرتين: الصاعدة والهابطة. فيشهد[6] الحس و العقل بأن طبع الصاعدة و الهابطة متعاكس، و ليس ذلك قطعا بمقتضى الطبع و الخاصية، بل بالإيجاد و الاختراع و التكوين[7] و الإبداع، و لا شك ١٠ أن العروق الهابطة فى غاية اللطافة و الرقة[8] بحيث لو دلكت باليد بأدنى قوة صارت كالماء، و هى مع ذلك تقوى على النفوذ فى الأرض الصلبة التى لا ينفذ فيها المسلة و السكين الحادة إلا باكراه عظيم، فحصول هذا النفوذ لهذه[9] الأجرام اللطيفة لا يكون قطعا إلا لقوة[10] الفاعل المختار، لا سيما إذا تأملت ظهور[11] شجرة من نواة صغيرة، [ثم - [5]] تجمع الشجرة طبائع مختلفة فى ١٥ قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة، و فى وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف كالعهن المنفوش، ثم يتولد من ساقها أغصانها، و من الأغصان أوراقها

---

(١) فى ظ: الشق (٢) فى ظ: على (٣) فى ظ: القهار (٤) فى ظ «و» (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) فى ظ: يشهد (٧) من ظ، و فى الأصل: السكون. (٨) فى ظ: الدقة (٩) من ظ، وفى الأصل: لهذا (١٠) فى ظ: بقوة (١١) من ظ، وفى الأصل: ظهوره.

أولا ثم أنوارها و أزهارها ثانيا، ثم [الفاكهة ثالثا، ثم قد يحصل - [1]]
للفاكهة أربعة أنواع من القشور، مثل الجوز و اللوز قشره الأعلى ذلك
الجرم الأخضر، و تحته القشر الذى كالخشب، و تحته القشر الذى كالغطاء
الرقيق المحيط باللبة، و تحته اللب المشتمل على جرم[2] كثيف هو أيضا
٥ كالقشرة، و على جرم[3] لطيف هو الزهر[4]. و هو المقصود بالذات، فتولدُ هذه
الأجسام المختلفة طبعا و صفة و لونا و شكلا و طعما[5] مع تساوى تأثيرات
الطبائع و النجوم و العناصر و الفصول الأربعة دالٌّ على القادر المختار بتلوه
فى الفرحة، و قد تجتمع [[1] - الطبائع الأربعة فى الفاكهة الواحدة كالأترج
قشره حار يابس و نوره حار يابس، و كذلك العنب قشره و عجمه يابس
١٠ حار رطب مع أنك تجد أحوالها مختلفة، بعضها لبه فى داخله و قشره فى
خارجه كالجوز و اللوز، و بعضها[6] يكون المطلوب منه فى الخارج و خشبه
فى الداخل كالخوخ و المشمش، و بعضه لا لب لنواه كالتمر، و بعضه
يكون كله مطلوبا كالتين، و اختلاف هذه الطبائع و الأحوال المتضادة
و الخواص المتنافرة حتى فى الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة، بل عن
١٥ الواحد المختار، و الحبوب مختلفة الألوان و الأشكال و الصور، فشكل
الحنطة كأنه[7] نصف مخروط، و شكل الشعير كأنه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما
و شكل الحمص على وجه آخر، و أودع سبحانه فى كل نوع منها
خاصية و منفعة غير ما فى الآخر، و قد تكون الثمرة غذاء[8] لحيوان

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: حزم (٣) فى ظ: تبرم - كذا (٤) من ظ، و فى الأصل: الدهن (٥) فى ظ: طمعا (٦) فى ظ: بعضه (٧) فى ظ: فانه (٨) فى ظ: عد - كذا.

و سمّا لحيوان آخر ، فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبائع و تأثيرات الكواكب
دالّ على أنها إنما حصلت بالفاعل المختار ، ثم إنك تجد فى ورقة الشجرة
خطا فى وسطها مستقيما نسبته لتلك الورقة نسبة النخاع إلى بدن الإنسان ،
ينفصل عنه خيوط مختلفة ، وعن كل واحد منها خيوط أخرى أدق
من الأولى ، و لا يزال على هذا النهج حتى تخرج الخيوط عن الحس ٥
و البصر ، كما أن النخاع يتفصل منه أعصاب كثيرة يمنة و يسرة فى البدن ،
ثم لا يزال يتفصل عن كل شعبة شعب أخرى ، و لا يزال يستدق حتى
تلطف عن الحس ، فعل سبحانه ذلك فى الورقة لتقوى القوى المذكورة
فى جرم تلك الورقة على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية فى تلك المجارى
الضيقة ، فهذا يعلمك أن عنايته سبحانه فى اتخاذ[1] جملة تلك الشجرة أكمل ، ١٠
فعنايته فى تكوين جملة النبات أكمل ، و هو إنما خلق جملة النبات لمصلحة
الحيوان فعنايته فى تخليق الحيوان أكمل ، و المقصود من تخليق جملة
الحيوان هو الإنسان فعنايته فى تخليقه أكمل ، و هو سبحانه إنما خلق الحيوان
و النبات فى هذا العالم ليكون غذاء و دواء للانسان بحسب جسده ،
و المقصود من جسده حفظ تركيبه لأجل المعرفة و المحبة و العبودية ، ١٥
فسبيلك أن تنظر فى ورقة الشجرة و تتأمل فى تلك الأوتار ثم تترق
منها إلى أوج تخليق الشجرة ثم إلى ما فوقها رتبة رتبة لتعلم أن المقصود
الأخير منها حصول المعرفة و المحبة فى الأرواح البشرية ، و حينئذ ينفتح[2]
لك باب من المكاشفات لا آخر له ، و يظهر لك أن نعم الله فى خلقك
غير متناهية " و ان تعدوا نعمت الله لا تحصوها[3] " ــ و الله الهادى . ٢٠

(١) فى ظ : اتحاد (٢) فى ظ : ينفح (٣) سورة ١٤ آية ٣٤ .

و لما كان فلقها[1] عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من النمو] فسر معنى الفلق و بينه إشارة إلى الاعتناء به وقتا بعد وقت بقوله : ﴿ يخرج ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار / تثبيتا لأمر البعث ﴿ الحى ﴾ أى كالنجم و الشجر و الطير و الدواب ﴿ من الميت ﴾ من الحب و النوى و البيض [2]و النطف[2] فكيف تنكرون[3] قدرته على البعث ؛ و لما انكشف معناه و بان مغزاه باخراج الأشياء من أضدادها لئلا يتوهم - لو كان [لا - [4]] يخرج عن شيء إلا مثله - أن الفاعل[5] الطبيعة و الخاصية ، عطف على "فالق" زيادة فى البيان قوله معبرا باسم الفاعل الدال على الثبات لأنه لا منازعة لهم فيه ، فلم تدع حاجة إلى التعبير بالفعل الدال على التجدد : ﴿ و مخرج الميت ﴾ أى من الحب و ما معه ﴿ من الحى ﴾ أى من النجم و ما معه .

و لما تقررت له سبحانه هذه الأوصاف التى لا قدرة أصلا لأحد غيره على شيء منها ، قال منبها لهم على غلطهم فى إشراكهم ، إعلاما بأن كل شريك ينبغى أن يساوى شريكه فى شيء ما من الأمر المشرك[6] فيه ، و لا مكافئ له سبحانه [و تعالى - [4]] فى شيء من الأشياء فلا شريك له بوجه : ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى المراتب المنيع المراقى هو[7] ﴿ الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده فلا يحق الإلهية إلا له ؛ و لما[8] كان هذا[8]

---

(١) فى ظ : فلعها (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : من الفطرة - كذا (٣) فى ظ : ينكر (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ : المشترك (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : هذا كان .

معنى

معنى الكلام، سبب عنه قوله: ﴿ فأنى ﴾ أى فكيف و من أىّ وجه ﴿ تؤفكون ﴾ أى تصرفون و تقلبون عما ينبغى اعتقاده.

و لما وصف سبحانه [و تعالى - [1]] نفسه المقدسة من فلق الجواهر بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال، و قدمه لكونه من أظهر أدلة القدرة على البعث الذى هذا أسلوبه، مع الإلف له بقربه و معالجته، أتبعه ٥ ما هو مثله فى الدلالة على الإحياء لكنه فى المعانى و هو سماوى، شارحا[2] لما أشار إليه الخليل عليه السلام فى محاجة قومه من إبطال إلٰهية كل من النور و الظلمة و الكواكب التى هى منشأ[3] ذلك، فقال ترقية من العالم السفلى إلى [العالم - [1]] العلوى: ﴿ فالق الاصباح ﴾ أى موجده، وحقيقته: فالق ظلمة الليل عن الصباح، لكنه لما كثر استعماله و أمن اللبس فيه أسند ١٠ الفعل إلى الصبح، كما يقال: انفجر الصبح، و انفجر عنه الليل، و يمكن أن يراد بالفلق الكشف، لأنه يكشف من المفلوق[4] ما كان خفيا، فعبر عن المسبب الذى هو الإظهار بالسبب الذى هو الفلق، و عبر عن الصباح بهذه الصيغة التى يقال للدخول فى الصبح لتصلح لإرادة فلق السكون بالنور[5] أو غيره عن التصرف بالحركة المترتبة على الدخول ١٥ فى الصبح، فدلنا ذلك على و جاعل الإصباح حركة و سادل الليل ﴿ و جاعل[6] الّيل ﴾ بما يكون من إظلامه ﴿ سكنا ﴾ يسكن الناس فيه و إليه و يستريحون فيه، فالآية من الاحتباك: حذف من الأول الحركة و دل

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: شارح (٣) من ظ ، و فى الأصل: منشاة (٤) من ظ ، و فى الأصل: المفاق (٥) فى ظ: بالندم (٦) و قراءة حفص: جعل - كما فى مصاحفنا.

عليها بالسكن، و حذف من الثانى السدل و دل عليه بالفلق، و هذا الفلق من أعظم الدلائل على قدرته سبحانه، و فيه دلالتان لأن[1] الإصباح يشمل[2] الفجر الكاذب و الصادق، و الأول أقوى دلالة لأن مركز الشمس إذا وصل إلى دائرة نصف الليل فالموضع - الذى تكون[3] تلك الدائرة أفقا
٥ له - تطلع الشمس من مشرقه، فيضيء فى ذلك الموضع نصف كرة الأرض، فيحصل الضوء فى الربع الشرقى من بلدتك، و يكون ذلك الضوء منتشرا مستطيرا فى جميع الجو، و يجب أن يقوى [4]لحظة فلحظة[4]، فلو كان الأول[1] من قرص الشمس لامتنع أن يكون خطا مستطيلا، بل كان يجب أن يكون مستطيرا فى الأفق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة، لكن ليس
١٠ هو كذلك، فانه يبدو كالخيط الأبيض الصاعد حتى شبهته العرب بذنب السرحان ثم يحصل عقبه ظلمة خالصة، ثم يكون الثانى الصادق المستطير فكان[5] الأول أدل على القدرة، لأنه بتخليق الله ابتداء تنبيها على أن الأنوار ليس لها وجود إلا بابداعه، و الظلمات ليس لها ثبات[6] إلا بتقديره.

و لما ذكر الضياء و الظلمة، ذكر منشأهما و ضم إليه قرينه فقال
١٥ عاطفا على محل "الّيل" / لأن 'جاعلا' ليس بمعنى المضيء فقط لتكون[7] الإضافة حقيقية، بل المراد استمراره فى الأزمنة كلها: ﴿ و الشمس ﴾ أى التى ينشأ[8] عنها كل منهما، هذا عن غروبها و هذا عن شروقها

٢٢٩ /

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: لشمس (٣) من ظ، و فى الأصل: يكون. (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: لحط فلحط - كذا (٥) فى ظ: لكان (٦) فى ظ: اثبات (٧) من ظ، و فى الأصل: ليكون (٨) من ظ، و فى الأصل: نشا.

﴿ و القمر ﴾ أى الذى هو آية الليل ﴿ حسبانا ﴾ أى ذوى حسبان وعلمين[1] [2]عليه، لأن[2] الحساب يعلم بدورهما [3]و سيرهما[3]، و بسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم فى الفصول الأربعة، فيكون عن ذلك ما يحتاج إليه من نضج الثمار و حصول الغلات، و عبر عنهما بالمصدر المبنى على هذه الصيغة البليغة إشارة إلى أن الحساب بهما أمر عظيم كبير[4] النفع كثير ٥ الدخول، مع ما له من[5] الدنيا فى أبواب الدين[6] فهو جل نفعهما الذى وقع التكليف به، فكأنه لما كان الأمر كذلك، كان حقيقتهما التى يعبر عنهما بها[7]، و أما غير ذلك من منافعهما فلا مدخل للعباد فيه.

و لما كان هذا أمرا باهرا و[8] وصفا قاهرا، أشار إليه بأداة البعد فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى التقدير العظيم الذى تقدم من الفلق و ما بعده ١٠ ﴿ تقدير العزيز ﴾ أى الذى لا يغالب فهو الذى قهرهما[9] على ما سيرهما[10] فيه، و غلب العباد على ما درّ من أمرهم بهما، فلو أراد أحد أن يجعل ما جعله من النوم يقظة و[11] اليقظة نوما، أو يجعل محل السكن للحركة أو بالعكس أو غير ذلك مما أشارت إليه الآية لأعياه ذلك ﴿ العليم ﴾ أى الذى جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتغير و ميزان قويم[12] لا يزيغ. ١٥

و لما ذكر ذلك، أتبعه منفعة أخرى تعمهما مع غيرهما مبينا ما أذن

---

(١) فى ظ: علما (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: على ان (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: كثير (٥) فى ظ: فى (٦) من ظ، و فى الأصل: الدنيا (٧) فى ظ: بهما (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل: قهره (١٠) من ظ، و فى الأصل: يشيرهما - كذا (١١) من ظ، و فى الأصل: او. (١٢) فى ظ: لقريم - كذا.

فيه من علم النجوم و منافعها فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى جعل ﴾ و لما كانت العناية [بنا - [١]] أعظم ، قدم قوله : ﴿ لكم النجوم ﴾ أى كلها سائرها و ثابتها و إن كان علمكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن الرسوخ و البلوغ فى علم السير [٢] للسيارة منها ﴿ لتهتدوا ﴾ أى لتكلفوا
٥ أنفسكم علم الهداية ﴿ بها ﴾ لتعلموا القبلة و أوقات الصلوات [٣] و الصيام و غير ذلك من منافعكم دنيا و دينا .

و لما كانت الأرض و الماء ليس لهما من نفسهما إلا الظلمة ، و انضمت إلى ذلك ظلمة الليل ، قال : ﴿ فى ظلمٰت البر ﴾ أى الذى لا عَلَم فيه ، و إن كانت له أعلام فانها قد تخفى ﴿ و البحر [٤] ﴾ فانه لا عَلَم به ، و الإضافة
١٠ إليهما للملابسة أو تشبيه الملتبس من الطرق و غيرها بالظلمة ؛ روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى فى جزء جمعه فى النجوم من طريق أحمد بن سهل الأشنانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا من النجوم ما تهتدون [٤] فى البر و البحر ثم انتهوا ، و تعلموا من الأنساب [٥] ما تصلون به [٦] أرحامكم و تعرفون ما يحل لكم [٧] و يحرم عليكم من النساء ثم انتهوا .
١٥ و فيه من طريق عبد الله بن الإمام أحمد فى زياداته على المسند عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا على ! أسبغ الوضوء و إن شق عليك ، و لا تأكل الصدقة و لا تنز [٨] الحمير على

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التسير (٣) من ظ ، وفى الأصل : الصلاة (٤) من ظ و روح المعانى ٢ / ٥٣٧ ، و فى الأصل : يهتدون (٥) فى ظ : الاسباب . (٦) فى ظ : اليه (٧) سقط من ظ (٨) من مسند الإمام أحمد ١ / ٧٨ ، و فى الأصل : لاتنز ، و فى ظ : لا سر - كذا .

الخيل[1]، و لا تجالس أصحاب النجوم . و فيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : لا تسألوا عن النجوم ، و لا تفسروا القرآن برأيكم ، و لا تسبوا أصحابي ، فان ذلك الإيمان المحض . و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن النظر في النجوم - رواه من طرق كثيرة ؛ و[2] عن عائشة ٥ رضي الله تعالى عنها مثله سواء ، و عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، و إذا ذكر القدر فأمسكوا ، و إذا ذكرت النجوم فأمسكوا - رواه من طرق و أسند عن قتادة قوله تعالى "و انهرا و سبلا[3]" قال : طرقا "و علمت[4]" قال : هي النجوم ، قال : ان الله عز و جل إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : ١٠ جعلها زينة للسماء ، و جعلها يهتدى بها ، و جعلها / رجوما للشياطين ، / ٢٣٠ فمن تعاطى فيها [شيئا -[5]] غير ذلك فقد أخطأ حظه و قال رأيه و أضاع نصيبه و تكلف ما لا علم له[6] به - في كلام طويل حسن ، [و هذا الأثر الذي عن قتادة أخرجه عنه البخاري[7] في صحيحه -[5]] ، و قال[8] صاحب كنز اليواقيت في استيعاب[9] المواقيت في مقدمة الكتاب : ١٥ واعلم أن العلم منه محمود ، و منه مذموم لا يذم لعينه ، إنما يذم في حق العباد لأسباب ثلاثة : أولها أن يكون مؤديا إلى ضرر كعلم السحر

---

(١) من ظ و المسند ، و في الأصل : الخليل (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ و آية ١٥ . (٤) سورة ١٦ آية ١٦ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ و صحيح البخاري - بدء الخلق ، و في الأصل : لنا (٧) زيد بعده في ظ : عنه ، و لا يناسب السياق فحذفناه . (٨-٨) من ظ ، و في الأصل : فقال (٩) من ظ ، و في الأصل : التبعات - كذا .

و الطلسمات و هو حق[1] إذ شهد القرآن به و أنه سبب التفرقة بين الزوجين ، و سحر النبي صلى الله عليه و سلم و مرض بسببه ، حتى أخبره[2] جبرئيل عليه السلام و أخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر - كما ورد فى الحديث الصحيح ؛ و معرفة ذلك من حيث أنه معرفة ليس مذموما ، ٥ [3]أو من حيث أنه لا يصلح إلا لإضرار بالخلق يكون مذموما[3]. و الوسيلة إلى الشر شر ؛ الثانى أن يكون مضرا بصاحبه فى غالب الأمر كالقسم الثانى من علم النجوم الأحكامى المستدل [به - [4]] على الحوادث بالأسباب كاستدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض ، و هو معرفة مجارى سنة الله و عادته فى خلقه ، و لكنه ذمه الشرع و زجر عنه لثلاثة ١٠ أوجه : أحدها أنه[5] يضر بأكثر الناس فانه إذا قيل : هذا الأمر لسبب سير الكواكب ، [6]وقر فى نفس الضعيف[6] العقل أنه مؤثر ، فينمحى ذكر الله عن قلبه ، فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط بخلاف العالم الراسخ ، فانه يطلع على [أن - [4]] الشمس و القمر و النجوم مسخرات ، و فرق كبير بين من يقف مع الأسباب و بين من يترقى إلى مسبب ١٥ الأسباب ، ثم [7] ذكر ما[7] حاصله أن السبب الثانى فى النهى عنه أنه تخمين[8] لا يصل إلى القطع ؛ و الثالث أنه لا فائدة فيه . فهو خوض فى

(١) فى ظ : احق (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ان (٦ - ٦) فى ظ : وقع الضعف - كذا (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : ذكره (٨) من ظ ، و فى الأصل : تحميق - كذا .

فضول، و أن السبب الثالث مما يذم [1]به ما يذم[1] من العلوم أنه مما لا تبلغه[2] عقول أكثر الناس و لا يستقل به، و لا ينكر كون العلم ضارا لبعض الأشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع - انتهى. و روى أبو داود و ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر ٥ زاد ما زاد. [[3]- و قال صاحب كتاب الزينة فى آخر كتابه بعد أن ذكر العيافة و الزجر و نحوهما، و يأتى أكثره عنه فى سورة الصّٰفّٰت: و روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: إياكم و النجوم! فانه تدعو إلى الكهانة، قال: هذه الأشياء كلها لها أصل صحيح، فمنها ما كانت من علوم الأنبياء مثل النجوم و الخط و غير ذلك، و لو لا الأنبياء الذين ١٠ أدركوا علم النجوم و عرفوا مجارى الكواكب فى البروج[4] و ما لها من السير فى استقامتها و رجوعها، بما قد ثبت و صح من الحساب فى ذلك بما لا ارتياب فيه، لما قدر الناس على إدراكه، و ذلك كله بوحى من الله عز و جل إلى أنبيائهم عليهم السلام، و قد روى أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم، و روى فى الخط أنه كان علم نبى من الأنبياء، ١٥ و لو لا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف و لا عرفوها].

و لما كانت هذه الآيات قد بلغت فى البيان حدا[5] علا عن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لا يتلقه - كذا. (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: البرزخ - كذا (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها.

طوق الإنسان و الملائكة و الجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت لحرا يتوقع فيه التنبيه عليه [فقال -[1]] : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة ﴿ الأيٰت ﴾ واحدة فى إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيع و المثال الرفيع ؛ و لما كانت من الوضوح فى حد لا يحتاج إلى كثير[2] ٥ تأمل قال : ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لهم قيام فيما إليهم ، و لهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب .

و لما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضى و السماوى ، أتبعه - كما مضى فى أول السورة - الخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت ، و هو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمفاوتة ١٠ أول الإبداع و آخر الآجال ما اعتقدوا فى النور و الظلمة و الشمس و القمر و غيرهما ، لأن واحدا[3] منها لا اختيار له فى شيء يصدر[4] عنه ، بل هو مسخر و مقهور كما هو محسوس و مشهور ، فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذىٓ انشاكم ﴾ أى و أنتم فى غاية التفاوت فى الطول و القد و اللون و الشكل و غير ذلك من الأعراض التى دبرها سبحانه ١٥ على ما اقتضته حكمته ﴿ من نفس واحدة ﴾ ثم اقتطع منها زوجها ثم فرّعكم منهما .

و لما كان أغلب الناس فى الحياة [الدنيا -[1]] يعمل عمل من لا يحول و لا يزول ، لا يكون على شرف الزوال ما دامت[5] فيه بقية

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : كبير (٣) من ظ ، و فى الأصل : احد (٤) فى ظ : يصد (٥) فى ظ : ما دام .

من

[من - ١] حياة ، [قال - ١] : ﴿ فمستقر ﴾ أى فسبب عن ذلك أنه منكم / مستقر على الأرض - هذا على قراءة ابن كثير و ابن عمرو بكسر القاف اسم فاعل ، و المعنى فى قراءة الباقين[2] بفتحه اسم مكان "و لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين[3]" .

/ ٢٣١

و لما كان من فى البرزخ قد كشف [عنهم - ١] الغطاء فهم موقنون بالساعة غير[4] عاملين على ضد ذلك ، و كذا من فى الصلب و الرحم ، عبر بما[5] يدل على عدم الاسقرار فقال : ﴿ و مستودع[6] ﴾ أى فى الأصلاب أو الأرحام أو فى بطن الارض ، [فدلت المفاوتة من كل منها - مع أن الكل من نفس واحدة - على القادر المختار - ١] ، لا يقدر غيره أن[6] يعكس شيئا من ذلك ، و كل ذلك مضمون الآيتين فى أول السورة ؛ و قدم الإصباح و الليل و متعلقهما لتقدمهما فى الخلق ، ثم تلاه بخلق الإنسان على حسب ما مرّ أول السورة ، و ذكر [هنا أنه جعل ذلك الطين نفسا واحدة فرّع الإنس كلهم منها مع تفاوتهم فيها - ١] هناك و فى غيره .

٥

١٠

و لما ذكر هذا المفرد[7] الجامع ، و فصّله على هذه الوجوه المعجبة ، كان محلا لتوقع التنبيه عليه فقال: ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الايٰت ﴾ أى أكثرنا بيانها فى هذا المفرد[7] الجامع فى أطوار الخلقة و أدوار الصنعة[8] ، تارة بأن يكون من التراب بشر ، و أخرى بأن يخرج الأنثى من الذكر ،

١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: الباق (٣) سورة ٢ آية ٣٦ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٥) من ظ ، و فى الأصل : لما (٦) فى ظ : لان (٧) فى ظ : الفرد (٨) فى ظ : الصنيعة .

و تارة بأن يفرّع من الذكر و الأنثى ما لا يحيط به العد[1] و لا يجمعه الخبر من النطفة إلى الولادة إلى الكبر .

و لما كان إنشاء الناس من نفس واحدة و تصريفهم على تلك الوجوه المختلفة جدا ألطف و أدق صنعة[2]، فكان ذلك محتاجا[3] إلى تدبر ٥ و استعمال فطنة و تدقيق نظر[4]، قال: ﴿ لقوم يفقهون ﴾ أى لهم أهلية الفقه و الفطنة .

و لما ذكر وجوه الإبداع التفريعى[5] من هذين الكونين و أسباب البقاء له بما ينشأ [عنه - ٦] الفصول[7] و غيرها ، أتبعه سببه القريب ، و هو الماء الذى جعل منه كل شيء حي ، فقال مفصلا ما أجمله فى الحب ١٠ و النوى ، سائقا له مساق الإحسان لما[7] قبله من الدلائل ، فان الدليل إذا كان على وجه الإحسان و مذكرا بالإنعام كان تأثيره فى القلب عظيما ، فينبغى للمشتغل بدعوة الخلق أن يسلك هذا المسلك [ليكون للقلوب أملك - ٦] : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذىٓ انزل ﴾ أى بقدرته و علمه و حكمته ﴿ من السمآء ﴾ أى الحقيقية التى تعرفونها كما دل عليه ١٥ صريح[8] العبارة و ما أشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الإشارة ﴿ مآء ج ﴾ أى منهمرا و دافقا .

و لما كان تفريع الخلق من الماء بمكان من العظمة لا يوصل إليه ، نبه عليه بالانتقال إلى التكلم فى[9] مظهر العظمة فقال: ﴿ فاخرجنا ﴾ أى على

---

(١) فى ظ : العدد (٢) فى ظ : صنيعة (٣) من ظ ، و فى الأصل : محتاج (٤) فى ظ : خبر (٥) فى ظ : التفريعى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : كما . (٨) من ظ ، و فى الأصل : صرح (٩) فى ظ « و » .

ما لنا من العظمة التي لا يدانيها أحد ﴿ به ﴾ أي الماء ﴿ نبات كل شيء ﴾ مختلفة[1] طعومه و ألوانه و روائحه و طبائعه و منافعه و هو بماء واحد ، فالسبب واحد و المسببات كثيرة منفتة[2] ، سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم و الشجر ، أو مجازيا من الأنثى و الذكر ؛ ثم سبب عن الحقيقي لظهوره قوله دالا على العظمة : ﴿ فاخرجنا منه ﴾ أي النبات ﴿ خضرا ﴾ أي ٥ شيئا أخضر غضا طريا ، و هو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة ؛ ثم زاد في بيان عظمته بقوله : ﴿ نخرج ﴾ أي حال كوننا مقدرين أن نخرج ﴿ منه ﴾ أي من ذلك الخضر ﴿ حبا متراكبا ﴾ أي في السنبل يركب بعضه بعضا [و يحرسه من أن يلتقطه الطير بعد ستره بالقشر بحسك طويل لطيف جدا كالإبر خشن -[3]] ، بعد أن كان أصله حبة واحدة ١٠ على صورتها ، أو منفتة في التراب بعد أن طوّره سبحانه في عدة أطوار ، إن فاعل ذلك لقادر مختار .

و لما كان نسبة الإخراج و الإبداع إليه سبحانه وحده في مظهر العظمة خصوصا و عموما ، فعلم أن الكل منه ، و صار الحال في حد من الوضوح جدير بأن يؤمن من نسبة شيء إلى غيره لا سيما الذي هم ١٥ له معالجون ، و بالعجز عن إبداعه عالمون ، و بدأ بما بدأ به أولا في آية الفلق من الحب ؛ ثنى بما من النوى ، فقال معبرا لذلك الأسلوب : ﴿ و من النخل ﴾ و تقديم الحب عليه هنا و فيما قبل يدل على أن الزرع أفضل منه ، فانه قوت في أكثر البلاد و لأغلب الحيوانات [و الغذاء

(١) من ظ ، و في الأصل : مختلفا (٢) في ظ : متفتة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

مقدم على الفاكهة - [١] ؛ [٢] فانها خلقت من طينة آدم[٢] ؛ ثم أبدل مما أجمل
من ذلك / قوله مبينا : ﴿ من طلعها ﴾ أى النخل ، و هو أول ما يخرج منها ٢/٣٢
[فى - [١]] أكمامه ﴿قنوان﴾ جمع قنو ، و هو العذق بالكسر للشمراخ و هو
الكباسة ، و العرجون عوده الذى يكون فيه البسر ﴿ دانية ﴾ أى قريبة
٥ التناول و إن طال أصلها بما علمكم و سهل لكم من صنعة[٣] الوصول إليها .

و لما لم يكن لهم من معالجة الأعناب و غيرها ما لهم من معالجة النخيل،
عطف على "نبات" منبها لهم على أنها - كالنخيل - هو سبحانه المتفرد
بابداعها [كما تقدم - فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى بساتين ﴿ من اعناب ﴾
و جمعها لكثرة أنواعها - [١]] ، و بدأ بهاتين الشجرتين لفضلهما[٢] كما تقدم
١٠ على غيرهما ، لأن ثمرهما فاكهة و قوت ، و قدم الأول لأنهم له أكثر
ملابسة[٣] ، [٤] و إن كان العنب أشرف أنواع الفواكه ، فانه ينتفع به
من أول ظهوره لأنه [أولا - [١]] يكون له خيوط [خضر - [٢]]
دقيقة حامضة لذيذة ، ثم تكون الحصرم ، و هو طعام شريف للأصحاء
و المرضى ، و قد يتخذ[٥] منه رُبّ الحصرم و أشربة لطيفة المذاق نافعة
١٥ لأصحاب الصفراء ، و يطبخ منه ألذ الأطعمة الحامضة ، و هو عنبا ألذ
الفواكه و أشهاها ، و يدخر عنبا قريبا من سنة ، و يكون زبيبه غذاء ،
و يكون منه الدبس و الخل و غير ذلك ، و أحسن ما فيه عجمه ،
و هو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للعدة[٦] الضعيفة الرطبة

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : صنيعة .
(٤) العبارة من هنا « الضعيفة الرطبة » تأخرت فى ظ عن « والرمان » .
(٥) فى ظ : يتحذر (٦) من ظ ، و فى الأصل : للعة .

[و قدم النخيل لأنها قوت للعرب ، و بينها و بين الإنسان مشابهة فى خواص كثيرة لا توجد فى النبات ، و لذا جاء فى الحديث « أكرموا عمتكم النخلة ، فانها خلقت من طينة آدم عليه السلام ، و ليس من الشجر يلقح غيرها » - رواه أبو يعلى و أبو نعيم فى الحلية و أبو الشيخ عن على رضى الله عنه - [1]] ؛ و أتبعهما ما يليهما فى الفضيلة فقال: ﴿ و الزيتون ﴾ [و - [1]] ٥ قدمه لكثرة نفعه ، و ينفصل منه دهن عظيم النفع فى الأكل و الضياء و سائر وجوه الاستعمال ﴿ و الرمان ﴾ [2]ختم به لحسنه و عظيم نفعه ، و هو مركب من أربعة أشياء: قشره و شحمه و عجمه و مائه ، فالثلاثة الأول باردة يابسة أرضية كثيفة عفصية قائضة جدا ، و الماء بضدها و هو ألذ الأشربة و ألطفها و أقربها إلى الاعتدال و أشدها مناسبة للطبع ١٠ المعتدل ، و فى ذلك تقوية للمزاج الضعيف ، و هو غذاء من وجه و دواء[3] من وجه .

و لما ذكر الأقوات من الثمار و الحبوب و الأدهان و أشرف الفواكه و أعمها ، و كانت أشبه شيء بالآدمى فى نشئه و بعثه و اتفاقه و اختلافه ، و كان اشتباه بعضها و اختلاف بعضها - مع كونها تسق[4] بماء ١٥ واحد و فى أرض واحدة - دالا على القدرة و الاختيار ، و كان السياق لإثبات الوحدانية و نفى الشريك باثبات كمال القدرة التى هى منفية عن غيره ، فلا يصح أن يكون له شريك ، لأنه لا يكون إلا مشابها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « من وجه » ساقطة من ظ (٣) فى الأصل و ظ : داء - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : يسقى .

لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه، و للبعث فكان المراد التفكر في ظواهرها و تقلباتها من العدم إلى الوجود و بعد الوجود، و لمحاجة[1] أهل الكتاب [2] الموسومين بالعلم[2] المنسوبين إلى حدة الأذهان و غيرهم من الفرق، و كان افتعل يأتي للتعريف[3]، و هو المبالغة في إثبات أصل
٥ الفعل و الاجتهاد في تحصيله و الاعتمال، فكان[4] حصوله إذا حصل أكمل[5]، قال[6] بانيا حالا[7] من كل ما تقدم: ﴿ مشتبها ﴾ أي في غاية الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز، فلو قطع ثمرتا شجرتين منه لم يتميز ثمرة هذه [8] من ثمرة هذه[8]، فلا يقابله حينئذ نفي التفاعل، فانه لمجرد مشاركة أمرين أو أكثر في أصل الفعل، فعلم أن التقدير: و غير
١٠ مشتبه و متشابها، ثم لما كان ربما تمسك القائل بالطبائع بهذه العبارة، نفي ما ربما ظن من أن لهذه الأشياء عملا في اشتباه بعضها ببعض فقال: ﴿ و غير متشابه ﴾ أي غير طالب للاشتباه مع أنه لا بد من شبه [ما - [9]]، فالآية من الاحتباك: أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده، و [هو - [9]] عدم التشابه[10]، و[11] لأجل أن الاشتباه أبلغ من
١٥ التشابه، علق الأمر بالنظر الذي هو أثبت الحواس، و دلالة على أن

(١) في ظ: بمحاجة (٢-٢) في ظ: الموتمين (٣) في ظ: للتعرف (٤) من ظ، و في الأصل: فيه كان (٥) من ظ، و في الأصل: المكر - كذا (٦) في ظ: حال (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ. (١٠) زدناه لاستقامة العبارة (١١) و العبارة من « فالآية » إلى هنا ساقطة من ظ (١٢) في ظ: او.

المراد إنما هو ظاهر ذلك ، لأنه كان فى الدلالة على البعث و التوحيد الذى هذا سياقه فقال : ﴿ انظروٓا الى ثمرة ﴾ و هذا بخلاف الحرف الثانى ، فانه فى[1] سياق الرد على العرب فيما يجعلون من خلقه لأصنامهم التى لا قدرة لها على شىء أصلا ، و لذلك ختم الآية[2] بالإذن لهم فى الأكل منه للانتهاء عما كانوا يحرمونه[3] منه على أنفسهم ، و بالأمر بالتصدق على من أمر بالصدقة عليه ، ٥ و أما الباطن الذى هو الأكل فسيأتى ؛ ثم نبه على تعميم النظر / فى جميع / ٢٢٣ حالاته بقوله : ﴿ اذآ اثمر ﴾ أى حين يبدو من كمامه ضعيفا قليل النفع أو[1] عديمه ﴿ و ينعه ﴾ أى و انظروا إلى إدراكه إذ أدرك و حان قطافه ، و يعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك ، لأنه يلزم من مراقبة الأول و الآخر ، فيعلم[4] استحالة ألوانه و مقاديره و طعومه و أشكاله و غير ذلك من ١٠ شؤنه و أحواله ، و يلزم من ذلك أيضا [النظر - [5]] إلى أشجاره ليعلم تفاوت بعضها و اشتباه البعض الآخر فى الطول و القصر و الصغر و الكبر و غير ذلك من سائر الأحوال ، كما أن ذلك موجود فى الثمر ، فاستناد هذه التبدلات و التغيرات ليس إلا إلى الفاعل المختار ، لأن نسبته إلى الطبائع و الفصول على حد[6] سواء ، فلو استندت إليها لم تتغير . ١٥

و لما كان اتخاذ هذه المذكورات أولا و المخالفة بين أشكالها و مقاديرها و ألوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية ، دل على عظمته بقوله [7]مستأنفا مشيرا[7] بأداة البعد و ميم الجمع : ﴿ ان فى ذلكم ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : بقوله (٣) من ظ ، و فى الأصل : يحرمون .
(٤) زيد بعده فى الأصل : من ذلك النظر فيما بين ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) زيد من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : مشيرا مستأنفا .

أى الأمر العظيم الشأن العالى الرتبة ﴿ لأيٰت ﴾ أى علامات على قدرة الصانع واختياره .

ولما كانت الآيات لا تغنى[1] عمن أريدت شقاوته قال: ﴿لقوم يؤمنون﴾ - أى حكم بأنهم - بحذقهم ونشاطهم وقوتهم[2] على ما يحاولونه - يجددون الإيمان كلما تأملوا فى مصنوعات الله [سبحانه وتعالى -[3]] الدالة عليه المشيرة بكل لسان إليه .

ولما كان المشركون على أصناف : منهم عبدة أصنام ، شركوا فى[4] العبودية لا فى الخلق ، ومنهم آزر [الذى حاجه إبراهيم عليه السلام -[3]] ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان : منهم من قال : هى[5] واجبة الوجود ، ومنهم من قال : ممكنة ، خلقها الله وفوض إليها تدبير هذا العالم الأسفل ، وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالأفول ، ومنهم من قال : لهذا العالم كله إلهان : فاعل خير ، وفاعل شر ، وقالوا : إن الله وإبليس أخوان ، فالله خالق الناس[6] والدواب والأنعام[6] ، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور ، ويلقبون الزنادقة وهم المجوس ، لأن الكتاب الذى زعم زردشت[7] أنه نزل من عند الله سمى بالزند[8] ، فالمنسوب إليه زندى[9] ، ثم عرب فقيل[10] : زنديق ، وكان هذا كله فى[11] قوله

(١) من ظ ، وفى الأصل : لايغنى (٢) من ظ ، وفى الأصل : قولهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ والبدء والتاريخ ٣/٧ ، وفى الأصل : رادشت - كذا (٨) فى ظ : بالزيد (٩) فى ظ : زيدى (١٠) فى ظ : فالمنسوب اليه - كذا . (١١) من ظ ، وفى الأصل : من .

" فالق الاصباح " شرحا لآية " إن الله فالق الحب [و النوى - ١] "
دلالة على تمام القدرة الدالة ٢ على الوحدانية للدلالة على البعث ؛ حسن
كل الحسن ٣ العود إلى تقبيح حال المشركين ٣ بالتعجيب منهم فى جملة
حالية من الضمير فى " فالق " أو ٤ غيره مما تقدم ، فقال تعالى شانا حا
أمر هذا الصنف ، لأن أمر غيرهم تقدم ؛ وقال ابن عباس رضى الله ٥
عنهما : إن هذه الآية [نزلت - ٥] فى الزنادقة : ﴿ ٦ و جعلوا ٦ ﴾ أى
هو سبحانه فعل هذا الذى لا بدع لمسا فى تمام علمه و قدرته و كمال حكمته
و وحدانيته و الحال أن الذى فعل ذلك لأجلهم قد جعلوا له و عبر بالاسم
الأعظم و قدمه استعظاما لأن يعدل به شيئا ﴿ لله ﴾ أى الذى له
جميع الأمر . ١٠

و لما كان الشرك فى غاية الفظاعة و الشناعة ، قدمه فقال : ﴿ شركآء ﴾
[يعنى و ما كان ينبغى أن يكون له شريك مطلقا ، لأن الصفة إذا ذكرت
مجردة غير مجراة على شيء كان ما يتعلق بها من النفى عاما فى كل ما يجوز
أن يكون له الصفة ، و حكم الإنكار حكم النفى . و لما اهتز السامع من
هذا التقديم لزيادة المعنى من غير زيادة اللفظ ، تشوف إلى معرفة النوع ١٥
الذى كان منه الشركاء - ١] فبينهم ٧ بقوله : ﴿ الجن ﴾ أى الذين هم [أجرأ - ١]

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الدال (٣-٣) تكرر
ما بين الرقمين فى الأصل (٤) فى ظ « و » (٥) زيد من روح المعانى ٢/٥٤١ .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ثم بينهم .

الموجودات عليهم و أعدامها[1] لهم، فأطاعوهم كما [2]يطاع الإله[2] فكان عبادة لهم و تشريكا. [و قد رأيت ما للبيان بعد الانتهاء عما يحسن للناظرين -[3]] ﴿ و خلقهم ﴾ [4]أى و الحال أنهم قد علموا أن الله خلقهم[4] [أى قدرهم بعلم و تدبير، فلذلك كان خلقه لهم محكما -[3]] ﴿ و خرقوا ﴾

٥ أى العابدون ﴿ له بنين ﴾ أى كعزير و المسيح ﴿ و بنت ﴾ أى من الملائكة، فجمعوا لذلك جهالات هى غاية فى الضلالات: وصف الملائكة بالأنوثة و الاجتراء[5] على مقام الربوبية بالحاجة، و تخصيصه بعد ذلك بما لا يرضونه لأنفسهم بوجه؛ و مادة ' خرق ' تدور على النفوذ و الاتساع و الإطلاق [و التقدير بغير علم و لا معرفة ليحدث عنه

١٠ الفساد، و لذلك قيل لمن لا يحسن العمل: خرق، و للمرأة: خرقاء -[3]]، يعنى أنهم كذبوا و اختلفوا و اتسعوا فى هذا / القول الكذب، [6]و أبعدوا[6] /٢٣٤ به فى هذه[7] المجاوزة عن حقيقته، اتساع من سار فى خرق أى برية واسعة بهماء و سوقة جوفاء[7] متباعدة الأرجاء إلى حيث لم يسبقه إليه بشر، فضل عن الجادة ضلالا لا ترجى معه هدايته إلا على بعد شديد،

١٥ فصار جديرا بالهلاك. و إلى ذلك يرجع معنى ما قرئ فى الشاذ: و حرفوا - بالمهملة و الفاء.

و لما لم يكن لقولهم أصلا حقيقة و لا شبهة[8]، [و كان الخرق التقدير

---

(١) فى ظ: اعدهم (٢ - ٢) فى ظ: يطيعوا الالهة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الاختيارات. (٦-٦) فى ظ: فابعدوا (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: شبهه - كذا.

بغير علم -[1]]، دل على ذلك [مصرحا بما أفهمه محققا له -[1]] تنبيها على الدليل القطعى فى اجتياح[2] قولهم من أصله[3]، و ذلك أنه قول لا حجة له، و مسائل أصول الدين لا يصار إلى شيء منها إلا بقاطع[4]، و ذلك بنكرة فى سياق النفى فقال: ﴿ بغير علم ﴾ ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها على ما يجب قوله على كل من سمع ذلك، فقال: ﴿سبحٰنه﴾ أى أسبحه سبحانا ٥ يليق بجلاله[5] أن يضاف إليه؛ و لما كان معنى التسبيح الإبعاد عن النقص، و كان المقام يقتضى كونه فى العلو[6]، صرح به فقال: ﴿ و تعٰلى ﴾ أى تباعد أمر علوه إلى حد لا حد له و لا انتهاء ﴿ عما يصفون ﴾.

و لما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك و الولد، استدل على ذلك التنزيه بأن الكل خلقه، محيط بهم علمه، و لن يكون المصنوع كالصانع، ١٠ فقال: ﴿ بديع السمٰوٰت و الارض ﴾ أى مبدعهما، و له صفة الإبداع، أى القدرة على الاختراع ثابتة، و من كان كذلك فهو غنى عن التوليد، فلذا حسن التعجب فى قوله: ﴿ انّٰى ﴾ أى كيف و من أىّ وجه ﴿ يكون له ولد ﴾ و زاد فى التعجيب بقوله: ﴿ و لم ﴾ أى و الحال أنه لم ﴿ يكن[7] له صاحبة و ﴾ الحال أنه ﴿خلق كل شيء ج ﴾ أى مقدور ١٥ ممكن من كل صاحبة تفرض[8]، و كل ولد يتوهم، و كل شريك يدعى فكيف يكون المبدع محتاجا إلى شيء من ذلك على وجه التوليد[9] أو غيره.

---

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل و ظ: احتياج (٣) فى ظ: اضله (٤) من ظ، و فى الأصل: بقطع (٥) فى ظ: بجاله (٦) فى ظ: العلوم (٧) هذه قراءة إبراهيم النخعى، و قرأ الباقون بالتأنيث، و فى ظ: لم يكن - كذا (٨) فى الأصل: تعريض، و فى ظ: يفرض (٩) فى ظ: التولد.

و لما كانت القدرة لاتتم إلا بشمول العلم قال: ﴿ و هو ﴾ و لم يضمر تنبيها على أن [١]عموم العلم[١] لا تخصيص فيه كالخلق فقال: ﴿ بكل شيء عليم ﴾ أي فهو على كل شيء قدير، لأن شمول العلم يلزمه تمام القدرة - كما يأتي برهانه إن شاء الله في طه، و من كان له ولد لم يكن محيط العلم ٥ و لا القدرة، بل يكون محتاجا إلى التوليد.

و لما ثبت أنه لا كفوء له بما ذكر من صفاته و أفعاله، و بين فساد أقوال المشركين، و فصل مذاهبهم على أحسن الوجوه، و بين فساد كل واحد منها بأمتن الحجج، فثبت بذلك ما افتتح السورة به من إحاطته بصفات الكمال، قال مشيرا إلى ذلك كله بمبتدأ خبر[٢] بعده[٣] أخبار: ١٠ ﴿ ذلكم ﴾ أي العالي الأوصاف جدا الذي لا حاجة له إلى شيء، وكل شيء محتاج إليه ﴿ الله ﴾ أي الذي له كل كمال ﴿ ربكم ج ﴾ أي الموجد لكم و المحسن بجميع أنواع الإحسان، فهي فذلكة ما قبلها و ثمرته، لأن من اتصف بذلك كان هو رب الكل وحده [و الخالق للجميع و استحق العبادة وحده -[٤]] فلذا أتبع ذلك قوله: ﴿ لآ إله الا هو ج ﴾ لأن المقام للتوحيد اللازم ١٥ للاحاطة بأوصاف الكمال التي هي معنى الحمد المفتتح به السورة، و ساق قوله: ﴿ خالق كل شيء ﴾ الذي هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك،

(١-١) من ظ، وفي الأصل: العموم (٢) من ظ، و في الأصل: اخبر، وزيد فيه بعده: عنه، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٣) من ظ، و في الأصل: بعد. (٤) زيد من ظ.

فلما

فلما أقام الدليل سبب عنه الأمر بالعبادة[1] فقال: ﴿ فاعبدوه ج ﴾ أي وحده، لأن من أشرك به لم يعبده، لأنه الغني المطلق، [2]و من كان له الغني المطلق[2] لا يحسن أن يقبل مشركا[3]، و ختم الآية بقوله: ﴿ و هو ﴾ و لما كان المقام لنفي احتياجه إلى شيء، قدم قوله: ﴿ على[4] كل شيء وكيل[5] ﴾ إشارة إلى أن الولد أو الشريك إنما يحتاجه العاجز المفتقر، و أما هو فهو ٥ القادر، و من سواه عاجز، و هو الغني و من سواه فقير، فكيف يحتاج[6] القدير [الغني - [7]] إلى العاجز الفقير، هذا ما لا يكون، و لا ينبغي أن يتخيله الظنون، و فيه إشارة إلى أن[8] العابد ينبغي أن يتفرغ / لعبادته / ٢٣٥ و يقطع أموره عن غير[9] وكالته، فانه يكفيه بفضله عمن سواه.

و لما كان كل والد وكل شريك لا بد أن يكون مجانسا لولده ١٠ و شريكه بوجه، وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه[10]، فقال: ﴿ لا تدركه ﴾ أي حق الإدراك بالإحاطة ﴿ الابصار ز ﴾ أي أن[8] من جعلتموه ولده أو شريكه هو مدرك بأبصاركم كعيسى و عزير عليهما السلام و الأوثان و النجوم و الظلمة و النور، و أما الملائكة و الجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كمن تقدمهم[11]، و إن كان ١٥

---

(١) في ظ: لعبادة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ: مشتركا.
(٤) تقدم في الأصل على «و لما كان» والترتيب من ظ (٥) زيد بعده في الأصل: الذي هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.
(٦) زيد بعده في الأصل: الفقراء، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، و في الأصل: غيره (١٠) في ظ: سرتهيه - كذا (١١) من ظ، و في الأصل: نفرضهم.

عن إخبار فهو عن الأنبياء ليس غير، و كل منهم مخبر بأنهم عباد الله كغيرهم، و أنه منزه عن شريك و ولد، و هذه كتبهم و صحاح أخبارهم شاهدة بذلك، [و - [1]] وراء ذلك كله أنهم بحيث يدركون بالأبصار في الجملة، ليس إدراكهم مستحيلا، و أما هـذا الإلـه العزيز فهو غير مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره إدراكا تاما، فيتأمله ناظره فيزنـه[2] و ينقده بالخبرة بما فيه من رضى و غضب و غيرهما، بما أبدته الفراسة و أوضحه التوسم، لأنه سبحانه متعال عن أن يحاط بـه، هذا على أنه من عموم السلب، و إن كان من سلب العموم فالمعنى أنه عزيز لا يراه كل أحد، بل يراه الخواص إذا أراد فكشف لهم الحجاب و أوجد لهم الأسباب ﴿ و هو ﴾ مع ذلك يدرككم، بل و ﴿ يدرك ﴾ ما لا تدركونه من أنفسكم ﴿ الابصارج ﴾ و هي القوى المودعة في عصبة العين لتدرك بها المبصرات ﴿ و هو اللطيف ﴾ عن أن يحيط[3] بـه الأبصار، لأنه يمنع الأسباب عن أن ينشأ[4] عنها مسبباتها، و يوجد أدق الأسباب و أغربها، فلا يستغرب عليه إدراك المعاني لأنه الذي أوجدها "ا لا يعلم من خلق[5]" و أصل اللطف دقة النظر في الأشياء ﴿ الخبير ه ﴾ أي المحيط بالأبصار، فاحاطته بأصحابهـا أجدر، و يتحقق[6] معنى الاسمين لتحقق[7] المعنى؛ قال الحرالي في شرح الأسماء: اللطف إخفاء التوسل إلى الشيء باظهار ما يضاده، و لا يتم إلا بخبرة، و لذلك نظم باسمه "الخبير"

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : فيرمه (٣) في ظ : تحيط (٤) في ظ : تنشأ .
(٥) سورة ٦٧ آية ١٤ (٦) من ظ، و في الأصل : بتحقيقه (٧) في ظ : بتحقيق .

لأنه

لأنه أخفى حكمتـــه[1] فى ظاهر يضادها، فاللطف مخبرة[2] فى حكمة[1]، و باسمه تعالى اللطيف أقام[3] أمر حكمته[1] ما بين الدنيا و الآخرة . و بذلك[4] أقام أمر أهل ولايته فى الدنيا لما جمع لهم من أمره فيها، فيبدو عزهم من وراء ذل، و يتراءى ذلهم و من دونه [عز -[5]]، فيسبق عزهم إلى القلوب مع تذللهم فى الحواس، و يؤل محسوسهم إلى عز فى عقبى الدنيا، ٥ و مبادرة الآخرة مع تأنس القلوب بهم، "ان ربى لطيف لما يشاء[6]" لما أراد أن يملكه مصر [و -[5]] جعل وسيلة ذلك استبعاده بها، و بحصول معناه بتمام الخبرة و الحكمة - و تلك إبداء الشىء فى ضــده - يتضح اختصاصه بالحق ، فهو الذى أطعم من جوع و آمن من خوف ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا، فهو تعالى اللطيف الذى لا لطيف إلا هو ، ١٠ ثم قال : الخبرة إدراك خبايا الأشياء و خفاياها بحيث لا يبدو منه خبيئة أمر[7] إلا كان إدراك الخبير سابقا[8] لبدوها ، و ذلك لا يتم إلا لمبديها[9] الذى هو يخرج خبأها[10]، و هو الذى يخرج الخبء فى السماوات و الأرض ، و مخبرة الخلق لا بد فيها من إظهار باد ينبئ[11] عن الخبء بمقتضى التجربة[12]، و إلا لم يصح لهم الخبرة ، كما قيل : مخبرة المرء فيما يبدو ١٥

(١) فى ظ : حكمه (٢) فى ظ : مخبر (٣) فى الأصل و ظ : العام - كذا (٤) فى ظ : كذلك (٥) زيد من ظ (٦) سورة ١٢ آية ١٠٠ (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : سائغ (٩) من ظ ، و فى الأصل : بمبديها (١٠) فى ظ : خبيثها (١١) فى ظ : تبنى (١٢) من ظ . و فى الأصل : التجريد .

من نطقه و ما يظهره اليوم و الليلة من عمله ، و الخبير الحق خبير بالشيء دون باد[1] يرى الظاهر خبيئة أمره ، [فهو - [2]] بالحقيقة الذى لا خبير إلا هو - [انتهى - [3]] .

و لما أكثر لهم[3] من إقامة الأدلة على وحدانيته ، و ختمها بهذا الدليل ٥ المحسوس الذى معناه أن [كل شريك ، كل ان يدرك شريكه و أباه ، وهو متناه عن أن يدركه ، أى يحيط به - [2]] أحد . ناسب أن يعظهم و يمدح الأدلة حثا[4] على تدبرها[5] . و جعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه - لنور قلبه و كمال عقله و صفاء لبه و غزارة علمه و شريف أخلاقه و استقامة غرائزه و بعد مدى همته عن أن ينسب إلى [6]جور أو[6] ١٠ / يرمى[7] بعناد - حقيق بأن يقول بعد إقامتها من غير تلعثم[8] تقريرا لأمر دعوته بعد تقرير المطالب العالية الإلهية : ﴿ قد جآءكم ﴾ .

/ ٢٣٦

و لما كانت الآيات - لقوتها[9] و جلالتها التى أشار إليها تذكير الفعل - توجب المعرفة فتكون سببا لانكشاف الحقائق الذى هو كالنور فى جلاء المحسوسات ، قال : ﴿ بصآئر ﴾ أى أنوار هى لقلوبكم بمنزلة الضياء ١٥ المحسوس لعيونكم ﴿ من ربكم ج ﴾ أى المحسن إليكم بكل إحسان ، فلا إحسان أصلا لغيره عندكم ، فاصعدوا عن النظر بالأبصار إلى الاعتبار

---

(١) فى ظ : جاد (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : حقا (٥) من ظ ، و فى الأصل : تدبيرها (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : جوار و - كذا (٧) فى ظ : يرضى (٨) من ظ ، و فى الأصل : تلقثم - كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : لقدرتها .

بالبصائر

بالبصائر ، و لا تهبطوا فى حضيض التقليد إلى أن تصلوا إلى حد لا تفهمون[1] معه إلا ما يحس بالأبصار بل ترقوا فى أوج المعرفة إلى سماوات الاجتهاد و جرّدوا لقطاع الطريق صوارم البصائر ، فانكم إن رضيتم بالدون[2] لم تضروا إلا أنفسكم ، و إن نافستم فى المعالى فاياها نفعتم . و لذلك سبب عن هذا النور الباهر و السر الظاهر قوله : ﴿ فمن ابصر ﴾ أى عمل بالأدلة ﴿ فلنفسه ج ﴾ أى خاصة إبصاره لأنه خلصها من الضلال المؤدى إلى الهلاك ﴿ و من عمى ﴾ أى لم يهتد بالأدلة ﴿ فعليها ط ﴾ أى خاصة عماه لأنه يضل فيعطب . ٥

و لما كان المعنى أنه ليس لى و لا لغيرى من إبصاره شيء ينقصه شيئا ، و لا علىّ و لا غيرى شيء من عماه ، كان التقدير : فانما أنا بشير و نذير ، عطف عليه قوله ﴿ و ما انا ﴾ و أشار إلى أن حق الآدمى التواضع و إسلام الجبروت و القهر لله بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليكم ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ بحفيظ ٥ ﴾ أى أقودكم[3] قسرا إلى ما ينجيكم ، و أمنعكم قهرا مما يرديكم . ١٠

و لما كان التقدير التفاتا إلى مقام العظمة إعلاما بأن التصرف كله بيده لئلا يظن نقص فى نفوذ الكلمة : فانظروا ما صرفنا لكم فى هذه السورة من الآيات و أوضحنا بها من شريف الدلالات ، لقد أتينا فيها بعجائب التصاريف و كشفنا عن غرائب التعاريف ، عطف عليه قوله : ١٥

---

(١) فى الأصل : لا يفهمون ، و فى ظ : لا تقومون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اقودكم .

﴿ وكذلك ﴾ أي ومثل هذا التصريف العظيم ﴿ نصرف ﴾ أي ننقل جميع ﴿ الأيٰت ﴾ من حال إلى حال في المعاني المتنوعة سالكين من وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القُدَر لتحير ألباب [1] المارقين وتطلس[1] أفكار المانعين، علما منهم بأنهم عجزة عن الإتيان بما يدانيها [فتلزمهم الحجة -[2]] ﴿ وليقولوا ﴾ اعتداء لا عن ظهور عجزهم ﴿ دارست[3] ﴾ أي غيرك من أهل الكتاب أو غيرهم في هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام وتم لك هذا التمام، فيأتوا ببهتان بيّن عواره ظاهرة أسراره، مهتوكة أستاره، فيكونوا كأنهم قالوا: إنك أتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيئا، فيعلم كل موفق أنهم ما رضوه لأنفسهم مع ادعاء الصدق والمنافسة في البعد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الحيرة وتناهي الدهشة وإعواز القادح[4]، [و -[2]] الحاصل أنه أتى به على هذا المنهاج الغريب والأسلوب العجيب ليعمى ناس[5] عن بينة[6] ويبصر آخرون، وهم المرادون بقوله: ﴿ ولنبينه ﴾ أي القرآن لأنه المراد بالآيات المسموعة ﴿ لقوم يعلمون ۝ ﴾ أي أن المراد من[7] الإبلاغ في البيان أن يزداد الجهلة به جهلا، ويهتدي من كان للعلم أهلا، فلا يقولون: "دارست" بل يقولون: إنه من عند الله، فالآية من الاحتباك: إثبات ادعاء المدارسة أولا يدل على نفيها

(١-١) من ظ، وفي الأصل: المارين وينطلس (٢) زيد من ظ (٣) هذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأما في مصاحف بلادنا فثبت «درست» (٤) في ظ: القادح (٥) من ظ، وفي الأصل: الناس (٦) في ظ: بينه - كذا (٧) في ظ: في.

ثانيا، و إثبات العلم ثانيا يدل على عدمه أولا، و هى من معنى "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[1]".

و لما انكشف بهذا فى أثناء الأدلة و تضاعيف البراهين أن القرآن كنز لا يلق مثله كنز، و عز لا يدانيه عز، و أنه فى الذروة التى تضاءلت دونها سوابح الأفكار، و كلت عن التماعها نوافذ الأبصار، و ختم بأن المراد بالبيان العلماء، ناسب [له - [2]] أن ينبه على ذلك لئلا يفتر عنه طعنهم / بقولهم "دارست" و نحوه، فقال مخصصا له صلى الله عليه و سلم بالخطاب إعلاما بأنه العالم على الحقيقة: ﴿ اتبع ﴾ أى أنت و من تبعك ﴿ مآ اوحى اليك ﴾ أى[3] فالزم العمل به؛ ثم أكد مدحه بقوله: ﴿ من ربك ج ﴾ أى المحسن إليك بهذا البيان؛ ثم[3] علل ذلك بقوله: ﴿ لآ اله الا هو ﴾ أى فلا يستحق غيره أن يتبع له أمر، و لا يلتفت إليه فى نفع و لا ضر ﴿ و اعرض عن المشركين ﴾ أى بغير التبليغ، فانه ما عليك غيره، و مزيد حرصك على إيمانهم لا يزيد من أريدت[4] شقوته إلا تماديا فى إشراكه و ارتباكا[5] فى قيود أشراكه.

و لما كان الحبيب أسر شئ بما يزيده حبيبه، قال مسليا[6] له[7] صلى الله عليه و سلم عن استهزائهم به و ردهم لقوله، عاطفا[8] على

---

(١) سورة ٢ آية ٢٦ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: ارتدت (٥) من ظ، و فى الأصل: اباكا - كذا (٦) فى ظ: ساليا. (٧) يدز بعده فى ظ: رسول الله (٨) فى ظ: عطفا.

ما تقديره : فلو شاء الله ما خالفوك و لا [تكلموا فيك - [1]] بنت شفة [2] : ﴿ و لو شآء الله مآ اشركوا ط ﴾ أى ما وقع منهم إشراك أصلا ، فقد أراد لك من الوقوع فيك ما أراده لنفسه ، فليكن لك فى ذلك مسلاة .

٥ و لما كان التقدير : فانه سبحانه حفيظ عليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما جعلنٰك ﴾ أى بعظمتنا ، و أشار إلى أن العلو ليس بغير الله سبحانه فقال : ﴿ عليهم حفيظا ج ﴾ أى تحفظ [3] أعمالهم لئلا يكون منها ما لا يرضينا فتردهم [4] عنه قسرا ﴿ و مآ انت ﴾ [5] و قدم [5] ما هو أعم من نفى التحقق [6] بالعلو المحيط القاهر الذى هو خاص بالإله [7] فقال :

١٠ ﴿ عليهم بوكيل ه ﴾ أى [8] فتأخذ [9] الحق منهم قهرا ، و تعاملهم بما يستحقونه خيرا أو شرا ، إنما أنت مبلغ عنا ، ثم الأمر فى هدايتهم و إضلالهم إلينا .

و لما طال التنفير عما اتخذ من دونه من الأنداد و البنات [10] ، لأنها أقل من ذلك و أحقر ، كان ذلك ربما كان داعية إلى سبها ، فنهى عنه لمفسدة يجرها السب كبيرة جدا ، فقال عاطفا على قوله " و اعرض

١٥ عن المشركين " غير مواجه له وحده صلى الله عليه و سلم إكراما له : ﴿ و لا تسبوا ﴾ و لما كانت الأصنام لا تعقل ، و [8] كان [11] المشركون

---

(١) زيد من ظ (٢) يقال : ما كلمته بنت شفة ، أى بكلمة ، و العبارة من هنا إلى « أراده لنفسه » سقطت من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يحفظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : فيردهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : التحقيق (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) فى الأصل : فياخذ ، و فى ظ : لياخذ (١٠) فى ظ : البيان (١١) من ظ ، و فى الأصل : من .

 يزعمون

يزعمون بها العقل و العلم ، و يسندون إليها الأفعال[1] ، أجرى الكلام على زعمهم لأنه فى الكف عنها فقال : ﴿ الذين يدعون ﴾ أى دعاء عبادة من الأصنام أو غيرهم بذكر ما فيهم من النقص[2]، ثم بين دفعا لتوهم إكرامهم أنهم فى سفول بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له عدلا ، بعلم[3] منكم بما لهم[4] من المعايب[4] ، بل أعرضوا عن غير دعائهم إلى الله حتى [عن -[5]] ٥ سب[6] آلهتهم بما تستحقه[7] ، فانا زينا لهم أعمالهم فغرقوا[8] مع غزارة عقولهم فيما لا[9] يرتضيه عاقل ، وكذبوا بجميع الآيات الموجبة للايمان ، فربما جرهم سبكم لها - لما عندهم من حمية الجاهلية - إلى ما لا يليق ﴿ فيسبوا ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن يسبوا ﴿ الله ﴾ أى الذى تدعونه و له الإحاطة بصفات الكمال ، و أظهر تصريحا بالمقصود و إعظاما لهذا الأمر و تهويلا ١٠ له و تنفيرا[10] منه .

و لما كان الخنو يوجب الإسراع ، أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ عدوا ﴾ أى جريا إلى السب ؛ و لما كان العدو قد يكون مع علم ، قال مبينا لأنه يراد به مع الإسراع أنه مجاوز للحد : ﴿ بغير علم ﴾ لأنا زينا لهم عملهم ، فالطاعة إذا استلزمت وجود منكر عظيم احترز منه ١٥ و لو أدى الحال إلى تركها وقتا ما ، لتحصل القوة على دفع ذلك المنكر ، فحكم الآية باق و ليس بمنسوخ .

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : البغض (٣) فى ظ : يعلم (٤ - ٤) فى ظ : له من الغايب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : سبب (٧) فى ظ : يستحقه (٨) فى الأصل : فعرفقوا ، و فى ظ : فرضوا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : تنفير .

و لما كان ذلك شديدا على النفس ضائقا به[1] الصدر ، اقتضى الحال أن يقال : هل هذا التزيين [2]مختص بهؤلاء[2] المجرمين أم كان لغيرهم من الأمم مثله ؟ فقيل : ﴿ كذلك ﴾ أي بل[3] كان لغيرهم ، فانا مثل ذلك التزيين الذى زينا لهؤلاء ﴿ زينا لكل امة ﴾ أي طائفة عظيمة مقصودة ﴿ عملهم ص ﴾ أي القبيح الذى أقدموا عليه بغير علم بما نخلقه[4] فى قلوبهم من المحبة[5] له ، ردا منا لهم بعد العقل الرصين أسفل سافلين ، حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن لتبين قدرتنا ؛ فكان فى ذلك أعظم تسلية و تأسية و تعزية ، و الآية من الاحتباك : إثبات " بغير علم " / أولا دال على حذفه ثانيا ، و إثبات التزيين ثانيا دليل على حذفه أولا .

٢٣٨ /

و لما كان سبحانه طويل الأناة عظيم الحلم ، وكان الإمهال ربما كان من[6] جهل بعمل العاصى ، نفى ذلك بقوله : ﴿ ثم ﴾ أي بعد طول الإمهال ﴿ الى ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بالحلم عنهم و هم يتقوون بنعمه على معاصيه ، لا إلى غيره ﴿ مرجعهم ﴾ أي بالحشر الأعظم ﴿ فينبئهم ﴾ أي يخبرهم إخبارا عظيما بليغا ﴿ بما ﴾ أي بجميع [ما-[7]] ﴿ كانوا يعملون ه ﴾ أي على سبيل [8]التجدد و[8] الاستمرار بما فى جبلاتهم من الداعية إليه [و إن ادعوا أنهم عاملون على مقتضى العلم -[9]] .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بداء (٢-٢) فى ظ : الذى زينا لهؤلاء - كذا (٣) زيد بعده فى الأصل : لقبيح ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : يخلفه . (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ .

و لما نصب سبحانه هذه الدلالات فى هذه الآيات البينات حتى ختمها بما علم منهم من الإسراع إلى سب من أحسن إليهم بأن أوجدهم وأوجد لهم كل ما فى الكون، و ما من[1] نعمة عليهم إلا و هى منه، عجب منهم فى الوعد بالإيمان على وجه التأكيد بما يأتيهم من مقترحاتهم إعلاما بأن ذلك مما زين لهم من عملهم، و هى أمنية[2] كاذبة و يمين حانثة ٥ فقال عاطفا على "و جعلوا لله شركاء الجن": ﴿و اقسموا﴾ أى المشركون ﴿بالله﴾ أى الذى لا أعظم منه ﴿جهد ايمانهم﴾ أى باذلين فيها جهدهم حتى كأنها هى جاهدة، و وطأ للقسم فقال: ﴿لئن جآءتهم اٰية﴾ أى من مقترحاتهم، و تلقى القسم بقوله: ﴿ليؤمنن بها﴾.

و لما كانوا بهذا ظالمين من[3] أجل أنهم طلبوا من الرسول ما ليس ١٠ إليه بعد إتيانه من المعجزات بما أزال معاذيرهم، و أوجب[4] عليهم الاتباع، نبه على ذلك بقوله مستأنفا: ﴿قل﴾ [أى ردا لتعنتهم -[5]] ﴿انما الأيٰت﴾ أى هذا الجنس ﴿عند الله﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال، و ليس إلىّ و لا إلى غيرى شىء من هذا الجنس ليفيد الاقتراح [6]شيئا غير إغضابه[6].

و لما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شىء أصلا، فلا يصح له ١٥ أن يحكم [على -[5]] آت أصلا لا من [7]أفعاله و لا من[7] أفعال غيره، قال منكرا عليهم ملتفتا إلى خطابهم إشارة إلى أنهم حقيقون بالمواجهة بالتبكيت: ﴿و ما﴾ أى و أىّ شىء ﴿يشعركم﴾ أى أدنى شعور بما

(١) سقط من ظ (٢) فى الأصل: امسه، و فى ظ: امنعة (٣) من ظ، و فى الأصل: منه (٤) من ظ، و فى الأصل: و اجب (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) من ظ، و فى الأصل: سبا عن اعقابه - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

أقسمتم عليه من الإيمان عند مجيئها حتى يتوهموه أدنى توهم فضلا عن الظن فكيف بالجزم و لا سيما على هذا الوجه ! ثم علل الاستفهام بقوله مبينا أنه لا فائدة فى الإتيان بالآية المقترحة : ﴿ انهآ ﴾ بالفتح فى قراءة نافع و ابن عامر و شعبة فى رواية عنه و حفص و حمزة و الكسائى ، فكان ٥ كأنه قيل : أنكرت عليكم[1] لأنها ﴿ اذا جآءت لا تؤمنون[2] ه ﴾ بالخطاب فى قراءة ابن عامر و حمزة ، و الالتفات إلى الغيبة فى قراءة غيرهم للاعلام بأنهم بعيدون من الإيمان فهم أهل للاعراض عنهم لما استحقوا من الغضب ، و التعليل عند من كسر " انها " واضح .

و لما كان التقدير : فانا نطبع على قلوبهم ، و نزين لهم سوء أعمالهم ، ١٠ عطف عليه[3] قوله : ﴿ و نقلب ﴾ [أى بما لنا من العظمة - [4]] ﴿ افئدتهم ﴾ أى قلوبهم حتى لا يهتدوا بها ﴿ و ابصارهم ﴾ حتى لا ينفعهم [5]الإبصار بها[5] ، فلا يعتبرون فلا يؤمنون ﴿ كما لم يؤمنوا بهٓ ﴾ أى بمثل ذلك ﴿ اول مرة ﴾ أى عند إتيان الآيات التى قبل تلك [﴿ و نذرهم ﴾ أى نتركهم - [4]] ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود ﴿ يعمهون ع ﴾ أى يديمون التحير ١٥ على أن الحال لما فيه من الدلالة [6]لا يقتضى حيرة بوجه . و لما أخبر أنهم لا يؤمنون عند آية مقترحة عمم[6] على وجه مفصل لإجمال ما قبله فقال :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٢) فى الأصل و ظ : لا يومنون ، و ما أثبتناه أولى (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٤) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦-٦) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن « ما قبله » و الترتيب من ظ .

و لو

﴿ ولو اننا ﴾ أى على عظمتنا البالغة بما أشار إليه جمع النونات ﴿ نزلنآ[1] ﴾ أى على وجه يليق بعظمتنا ﴿ اليهم[2] الملٓئكة ﴾ أى كلهم فرأوهم عيانا ﴿ وكلمهم الموتى[3] ﴾ أى كذلك ﴿ وحشرنا عليهم ﴾ أى [بما -[4]] لنا من العظمة ﴿ كل شىء قبلا ﴾ جمع قبيل جمع قبيلة [فى قراءة من ضم القاف والباء كرغيف ورغف -[4]]، أى جاءهم ذلك ٥ المحشور كله قبيلة [قبيلة -[4]] تترى ومواجهة ﴿ ما كانوا ليؤمنوآ ﴾ أى على حال من الأحوال ﴿ الآ ان يشآء الله ﴾ أى إلا حال مشيته لإيمانهم لأنه الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه، فاذن لاعبرة إلا بمشيته، فالآية دامغة لأهل[5] / القدر[6]، ولا مدخل لآية ولا غيرها فى ذلك، / ٢٣٩ فلا يطمع أحد فى إيمانهم بغير ذلك، ويقرب عندى - وإن بَعُد ١٠ المدى - أن يكون "واقسموا" معطوفا على قوله تعالى "وقالوا لو لا انزل عليه اية من ربه" وهذا من المتعارف فى كلام البلغاء أن يحكى الإنسان جملة من كلام خصمه، ثم يشرع فى توهينها أو يخرج إلى أمور - يجرّها المقام - كثيرة الأنواع طويلة الذيول جدا، ثم يحكى جملة أخرى فيقول معجبا منه: وقال كذا وكذا، ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من النقد[7] ١٥ والرد، ومما يؤيد ذلك توحيد ختمها، ختم الأولى "ولكن اكثرهم لا يعلمون[8]" وختم هذه ﴿ ولكن اكثرهم يجهلون ۝ ﴾ أى أهل جهل

(١) فى ظ: اليهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ والقرآن الكريم، وموضعه فى الأصل بياض (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: لجميع (٦) من ظ، وفى الأصل: القدرة. (٧) من ظ، وفى الأصل: البعد (٨) راجع آية ٣٧.

مطبوعون فيه ، يقسمون على الإيمان عند مجيء آية مقترحة و لا يشعرون أن المانع لهم من الإيمان إنما هو المشيئة و إلا لآمنوا بما جاءهم من الآيات ، فانه كفاية فى المبادرة إلى الإيمان ، و الآيات كلها متساوية الأقدام فى الدلالة على صدق الداعى بخرق العادة[1] و العجز عن الإتيان بمثلها .

٥ و لما كان مضمون ما تقدم إثبات عداوة الكفار للنبى صلى الله عليه و سلم ،كان كأنه قيل تسلية له و تثبيتا لفؤاده : فقد جعلناهم[2] أعداء لك لأنك عالم ، و الجاهلون لأهل العلم أعداء ﴿و كذلك﴾ أى و مثل ما جعلنا لك أعداء من كفار الإنس و الجن ﴿جعلنا لكل نبى ﴾ أى ممن كان قبلك ، و عبر عن الجمع بالمفرد - و[3] المراد به الجنس - إشارة إلى أنهم يد واحدة ١٠ فى العداوة فقال: ﴿عدوا ﴾ و بين أن المراد به الجنس ، و أنهم أهل الشر فقال مبدلا : ﴿ شيطين ﴾ أى أشرار[4] ﴿ الانس و الجن ﴾ المتمردين منهم ، و ربما استعان شيطان الجن شيطان الإنس لقرب قلبه منه ، أم[5] يكون نوعه إليه أميل ، و أشار إلى هوان أمرهم و سوء عاقبتهم بقوله : ﴿ يوحى بعضهم ﴾ أى الشياطين من النوعين ﴿ الى بعض ﴾ أى يكلمه ١٥ فى خفاء ﴿ زخرف القول ﴾ أى مزينه و منمقه .

و لما كان هذا يدل على أنه - لكونه لا حقيقة له - لو لا الزخرفة ما قبل ، زاده بيانا بقوله: ﴿ غرورا ﴾ أى لأجل أن يغروهم بذلك ، أى يخدعوهم فيصيروا لقبولهم كلامهم كالغافلين الذين شأنهم عدم التحفظ ،

(١) فى ظ : الآية (٢) فى ظ : جعلنا (٣) سقطت الواو من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : شرار (٥) فى ظ : ثم .

و الغرور هو الذى يعتقد[1] فيه النفع و ليس بنافع .

و لما كان أول الآية معلما أن هذا كان[2] بمشيئة الله و جعله ، أيد ذلك و مكنه فى آخرها بأنه لو شاء ما كان ، و كل ذلك غيرة[3] على مقام الإلهية و تنزيها لصفة الربوبية أن يخرج شىء عنها فيدل على الوهن ، و يجر قطعا إلى اعتقاد العجز ، فقال: ﴿ و لو شآء ﴾ و لما كان فى بيان ٥ أعدائه صلى الله عليه و سلم و المسلطين عليه ، أشار[4] إلى أن ذلك لإكرامه و اعزازه ، لا لهوانه ، فقال : ﴿ربك﴾ أى بما له إليك من حسن التربية و غزير الإحسان مع ما له من تمام العلم و شمول القدرة ، أن لا يفعلوه ﴿ ما فعلوه ﴾ أى هذا الذى أنبأتك به من عداوتهم و ما تفرع عليها[5] .

و لما قرر أن هذا من باب التربية فعاقبته إلى خير ، سبب[6] عنه ١٠ قطعا قوله : ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على أىّ حالة اتفقت ﴿و ما يفترون ه﴾ أى يتعمدون[7] كذبه و اختلاقه ، و اذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم أن الذى سلطهم على هذا فى غاية الرأفة بك و الرحمة لك و حسن التربية كما [لا -[8]] يخفى عليك ، فثق به و اعلم أن له فى هذا لطيف سريرة تدق عن الأفكار ، بخلاف الآيات الآتية التى عبر فيها باسم الجلالة ، ١٥ فانها[9] فى عظيم تجرؤهم على مقام الإلهية .

و لما كان التقدير : ذرهم لتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالآخرة

---

(١) فى ظ : يتقنه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عبرة (٤) من ظ ، و فى الأصل: اشارة (٥) فى ظ : عليهم (٦) فى ظ : تسبب (٧) فى ظ : يتعمد (٨) زيد من ظ .
(٩) فى ظ : فانه .

و ليسخطوه ، و ليعلموا ما هم له مبصرون [و - [1]] به عارفون ، فترفع بذلك درجاتهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتصغىٓ ﴾ أى تميل ميلا قويا تعرض[2] به ﴿ اليه ﴾ أى كذبهم و ما فى حيزه ﴿ افئدة ﴾ أى قلوب ﴿ الذين لا يؤمنون بالأخرة ﴾ أى ليس فى طبعهم الإيمان بها لأنها غيب ،
٥ وهم لبلادتهم واقفون مع الوهم ، /و لذلك استولت عليهم الدنيا التى هى أصل الغرور ﴿ و ليرضوه ﴾ أى بما تمكن من ميلهم إليه ﴿ و ليقترفوا ﴾ أى يفعلوا بجهدهم ﴿ ما هم مقترفون ۝ ﴾ و هذه الجمل[3] - كما نبه عليه أبو حيان - على غاية الفصاحة . لأنه أولا يكون الخداع[4] فيكون الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف[5] ، فكأن كل واحد مسبب[6] عما قبله .

١٠ و لما كان فيما تقدم الإخبار عن مغيب ، و هو أنهم لا يؤمنون عند مجيء الآيات المقترحة ، و كانت عادة العرب دعاء الأعداء و المخالفين إلى حاكم يفصل بينهم ، و كانوا إنما يفزعون فى الأمور المغيبة إلى الكهان لما كانوا يكشفون لهم بما يقذف اليهم إخوانهم من الجان مما يسترقونه من السمع ، فيزيدونه كذبا كثيرا ، ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل
١٥ الذى يصدقون فيه - كما ابتلينا به فى هذا الزمان من الافتتان بمن يفعل مثل ذلك من المجانين و المتشبهين[7] بهم ، و كانت الآيات التى فرغ منها

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعوص (٣) من ظ ، و فى الأصل الجملة (٤) من البحر المحيط ٤/ ٢٠٨ ، و فى الأصل و ظ : الخدع (٥) فى ظ : الافتراق (٦) من البحر ، و فى الأصل : مسببا ، و فى ظ : سببا - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : المشبهين .

قد

قد[1] أثبتت أن اتخاذهم غرور، سبب[2] عن ذلك وجوب نفي اتخاذهم[3] غيرَ الله لما اتصف به من إيحاء ما خالف إيحاءهم، ففات القوى[4] في إخباره[5] عن حقائق الأمور مفصلة أحسن تفصيل في أساليب قصرت دونها سوابق الأفكار، وكعّت عنها نوافذ الأفهام، فثبتت به[1] نبوته وصحت رسالته، فكان اقتراحهم ظاهرا في كونه تعنتا لأنهم كذبوا بأعظم الآيات: القرآن، ٥
ولم يؤمنوا به، وطعنوا فيه بما[6] زادهم فضائح، فثبت أنه لا فائدة في إجابتهم [7]إلى مقترحاتهم[7]، فكان الجواب - عما اقتضاه لسان حالهم من طلب التحاكم إلى أوليائهم بليغ[8] الإنكار عليهم [بقوله -[9]]: ﴿أ فغير الله﴾ أي الملك الأعظم - على غاية من البلاغة لا تدرك، [10]والفاء فيه[10] للسبب، وإنما تقدمت عليها همزة الإنكار لاقتضائها الصدر ﴿ابتغي﴾ ١٠
أي أطلب حال كون ذلك الغير ﴿حكما﴾ أي يحكم بيني وبينكم ويفصل نزاعنا؛ ثم استدل على هذا الإنكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز فقال: ﴿وهو﴾ [7] أي والحال أنه لا غيره ﴿الذيّ انزل اليكم[7]﴾ أي خاصة نعمة على[11] بالقصد الأول [وعليكم بالقصد الثاني -[9]] ﴿الكتب﴾ أي الأكمل المعجز[12]، وهو هذا القرآن الذي هو[1] تبيان لكل شيء ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: تسبب (٣) في ظ: اتخاذ (٤) من ظ، وفي الأصل: العرى (٥) في ظ: اخفاوه - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: لما.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) في ظ: بتبليغ (٩) زيد من ظ.
(١٠ - ١٠) في ظ: والعاقبة (١١) من ظ، وفي الأصل: إلى (١٢) في ظ: المعجب.

﴿مفصلا[1]﴾ أي مميزا فيه الحلال و الحرام، و غير ذلك من جميع الأحكام، مع ما تفيده فواصل الآيات من اللطائف و المعارف الكاشفة لحقائق البدايات و النهايات. و لقد اشتد[1] الاعتناء في هذه السورة بالتنبيه[2] على التفصيل لوقوع العلم من أرباب البصائر في الصنائع بأن من لا يحسن
٥ التفصيل لا يتقن التركيب.

و لما كان التقدير: فأنتم و جميع أرباب البلاغة تعلمون[3] حقيقته بتفصيله و العجز عن مثله[4]، عطف عليه قوله: ﴿و الذين﴾ و يجوز أن يكون جملة حالية ﴿اٰتينٰهم﴾ أي بعظمتنا التي يعرفونها و يعرفون بها الحق من الباطل ﴿الكتٰب﴾ أي المعهود إنزاله [من -[5]] التوراة و الإنجيل
١٠ و الزبور ﴿يعلمون﴾ أي لما لهم من سوابق الأنس بالكتب الإلهية ﴿انه منزّل﴾.

و لما تقدم ذكر الجلالة الشريفة في حاق موضعه في سياق الحكم الذي لا يكون الا مع التفرد بالكمال، و كان هذا المقام بسياق الإنزال[6] يقتضي الإحسان، لم يضمر بل قال: ﴿من ربك﴾ أي المحسن إليك
١٥ بما خصك به في هذا الكتاب من أنواع الفضائل ﴿بالحق﴾ أي الأكمل لما عندهم به من البشائر في كتبهم و لما له[7] من موافقتها[8] في ذكر الأحكام المحكمة و المواعظ الحسنة و كثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب

---

(١) من ظ، و في الأصل: استدل (٢) من ظ، و في الأصل: بالبينة (٣) في ظ: يعلمون (٤) من ظ، و في الأصل: مثله (٥) زيد من ظ (٦) في ظ: الازل (٧) في ظ: لهم (٨) في ظ: موافقها.

و تفيض الدموع و تصدع الصدور ، مع ما يزيد به على كتبهم من التفصيل بما يفهم معارف الإلهية و المقامات الصوفية فى ضمن الأحكام السياسية و الإعجاز بكل آية .

و لما كان أهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ، و يقولون للشركين : إنهم أهدى سبيلا ، بما قد يوهم أنهم / يعتقدون بطلانه ، أو أن ٥ / ٢٤١ الأمر ملبس[1] عليهم ، سبب عن[2] إخباره سبحانه قوله على طريق التهييج و الإلهاب : ﴿ فلا تكونن ﴾ [أى انف نفيا مؤكدا جدا أن تكون فى وقت ما -[3]] ﴿ من الممترين ﴾ أى العاملين عمل الشاك فيما أخبرناك به و ان زاد إخفاؤهم له و إظهارهم لما يوهم خلافه ؛ و إذا حاربتهم فى ذلك و أنت أفطن الناس و أعرفهم بما يظهره المجاوزات من خفايا الأسرار - ١٠ تحققت ما قلناه و إن اجتهدوا فى الكتمان ، كما كشفت عنه قصة المناشدة فى أمر الزانيين و غيرها ؛ و قال أبو حيان : قال مشركو قريش لرسول الله صلى الله عليه و سلم : اجعل بيننا و بينك حكما من أحبار اليهود ، و إن شئت من أساقفة النصارى ، ليخبرنا عنك بما فى كتابهم من أمرك فنزلت .

و لما دل على كونه حقا من عند الله بعلم أهل الكتاب صريحا ١٥ و أهل اللسان[4] تلويحا ، دل عليه بوجه آخر شهودى ، و هو[5] أنه ما قال شيئا إلا كان على وفق ما قال ، و أنه لم يستطع - و لا يستطيع أحد - منع شيء مما أخبر به و لا تعويقه ساعة من نهار ، و لا أقل و لا أكثر

(١) فى ظ : ملبس (٢) من ظ . و فى الأصل : على (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الكسان - كذا (٥) سقط من ظ .

بقوله تعالى مظهرا فى موضع الإضمار، لتذكيره صلى الله عليه و سلم بما له سبحانه من الإحسان، و التنبيه على ما يريد به من التشريف و الإكرام: ﴿ وتمت ﴾ أى نفذت و تحققت ﴿ كلمت[1] ربك ﴾ أى المحسن إليك المدبر لأمرك حال كونها ﴿ صدقا ﴾ أى لا[2] يقدر أحد أن يبدى فى شيء ٥ منها حديثا[3] بتخلف ما عن مطابقة الواقع .

و لما كان الصدق غير مناف للجور، قال: ﴿ وعدلا ط ﴾ و لما كان الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القائل، و لا ينفذ فيه كلام الآمر لمنع من هو[4] أقوى منه . أخبر أنه لا راد لأمره و لا معقب لحكمه، تصريحا بما أفهم مطلع الآية من التمام، و أظهر موضع الإضمار تعميما ١٠ و تبركا و تلذيذا فقال: ﴿ لا مبدل لكلمته ج ﴾ أى من حيث أنها كلماته مطلقا من غير تخصيص بنوع ما، بل كل ما أخبرت به فهو كائن لا محالة، رضى من رضى و سخط من سخط .

و لما كان المغير لشيء إنما يتم له ما يريد من التغيير بكون المغير عليه لا يعلم الأسباب المنجحة لما أراد ليحكمها[5]، و الموانع العائقة ليبطلها، قال ١٥ عاطفا على ما تقديره: فهو العزيز الحكيم : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لجميع ما يمكن سمعه من الأقوال و الأفعال ﴿ العليم ﴾ أى البالغ العلم لجميع ذلك، فهو إذن الكامل القدرة النافذ الأمر فى جميع الأسباب و الموانع، فلا يدع أحدا يغير شيئا منها و إن

(١) و فى مصاحفنا : كلمة (٢) من ظ ، و فى الأصل : الا (٣) فى ظ : خدشا .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : هوى (٥) من ظ ، و فى الأصل : لتحلمها – كذا .

دلس أو[1] شبه .

و لما أجاب عن شبهات الكفار ، و بين صحة نبوته[2] عليه السلام ، شرع فى الحث على الإعراض عن جهل الجهال ، و الإقبال على ذى[3] الجلال ، فكان التقدير : فان أطعته فيما أمرك به اهتديت إلى صراط الله الذى يتم [4]لك بسلوكه[4] جميع ما وعدك به ، عطف عليه قوله : ٥ ﴿ و ان تطع ﴾ و لما كانت [5]أكثر الأنفس[5] متقيدة[6] بالأكثر ، أشار إلى أن ذلك لا يفعله إلا جاهل مخلد إلى التقليد فقال : ﴿ اكثر من فى الارض ﴾ أى توجد طاعتك لهم فى شىء من الأوقات بعد أن علمت أن أكثرهم إنما يتبع الهوى ، و أن أكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون ﴿ يضلوك عن سبيل الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ؛ ثم علل ذلك بقوله : ١٠ ﴿ ان ﴾ أى لأنهم ما ﴿ يتبعون ﴾ فى أمورهم ﴿ الا الظن ﴾ [أى -[7]] كما يظن هؤلاء جهلا أن آباءهم كانوا على الحق .

و لما كان أكثر كلام من يجزم بالأمور بما دعاه إليه ظنه كذبا ، وكان الخارص يقال على الكاذب و المخمن الحازر ، قال : ﴿ و ان هم ﴾ أى بصميم ضمائرهم ﴿ الا يخرصون ﴾ أى يجزمون بالأمور بحسب ١٥ ما يقدرون ، فيكشف الأمر عن أنها كذب[8] ، فيعرف الفرق بينك و بينهم فى تمام [الكلام -[7]] و نفوذه نفوذ السهام ، أو تخلفه عن التمام ونكوصه

---

(١) من ظ ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ ، و فى الأصل : نبوة (٣) فى ظ : دين (٤ - ٤) فى ظ : سلوكه (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : انفس الاكثر .
(٦) فى ظ : مقيدة (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اكذب .

كالسيف الكهام، فلا يبقى شبهة في أمر المحق و المبطل.

/ ٢٤٢ و لما كان المقام للنظم الكاشف للحقائق المبين لما يتبع و ما / يجتنب، قال معللا لهذا الإخبار: ﴿ ان ربك ﴾ أي المحسن إليك بانزال هذا[1] الكتاب الكاشف للارتياب الهادي إلى الصواب ﴿ هو ﴾ أي وحده

٥ ﴿ اعلم ﴾ و لكون[2] الحال[3] شديد الاقتضاء[3] للعلم، قطعه عما بعده ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال: ﴿ من ﴾ أي يعلم من ﴿ يضل ﴾ أي يقع منه ضلال يوما ما ﴿ عن سبيله ج ﴾ أي[1] الذي بينه بعلمه ﴿ و هو ﴾ أي وحده ﴿ أعلم[1] بالمهتدين ﴾ كما أنه أعلم بالضالين، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه، و من

١٠ نهاكم عنه فاجتنبوه، فمن ضل أرداه[4]، و من اهتدى أنجاه، فاستمسكوا بأسبابه حذرا [من[5]] وبيل عقابه يوم حسابه.

و لما قدم سبحانه ما مضى من السوائب و ما معها في المائدة مما يدين به أهل الجاهلية في أكل الحيوان الذي جر[6] إليه الشرك، و أتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال إذا

١٥ اهتدوا، و أتبع ذلك ما لاءمه، و انتظم في سلكه و لاحه، حتى ظهر أي ظهور أن الكل[7] ملكه و مُلكه، و أنه لا شريك له، فوجب شكره وحده، و كانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تعالى فاتخذوا معه شركاء، و لم يكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيبا

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يكون (٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين في ظ.
(٤) في ظ : اراده (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : جرى (٧) في ظ : لكل.

فكانوا [1]بذلك المانعين[1] الحق عن أهـله ، و مانحين ما خولهم فيه مَنْ له الملك لما لا يملك ضرا و لا نفعا ، و تاركين بعض ما أنعم عليهم بـه صاحب الحق رعاية لمن لا حق له و لا حرمة ، و كانت سنة الله تعالى قد جرت بأنه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية . و يستدل على ذلك بخلق السماوات و الأرض و ما أودع فيهما لنا من المنافع و ما أبدع من المرافق ٥ و المصانع ، ثم يعجب ممن أشرك به . ثم يأمر[2] بالأكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ، ليكون ذلك داعية لكل ذي لب إلى شكره ، كما قال[3] تعالى في البقرة عقب " و الهكم اله واحد " : " ان في خلق السموٰت و الارض[4] " ثم قال " و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا[5] " ثم قال[3] " يٰايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا[6] " ؛ أجرى هذه السنة الجليلة في هذه السورة ١٠ أيضـا ، فقال : " ان الله فالق الحب و النوى " بعد " اني وجهت وجهي [للذي فطر - [7]] " ثم[8] " و جعلوا لله شركاء الجن " و دل على أنه لا شريك له في مِلْـكه و لا مُلْـكه ، و ختم بأنه لا حكم[9] سواه ينازعه في حكمه أو[10] يباريه في شيء من أمره ، و بين[11] أن من [آيها - [12]] الهداية التي جعلها شرطا لعدم ضرر يلحق من دين أهل الشرك ؛ فسبب عن جميع ما ذكرت ١٥ قوله : ﴿ فكلوا مما ذكر ﴾ أي وقت الذبح ﴿ اسم الله ﴾ أي الملك الذي له

(١-١) في ظ : لذلك المانعين (٢) في ظ : بأمرهم - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) آية ١٦٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) آية ١٦٨ (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) زيد في ظ بعده : بعد (٩) من ظ ، و في الأصل : حكيم (١٠) في ظ « و » .
(١١) من ظ ، و في الأصل : يبين (١٢) زيد من ظ .

الإحاطة الكاملة فله كل شيء ﴿عليه﴾ أي[1] كأن قائلا لذلك سواء ذكر بالفعل أو لا، و عدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم أن الذكر بالفعل مندوب إليه، و لا يكونوا من بني دينه على اتباع الأهوية و الظنون الكاذبة، فكأنه قيل: اتبعوا من يعرف[2] الحق لأهله فانه مهتد غير معرجين على غيره فانه ضال، و الله أعلم بالفريقين، فكونوا من المهتدين، فكلوا مما خلق الله لكم ٥ حلالا شاكرين لنعمته، و إنما أطال هنا دون البقرة ما بين الجمل الكلامَ تقريرا لمضامينها و ما يستتبعه و احتجاجا على جميع ذلك لأنها سورة التفصيل، و[3] أتى بالذكر[3] و المراد قبول المأكول له، أي كلوا مما يقبل أن يسمى عليه على مقتضى ما شرعه. و ذلك هو الذي أحله من الحيوان و غيره سواء كان مما جعلوه لأوثانهم أو لا. دون ما مات من الحيوان حتف أنفه، ١٠ أو ذكر عليه اسم غير الله أو كان مما حرم أكله وإن ذبح و ذكر عليه اسم الله، فانه لا يقبل التحليل بالتسمية، فالتسمية في غير موضعها، لورود النصوص بالتحريم، و لا تتبعوا المشركين في منعهم أنفسهم من خير مما خلق الله لهم من الحرث و الأنعام بتسميتهم / إياه لآلهتهم التي لا غناء /٢٤٣ عندها، و يكون [ذلك - [4]] حثا على التسمية على جميع المأكول الحلال، ١٥ فتكون الآية كآية البقرة [زيادة - [4]] .

و لما كان هذا الأمر[5] لا يقبله الا من زال دين الشرك و جميع توابعه من قلبه؛ قال: ﴿ ان كنتم ﴾ أي بما لكم من الجبلة الصالحة ﴿ بآيته ﴾

---

(١) في ظ: ان (٢) في ظ: يصرف - كذا (٣ - ٣) من ظ، و في الأصل: انها يذكر (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: امر.

أي

أى عامة التى منها آيات التحليل و التحريم ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين فى وصف الإيمان، وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله: ﴿ و ما لكم ﴾ أى أىّ شىء يكون لكم فى ﴿ الا تاكلوا مما ذكر ﴾ أى يقبل أن يذكر ﴿ اسم الله ﴾ اى الذى له كل شىء ﴿ عليه ﴾ فان التسمية قائمة مقام إذنه ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ فصل لكم ﴾ أى من قبل ذلك ٥ و الخلق خلقه و الأمر أمره ﴿ ما حرم عليكم ﴾ أى مما لم يحرم تفصيلا واضح البيان ظاهر البرهان ﴿ الا ما اضطررتم اليه [٥] ﴾ أى فان الضرورة تزيل التفصيل [١] عنه برده إلى ما كان عليه قبل التفصيل ؛ فيصير الكل حلالا [لا - [٢]] تفصيل فيه ، و المراد فى هذه الآية مختلف باختلاف المخاطبين ، فأما من خوطب بها وقت الإنزال فالمراد بالتفصيل الذى آتاه الآية الآتية ١٠ أخير هذه فانها نزلت جملة ، و كذا كل ماشاكلها مما أنزل بمكة قبل هذه السورة، و كذا ما أخبر به صلى الله عليه و سلم فى وحى متلو [٣] إذ ذاك ، و لعله نسخت تلاوته و بقى حكمه . أو وحى غير متلو من جميع الأحاديث التى تقدمت على هذه السورة ، و أما من خوطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه فالمراد فى حقه - [كما - [٢]] فى البقرة و المائدة و غيرهما من السور الماضية - ١٥ من الحلال و الحرام .

و لما كان التقدير : من عمل بهذه الأوامر اهتدى بما نال [٤] من العلم و هم قليل ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان كثيرا ﴾ أى [٥] من الناس ﴿ ليضلون ﴾

(١) فى ظ : التفضيل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : نتلوا (٤) فى ظ : انال .
(٥) سقط من ظ .

أى يقع منهم الضلال فيوقعون[١] غيرهم فيه بنكوبهم[٢] عما دعت إليه أوامر الله و هدى إليه بيانه ، فيكونون بمعرض العطب ﴿ بأهوآئهم ﴾ أى بسبب اتباعهم للهوى ؛ و لما كان الهوى ـ و هو ميل النفس ـ ربما كان موافقا لما أدى إليه العلم بصحيح الفكر و صريح العقل قال[٣] : ﴿ بغير علم ﴾ ٥ أى دعا[٤] إلى ذلك [ممن له العلم ـ[٥]] من شريعة ماضية ممن[٦] له الأمر .

و لما كانوا ينكرون هذا ، أثبت لنفسه الشريفة ما هو مسلم عند كل أحد و قال دليلا على صحة ما أخبر به : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا الكتاب شاهدا لك باعجازه بالتصديق ﴿ هو ﴾ أى وحده ١٠ ﴿ اعلم ﴾ وكان الموضع للاضمار فأظهر للتعميم و التنبيه على الوصف الذى أوجب لهم ذلك فقال : ﴿ بالمعتدين ﴾ أى الذين يتجاوزون الحدود مجتهدين فى ذلك .

و لما كان مما يقبل فى نفسه فى الجملة أن يذكر اسم الله عليه ما يحرم[٧] لكونه ملكا للغير أو فيه شبهة ، نهى عنه على وجه يعم غيره ، فقال ١٥ عطفا على " فكلوا[٨] " : ﴿ و ذروا ﴾ أى اتركوا على أىّ حالة اتفقت و إن كنتم تظنونها غير صالحة ﴿ ظاهر الاثم ﴾ أى المعلوم الحرمة من هذا و غيره ﴿ و باطنه ﴾ من كل ما فيه شبهة من الأقوال و الأفعال و العقائد ، فان[٩] الله جعل له فى القلب علامة ، و هو أن يضطرب عنده

(١) فى ظ : فيقعون (٢) فى ظ : بنكولهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ادعاه .
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بمن (٧) من ظ ، و فى الأصل : حرم .
(٨) فى ظ : عملوا ـ كذا (٩) فى ظ : و ان.

و لا يسكن كما قال صلى الله عليه و سلم : و الإثم ما حاك فى القلب و تردد فى الصدر - أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ان الذين يكسبون الاثم﴾ أى و لو بأخفى[1] أنواع الكسب ، بما دل عليه تجريد الفعل ، و هو الاعتقاد [2] للاسم الشريف[2] .

[و لما كان العاقل من خاف من مطلق الجزاء بنى للفعول قوله -[3]] : ٥ ﴿ سيجزون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ بما ﴾ أى [2]بسبب ما[2] ﴿ كانوا ﴾ بفاسد جبلاتهم ﴿ يقترفون ﴾ أى يكتسبون اكتسابا يوجب الفرق و هو أشد الخوف و يزيل الرفق ، و صيغة الافتعال للدلالة على أن أفعال الشر إنما تكون[4] بمعالجة من النفس للفطرة الأولى السليمة .

[و لما -[3]] أمرهم بالأكل مما ينفعهم و يعينهم على شكره محذرا ١٠ من أكل[5] ما يعيش[6] مرأى بصائرهم ، أتبعه نهيهم نهيا / جازما خاصا عن / ٢٤٤ الأكل مما يضرهم فى أبدانهم و أخلاقهم ، و هو ما ضاد الأول فى خلوه [عن الاسم الشريف - ٣] فقال : ﴿ و لا تاكلوا مما لم يذكر ﴾ أى مما لا يقبل أن يذكر ﴿ اسم الله ﴾ أى الذى لا يؤخذ شيء[7] إلا منه ، لأن له الكمال كله فله الإحاطة الكاملة ، و أشار بأداة الاستعلاء إلى الإخلاص ١٥ و نفى الإشراك فقال : ﴿ عليه ﴾ أى لكون الله قد حرمه فصار نجس العين أو المعنى ، فصار مخبثا[8] للبدن و النفس مما ذكر عليه غير اسمه سبحانه

---

(١) فى ظ : اخفى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٥) من ظ ، و فى الأصل : كل . (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقبس (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : محبا .

بما دل عليه [من - [١]] تسميته فسقا ، و تفسير الفسق فى آية أخرى بما
أهل به لغير الله و[٢] كذا ما كان فى معناه بما مات أو كان حراما بغير ذلك ،
و اسمه تعالى منزه عن أن يذكر على غير الحلال ، فان ذكر عليه كان
ملاعبا فلم يطهره[٣] ، و أما ما كان حلالا و لم يذكر عليه [اسم الله
٥ و[٤] لا غيره - [١]] فهو حلال - كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها
قالت : قالوا : يا رسول الله ! إن هنا أقواما حديث عهد بشرك يأتوننا
بلحمان لا ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا ! قال : اذكروا أنتم
اسم الله وكلوا . قال البغوى : و لو كانت التسمية شرطا للا باحة لكان[٥]
الشك فى وجودها مانعا من أكلها كالشك فى أصل الذبح - انتهى .
١٠ و لما كان التقدير : فانه خبيث فى نفسه مخبث ، عطف عليه قوله :
﴿ و انه ﴾ أى الأكل منه أو هو نفسه لكونه السبب ﴿ لفسق ﴾ لجعله
نفس الفسق - و هو الخروج عما ينبغى إلى ما لا ينبغى - لأنه عريق جدا
فى كونه سببه لما تأصل عندهم من أمره[٦] و انتشر من شره ، و هذا دليل
على ما أولت[٧] به لأن النسيان [ليس - [١]] بسبب الفسق ، و الذى تركت
١٥ التسمية عليه نسيانا ليس بفسق ، و الناسى ليس بفاسق - كما قاله البخارى ،
و إلى ذلك الإشارة [٨] بما رواه عن[٨] عائشة رضى الله عنها[٩] أن قوما قالوا

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فلم يظهر ، و فى ظ : فلم يظهره (٤) فى ظ : او (٥) من معالم التنزيل - راجع هامش الخازن ٢/١٤٧ ، و فى الأصل و ظ : كان - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٧) فى ظ : اوصلت (٨-٨) فى ظ : بحديث (٩) زيد بعده فى ظ : الماضى ، و لعبارة من بعده إلى « انتهى » ساقطة منه .

للنبى

للنبي صلى الله عليه و سلم: إن قوما يأتونا باللحم، لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا! فقال: سموا عليه أنتم و كلوه، قالت: و كانوا حديثى عهد بالكفر[1] - انتهى. فهذا كله يدل على أن المراد إنما هو كونه مما يحل ذبيحته، و ليس المراد اشتراط التسمية بالفعل.

و لما كانت الشبه ربما زلزلت ثابت العقائد، قال محذرا منها: ٥ ﴿ و ان الشيطين[2] ﴾ أى أخابث[3] المردة من الجن و الإنس البعيدين من الخير المهيئين[4] للشر المحترقين باللعنة[5] من مردة[6] الجن و الإنس[6] ﴿ ليوحون ﴾ أى يوسوسون وسوسة بالغة سريعة ﴿ الى اوليئهم ﴾ أى المقاربين لهم فى الطباع المهيئين لقبول كلامهم ﴿ ليجادلوكم ج ﴾ أى ليفتلوكم عما أمركم[7] به بأن يقولوا لكم: ما قتله[8] الله أحق بالأكل [مما -[9]] قتلتموه أنتم ١٠ و جوارحكم - و نحو ذلك، و أهل الحرم لا ينبغى أن يقفوا فى غيره، و الغريب لا ينبغى أن يساويهم فى الطواف فى ثيابه، و النذر للأصنام كالنذر للكعبة، و نحو هذا من خرافاتهم التى بنوا أمرهم فيها على الهوى الذى هم معترفون بأنه مضل مضر، و مبالغون فى الذم باتباعه و الميل إليه، و يكفى فى هدم جميع شبههم إجمالا أن صاحب الدين و مالك ١٥ الملك منع منها.

---

(١) من صحيح البخارى - الذبائح، و فى الأصل و ظ: بكفر (٢) من ظ و القرآن الكريم. و فى الأصل: الشيطان (٣) فى الأصل: احاب، و فى ظ: اجابث - كذا (٤) فى ظ: المعين - كذا (٥) فى ظ: من اللعنة. (٦ - ٦) فى ظ: الانس و الجن (٧) فى ظ: امر الله (٨) فى الأصل و ظ: قبله. (٩) زيد من ظ.

و لما كان التقدير : فإن أطعتموهم تركتم الهدى و تبعتم الهوى ، و كان من المعلوم أن الهوى يعود إلى الشرك . عطف على هذا قوله : ﴿ و ان اطعتموهم ﴾ أى المشركين تدينا بما يقولونه فى ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه و الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، أو فى شىء ٥ مما جادلوكم فيه ﴿ انكم لمشركون ﴾ أى فأنتم و هم فى الإشراك سواء كما إذا سميتم غير الله [على - [1]] ذبائحكم على وجه العبادة ، لأن من اتبع أمر غير الله فقد أشركه [2] بالله كما قال صلى الله عليه و سلم فى حديث عدى ابن حاتم رضى الله عنه فى قوله تعالى "اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله [3] " من أن عبادتهم لهم [4] تحليلهم [5] ما أحلوا و تحريمهم ما حرموا ، ٢٤٥ / ١٠ فنبه صلى الله عليه و سلم / بذلك على أن الأسماء تتبع المعانى ؛ قال شيخ الإسلام محيي الدين النووى الشافعى فى باب الضحايا من كتاب الروضة : حكى فى الشامل [6] و غيره عن نص الشافعى أنه لو كان لأهل الكتاب ذبيحة يذبحونها باسم غير الله كالمسيح لم تحل ؛ و فى كتاب القاضى ابن كج [7] أن اليهودى لو ذبح لموسى و النصرانى لعيسى عليهما السلام ١٥ أو [8] للصليب حرمت ذبيحته ، و أن المسلم لو ذبح للكعبة أو لرسول الله صلى الله عليه و سلم فينبغى أن يقال : تحرم ، لأنه ذبح لغير الله تعالى ، قال :

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشرك (٣) سورة ٩ آية ٣١ .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تحليهم (٦) من ظ ، و هو الشامل فى فروع الشافعية لابن الصباغ ، و فى الأصل : التامل (٧) هو يوسف بن أحمد ابن يوسف بن كج الدينورى الشافعى فقيه من القضاة - راجع معجم المؤلفين ١٣/٢٧٣ (٨) فى ظ «و» .

و خرّج أبو الحسن وجها آخر [أنها -][1] تحل لأن المسلم يذبح لله و لا يعتقد فى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما يعتقده النصرانى فى عيسى عليه السلام. قال: و إذا ذبح للصنم لم تؤكل ذبيحته سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا، و فى تعليقه للشيخ إبراهيم المروزى أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به ٥ لغير الله، و اعلم أن الذبح للمعبود[2] باسمه نازل منزلة السجود له. و كل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم . العبادة المخصوصة بالله تعالى الذى هو المستحق للعبادة، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم و العبادة لم تحل[3] ذبيحته، و كان فعله كفرا كمن سجد لغيره سجدة عبادة، و كذا لو ذبح له و لغيره على هذا الوجه، فأما إذا ذبح لغيره ١٠ لا على هذا الوجه - بأن ضحى أو ذبح للكعبة تعظيما لها لأنها بيت الله تعالى أو لرسول الله صلى الله عليه و سلم - فهذا لا يجوز أن يمنع حل الذبيحة. و إلى هذا المعنى يرجع قول القائل: أهديت للحرم أو للكعبة، و من هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان، فانه استبشار بقدومه نازل منزلة ذبح العقيقة لولادة المولود، و مثل هذا لا يوجب الكفر. و كذا السجود لغير الله ١٥ تذللا و خضوعا، فعلى هذا إذا قال الذابح[4]: بسم الله و اسم محمد، و أراد: أذبح باسم الله و أتبرك باسم محمد، فينبغى أن لا يحرم، و قول من قال: لا يجوز ذلك، يمكن أن يحمل على أن اللفظ مكروه، لأن المكروه يصح نفى الجواز و الإباحة المطلقة عنه، و حكى الرافعى أنه وقعت فى هذا منازعة بين أهل قزوين أفضت إلى فتنة فى أنه تحل ذبيحته و هل يكفر

---

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها.

(٣) فى ظ: لا تحل (٤) من ظ. وفى الأصل: الذبح.

بذلك ! قال : و الصواب ما بينا ؛ قال الشيخ محيي الدين : و مما يؤيد ما قاله - أي الرافعي - ما ذكره الشيخ إبراهيم المروزي في تعليقه : قال : حكى صاحب التقريب عن الشافعي رحمه الله أن النصراني إذا سمى غير الله كالمسيح لم تحل ذبيحته . قال صاحب التقريب : معناه أن يذبحها له . فأما إن ذكر

٥ المسيح على معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فجائز ، قال : و[1] قال الحليمي : تحل مطلقا و إن سمى المسيح - والله أعلم . ثم قال في المسائل المنثورة[2] : الثالثة : قال ابن كج : من ذبح شاة و قال : أذبح لرضى فلان ، حلت الذبيحة ، لأنه لا ينصرف إليه بخلاف من تقرب[3] بالذبح إلى الصنم ؛ و قال الروياني : إن من ذبح للجن و قصد به التقرب إلى الله تعالى ليصرف

١٠ شرهم عنه فهو حلال ، و إن قصد الذبح لهم فحرام ؛ و مما يوضح لك سر هذا الانتظام و يزيده حسنا أن هذه الآيات كلها من قوله تعالى " ان الله فالق الحب و النوى " - إلى آخر السورة تفصيل لقوله[4] تعالى في أول السورة " قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السمٰوٰت و الارض " - الآية ، فلما ذكر إبداعه السماوات و الأرض بقوله " ان الله فالق الحب و النوى " و نحوه ، و أنكر

١٥ اتخاذ من دونه بقوله " و جعلوا لله شركاء الجن " و ما نحا نحوه ، قال " فكلوا " إشارة إلى " و هو يطعم و لا يطعم " و قوله " او من كان ميتا فاحيينٰه " و قوله " فمن يرد الله ان يهديه " و نحوهما إشارة إلى قوله " قل انى امرت ان اكون اول من اسلم " ؛ و قوله " و يوم نحشرهم جميعا " و نحوه مشير[5] إلى " انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم " .

/٣٤٦

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : المشهورة (٣) في ظ : يتقرب (٤) في ظ : في قوله (٥) في الأصل و ظ : مشيرا .

و لما انقضى[1] التفصيل عند قوله " فسوف يعلمون " - الآية ، شرع
فى تفصيلها ثانيا بقوله " و جعلوا لله مما ذرا من الحرث و الانعام نصيبا " -
إلى آخرها ، و السر فى الإعادة أن الشيء إذا أثبت أو نفى ، و أقيمت
الدلائل على إثبات ما ثبت [منه - [2]] و نفى ما نفى ، ثم أعيد ذلك فى
أسلوب آخر ، كان أثبت فى النفس و ألصق[3] بالقلب ، لا سيما إن كان ٥
فى الأسلوب الثانى - كما هى عادة القرآن - زيادة فى البيان و تنبيه على
ما لم يتقدم أولا ، و لا سيما إن كانت العبارة فائقة و الألفاظ عذبة
رائقة و أنت خبير بان هذا كله دأب القرآن فى أساليب الافتنان ؛
قال الغزالى فى أوائل كتاب الجواهر فى الفصل الذى فيه اشتمال الفاتحة
على ثمانية أقسام : و قوله ثانيا " الرحمن الرحيم " إشارة إلى الصفة مرة ١٠
أخرى ، و لا تظن[4] أنه مكرر ، فلا مكرر[5] فى القرآن ، إذ حد المكرر
ما لا ينطوى على مزيد فائدة ، و ذكر الرحمة بعد ذكر " العلمين "[6] ، و قبل
ذكر " العلمين "[6] ، و قبل ذكر " ملك يوم الدين " ينطوى على فائدتين
عظيمتين فى تفصيل مجارى الرحمة ثم ذكر[7] ما حاصله أن إحداهما ملتفت
إلى خلق[8] كل [عالم - [2]] من العالمين على أكمل أنواعه و أفضلها و إيتائه كل ١٥
ما احتاج إليه ، و الثانية ملتفت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة فى[9] المعاد
يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد . قال : و شرح ذلك يطول و المقصود

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ابعض - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اعلق .
(٤) فى ظ : لا يظن (٥) فى ظ : تكرر (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من
ظ ، و فى الأصل : ذكرنا (٨) فى ظ : ان (٩) من ظ ، و فى الأصل « و » .

أنه [لا - [1]] مكرر فى القرآن . و إن رأيت شيئا[2] مكررا من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه و لواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة[3] فى إعادته - انتهى . و فى ذلك نكتة أخرى ، و هى أن الرحمن مشير[4] إلى ما قال من جهة[5] الربوبية فى الإيجادين : الأول و الثانى ، و الرحيم مشير ٥ بخصوصه بما ترضاه الإلهية إلى الإيجاد الثانى و الإبقاء الثانى بالرحمة الجزائية[6] و إلى ما يفهمه الخصوص من النعمة بمن لم يخصه الرحمة - كما مضت الإشارة إليه فى الفاتحة .

و لما كان معنى التحذير من طاعة المشركين أنكم إن فعلتم كنتم قد رددتم أنفسكم إلى ظلام الضلال بعد أن منحتم نور الهداية ، فكان ١٠ التقدير : أ[2] فمن كان هكذا[7] [كان - [1]] كمن نصح لنفسه باتباع الأدلة و توقى الشبه ، عطف عليه قوله : ﴿ او من كان ميتا ﴾ أى بالغرق فى أمواج ظلام الكفر ، ليس لهم من ذواتهم إلا الجمادية بل العدمية ﴿ فاحيينه ﴾ أى بما لنا من العظمة باشراق أنوار الإيمان على قلبه الذى إن صلح صلح الجسد كله ، و إن فسد فسد الجسد كله ﴿ و جعلنا ﴾ أى بعظمتنا على وجه ١٥ الخصوص ﴿ له نورا ﴾ أى بالهداية إلى كل خير ﴿ يمشى ﴾ مستضيئا ﴿ به فى الناس ﴾ فيعرفون أفعاله و أخلاقه و أقواله ﴿ كمن مثله ﴾ أى الذى يمثل به ، و هو ما ينكشف[8] بوجه الشبه روح له و[9] خلاصة حال قلبه ،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الفاتحة - كذا (٤) فى الأصل و ظ : مشيرا - كذا (٥) فى ظ : جهته (٦) من ظ ، و فى الأصل : الجبرانية . (٧) فى ظ : هذا (٨) فى ظ : يكشف (٩) فى ظ : او .

حال قلبه، أو يكون المعنى: صفته أنه ﴿ فى الظلمٰت ﴾ أى ما له من نفسه من ظلمة الجهل و ظلمة ما ينشأ عنه من الهوى و ظلمة ما نشأ عن الهوى من الكفر، و إذا كان المثل الذى هو الأعلى من الممثول فى شيء كان الممثول عريقا فيه بطريق الأولى، فلذلك قال: ﴿ ليس بخارج ﴾ أى ذلك المثل ﴿ منها ﴾ أى الظلمات بما زين له من سوء أعماله حتى ٥ صارت[1] أحب إليه من نفسه و ماله، و إذا لم يخرج المثل من شيء لم يخرج الممثول منه و إلا لم تكن بينهما مماثلة، و [2]ذلك لأنه[2] زين له عمله، و هى ناظرة إلى قوله أول السورة "انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله" و قوله "و الذين كذبوا بآيٰتنا صم و بكم فى الظلمٰت".

و لما كان إيحاء الشياطين إلى أوليائهم مما يوجب لزوم العمى ليس ١٠ إلا تزيينا للقبائح[3]. فكان حالهم مما يشتد العجب منه، كان كأنه قيل: لولا رؤيتنا لحالهم ما صدقنا[4] أن عاقلا / يرضى ما فعلوه[5] بأنفسهم، /٢٤٧ فهل وقع [6]لأحد قط[6] مثل حالهم؟ فقيل: نعم، ﴿ كذلك ﴾ أى [مثل -[7]] ما زين لهم سوء أعمالهم ﴿ زين للكٰفرين ﴾ أى كلهم ﴿ ما كانوا ﴾ بما جبلناهم[8] عليه ﴿ يعملون ۝ ﴾ فهم أبدا فى الظلمات، ١٥ فالآية من الاحتباك: أثبت[9] أولا كونه فى الظلمات دليلا على تقديره

---

(١) فى ظ: صار (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: لذلك انه (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: بما صدقناهم (٥) فى ظ: فعله (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: لا حط قد - كذا (٧) زيد من ظ (٨) فى الأصل و ظ: جعلناهم (٩) فى ظ: ثبت.

ثانيا ، و ثانيا التزيين دليلا على تقديره أولا .

و لما كان معلوما أن عداوتهم له صلى الله عليه و سلم المشار إليها بقوله " و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا "- الآية ، لا [1] يقوم بها إلا أكابر الناس ، لما كان عليه [1] صلى الله عليه و سلم من جلالة المنصب و شرف ٥ العشيرة و كثرة [2] الأقارب و أنه لا يتمادى عليها [3] إلا جاهل مطموس البصيرة مزين له قبيح أعماله ، عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله: ﴿ و كذلك ﴾ أى مثل [ما - [4]] زينا للكافرين سوء أعمالهم ، فكان أكابر أهل مكة يمكرون فيتبع غيرهم مكرهم ﴿ جعلنا ﴾ أى [1] بما لنا من العظمة فى إقامة الأسباب لما يعلى كلمة الإنسان أو يجعله حقير الشأن ١٠ ﴿ فى كل قرية ﴾ أى بلد جامع ، [و لما كان الكبر مختلف الأنواع باختلاف أشخاص المجرمين ، طابق بأفعل التفضيل المقصودين لها فى الجمع على إحدى اللغتين ، و عبر بصيغة منتهى الجمع دلالة على [5] تناهيهم فى الكثرة فقال -[4]] : ﴿ اكٰبر مجرميها ﴾ أى القاطعين لما ينبغى أن يوصل .

و لما كان من شأن الإنسان استجلاب أسباب الرفعة لنفسه ، و كان ١٥ لا يصل إلى ذلك فى دار ربط المسببات بحكمة الأسباب إلا بالمكر ، و كان الأكابر أقدر على إنفاذ المكر و ترويج الأباطيل بما لأغلب الناس من السعى فى رضاهم طمعا فيما عندهم ، و كان الإنسان كلما تمكن [6] من ذلك أمعن فيه ، و كان الكبير إنما يصل إلى ما قدر له من ذلك بتقدير الله

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرة (٣) فى ظ : عليهما .
(٤) زيد من ظ (٥) زيد و لا بد منه (٦) من ظ ، و فى الأصل : يمكن .

له؛ كان بما قدر له من ذلك كأنه خلقه له، فقال معبرا بالجعل لما فيه من التصيير[١] و التسبيب[٢]: ﴿ليمكروا فيها﴾ أى يخدعوا أصاغرهم و يغروهم بما يلبسون عليهم من الأمور حتى يتبعوهم فيعادوا[٣] لهم حزب الله.

و لما كان ذلك موجعا و غائظا محزنا، قال تصغيرا لشأنهم و تحقيرا لأمرهم: ﴿و ما﴾ أى و الحال أنهم [ما - [٤]] ﴿يمكرون الا بانفسهم﴾ ٥ لأن عملهم بالمكر وبال عليهم موبق لهم، و لأن مكرهم بأولياء الله إنما هو مكر[٥] بالله، و ذلك غير متأتّ و لا[٦] كائن بوجه من الوجوه، و كيف يتأتى مكر من لا يعلم شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب! ﴿و ما يشعرون ﴾ أى [و - [٧]] ما لهم نوع شعور بأن مكرهم عائد على نفوسهم، لأن الله تعالى الذى يعلم سرهم و جهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم فى تدبيرهم، وإنما ١٠ أجرى[٨] سنته[٩] الإلهية بذلك لما يشتمل عليه من أعلام النبوة، فان غلبة شخص واحد - بمفرده أو باتباع كثير منهم ممن لا يوبه لهم مع قلة العدد و ضعف المدد لرؤساء الناس و أقويائهم مع طول مكثه بينهم منابذا لهم مناديا عليهم بأن دينكم يمحى و دينى يظهر و إن كرهتم[١٠] - من خوارق العادات وبواهر الآيات تصديقا لقوله تعالى "كتب الله لاغلبن انا ورسلى[١١]" ١٥ " و ان جندنا لهم الغلبون[١٢]" - فى أمثال ذلك.

---

(١) فى ظ: التقصير (٢) من ظ، وفى الأصل: التسبب (٣) فى ظ: فيبادوا.
(٤) زيد ولا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: الا - كذا.
(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ: تعالى (٩) فى ظ: سنة (١٠) من ظ، و فى الأصل: كرهتهم (١١) سورة ٥٨ آية ٢١ (١٢) سورة ٣٧ آية ١٧٣.

و لما قرر هذا، أتبعه بمقالة لهم تدل على تعظيمهم و تكبرهم[1] فقال عاطفا على " و اقسموا بالله جهد ايمانهم " تعجيبا[2] من حالهم فيما زين لهم [3]من ضلالهم[3]، و تصديقا لما تقدم من الإخبار بأنهم لا يؤمنون و لو[4] جاءتهم كل آية إلا أن يشاء الله ، و تحقيقا لما فى الآية السالفة[5] من
٥ مكرهم لغيرهم و عوده على أنفسهم : ﴿ و اذا جآءتهم ﴾ أى الكافرين من أكابر المجرمين و أتباعهم ﴿ اٰية قالوا ﴾ حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم أكابر مؤكدين للنفى[6] [لما لمعجزات الأنبياء عليهم السلام من العبر الموجب لظن الإذعان لأعتى أهل الكفران - [7]] ﴿ لن نؤمن ﴾ أى أبدا ﴿ حتى نؤتى ﴾ لما لنا من العلو[8] و العظمة المقتضية لأن لا يختص أحد عنا
١٠ بشىء ﴿ مثل مآ ﴾ .

و لما كان نظرهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر إلى جانب الله لكونه غيبا بنوا للفعول قولهم : ﴿ اوتى رسل الله ؕ ؁ ﴾ يجوز أن يكون المراد : حتى يوحى إلينا لئلا يكونوا أعظم منا كما قال تعالى " بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة[9] " و كما[10] تقدم فى أول
١٥ / السورة عن أبى جهل أنه قال : تنازعنا نحن[10] و بنو عبد مناف الشرف حتى إذا كنا كفرسى رهان[11] قالوا : منا نبى[12] يأتيه الوحى من السماء، / ٢٤٨

(١) فى ظ : تنكيرهم (٢) فى ظ : تعجبا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : لما (٥) فى ظ : السابقة (٦) من ظ : وفى الأصل : بالنفى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : العلوم (٩) سورة ٧٤ آية ٥٢ .
(١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : رهبان (١٢) من ظ و البحر ٤/٢١٦ ، وفى الأصل : بشىء - كذا .

ويحك! [1]متى ندرك هذا[1]، والله لا نؤمن به أبدا. وأن يكون المراد إتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل[2] آيات الأولين من شق البحر واليد والعصا وإحياء الموتى ونحوها. [وسموهم تنزلا واستهزاء. وعبروا بالجلالة إشارة إلى القدرة التامة فلا عذر -[3]].

ولما ذكر اسم الجلالة إيذانا بعظيم ما اجترؤا[4] عليه لعماهم - بما طمس ٥ على أنوار قلوبهم من ظلمات الهوى - عما للرسل من الجلال الذي يخضع له شوامخ[5] الأنوف، أعادها أيضا تهويلا للأمر وتنبيها على ما هناك من عظيم القدر[6]، فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم [من -[3]] دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله عز وجل: ﴿ الله ﴾ أي بما له من صفات الكمال ﴿ اعلم ﴾ أي من كل من يمكن منه علم ﴿ حيث يجعل ﴾ ١٠ أي يصير مما يسبب من الأمور ﴿ رسالته[7] ﴾ أي كلها بالنسبة الى كل فرد من أفراد الخلق فهو لا يضع[8] شيئا منها بالتشهي.

ولما كشف هذا النظم عن أنهم اجترؤا[9] عليه، وأنهم أصروا على أقبح المعاصي الكفر، لا لطلب الدليل بل لداء الحسد؛ تاقت[10] النفس إلى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا: ﴿ سيصيب ﴾ أي بوعد لا خلف فيه، ١٥

(١ - ١) في الأصل: شيء يدرك هذه، وفي ظ: متى ندرك هذه (٢) من ظ، وفي الأصل: مثل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) في الأصل وظ: اخبروا. (٥) زيد بعده في ظ: النفوس (٦) من ظ، وفي الأصل: القدرة (٧) كذا قرأ أكثر السبعة بالجمع، وأما مصاحفنا فبالإفراد (٨) من ظ، وفي الأصل: لا يضيع. (٩) من ظ، وفي الأصل: اخبروا (١٠) من ظ، وفي الأصل: تاقب - كذا.

و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين اجرموا﴾ أي قطعوا ما ينبغي أن يوصل ﴿صغار﴾ [أي رضى بالذل لعدم الناصر -[1]]؛ و لما كان الشيء تعظم[2] بعظمة محله و من كان منه ذلك الشيء قال[3]: ﴿عند الله﴾ أي الجامع[4] لصفات العظمة ﴿و عذاب﴾ ٥ أي مع الصغار ﴿شديد﴾ أي في الدنيا بالقتل و الخزي و في الآخرة بالنار ﴿بما﴾ أي بسبب ما ﴿كانوا يمكرون ه﴾.

و لما تقدم أنه تعالى أعلم بمن طبع على قلبه فلا ينفك عن الضلال، و من يقبل الهداية في الحال أو المآل[5]، و أن مكر المجرمين إنما هو بإرادته و نافذ قدرته، علم أن الأمر أمره، و القلوب بيده، ١٠ فتسبب عن ذلك قوله: ﴿فمن يرد الله﴾ أي الذي له جميع الجلال و الإكرام ﴿ان يهديه﴾ أي يخلق[6] الهداية في قلبه من أكابر المجرمين أو غيرهم ﴿يشرح صدره﴾ أي يوسعه بأن يجعله مهيئا قابلا بالنور ﴿للاسلام ج﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس: روى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا رسول الله! و هل ينشرح الصدر؟ فقال: نعم، ١٥ يدخل القلب نور، فقال: و هل لذلك من علامه؟ فقال صلى الله عليه و سلم: التجافي عن دار الغرور[7] و الإنابة إلى دار الخلود و الاستعداد

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: تعظيم (٣) من ظ، و في الأصل: فقال (٤) من ظ، و في الأصل: جامع (٥) في ظ: المثال - كذا (٦) في ظ: خلق (٧) زيد بعده في الأصل: فقال و هل لذلك من علامة، و لم تكن الزيادة في ظ ولا في تفسير الطبري حيث سبقت هذه الرواية فحذفناها.

للموت قبل[1] الموت، و في روايـــة: الفوت ﴿ و من يرد ﴾ أي الله، و لم يظهر هنا إشارة إلى أن الضلال على مقتضى الطبع ﴿ ان يضله ﴾ أي يخلق الضلال و يديمـــه في قلبه ﴿ يجعل صدره ﴾ أي الذي هو مسكن[2] قلبه الذي هو معدن الأنوار ﴿ ضيقا حرجا ﴾ أي شديد الضيق فيكون[3] مرتجسا أي مضطربا. روى أن عمر رضي الله عنه أحضر ٥ أعرابيا من كنانة من بني مدلج فقال له: ما الحرجة؟ فقال: شجرة لا تصل إليها[4] وحشية و لا راعية، و ساق البغوي القصة[4] و لفظه: و قال: الحرجة فينا الشجرة تكون[5] بين الأشجار [التي -[6]] لا تصل إليها راعية لا وحشية و لا شيء - ثم اتفقا - فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب[7] الكافر[8] لا يصل إليه شيء من الإيمان و الخير؛ و زاد البغوي: قال سيبويه: ١٠ الحرج - بالفتح المصدر[9]، و معناه: [10]ذا حرج[10]، و بالكسر الاسم و هو أشد الضيق، و قال المهدوي: هنا الحرج الشديد الضيق و قد تقدم القول فيه، و قال في النساء في قوله تعالى " ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت[11] " أي ضيقا. و إلى هذا المعنى يرجع قول مجاهد: إنه الشك، و قول الضحاك: إنه الإثم، كأنه ضيق شك[12] أو ضيق إثم؛ و قال ١٥

---

(١) زيد في الطبري: ان ينزل (٢) في ظ: سكن (٣) في ظ: فيصير، و العبارة من هنا إلى « مضطربا » تقدمت فيه على « و في رواية » (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و معالم التنزيل - راجع الخازن ٢/١٥٠، و في الأصل: يكون (٦) زيد من المعالم (٧) من ظ و المعالم، و في الأصل: قليل - كذا (٨) في المعالم: المنافق.
(٩) زيد في المعالم: كالطلب (١٠ - ١٠) من المعالم، و في الأصل: اخرج.
(١١) آية ٦٥ (١٢) في ظ: يشك.

النحاس[١]: " حرجا مما قضيت " أى شكا و ضيقا ، و أصل الحرج الضيق - انتهى . و تحقيق ذلك أن الآية هنا فيها - بعد التأكيد بالإتيان بصيغة فعيل[٢] دون فاعل - تأكيد آخر إما / بالمصدر أو باسم الفاعل ، فأفاد زيادة على أصل الفعل و هى الشدة فيه . فعنى الفتح : ضيقا - بكسر الضاد و إسكان [الياء -[٣]] ، و معناه - إن كسرت حرجا - ضيقا[٤] باعادة اسم الفاعل ، و مادة 'حرج' بخصوص[٥] هذا الترتيب تدور على المكان الضيق الكثير[٦] الشجر . و يلزمه الشخوص[٧] على وجه الأرض و الارتفاع و الجمع والمنع و الشدة و الحيرة و الحر و البرد . و هى - بأى ترتيب كان و هى خمسة : حرج جحر[٨] رجح حجر[٩] جرح - تدور على الحجر الذى هو الجسم المعروف ، و يلزمه الثقل[١٠] و المنع و الحدة و الشخوص و الصلابة التى هى القسوة و يلزمها الضيق ، فيرجع إلى الصلابة الحرُج بمعنى الضيق ، و الحرجة للغيضة ، و الحرج للقلادة من الودع[١١] ، و الحرجوج للريح الشديدة الباردة ، و الناقة الحرجوج للوقادة القلب . و يجوز رجوعها إلى الحدة ، و الجرح لسرير الموتى لضيق الصدر من ذكره ، و لضيقه

(١) من ظ ، وفى الأصل : النحاسى (٢) فى ظ : فيعل (٣) زيد من ظ (٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ ، و فى الأصل : بمخصوص من (٦) من ظ ، و فى الأصل : الكبير (٧) فى ظ : الخصوص (٨) فى ظ : حجر (٩) فى ظ : حجر - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : النقل (١١) من ظ و تاج العروس ، وهو خرز يعلق فى العنق ، و فى الأصل : الردع - كذا .

عن أسِرّة الأحياء ، و منـه أيضا جحر الضب و نحوه للثقب المحتفر فى الأرض ، ويرجع إلى الثقل[1] الحرَج بمعنى الإثم ، و ينشأ[2] عن ذلك البعث[3] المفضى إلى الحيرة ، و منه حرجت عينه ، أى حارت فلا تطرف[4] ، و يلزم الثقل[1] أيضا الجرُح بمعنى الطعن النافذ فى البـدن ، و من ذلك اجترح - إذا اكتسب مالا ، لأنه من آثاره ، و منه الرجحان بمعنى الثقل ، ٥ و الحكم[5] الراجح الذى يوجب رزانة صاحبه ، و منه الأرجوحة لأن كلا من طرفيها يرجح بالآخر ، و يرجع إلى المنع[6] الحجرُ بمعنى العقل و بمعنى الحضن[7] و الحرام و الفرس[8] الأنثى لأنها قد تمنع من الركوب للحمل أو الولد ، و الحجر فى المال ، و الحجرة للناحية القريبة لأن الشئ إذا بعد عنك - و لو قدر باع - امتنع منك ، وكان التأنيث فيه لقربه[9] ، و يرجع ١٠ إلى الشخوص[10] الحرُج للناقة الطويلة ؛ و قال الإمام أبو الفتح ابن جنى[11] رحمه الله فى كتابه "المحتسب فى توجيه القراءات الشواذ" عند قوله تعالى فى هذه السورة " و حرث حرج[12] " فيمن قرأ بتقديم الراء : إن جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقى معانيها فى الضيق و الشدة و الاجتماع ، و إذا أنعمت النظر و تركت[13] الملل و الضجر وجـدت الأمر[14] كما قال ١٥

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : النقل (٢) من ظ ، و فى الأصل : نشأ (٣) فى ظ : الثقب (٤) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : فلا يطوف (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحلم (٦) فى ظ : المنعم (٧) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : الحضين (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) فى ظ : لقرية (١٠) من ظ ، و فى الأصل : النحوص (١١) هو عثمان بن جنى النحوى (١٢) راجع آية ١٣٨ . (١٣) من ظ ، و فى الأصل : تركب (١٤) من ظ ، و فى الأصل : الامام - كذا .

- والله أعلم - نحو الحجر و استحجر الطين و الحجرة [١] و بقيته، و كله [١] إلى التماسك و الضيق، و منه الحرج للضيق [٢] و الجرح مثله، و الحرجة ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله، و منه الحجر و بابه لضيقه، و منه الجرح لمخالطة [٣] الحديد للحم و تلاحمه [٤] عليه، و منه رجح الميزان - لأنه مال أحد شقيه نحو
٥ الأرض فقرب منها و ضاق ما كان واسعا بينه و بينها، فان قلت : فانه إذا مال أحدهما إلى الأرض [٥] فقد بعد الآخر؟ قيل: كلامنا على الراجح و الراجح هو الذى إلى الأرض. فأما الآخر فلا يقال له: راجح، و إذا ثبت ذلك - و قد ثبت - فكذلك قوله تعالى " و حرث حرج [٦] " في معنى حجر، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة لن يطعمها إلا من يسألون
١٠ أن يطعموه إياها بزعمهم - انتهى.

و لما كان صاحب هذا الصدر لا يكاد [٧] الهداية تصل إليه، و إن وصل اليه شيء منها على لسان واعظ و من طريق مرشد ناصح لم تجد مسلكا فنكصت، و هكذا لا تزال في اضطراب و تردد أبدا؛ كانت ترجمته قوله: ﴿ كأنما يصعد ﴾ أى يتكلف هذا الشخص في قبول الهداية الصعود
١٥ ﴿ في السمآء ﴾ فى خفاء حياء من مزاولة ما لا يمكن، بما أشار [٨] إليه قراءة من أدغم التاء فى الصاد، فكلما أصعدته حركته الاختيارية أهبطته

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: نفسه و كل - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: لمخاطبة - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: يلاحمه (٧) فى ظ: الاخر وطى - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: حرح (٩) من ظ، و فى الأصل: لا تزال (١٠) فى ظ: اشارت.

حركته الطبيعية[1] القسرية ، كما نرى بعض الحشرات يحمل شيئا ثقيلا و يصعد به فى جدار أملس ، فيصير يتكاف ذلك فيقع ، ثم يتكلف الصعود أيضا فربما وصل إلى مكانه الأول و سقط ، و ربما سقط دونه ، فهو مما[2] يمتنع عادة ، فلا يزال مرتجسا أى مضطربا و مجامع الاضطراب عقبه بما / بعده كما يأتى .

٥ / ٢٥٠

و لما كان ما وصف به صدر الضال مما ينفر منه ، وكان[3] الرجس فى الأصل[3] لما يستقذر ، و المستقذر ينفر منه ، وكان هذا الكلام ربما أثار سؤالا[4] ، و هو أن يقال[5] : هل هذا - و هو جعل الضال على هذه الصفة - خاص بأهل هذا[6] الزمان ، أجيب بما حاصله : لا ، ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ما جعل الله الرجس على [من - [7]] أراد ضلاله من أهل هذا[6] الزمان ١٠ ﴿ يجعل الله ﴾ أى بما له من القدرة التامة و العظمة الباهرة ﴿ الرجس ﴾ أى الاضطراب و القذر ﴿ على الذين لا يؤمنون ﴾ من أهل كل زمان لإرادته سبحانه دوام ضلالهم ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الضلال دليلا على حذفه ثانيا ، و ذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه أولا ، و الآية نص فى[6] أن الله يريد هدى المؤمن و ضلال الكافر .

١٥

و لما ذكر ما ألزمه لأهل الضلال بلفظ ما يستقذر ، كان فى غاية الحسن تعقيبه بالصراط ، فانه مما يعشق لاستقامته و إضافته إلى الرب الذى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطبعة (٢) فى ظ : فيما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سولا (٥) من ظ ، و فى الأصل : تعالى . (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

له - مع استجماع الكمالات كلها ـ صفة العطف و الإحسان و اللطف ، و إضافة الرب إلى هذا الرسول الذى[1] يعشق خلقه و خلقه كلُ من يراه أو يسمع به ، و أحسن من ذلك و أمتن أن مادة 'رجس' تدور على الاضطراب الملزوم للعوج الملزوم للضلال المانع من الإيمان ، فلما مثل
٥ سبحانه حال الضال بحال المضطرب ، و[1] أخبر أنه ألزم هذا الاضطراب كل من لايؤمن ، أتبعه وصف سبيله بالاستقامة التى هى أبعد شيء عن الاضطراب الملزوم للعوج ، وكان التقدير : فهـذه حال أهل الضلال ، فعطف عليه قوله : ﴿ و هذا ﴾ أى[1] الذى ذكرناه من الشرائع الهادية فى هذا القرآن التى ختمناها بأن الهادى المضل هو الله وحده ، لا الإتيان
١٠ بالمقترحات و لوجاءت كل آية ﴿صراط﴾ أى طريق ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك حال كون هذا الصراط ﴿ مستقيما[1] ﴾ أى[1] لا عوج فيه أصلا ، بل هو على منهاج الفطرة الأولى التى هى فى أحسن تقويم بالعقل[2] السليم الذى لم يشبه[3] هوى و لم يشبه[3] خلل فى أن الأمر كله [4]بيد الله[4] لكيلا يزال الإنسان خائفا من الله و راجيا له لأنه القادر على
١٥ كل شيء ، و أما غيره فلا قدرة له إلا بتقديره لأنه خلق[5] القوى و القدر عندنا و عند المعتزلة ، فلتكن الجزئيات كذلك لأن الخلق لا يتصور بغير علم ، و ليس غير الله محيط العلم ؛ قال الإمام : فالآية التى قبلها من المحكمات ، فيجب إجراؤها على ظاهرها ، و يحرم التصرف فيها بالتأويل .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بالفعل (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يشبيه .
(٤-٤) فى ظ : فيه (٥) فى ظ : الخالق .

و لما كان جميع ما فى هذا الصراط على منهاج العقل ليس شيء [منه -[1]] خارجا عنه[2] و إن كان فيه ما لا يستقل بادراكه العقل ، بل لا بد له فيه من إرشاد الهداة[3] من الرسل الآخذين عن الله ، قال مبينا لمدحه مرشدا إلى انتظامه مع العقل : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى غاية التفصيل بما لنا من العظمة ﴿ الأيٰت ﴾ أى كلها فصلا فصلا[4] بحيث تميزت تميزا[5] ٥ لا يختلط واحد منها بالآخر ﴿ لقوم يذكرون ﴾ أى يجهدون أنفسهم فى التخلص من شوائب[6] العوائق للعقل من الهوى و غيره - و لو على أدنى وجوه الاجتهاد بما يشير اليه الإدغام - ليذكروا [أنه قال : ما من شيء ذكرناه إلا و قد أودعنا فى عقولهم شاهدا عليه .

و لما كان التذكر - [1]] عند الآيات لا يكون إلا من أهل العنايات ١٠ فى طرق الهدايات ، قال مرغبا فى التذكر فانه سبب الفيض الإلٰهى على القلوب المهيأة له : ﴿ لهم ﴾ أى المتذكرين ﴿ دار السلٰم ﴾ أى الجنة ، أضافها سبحانه إليه زيادة فى الترغيب فيها ، و خص هذا الاسم الشريف لأنه لا يلم بها شيء من عطب و لا خوف و لا نصب ؛ ثم زاد الترغيب فيها بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى [فى -[1]] ضمان المحسن إليهم و حضرته ١٥ بما هيأهم له و يسره[7] لهم ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ وليهم ﴾ أى المتكفل[8] بتولى أمورهم ، لا يكلهم إلى أحد سواه ، و هذا يدل على قربه منهم ،

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : منه (٣) فى ظ : الهداية (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تميزا (٦) فى ظ : شوايق - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : سيره (٨) فى ظ : المتكلف .

/ ٢٥١ و العندية تدل على قربهم منه لما[1] شرح / من صدورهم بالتوحيد؛ و لما كان ذلك ربما قصر[2] على التذكر، بين أن المراد منه التأدية إلى الأعمال فانها معيار الصدق[3] و ميزانه فقال: ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ [4]أى كما جبلهم عليه، فما كان ذلك إلا بفضله[4] ﴿ يعملون ﴾

٥ و لما فصل سبحانه أحوال الفريقين، و حض على التذكر[5] تنبيها على أن كل ما فى القرآن مما يهدى إليه العقل، و ذكر مآل[6] المتذكرين فأفهم أن غيرهم إلى عطب، لأنهم تولوا ما يضرهم لأنهم تبعوا شهواتهم، و كان من المعلوم أنهم يعبدون[7] غير مالكهم، و أنه ما من عبد يخدم غير سيده بغير أمر سيده إلا عاتبه أو[8] عاقبه، هذا مركوز فى كل عقل؛ ذكر سبحانه

١٠ ما يتقدم ذلك المآل[9] من الأهوال فى[10] الأجل المسمى الذى أخفاه عنده و جعله من أعظم مبانى[11] هذه السورة، و أبهمه [فى -[12]] أولها، و بين فى[13] أثنائها بعض [4]أحواله مرارا فى وجوه من أفانين البيان، و هو يوم الحشر، فذكر هنا سبحانه بعض[4] أحوال الغافلين [و بعض -[13]] ما يقول لهم فيه و ما يفعله معهم من عتاب و عقاب، [14]لطفا بهم[14]

١٥ و استعطافا إلى المتاب، فقال جامعا الفريقين: ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر فى

---

(١) فى ظ : بما (٢) فى ظ : تصبر (٣) فى ظ : الصدر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : التذكير (٦) فى ظ : حال (٧) فى ظ : يعتدون (٨) فى ظ « و » (٩) فى ظ : المثال (١٠) فى ظ : من (١١) فى ظ : معانى (١٢) زيد من ظ (١٣) سقط من ظ (١٤-١٤) فى ظ : لطايفهم - كذا.

تذكرك يوم ﴿ نحشرهم[1] ﴾ أى أهل ولايتنا و أهل عداوتنا ﴿ جميعا ج ﴾ لا نذر منهم أحدا ﴿ يا[2] ﴾ أى فنقول على لسان من نشاء من جنودنا لأهل عداوتنا تبكيتا و توبيخا حين لا يكون[3] لهم مدافعة أصلا : ﴿ معشر الجن ﴾ أى [المسترين الموحشين من - [4]] مردة الشياطين المسلطين على الإنس، و هم يرونهم من حيث لا ترونهم[5] ﴿ قد استكثرتم ﴾ أى [طلبتم - [4]] ٥ و أوجدتم[6] الكثرة ﴿ من الانس ج ﴾ أى من إغواء[7] [المؤنسين الظاهرين -[4]] حتى صار أكثرهم أتباعكم ، [فالآية من الاحتباك : عبر بما يدل على الستر أولا دلالة على ضده - و هو الظهور - ثانيا ، و بما معناه الاستئناس و السكون ثانيا دلالة على ضده - و هو الإيحاش و النفرة - أولا - [4]] .

﴿ و قال ﴾ هو عطف على جواب الجن المستتر[8] [عن - [4]] العامل فى ١٠ " يمعشر " الذى تقديره كما يهدى إليه الآيات [التى - [4]] تأتى[9] فى السورة الآتية فى تفصيل هذه المحاورة : فقالوا : ربنا هم ضلوا ، لأنهم[10] كانوا يستمتعون بنا فى نفوذهم و سماعهم الأخبار الغريبة منا ، فاستوجبوا العذاب بمفردهم ، و ستر جواب الجن لأنه - مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه - مناسب لحالهم فى الاستتار مع شهرتهم ، [و ذكره - [4]] بلفظ الماضى ١٥ إشارة الى تحقق وقوعه ، لأنه خبر من لا يخلف الميعاد ، و المراد بهذه المحاورة ضرب مما يأتى تفصيله بقوله[11] "قالت اخرىهم لاولىهم ربنا هؤلاء اضلونا" -

---

(١) و قراءة حفص بالغيبة (٢) تقدم فى الأصل على « معشر الجن » و الترتيب من ظ (٣) فى ظ : لا تكون (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يرونهم. (٦) من ظ ، وفى الأصل : جدتم (٧) من ظ ، و فى الأصل : اغوايهم (٨) فى ظ : المسبب (٩) من ظ ، و فى الأصل : يأتى (١٠) سقط من ظ (١١) سورة ٧ آية ٣٨.

الآية، و قوله "فقال الضعفؤا [1]للذين استكبروا[1] انا كنا [لكم -[2]] تبعا" - الآية ﴿ او ليٓؤهم ﴾ أى الجن ﴿ من الانس ﴾ [أى - [3]] الذين تولوهم بالاتباع و الطاعة فيما دعوهم إليه من الضلال ، معترفين مستعطفين ﴿ ربنا ﴾ [أيها المربى لنا المحسن إلينا - [3]] ﴿ استمتع ﴾ أى طلب المتاع

٥ و أوجده ﴿ بعضنا ببعض ﴾ نحن بهم فيما قالوا ، و هم بنا فى طاعتنا لهم و عياذنا بهم ﴿ و بلغنآ ﴾ أى نحن و هم ﴿ اجلنا ﴾ و أحالوا[4] الأمر على القدر فقالوا : ﴿ الذىٓ اجلت لنا[5] ﴾ و هو الموت الذى كتبته علينا و[5] سويت بيننا فى سوط قهره و تجرع كؤس حره[6] و قره ، ثم هذا اليوم الذى كنا مشتركين فى التكذيب به ، فاستوجبنا العذاب كلنا .

١٠ و لما تم ذلك كان كأنه [قيل : فما - [3]] قال الله لهم بعد هذه المحاورة الغريبة التى[7] هى ضرب من كلام أهل الباطن فى الدنيا لجلج مضطرب لا حاصل له ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ أى المخاطب لهم عن[8] الله ﴿ النار مثوٰىكم ﴾ أى منزلكم جميعا من غير أن تنفعكم[9] الإحالة على القدر ﴿ خٰلدين فيهآ ﴾ أى إلى ما لا آخر له ، لأن الأعمال بالنية و قد كنتم

١٥ على عزم ثابت أنكم على هذا الكفر ما بقيتم و لو [إلى - [3]] ما لا آخر له ، فالجزاء من جنس العمل .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم - سورة ١٤ آية ٢١ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : احالة (٥) فى ظ : او (٦) من ظ ، و فى الأصل : من - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : لكن (٨) من ظ ، و فى الأصل : غير (٩) من ظ ، و فى الأصل : ينفعكم .

و لما كان [من - [1]] المقرر أنه لا تمام لملك من يجب عليه شيء و يلزمه بحيث لايقدر على[2] الانفكاك عنه ، بين سبحانه أن ملكه ليس كذلك ، بل هو[3] على غاية الكمال ، لايجب عليه شيء بل كل فعله جميل ، و جميع ما يبدو منه حسن ، فعلق دوام عذابهم على[4] المشيئة فقال: ﴿الا ما شآء﴾ و لما كان القصد فى هذه السورة إلى إظهار العظمة للغيرة على / مقام ٥ ٢٥٢/ الإلهية ، عبر بالاسم الأعظم فقال: ﴿الله﴾ أى الذى له رداء الكبر فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه و لا أن يهم بذلك ، هيهات هيهات ! انقطعت دون ذلك الآمال ، فظلت[5] ناكسة أعناق الرجال ، و بيده إزار العز ، فمن اختلج فى سره أن يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل و أنزله فى مهاوى الخزى ، و قد تقرر أنه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء ١٠ من ذلك عنهم فى حال من الأحوال ، و نطق الكتاب بذلك فى صرائح الأقوال ، و فى سوقه معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة فى عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه .

و لما كان فى إظهار الجلال فى هذا الحال من عظيم الأهوال ما لا يسعه المقال ، أتبعه اللطف بالمخاطب[6] به صلى الله عليه و سلم فقال[3]: ١٥ ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك برفع أوليائك و خفض أعدائك .

و لما كان السياق - فى مثل هذه المقاولة فى مجمع الحكَم - للحكمة و العلم ، و كان النظر إلى الحكمة فى تنزيل كل شيء منزله أعظم ، قدم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عن (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : فى (٥) فى ظ : وظلت (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالمخاطف -كذا .

وصفها فقال : ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يعذب المخلص و يترك المشرك و لا يعذب بعض من أشرك و يترك بعضا ﴿ عليم ﴾ أى بدقائق الأمور و جلائلها من الفريقين ، فلا يخفى عليه عمل أحد فيهمله لذلك .

و لما استبان بهذا أنه ولّى الكفرة من ظالمى الجن ظالمىّ الإنس ٥ و سلطهم عليهم ، أخبر تعالى أن هذا عمله مع كل ظالم من أىّ قبيل كان سواء كان كافرا أو لا فقال : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل تلك[1] التولية التى سلطنا بها الجن على الإنس بما زاد عذاب الفريقين ﴿ نولى ﴾ أى نتبع فى جميع الأزمان من جميع الخلق ﴿ بعض الظلمين[2] ﴾ أى الفريقين فى الظلم ﴿ بعضا ﴾ أى بأن نجمع[3] بين الأشكال فى الأوصاف الباطنة ١٠ والخصال ، و نسلط بعضهم على بعض فى الضلال و الإضلال ، و الأوجاع و الأنكال ﴿ بما كانوا ﴾ بجبلاتهم ﴿ يكسبون ﴾ أى بسبب اجتماعهم فى الطباع التى[4] طبعناهم عليها يجتمعون و ينقاد بعضهم لبعض ، بحسب ما سببنا من الأسباب الملائمة لذلك الظلم الذى يسرناه لهم ، حتى صارت أعمالهم كلها فى غير مواضعها ، فيظلم بعضهم بعضا و يهلك بعضهم بعضا ، ١٥ و هم لا يزدادون إلا الالتئام[5] حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من عذاب ؛ روى الطبرانى فى الأوسط عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله عز و جل يقول : أنتقم ممن[6]

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) تأخر فى الأصل عن « فى الظلم » والترتيب من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يجمع (٤) من ظ ، و فى الأصل : الذى. (٥) من ظ ، و فى الأصل : التيام (٦) فى ظ : بمن .

أبغض بمن أبغض ثم[1] أصيّر كلا إلى النار . و عن مالك بن دينار[2] قال:
رأيت[3] فى بعض كتب الله المنزلة أن الله تعالى يقول: أقى أعدائى بأعدائى
ثم أفنيهم[3] بأوليائى. أو[4] يقال: فقد أخبرنا أن الله عز و جل[5] ولى المؤمنين
بسبب محاسن أعمالهم، و مثل ما ولاهم ليعزهم يولى بعض الظلمة بعضا
ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطونه [من مساوى الأعمال و ردىء الخلال ٥
و غث الخصال فيؤديهم إلى مَهلك الأوجاع و الأوجال، أو يقال: فقد
بان أن كلا -[6]] من ظالمى الإنس و الجن كان وليا لكل، و كما
جعلنا بعضهم أولياء بعض فى الدنيا نفعل إذا حشرناهم فى النار فنجعل
بعضهم أولياء - أى أتباع - بعض[7]، ليستمتع بعضهم ببعض و ينصر[8]
بعضهم بعضا إن قدروا، و هيهات منهم ذلك هيهات! شغلهم البكاء والعويل ١٠
و الندم و النحيب .

ولما انقضت هذه المحاورة و ما أنتجته من بغيض الموالاة و المجاورة
و كان حاصلها أنها موالاة من ضرت موالاته، أتبعها سبحانه بمحاورة
أخرى حاصلها معاداة من ضَرت معاداته، فقال مبدلا من الأولى[9] إتماما
للتقريع و التوبيخ و التشنيع: ﴿يمعشر الجن﴾ قدمهم لأن السياق لبيان ١٥
غلبتهم ﴿و الانس﴾ و بكّتهم بقوله محذرا للسامعين الآن و مستعطفا لهم

---

(١) من ظ ، وفى الاصل: من (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل: قرأت (٣) فى ظ : افنتهم (٤) من ظ ، و فى الأصل « و » (٥) زيد بعده فى الأصل: يقول ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : يبصر (٩) من ظ ، و فى الأصل : الاول .

إلى التوبة : ﴿ الم ياتكم رسل ﴾ و لما صار الفيلان بتوجيه[1] الخطاب
نحوهم دفعة كالشيء الواحد قال : / ﴿ منكم ﴾ و إن كان الرسل من / ٢٥٣
الإنس خاصة .

[و لما كان النظر في هذه السورة إلى العلم غالبا لإثبات تمام القدرة
٥ الذي هو من لوازمه بدليل "يعلم سركم و جهركم"، "اليس الله باعلم
بالشكرين"، "و عنده مفاتح الغيب" و غيرها ، و لذلك أكثر فيها من
ذكر التفصيل الذي لا يكون إلا للعالم ، كان القص - الذي هو تتبع الأثر -
أنسب لذلك فقال -[2]] : ﴿ يقصون ﴾ بالتلاوة و البيان لمواضع الدلائل
﴿ عليكم اٰيٰتي ﴾ أي يتبعون بالعلامات التي يحق لها بما لها من الجلال
١٠ و العظمة أن تنسب[3] إلى مواضع شبهكم ، فيحلونها [حلا -[3]] مقطوعا به
﴿ و ينذرونكم ﴾ أي يخوفونكم ﴿ لقآء يومكم هذا ﴾ أي بما قالوا لكم
أنه يطلبكم طلبا حثيثا و أنتم صائرون[4] إليه في سفن الأيام و مراكب الآثام[5]
- و أنتم لا تشعرون - سيرا سريعا ﴿ قالوا ﴾ معتذرين من أنفسهم بالذل
و الخضوع ﴿ شهدنا ﴾ بما فعلت بنا أنت سبحانك من المحاسن و ما فعلنا
١٥ نحن من القبائح ﴿ علىٰ انفسنا ﴾ أي باتيان الرسل إلينا و نصيحتهم لنا
بدليل الآية الأخرى "قالوا بلى و لكن حقت كلمة العذاب على الكفرين[6]"
و بين أن ضلالهم كان بأردإ الوجوه و أسخفها الدنيا ، بحيث أنهم اغتروا
بها مع دناءتها[7] لحضورها عن الآخرة مع شرفها لغيابها فقال[8] : ﴿ و غرتهم ﴾

(١) في ظ : بتوجه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
ينسب (٤) من ظ ، و في الأصل : سايرون (٥) في ظ : الانام (٦) سورة ٣٩
آية ٧١ (٧) في ظ : ردايها (٨) سقط من ظ .

أى شهدوا هذه الشهادة و الحال أنهم قد غرتهم ﴿ الحيوٰة الدنيا ﴾ أى الحاضرة عندهم إذ ذاك الدنية[1] فى نفسها لفنائها، عن اتباع الرسل دأب الجاهل فى الرضى بالدون[2] و الدابة فى القناعة بالحاضر، فشهادتهم ضارة بهم، و لكن لم يستطيعوا[3] كتمانها، بل ﴿ و شهدوا ﴾ أى فى هذا الموطن من مواطن القيامة الطوال ﴿ علىٰ انفسهم ﴾ أيضا بما هو أصرح[4] فى ٥ الضرر عليهم من هذا، و هو ﴿ انهم كانوا ﴾ [5]جبلة و طبعا[5] ﴿ كٰفرين ﴾ أى غريقين فى الكفر، و يجوز أن يكون الغرور بأنهم ظنوا[6] أحوال الآخرة تمشى على ما كانوا يألفونه فى الدنيا من أن الاعتراف[7] بالذنب و التكلم بالصدق قد ينفع المذنب و يكف من سورة المغضب[8] حتى يترك العقاب و يصفح عن الجريمة، فلذلك شهدوا باتيان الرسل إليهم و إقامة ١٠ الحجة عليهم، و شهدوا على أنفسهم بالكفر، فما زادهم ذلك إلا وبالا و حزنا و نكالا .

و لما ذكر سبحانه إقامة الحجة[9] على الكافر فى المعاد بالرسل عليهم السلام، علل إرسالهم ترغيبا و حثا فى اتباعهم فى أيام المهلة بعد ترهيب، و تنبيها و إرشادا فى صادع تخويف و تأديب فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر ١٥ العظيم الجدوى هو أن أرسلنا الرسل ﴿ ان ﴾ أى لأجل أنه[10] ﴿ لم يكن ربك ﴾ أى المحسن إليك بتشريف قومك ﴿ مهلك ﴾ أى ثابتا إهلاكه ﴿ القرى بظلم ﴾

---

(١) فى ظ : الدنيا (٢) من ظ ، وفى الأصل : بالدور (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم تستطيعوا (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) فى ظ : طلبوا (٧) من ظ ، وفى الأصل : الاغرار - كذا (٨) فى ظ : الغضب . (٩) زيد بعده فى ظ : عليهم (١٠) سقط من ظ .

أي بسبب ظلم ارتكبوه ﴿ و اهلها غفلون ﴾ أي[1] غريقون في الغفلة عما يجب عليهم مما لا تستقل به عقولهم، أي[2] بما ركب فيهم من الشهوات و غلب عليهم من اللذات، فأوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما يراد بهم، فأرسلنا إليهم الرسل حتى [3]أيقظوهم من[3] رقدتهم و أنبهوهم من غفلتهم،

٥ فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب و العدل الصائب، و يجوز أن يكون المعنى: مهلكهم ظالما، فيكون المنفي من الظلم[4] كالمنفي في قوله تعالى "و ما ربك بظلام للعبيد"[5] [6]و على الأول المنفي ظلمهم[6].

و لما بين سبحانه أن لأحد الفريقين دار السلام، و الآخر دار الملام، قال جامعا للفريقين عاطفا على قوله «لهم دار السلم عند ربهم»:

١٠ ﴿ و لكل ﴾ أي [عامل من - [7]] الفريقين صالح أو[8] طالح [في قبيلي الجن و الإنس - [7]] في الدارين ﴿ درجت ﴾ أي يعليهم الله بها ﴿ مما ﴾ أي من أجل ما[2] ﴿ عملوا ﴾ و دركات يهويهم فيها كذلك.

و لما تقدم أنه تعالى[9] لا يهلك المجرمين إلا بعد الإعذار إليهم، و تضمن[10] ذلك إمهالهم، وختم أحوالهم بأنهم موضع لثبوت الغفلة و دوامها،

١٥ نفى أن يسلم شيء من ذلك بجناب عظمته على وجه أثبت[11] له [ذلك - [7]] إحاطة[12] العلم بجميع أعمالهم فقال: ﴿ و ما ربك ﴾ أي المحسن إليك باعتلاء أوليائك و إسفال أعدائك، و أغرق في النفي لإثبات مزيد العلم فقال:

---

(١) زيد بعده في ظ: اهلها (٢) سقط من ظ (٣-٣) في ظ: ايقظوا (٤) في ظ: الظلم (٥) سورة ٤١ آية ٤٦ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ. (٨) في ظ: و (٩) زيد بعده في ظ: أنه (١٠) من ظ، وفي الأصل: يتضمن. (١١) في ظ: ثبت (١٢) في ظ: باحاطة.

﴿ بغافل عما تعملون[1] ﴾ أي عن شيء يعمله أحد من الفريقين ، بل هو[2] عالم بكل شيء / من ذلك و بما يستحقه العامل قادر على جزائه ، فلا يقع في وهم أن الإمهال لخفاء الاستحقاق بخفاء الموجب له ، [فالآية من النصوص في كتابة الصالحين من الجن ـ[3]] .

/ ٢٥٤

و لما كان طلب العبادة للائتمار و الانتهاء ربما[4] أوهم الحاجة إليها ٥ لنفع في الطاعة أو[5] ضرر يلحقه سبحانه من المعصية ، و[2] كان الإمهال مع المبارزة ربما[6] ظن أنه عن عجز ، قال مرغبا مرهبا : ﴿ و ربك ﴾ أي المحسن إليك و إليهم بارسالك ، و حصر الخبر في المبتدإ بقوله : ﴿ الغني ﴾ أي وحده الغنى المطلق عن كل عابد و عبادته[7] ، فليعمل العامل لنفع نفسه أو ضرها ﴿ ذو الرحمة ﴾ أي وحده بالإمهال و الإرسال للتنبيه[8] على ١٠ ما يستحقه من الأعمال ؛ و لما[9] كان اختصاصه بالغنى و الرحمة فلا رحمة إلا منه و لا غنى إلا عنه ، و أنه ما رتب الثواب و العقاب إلا رحمة منه و جودا ، استأنف بيان ذلك[9] . [و ـ[10]] أخبر عن هذا المبتدإ بوصفية عند من نجعلها وصفين بقوله مصرحا بما أفاداه[11] : ﴿ إن يشأ يذهبكم ﴾ أي جميعا بالإهلاك[12] ، فلا يقع في ظن أحد منكم أن الإهلاك متوقف[2] على شيء ١٥

(١) هذا على قراءة ابن عامر ، و قرأ الباقون بالغيبة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : انما (٥) في ظ « و » (٦) زيد بعده في الأصل : او هم الحاجة اليها و الامهال انما ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) في ظ : عبادة . (٨) من ظ ، و في الأصل : لتنبه (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيدت الواو لاستقامة العبارة (١١) من ظ ، و في الأصل : افاده (١٢) من ظ ، و في الأصل : باهلاك .

غير مشيئته ، و لكنه قضى بامهالكم إلى آجالكم رحمة لكم و إكراما لنبيكم صلى الله عليه و سلم ؛ ثم قال تحقيقا لغناه أيضا : ﴿ و يستخلف ﴾ .

و لما كان لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل[1] الجار فقال : ﴿من بعدكم﴾ أي بعد هلاككم ﴿ ما يشآء ﴾ أي يبدع غيركم من الخلق من جنسكم

٥ [أو غير جنسكم - [2]] كما أبدع أباكم آدم من التراب و التراب من العدم و فرعكم منه ﴿ كمآ انشاكم من ذرية ﴾ أي نسل ﴿ قوم ا'خرين ﴾ أي بعد أن أهلكهم أجمعين ، و هم أهل السفينة و قد كنتم نطفا في أصلابهم ، لم يكن[3] في واحدة[3] منها [حياة - [2]] .

و لما تقرر أن له الوصفين الملزومين للقدرة[4] ، أنتج ذلك قوله

١٠ جوابا لاستعجالهم بالعذاب استهزاء : ﴿ ان ما توعدون[5] ﴾ أي من البعث و غيره ﴿ لأت ﴾ أي لا بد من وقوعه لأن المتوعد لا يبدل القول لديه و لا كفوء له يعارضه فيه ﴿ و مآ انتم بمعجزين ﴾ أي بثابت لكم الإتيان بشيء يعجز[6] عنه الخصم ، فتمهد الأمر من جهته و من جهتكم لوجود المقتضى و انتفاء المانع ، و في ذلك تقرير لأمر رحمته لأن القادر

١٥ إذا أراد النقمة أخذ على غرة و لم يهدد ، و إذا أراد الرحمة تقدم[1] بالوعيد ليحذر الفائزون و يستسلم الخاسرون .

و لما تقرر ذلك من التهديد على إنكار البعث و تحرر ، فأنتج

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) في ظ : لواحدة (٤) في ظ : بالقدرة . (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و في الأصل : تدعون - كذا (٦) في ظ : يعجزكم .

الاجتهاد للعاقل - و لابد - [1] فى العمل، و كان [2] أكثر الخلق أحق [3]، أمره سبحانه بالنصيحة بقوله: ﴿قل يٰقوم﴾ أى يا أقرب الخلق إلىّ و أعزهم علىّ [4] و من لهم قيام فى الأمور و كفاية عند المهمات ﴿اعملوا﴾ و أشار إلى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بحرف الاستعلاء فقال: ﴿على مكانتكم﴾ أى على ما لكم من القدرة على العمل و المكنة قبل أن ٥ تأتى الدواهى و تسبقكم القواصم بخفوق الأجل، و فيه مع النصيحة تخويف أشد مما قبله، لأن تهديد الحاضر على لسان الغير مع الإعراض أشد من مواجهته بالتهديد، أى أنكم إن لم تقبلوا بذلك التهديد الأول كنتم أهلا للاعراض و البعد.

و لما كان أدل شيء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ١٠ ما نصح به و دعا إليه، قال مستأنفا أو معللا: ﴿انى عامل ج﴾ أى على مكانتى و بقدر استطاعتى قبل الفوت بحادث الموت، و يمكن أن يكون متمحضا للتهديد، فيكون المعنى: اعملوا بما أنتم تعملونه الآن من مخالفتى بغاية ما لكم من القوة، إنى كذلك أعمل فيما جئت به.

و لما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة، [و كان السياق ١٥ لعدم تذكرهم و غرورهم و قلة فطنتهم - [5]]، حسن إثبات الفاء فى قوله: [دون إسقاطها لأن الاستئناف يتعطف للسؤال فقال - [5]]: ﴿فسوف تعلمون﴾ أى يقع [4] لكم بوعد لا خلف فيه العلم، فكأنه قيل: أىّ علم؟ فقيل:

(١-١) فى ظ: للعمل (٢) زيد بعده فى ظ: فى (٣) فى ظ: احمق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ.

﴿من تكون له﴾ كونا كأنه جبل عليه ﴿عاقبة الدار﴾ أى بينى[1] وبينكم، وهذا فى إثبات الفاء بخلاف ما فى قصة شعيب عليه السلام من سورة هود عليه السلام[2] / [فى حذفها -[3]]؛ ولما كان التقدير جوابا ٢٥٥/ لما تقرر[4] من سؤالهم: عاقبة الدار للعامل العدل، استأنف قوله:

٥ ﴿انه لا يفلح الظلمون﴾ أى الغريقون فى الظلم كائنين من كانوا، فلا يكون لهم عاقبة الدار، فالآية من الاحتباك: ذكرُ العاقبة أولا دليل على حذفها ثانيا، وذكر الظلم ثانيا [دليل -[3]] على حذف العدل أولا.

ولما تمت هذه الآيات من[5] قبح طريقتهم فى[6] إنكار البعث وحسن طريقة الإسلام على هذا الأسلوب البديع والمثال البعيد المنال[7] الرفيع

١٠ وختمت[8] بحال الظالم، شرع فى تفصيل قوله "افغير الله اتخذ وليا فاطر السموت والارض" على أسلوب آخر ابتداه ببيان ظلمهم وجهالاتهم[9] وأباطيلهم تنبيها على سخافة عقولهم[10] تنفيرا عنهم بوضعهم الأشياء فى غير مواضعها وإخراجها عمن هى له ونسبتها إلى من لا يملك[11] شيئا وقتل الأولاد وتسييب[12] الأنعام وغير ذلك، فقال عاطفا على

١٥ "وجعلوا لله شركاء الجن": ﴿وجعلوا﴾ أى المشركون العادلون بربهم

(١) سقط من ظ (٢) راجع آية ٩٣ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: يقرر (٥) فى ظ: فى (٦) من ظ، وفى الأصل «و» (٧) من ظ، وفى الأصل: المنازل - كذا (٨) فى ظ: ختم (٩) من ظ، وفى الأصل: جهالتهم. (١٠) من ظ، وفى الأصل: عقوله (١١) فى ظ: لم يملك (١٢) من ظ، وفى الأصل: سبب - كذا.

الأوثان

الأوثان ﴿ لله ﴾ أي الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ مما ذرأ ﴾ أي خلق وأنشأ و بث[1] ولم يشركه فى خلقه أحد ﴿من الحرث و الانعام نصيبا ﴾ أي و جعلوا لشركائهم نصيبا؛ و لما [كان -[2]] الجعل لا يعرف إلا بالقول، سبب عنه قوله: ﴿ فقالوا ﴾ أي[3] بألسنتهم بعد أن قالوا بافئدتهم ﴿ هذا لله ﴾ أي الملك الأعلى ﴿ بزعمهم ﴾ أي ادعائهم الباطل ٥ و تصرفهم بكذب ادعائهم التخصيص بالله، ولذا أسقط الزعم من قوله: ﴿و هذا لشركآئنا ج ﴾ أي و ليس لهم سند فى هذه القسمة إلا أهواؤهم.

و لما كان هذا سفها بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شيء، بين من فعالهم ما هو أشد سفها منه بشرح ما لوح إليه التعبير بالزعم فقال مسببا عن ذلك و مفرعا: ﴿ فما كان لشركآئهم ﴾ أي بزعمهم ١٠ أنهم شركاء ﴿فلا يصل الى الله ج ﴾ أي الذى هو المالك مع اتصافه بصفات الجلال و الجمال ﴿ و ما كان لله ﴾ أي على ما له من الكبر و العظمة و الجلال و العزة ﴿ فهو يصل إلى شركآئهم ط ﴾ فاذا هلك ما سموا لشركائهم أو أجدب و كثر ما لله قالوا: ليس لآلهتنا بد من نفقة[4]، فأخذوا ما لله فأنفقوه[5] على آلهتهم، و إذا أجدب الذى لله و كثر ما لآلهتهم قالوا: ١٥ لو شاء الله لأزكى الذى له، فلا يردون عليه شيئا مما للآلهة.

و لما بلغ هذا غاية السفه قال: ﴿ سآء ما يحكمون ه ﴾ أي حكمهم هذا أسوأ حكم؛ ذكر الإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى فى سيرته[6] فى

(١) من ظ، وفى الأصل: ثبت (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: نفعه (٥) فى ظ: فانفقوا (٦) و اسمها الاكتفاء فى مغازى المصطفى والخلفاء الثلاثة - راجع كشف الظنون.

وفد خولان أنه كان لهم صنم يسمى عم أنس ، و أنهم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه و سلم ذكروا له أنهم كانوا يجعلون من أنعامهم و حروثهم جزءا له و جزءا لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه[1] فنسميه له و نسمي زرعا آخر حجرة[2] لله عز وجل ، فاذا مالت الريح بالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس ، وإذا مالت الريح بالذى جعلناه لعم أنس لم نجعله لله ، فذكرلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله عز وجل أنزل عليه فى ذلك "و جعلوا لله" - الآية ، قالوا : وكنا نتحاكم إليه فيتكلم[3] ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : تلك الشياطين تكلمكم ، قالوا : فاصبحنا برسول الله و قلوبنا تعرف أنه كان لايضر و لاينفع و لا يدرى من عبده ممن لم يعبده . و قال ابن هشام فى مقدمة السيرة أنهم كانوا يقسمون له ، فما دخل[4] فى حق عم أنس من حق الله الذى سموه له تركوه [له - [5]] ، و ما دخل فى حق الله من حق عم أنس ردوه عليه ، قال : و هم بطن من خولان يقال لهم الأديم ؛ [6]و قال عبد[6] الرزاق فى تفسيره : أخبرنا معمر[7] عن قتادة قال : كانوا[8] يعزلون من أموالهم شيئا فيقولون : هذا لله و هذا لأصنامهم ، فان ذهب شيء مما جعلوا لشركائهم

(١) فى ظ : واسطة (٢) من السيرة الحلبية ٣ / ٣٢٨ ، أى ناحية ، و فى الأصل و ظ : حجره (٣) من السيرة الحلبية ، و فى الأصل و ظ : فتكلم (٤) فى ظ : حصل (٥) زيد من سيرة ابن هشام ١ / ٢٨ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧) وقع فى ظ : محمد - خطأ (٨) فى ظ : كان .

يخالط شيئا مما جعلوه[1] ردوه، و إن ذهب شيء مما [جعلوه لله يخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه ، و إن أصابتهم سنة أكلوا مما جعلوا لله و تركوا ما -[2]] جعلوا لشركائهم ، فقال عز و جل " ساء ما يحكمون " و قال / البغوى : كانوا يجعلون لله من حروثهم و أنعامهم و ثمارهم و سائر أموالهم / ٢٥٦ نصيبا [و للأوثان نصيبا -[3]] ، فما جعلوه لله صرفوه للضيفان و المساكين ، ٥ و ما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام و خدمها[4] ، فان سقط شيء مما جعلوه[5] لله فى نصيب الأوثان تركوه و قالوا : إن الله غنى عن هذا ، و إن سقط شيء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان و قالوا : إنها محتاجة ، و كان إذا هلك أو[6] انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا[7] به ، و إذا هلك أو[6] انتقص شيء مما جعلوه للأصنام جبروه بما ١٠ جعلوه [لله -[8]] .

و لما كان هذا متضمنا لأنهم نقصوا أموالهم بأنفسهم فى غير طائل لجعلوها لمن لا يستحقها ، نبه تعالى على أن ذلك تزيين[9] من أضلهم من الشياطين من سدنة الأصنام و غيرهم من الإنس و من الجن المتكلمين من أجواف الأصنام و غيرهم ، فقال منبها على أنهم زينوا لهم ما هو أبين منه : ١٥ ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما زين لجميع المشركين تضييع أموالهم و الكفر بربهم شركاؤهم ﴿ زين لكثير من المشركين ﴾ .

(١) من ظ ، و فى الأصل : جعلوا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد من معالم التنزيل - راجع الخازن ٢ / ١٥٤ (٤) فى ظ : حدوها (٥) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : جعلوا (٦) فى ظ « و » (٧) من ظ و المعالم ، و فى الاصل : لم ينالوا . (٨) زيد من ظ و المعالم (٩) فى ظ : بتزيين .

و لما كان المزين لحسنه أهل لأن لا يقبل تزيينه و لا يلتفت إليه، فكان امتثال قوله غريبا، و كان الإقدام على فعل الأمر المزين أشد غرابة، قدمه تنبيها على ذلك فقال: ﴿ قتل اولادهم ﴾ أى بالوأد خشية الإملاق و النحر لآلهتهم، و شتان بين من يوجد لهم الولد و يرزقه و الرزق و يخلقه و بين من لا يكون إلا سببا فى إعدامه؛ و لما كان فى هذا غاية الغرابة تشوفت النفس إلى فاعل التزيين فقال: ﴿ شركاؤهم ﴾ أى و هم أقل منهم بما يخاطبون به من أجواف الأصنام و بما يحسن لهم السدنة و الأهوية بسبب الأصنام.

و لما كان هذا أمرا معجبا، كان الأمر فى قراءة ابن عامر المولود[1] فى زمان النبي صلى الله عليه و سلم المشمول[2] ببركة[3] ذلك العصر الآخذ عن جلة من الصحابة الموصوف[4] بغزارة العلم و متانة الدين و قوة الحفظ و الضبط و حجة النقل [فى - [5]] إسناد الفعل إلى الشركاء باضافة المصدر إلى فاعله أعجب، و فصل بين المضاف و المضاف إليه بالمفعول - و هو الأولاد - لأن وقوع القتل فيهم كما تقدم أعجب.

و لما كان ذلك ربما كان لفائدة استهين لها هذا الفعل العظيم، ذكر أنه ليس له فائدة إلا الهلاك فى الدنيا و الدين الذى هو هلاك فى الآخرة ليكون ذلك أعجب فقال: ﴿ ليردوهم ﴾ أى ليهلكوهم هلاكا لا فائدة فيه[6] بوجه ﴿ و ليلبسوا ﴾ أى يخلطوا و يشبهوا ﴿ عليهم[7] دينهم[1] ﴾

(١) من ظ، و فى الأصل: المولد (٢) من ظ، و فى الأصل: المشمولة (٣) فى ظ: بنظر - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: تحته (٧) من ظ و القرآن الكريم، و سقط من الأصل.

أى

أي و هو دين إبراهيم الذى أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام فما أقدم عليه إلا بأمر الله ثم إنه فداه و لم يمض ذبحه، فخالف هؤلاء عن أمر الشركاء الآمرين معا فجمعوا لهم بذلك بين إهلاكين: فى النفس و الدين، فان القتل فى نفسه عظيم جدا، و وقوعه تدينا بغير أصل و لا شبهة أعظم، فلا أضل ممن تبع من كان سببا لإهلاك نفسه و دينه. ٥

و لما كان العرب يدعون الأذهان الثاقبة و الأفكار الصافية و الآراء الصائبة و العقول الوافرة النافذة[1]، ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل استهزاء بهم، يعنى أنهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم يفطنوا بهم و لم يدركوا ما أرادوا بكم مع أنهم حجارة، فأنتم أسفل منهم؛ و لما أثبت للشركاء فعلا هو التزيين، و كان قد نفى سابقا عنهم و عن سائر أعداء الأنبياء ١٠ الاستقلال به، و أناط[2] الأمر هناك - لأن السياق للأعداء - بصفة الربوبية المقتضية للحياطة و العناية، و كان الكلام هنا فى خصوص الشركاء، علق الأمر باسم الذات الدال على الكمال المقتضى للعظمة و الجبروت و الكبر و سائر الأسماء الحسنى على وجه الإحاطة و الجلال فقال:

/ ﴿و لو شآء الله﴾ أى بما له من العظمة و الإحاطة بجميع أوصاف الكمال ١٥ /٢٥٧ المقتضية للعلو عن الأنداد [3]و التنزه[3] عن الشركاء و الأولاد أن لا يفعله المشركون ﴿ما فعلوه﴾ أى ذلك الذى زين[4] لهم، بل ذلك إنما هو بارادته و مشيئته احتراسا من ظن أنهم يقدرون على شيء استقلالا، و تسلية

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: ناط (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: النيرة - كذا (٤) فى ظ: زينه.

لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تخفيفا ، و أكد التسلية بقوله : ﴿ فذرهم و ما يفترون ﴾ أى يتقولون [١] من الكذب و يتعمدونه .

و لما ذكر إقدامهم على ما قبحه الشرع [٢] ، و لامه على تقبيحه العقلُ من قتل الأولاد ، أتبعه إحجامهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الأنعام
٥ لنفعهم ، و ضم إليه جملة مما منعوا [٣] أنفسهم منه و دانوا به لمجرد [٤] أهوائهم فقال : ﴿ و قالوا ﴾ أى المشركون سفها و جهلا ﴿ هذه ﴾ إشارة إلى قطعة من أموالهم عينوها لآلهتهم ﴿ انعام و حرث حجر ﴾ أى حرام محجور عليه فلا يصل أحد إليه ، و هو وصف يستوى فيه الواحد و الجمع [٥] و المذكر و المؤنث ، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات ﴿ لا يطعمها ﴾ أى يأكل
١٠ منها ﴿ الا من نشآء ﴾ أى من السدنة و نحوهم ﴿ بزعمهم ﴾ أى بتقولهم بمجرد الهوى من غير سند عن الله الذى له ملكوت السماوات و الأرض ، و هم كاذبون فى هذا الزعم فى أصل التحريم و [٦] فى نفوذ المنع ، فلو أراد الله أن تؤكل لأكلت و لم يقدروا على منع ﴿ و انعام ﴾ .

و لما كان ذمهم على مجرد التحريم لا على كونه من معين ، بنى للمجهول
١٥ قوله : ﴿ حرمت ظهورها ﴾ يعنى البحائر و ما معها فلا تركب [٧] ﴿ و انعام لا يذكرون ﴾ أى هؤلاء المتقولون على الله ﴿ اسم الله ﴾ الذى حاز جميع العظمة ﴿ عليها [٦] ﴾ أى فى الذبح أو غيره ﴿ افترآء ﴾ أى تعمدا للكذب ﴿ عليه ﴾ .

---

(١) فى ظ : ينقلون (٢) فى ظ : الشر (٣) فى ظ : نفعوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بمجرد (٥) من ظ ، و فى الأصل : الجميع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يركب .

و لما كان هذا لعظمه من[١] جهة أنه تعمد للكذب على ملك الملوك [موضع-[٢]] تشوف السامع إلى ما يكون [٣]عنه، استأنف[٣] قوله: ﴿سيجزيهم﴾ أي بوعد صادق لا خلف فيه ﴿بما﴾ أي بسبب ما ﴿كانوا﴾ أي جبلة و طبعا ﴿يفترون ه﴾ أي يتعمدون من الكذب، أما بعد إظهار الحق فواضح، و أما قبله فلكونه في غاية ما يكون من ظهور[٤] الفساد . و لما ذكر من سفههم ٥ ما فيه إقدام محض و ما فيه إحجام خالص محت، أتبعه ما [هو -[٢]] مختلط[٥] منهما فقال: ﴿و قالوا﴾ أي المشركون أو بعضهم و أقره الباقون ﴿ما في بطون هذه﴾ [إشارة إلى ما اقتطعوه لآلهتهم، و يبنوه بقولهم-[٢]] : ﴿الانعام﴾ أي من الأجنة ﴿خالصة﴾ أي خلوصا لا شوب فيه . أنث للحمل على معنى الأجنة، أو تكون التاء للمبالغة [٦]أو تكون[٦] مصدرا كالعافية[٧]، أي ذو خالصة ١٠ ﴿لذكورنا﴾ ؛ ولما[٨] كان المراد العراقة في كل صفة، أتى بالواو فقال: ﴿و محرم﴾ و حذف الهاء إما حملا على اللفظ أو تحقيقا لأن المراد بـ "خالصة" المبالغة ﴿علىٓ ازواجنا﴾ أي إناثنا، و كأنه عبر بالأزواج بيانا لموضع السفه بكونهن شقائق الرجال، هذا إن ولد حيا ﴿و ان يكن﴾ أي ما في بطونها ﴿ميتة﴾ وكأنه أثبت هاء التأنيث مبالغة ، و أنث الفعل أبو جعفر ١٥ و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم حملا على معنى "ما"، [٩]و رفع[٩] الاسم على التمام ابن كثير و أبو جعفر و ابن عامر، و ذكر ابن كثير لأن

(١) من ظ ، و في الأصل: في (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ ، و في الأصل: عن فاستانف - كذا (٤) في ظ: ظهر (٥) من ظ ، و في الأصل: ختلط - كذا. (٦-٦) من ظ، و في الأصل: و ان يكون (٧) في ظ: مصدر كالعاقبة (٨) سقط من ظ (٩-٩) من ظ ، و في الأصل: وقع .

التأنيث غير حقيقي، و نصب الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ[١] "ما" ﴿فهم﴾ أي ذكورهم و إناثهم[٢] ﴿فيه﴾ [٣]أي ذلك الكائن الذي في البطون[٣] ﴿شركآء[٤]﴾ أي على حد سواء.

و لما كان ذلك كله وصفا منهم للأشياء في غير مواضعها التي ٥ يحبها الله قال: ﴿سيجزيهم وصفهم[٤]﴾ أي بأن يضع العذاب الأليم في كل موضع يكرهون وصفه فيه، حتى يكون مثل وصفهم الذي لم يزالوا يتابعون[٤] الهوى فيه حتى صار خلقا لهم ثابتا فهو يريهم وخيم أثره، ثم علل ذلك بقوله: ﴿انه حكيم﴾ أي لا يجازي على الشيء إلا بمثله و يضعه في أحق مواضعه و أعدلها ﴿عليم﴾ أي بالمماثلة و من ١٠ يستحقها و على أي وجه / يفعل، و على أي كيفية يكون أتم و أكمل، و في ذلك أتم إشارة إلى أن هذه الأشياء في غاية البعد عن الحكمة، فهو متعال عن أن يكون شرعها و هي سفه[٥] محض لا يفعلها إلا[٦] ظالم جاهل.

/٢٥٨

و لما ذكر تعالى تفاصيل سفههم، و أشار إلى معانيها، جمعها[٧] - وصرح بما أثمرته من الخيبة - في سبع خلال كل واحدة منها سبب تام في حصول ١٥ الندم[٨] فقال[٦]: ﴿قد خسر﴾ و أظهر في موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين قتلوآ﴾ قرأها ابن عامر و ابن كثير بالتشديد لإرادة[٩] التكثير و الباقون بالتخفيف ﴿اولادهم سفها﴾ أي خفة إلى

---

(١) من ظ، و في الأصل: معنى (٢) في ظ: أنوثهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: يتابعوا (٥) في ظ: صفة (٦) سقط من ظ.
(٧) من ظ، و في الأصل: جميعها (٨) في ظ: الذم (٩) من ظ، و في الأصل: لأن.

الفعل المذموم وطيشا[1]، تؤزهم الشياطين الذين يتكلمون على ألسنة الأصنام أو سدنتها إلى ذلك أزا .

و لما كان السفه منافيا لرزانة[2] العلم الذى لا يكون الفعل الناشئ عنه إلا عن تأن و تدبر وتفكر و تبصر، قال مصرحا بما أفهمه: ﴿ بغير علم ﴾ أى و أما من قتل[3] ولده بعلم - كما إذا كان كافرا أو قاتلا أو محصنا ٥ زانيا - فليس حكمه كذلك ؛ و لما ذكر عظيم ما أقدموا عليه، ذكر جليل ما أحجموا عنه فقال: ﴿ و حرموا ما رزقهم الله ﴾ أى الذى لا ملك سواه رحمة لهم، من تلك الأنعام و الغلات، بغير شرع و لا نفع بوجه ﴿ افتراء ﴾ أى تعمدا للكذب[4] ﴿ على الله[4] ﴾ أى الذى له جميع العظمة .

و لما كانوا قد خسروا ثلاث خسرات مع ادعائهم غاية البصر ١٠ بالتجارات: النفس بقتل الأولاد، و المال بتحريم ما رزقهم الله، فأفادهم ذلك خسارة الدين، كانت نتيجته قوله: ﴿ قد ضلوا ﴾ أى جاوزوا[5] و حادوا عن الحق و جاروا ؛ و لما كان الضال[6] [7]قد تكون ضلالته[7] فلتة عارضة [له -[8]]، و تكون الهداية وصفا أصيلا فيه، نبه على أن الضلال وصفهم الثابت بقوله: ﴿ و ما كانوا ﴾ أى فى شىء من هذا من[9] خلق ١٥ من الأخلاق ﴿ مهتدين ؏ ﴾ أى لم يكن فى كونهم وصف الهداية، بل زادوا بذلك ضلالا ؛ قال البخارى فى المناقب من صحيحه : حدثنا

---

(١) فى ظ : طلبا (٢) من ظ، و فى الأصل : لرواية (٣) من ظ ، و فى الأصل : قبل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لكذب (٥) من ظ ، و فى الأصل : خاروا . (٦) من ظ ؛ و فى الأصل : الضلال (٧ - ٧) فى الأصل : يكون اضلاله ؛ و فى ظ : يكون ضلالة - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : فى .

أبو النعمان حدثنا[1] أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل[2] العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين و مائة فى سورة الأنعام "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها - إلى قوله : و ما كانوا مهتدين" . و له فى وفد بنى حنيفة من المغازى عن مهدى بن
٥ ميمون قال : سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : كنا نعبد الحجر فاذا[3] وجدنا حجرا[4] أحسن منه ألقيناه فأخذنا الآخر ، و إذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة[5] من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسنة ، فلا ندع رمحا فيه حديدة و لاسهما فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه [شهر رجب -[6]] .

١٠ و لما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد و النبوة و توابعها و المعاد و القضاء و القدر و الفعل بالاختيار[7] ، و أتقن تقرير هذه الأصول لا سيما فى هذه السورة ، و[8] انتهى إلى شرح أحوال السعداء[9] و الأشقياء ، و عجب سبحانه ممن أشرك و أنكر البعث و فعل أفعال المشركين تعجيبا بعد تعجيب ، و هجن[10] طريقتهم و وبخهم توبيخا فى إثر توبيخ بتكذيبهم للداعى من
١٥ غير حجة ، و حكى أقوالهم[11] الباطلة و دعاويهم الفاسدة مع ادعائهم أنهم

(١) من ظ و صحيح البخارى - المناقب ، و فى الأصل : يا - كذا (٢) فى ظ : امر (٣) من ظ و صحيح البخارى - المغازى ، و فى الأصل : فا - كذا (٤) زيد بعده فى ظ : جمعنا جثوة (٥) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : جنوده . (٦) زيد من ظ و الصحيح (٧) من ظ ، و فى الأصل : لاختيار (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : السعيد (١٠) من ظ ، و فى الأصل : هجر (١١) من ظ ، و فى الأصل : قولهم .

أصف الناس ، و مخالفتهم للهادى بغير ثبت و لا بينة مع ادعائهم أنهم أبصر الناس ، و بطلبهم للآيات تعنتا[1] مع ادعائهم أنهم [2] أعقل الناس ، و إخلاصهم فى الشدة و إشراكهم فى الرخاء مع ادعائهم أنهم[2] أشكر الناس ، و عبادتهم للجن و تعوذهم بهم مع ادعائهم أنهم أشجع الناس - ٥ إلى أن عجب منهم فيما شرعوه لأنفسهم فيما رزقهموه سبحانه من حيوان و جماد و مضوا عليه خلفا عن سلف ، تنبيها على ضعف عقولهم و قلة علومهم تنفيرا للناس عن الالتفات إليهم و الاغترار بأقوالهم[3] ، قال فى موضع الحال من " و جعلوا لله مما ذرا من الحرث [و الانعام "-[4]] الآية ، مبينا عظيم ملكه و شمول قدرته / و باهر اختياره و عظمته ، زيادة فى التعجيب /٢٥٩ ١٠ منهم فى تصرفهم فى ملكه بغير إذنه [سبحانه -[5]] و شرعهم ما لم يأذن فيه فى سياق كافل باقامة الحجة على تقرير التوحيد عودا على بدء و عللا بعد نهل ، لأنه المدار الأعظم و الأصل الأقوم : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذىٓ انشأ ﴾ أى من العدم ﴿ جنٰت ﴾ أى[6] من العنب و غيره ﴿ معروشٰت ﴾ [أى مرفوعات عن الأرض على الخشب و نحوه -[5]] ، ١٥ أى لا تصلح إلا معروشة ، و متى لم ترفع[7] عن الأرض تلف ثمرها ﴿ و غير معروشٰت ﴾ [2] أى غير مرفوعات على الخشب[2] ، أى[8] لا تصلح إلا مطروحة على الأرض مثقلة بما يحكم وصولها إليها ، و متى ارتفعت

(١) فى الأصل : نصسا ، و فى ظ : تعينا - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) فى ظ : باحوالهم (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لم يرفع (٨) فى الأصل « ا » و سقط من ظ .

عن الأرض تلفت، فما ذلك لطبيعة[1] و لا غيرها و إلا لاستوت الجنات كلها لأن نسبتها إلى السماء و الأرض واحدة، فما اختلف إلا بفاعل مختار واحد لا شريك له، لا يكون إلا ما يريد.

و لما ذكر الجنات الجامعة، خص[2] أفضلها [و أدلها على الفعل ٥ بالاختيار، و بدأ بأشهرها عند المخاطبين بهذه الآيات - [3]] فقال: ﴿و النخل﴾ أى و أنشأ النخل ﴿ و الزرع ﴾ حال كونه ﴿ مختلفا اكله ﴾ أى أكل أحد النوعين، و هو ثمره الذى يؤكل[4] بالنسبة إلى الآخر، و أكل كل نوع بالنسبة إلى الأشجار و غيرها فى الحمل و الطعم و غيره، بل و يوجد فى العذق الواحد الاختلاف، و أما اختلاف مقداره بكون هذا فى غاية ١٠ الطول و هذا فى غاية القصر فأمر واضح جدا ﴿ و الزيتون و الرمان﴾.

[و لما كان معظم القصد فى هذا السياق نفى الشريك و إثبات الفعل بالاختيار، لم يدع الحال إلى ذكر كمال الشبه فاكتفى بأصل الفعل فقيل - [3]]: ﴿متشابها﴾ أى كذلك ﴿و غير متشابه[5]﴾ أى فى اللون و الطعم و الفساد و عدمه و التفكه و الاقتيات و الدهن و الماء - إلى غير ذلك من أحوال ١٥ و كيفيات لا يحيط بها حق الإحاطة إلا بارئها سبحانه و عز شأنه، و لعله جمع الأولين لأن كلا منهما يدخر للاقتيات و لا يسرع فساده مع المفارقة[5] فى الشكل، و الاختلاف فى النوع بالشجر و النجم، و التفاوت العظيم فى المقدار، و الأخيرين[6] لأن الأول لا يفسد بوجه، و الثانى يسرع

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الطبيعة (٢) فى ظ: حصل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: توكل (٥) فى ظ: المقارنة (٦) زيد بعده فى ظ: ملك.

فساده، و يدخر كل منهما[1] على غير الهيئة التى يدخر عليها[2] الآخر مع كونهما من الأشجار و تقاربهما فى المقدار و تفاوت ثمرتهما فى الشكل و القدر و غير ذلك .

و لما كان قوله "و هو الذى انزل من السماء ماء" فى سياق الاستدلال على أنه لا فاعل إلا الله ، أمر فيه بالنظر إلى الثمر و الينع ليعتبر بحالهما ، ٥ وكانت هذه الآية فى سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله و الأمر بالأكل من حلال ما أنعم بـــه و النهى عن تركه تدينا فقال تعالى هنا: ﴿كلوا﴾ و قدم الأولى[4] المستدل بها على وجود البارئ و تفرده بالأمر لأن اعتقاد ذلك سعادة روحانية أبدية ؛ و قال أبو حيان فى النهر: لما كان مجيء تلك الآية فى معرض الاستدلال بها على الصانع و قدرته ١٠ و الحشر و إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم و إبراز الجسد و تكوينه من [العظم -[4]] الرميم و هو عجب الذنب، قال: "انظروا الى ثمره اذا أثمر و ينعه" إشارة إلى الإيجاد [أولا -[5]] و إلى غايته ، و هنا لما كان فى معرض الامتنان و إظهار الإحسان بما خلق لنا[6] قال: [كلوا -[7]]، و دل على أن الرزق أكثر من خلقه بقوله -: ﴿[7]من ثمرة[7]﴾ ، و لما كان ١٥ هذا الأمر للاباحة لا للارادة ، قيده لئلا يقتضى إيجاد الثمر فى كل جنة فى كل وقت فقال -: ﴿اذآ أثمر﴾ لحصل بمجموعها الحياة الأبدية و الحياة

---

(١) زيد بعده فى ظ: بالعلاج (٢) فى ظ : فيها (٣) من ظ ، و فى الأصل: الاول.
(٤) زيد من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٤/٢٣٥ (٥) زيد من النهر (٦) تأخر فى الأصل و ظ عن « قال » و الترتيب من النهر (٧-٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و دل على » ، و الترتيب من ظ .

الدنياوية السريعة الانقضاء و تقدم[1] النظر و هو الفكر على الأكل لهذا السبب . انتهى[2] . و عبر بـ " اذا " دون " إن " تحقيقا لرجاء الناس فى الخصب و تسكينا لآمالهم رحمة لهم و رفقا بهم إعلاما أنه إن وقع جدب كان فى ناحية دون أخرى و فى نوع دون آخر ، و إباحة للأكل فى جميع أحوال الثمرة نضيجة و غير نضيجة .

و لما كان فى الآيات الحاكية مذاهب الكفار تقبيح[3] أن يجعلوا شيئا من[4] أموالهم لأحد بأهوائهم ، أشار هنا إلى أنه فرض فيها حقا و جعل[5] له مصارف بقوله : ﴿ و اٰتوا حقه ﴾ و لما أباح سبحانه أكله ابتداء / و انتهاء ، بين أنه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء فقال : ﴿ يوم حصاده صلے ﴾ أى قطعه جذاذا كان أو حصادا ، فكذلك أول وقت نصاب[6] الأمر و هو موسع ، و الحق أعم من الواجب و المندوب ، فان أريد الندب عم الأنواع الخمسة الماضية : العنب المشار إليه بالعرش و ما بعده ، و إن أريد الوجوب فقد أشير بالتعبير بالحصاد إلى أن الأصل فى ذلك الحبوب المقتاتة ، و أما غيرها فتابع عليه ببيان[7] النبى صلى الله عليه و سلم فيطلق عليه الحصاد مجازا .

و لما أمر الله بالأكل من ثمره و بإيتاء حقه ، نهى عن مجاوزة الحد فى البسط أو[8] القبض فقال : ﴿ و لا تسرفوا ط ﴾ و هذا النهى يتضمن أفراد الإسراف ، [فيدخل فيه الإسراف فى أكل الثمرة حتى لا يبقى شيء منها للزكاة ، و الإسراف -[9]] فى الصدقة حتى لا يبقى لنفسه و لا لعياله شيئا ،

(١) فى ظ : يقدم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يفتتح (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : جعله (٦) فى الأصل و ظ : انصاب . (٧) من ظ ، و فى الأصل : بيان (٨) فى ظ «و» (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

و يؤيده "و كلوا و اشربوا [1] و لا تسرفوا [1]"، "و لا تبسطها كل البسط [2]"، ثم علله بقوله: ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾ أى لا يعاملهم معاملة المحب فلا يكرمهم، و قيل لحاتم الطائى: لا خير فى السرف فقال: و لا سرف فى الخير.

و لما كان السياق للآكل [3] من الحرث و الأنعام من حلال و حرام، و فرغ من تقرير أمر الحرث الذى قدم فى الجملة الأولى لأنه مادة الحيوان، ٥ قال: ﴿ و من ﴾ أى و أنشأ من ﴿ الانعام حمولة ﴾ أى ما يحمل الأثقال ﴿ و فرشا ﴾ أى و ما يفرش للذبح أو للتوليد، و يعمل من وبره و شعره فرش؛ و لما استوفى القسمين أمر بالأكل من ذلك كله على وجه يشمل [4] غيره مخالفة للكفار فقال: ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ أى لأنه [5] الملك الأعظم الذى [6] لا يسوغ [6] رد عطية ﴿ و لا تتبعوا ﴾ [و لعله شدد إشارة إلى العفو ١٠ عن صغيرة إذا ذكر الإنسان فيها رجع و لم يعتد فى هواه - [7]] ﴿ خطوٰت الشيطٰن ﴾ أى طريقه فى التحليل و التحريم كما قال فى البقرة "كلوا مما فى الارض حلٰلا طيبا و لا تتبعوا خطوٰت الشيطٰن [8]" و عبر بذلك لأنه - مع كونه من مادة الخطيئة - دال على أن شرائعه شريعة الاندراس، لو لا مزيد الاعتناء من الفسقة بالتتبع فى كل خطوة حال ١٥ تأثيرها لبادر إليها المحو لبطلانها فى نفسها، فلا أمر من الله يحييها و لا كتاب يبقيها، و إنما أسقط هنا "حلالا طيبا" لبيانه سابقا فى قوله "فكلوا [9]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و راجع سورة ٧ آية ٣١ (٢) سورة ١٧ آية ٢٩ (٣) من ظ، و فى الأصل: للاكل (٤) فى ظ: يشتمل (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: سوع - كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ. (٨) آية ١٦٨ (٩) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: كلوا.

مما ذكر اسم الله عليه"، " و لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه"، و لاحقا في قوله " قل لا اجد فيما اوحي الى [محرما - [1]] "؛ ثم علل نهيه عن اتباعه فقال: ﴿انه لكم عدو﴾ أى فهو لذلك لا يأمركم بخير ﴿ مبين ۝ ﴾ أى ظاهر العداوة لأن أمره مع أبيكم شهير .

٥ و لما رد دين المشركين و أثبت دينه ، و كانوا قد فصلوا الحرمة بالنسبة إلى ذكور الآدمى و إناثه ، ألزمهم تفصيلها بالنسبة إلى ذكور الأنعام و إناثه ، ففصل أمرها فى أسلوب أبان فيه[2] أن فعلهم رث[3] القوى هلهل النسيج[4] بعيد من قانون الحكمة ، فهو موضع للاستهزاء و أهل للتهكم ، فقال بيانا لـ "حمولة و فرشا": ﴿ثمنية ازواج ۚ﴾ أى أصناف ،

١٠ لا يكمل صنف منها إلا بالآخر ، أنشأها بزواج[5] كل من الذكر و الأنثى الآخر ، و [6]الحق بتسميتهم[6] الفرد بالزوج - بشرط أن يكون آخر من جنسه - تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر .

و لما كان الزوج يطلق على الاثنين و على ما معه آخر من نوعه ، قال مبينا أن هذا هو المراد [7]لا الاثنان[7] مفصلا لهذه الثمانية :

١٥ ﴿ من الضان ﴾ جمع ضائن و ضائنة كصاحب و صحب ﴿ اثنين ﴾ أى ذكرا و أنثى كبشا و نعجة ﴿ و من المعز ﴾ جمع ماعز و ماعزة كخادم و خدم فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و ابن عامر ، و تاجر و تجر فى

---

(١) زيد من ظ والقرآن الكريم (٢) من ظ ، وفى الأصل: منها (٣) فى ظ: رب - كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل: الشبح (٥) من ظ ، وفى الأصل: يراوح. (٦-٦) فى ظ: نحو تسميتهم (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن «ذكرا وأنثى».

قراءة غيرهم[1] ﴿ اثنين[4] ﴾ أي زوجين ذكرا و أنثى تيسا و عنزا.

و لما كان كأنه قيل: ما المراد بهذا التفصيل قبل سؤالهم عن دينهم، [قال - [2]]: ﴿ قل ﴾ أي لهم مستفهما؛ و لما كان هذا الاستفهام بمعنى التوبيخ و التهكم و الإنكار، أتى فيه بـ "ام" التي هي مع الهمزة قبلها بمعنى "أيّ" ليتفهم بها عما يعلم ثبوت بعضه و إنما يطلب تعيينه، فقال ٥ / معترضا بين المعدودات تأكيدا للتوبيخ، لأن الاعتراضات لا تساق / ٢٦١ إلا للتأكيد: ﴿ ءآلذكرين ﴾.

و لما كان المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله، قال[3]: ﴿ حرم ﴾ أي[4] الله، فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور[4] ﴿ ام الانثيين ﴾ ليلزمكم[5] تحريم جميع[3] الإناث، و استوعب[6] جميع ما يفرض من سائر ١٠ الأقسام في قوله: ﴿ اما ﴾ أي أم حرم ما ﴿ اشتملت ﴾ أي انضمت ﴿ عليه ﴾ و حملته ﴿ ارحام الانثيين[4] ﴾ أي من الذكور و الإناث، ومتى كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلزموا[7] شيئا مما أوجبه هذا التقسيم فلم تمشوا على نظام.

و لما علم أنه لا نظام لهم فعلم أنهم[8] جديرون بالتوبيخ، زاد في توبيخهم ١٥ فقال: ﴿ نبئوني ﴾ أي أخبروني عما حرم الله من هذا إخبارا جليلا عظيما؛ و لما كان هذا الإخبار الموصوف لا يكون بشيء فيه[3] شك، قال: ﴿ بعلم ﴾ أي أمر معلوم من جهة الله لا مطعن فيه ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ أي إن كان لكم[3] هذا الوصف.

---

(١) في ظ: غيره (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط مابين الرقمين من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: لتلزمكم (٦) في ظ: استوجب. (٧) في ظ: فلم تلتزموا (٨) من ظ، وفي الأصل: إن.

و لما فصل الغنم إلى ضان و معز ، أغنى ذلك عن تنويع الإبل إلى العراب و البخت و البقر إلى العراب و الجواميس ، [[1] - و لأن هذه يتناتج بعضها من بعض بخلاف الغنم فانها لا يطرق أحد نوعيها الآخر - نقله الشيخ بدر الدين الزركشي في كتاب الوصايا من شرح المنهاج عن ٥ كتاب الأعداد لابن سراقة - [2]] فقال: ﴿ و من الابل اثنين ﴾ أي [3] ذكرا و أنثى ﴿ و من البقر اثنين ط ﴾ أي كذلك ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء [4] الذين اختلقوا جهلا و سفها ما تقدم عنهم ﴿ ءآلذكرين ﴾ أي من هذين النوعين ﴿ حرم ﴾ أي حرمها الله ﴿ ام الانثيين ﴾ [5] أي حرمها [5] ﴿ اما ﴾ أي الذي ﴿ اشتملت عليه ﴾ أي ذلك المحرم على زعمكم ﴿ ارحام الانثيين ط ﴾ ١٠ أي حرمها الله .

و لما كان التقدير : أجاءكم هذا عن الله الذي لا حكم لغيره على لسان نبي ؟ عادله توبيخا لهم و إنكارا عليهم بقوله : ﴿ ام كنتم شهدآء ﴾ أي حاضرين ﴿ اذ وصكم الله ﴾ أي الذي لا ملك غيره فلا حكم لسواه ﴿ بهذا ج ﴾ أي كما جزمتم عليه به ، أو [6] جزمتم بالحرمة فيما حرمتموه ١٥ و الحل فيما أحللتموه ، و لا محرم و لا محلل غير الله ، فكنتم بذلك ناسبين الحكم إليه ؛ و لما كان التقدير كما أنتجه السياق : لقد كذبتم على الله حيث نسبتم إليه ما لم تأخذوه عنه لا بواسطة و لا بغير واسطة ، سبب عنه قوله

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) هو محمد بن محمد بن ابراهيم الأنصاري الشاطبي - راجع لترجمته معجم المؤلفين ١١ /١٧٦ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : هولاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) في ظ « و » .

معمما ليعلم[1] أن[2] هذا إذا كان فى التحريم و التحليل كان الكذب فى أصول الدين أشد: ﴿فمن اظلم﴾ و وضع موضع «منكم» قوله معمما و[3] معلقا للحكم بالوصف: ﴿ممن افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه لأنه ملك الملوك[4] ﴿كذبا﴾ كعمرو بن لحى الذى غير شريعة إبراهيم عليه السلام، و كل من فعل مثل[1] فعله. ٥

و لما كان يلزم من شرعهم لهذه الأمور إضلال من تبعهم فيها عن الصراط السوى، و كانوا يدعون أنهم أفطن الناس و أعرفهم بدقائق الأمور فى بداياتها و نهاياتها و ما يلزم عنها، جعل غاية فعلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال: ﴿ليضل الناس﴾ و لما كان الضلال قد يقع من العالم الهادى خطأ، قال: ﴿بغير علم﴾. ١٠

و لما كان هـــذا محل عجب ممن يفعل هذا، كشفه سبحانه بقوله استئنافا: ﴿ان الله﴾ و هو الذى لا حكم لأحد سواه لايهديهم، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليهم بطريق الأولى فقال: ﴿لا يهدى القوم الظلمين ع﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها فكيف بالأظلمين! و ما ١٥ أحسن هذا الختم لأحكامهم و أنسبه[5] لما بناها عليه من قوله "انه لا يفلح الظلمون".

و لما تضمن قوله افتراء عليه افتراء على الله و التعبير فى ذلك كله

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) ظ: او (٤) من ظ، و فى الأصل: الملك (٥) فى ظ: انسبهم.

بالاسم الأعظم أن كون التحريم ليس إلا من الله أمر معلوم ليس موضعا للشك لأنه الملك الأعظم و لا حكم لغير الملك ، و من حكم عن غير أمره عذب ؛ حسن بعد / إبطال دينهم[١] [و البيان لأن من حرم شيئا بالتشهى مضل و ظالم -[٢]] قوله مبينا البيان الصحيح لما يحل و يحرم جوابا لمن يقول: فما الذى حرمه سبحانه و ما الذى أحله : ﴿ قل ﴾ معلما بأن[٣] التحريم لا يثبت إلا بوحى [من -[٢]] الله ﴿ لآ اجد ﴾ أى الآن و لا فيما يستقبل من الزمان ، فان 'لا' كلمة لا تدخل على مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال ﴿ فى مآ ﴾ .

٢٦٢ /

و لما كان ما آتاه صلى الله عليه و سلم قد ثبت بعجزهم عن معارضته أنه من الله ، بنى للفعول قوله[٤] : ﴿ اوحى الىّ ﴾ أى من القرآن و السنة شيئا مما تقدم مما حرمتموه مطلقا أو على حال دون حال و على ناس دون آخرين طعاما ﴿ محرما على طاعم ﴾ أىّ طاعم كان من ذكر أو أنثى ﴿ يطعمهٓ ﴾ أى يتناوله أكلا و[٥] شربا أودواء أو غير ذلك ﴿ الآ ان يكون ﴾ أى ذلك الطعام ﴿ ميتة ﴾ أى شرعا ، و الميتة الشرعية هى ما لا يقبل التذكية ، [و هو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية -[٢]] ﴿ او دما مسفوحا ﴾ أى مراقا من شأنه السيلان لا من شأنه الجمود كالكبد و الطحال .

و لما كان النصارى قد اتخذوا أكل الخنزير دينا ، نص عليه و إن كان داخلا[٦] فى قوله "ميتة" على ما قررته فى المراد بها ، و قال :

(١) من ظ ، و فى الأصل : دينه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : او (٦) زيد فى ظ : عليه .

أو

﴿ او لحم خنزير ﴾ ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح أم لا ، و لو قيل : أو خنزيرا لاحتمل أن يراد تحريم ما أخذ منه حيا فقط ، و قال : ﴿ فانه ﴾ أى الخنزير[1] ﴿ رجس ﴾ ليفيد بجاسة عينه و هو حى . فلحمه و كذا سائر أجزائه بطريق الأولى ، [و كل ما وافقه فى هذه العلة كان نجسا ، لا يعاد الضمير على اللحم لأنه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه ، فلو عاد ٥ عليه كان تكرارا -[2]] .

و لما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض ، فقال مبالغا فى النفى عنه بأن جعله نفس المعنى الذى وقع النهى لأجله : ﴿ او فسقا ﴾ أى أو كان الطعام خروجا مما ينبغى القرار فيه من فسيح جناب الله الذى من تودله[3] أمن و اهتدى و سلم من[4] ضيق الهوى فى ذكر الغير الذى من خرج إليه ١٠ خاف وضل. و هلك [5] و توى[5] ؛ ثم قال مفسرا له [مقدما لما هو داخل فى الفسق من الالتفات إلى الغير -[2]] : ﴿ اهل لغير الله ﴾ أى الذى له كل شيء لأن له الكمال كله[1] ﴿ به [4] ﴾ أى ذكر غير اسمه عليه بأن ذبح له تدينا ؛ ثم ذكر لطفه بهذه الأمة فى إباحته لهم فى حال الضرورة كل محرم رحمة[1] منه لهم و سترا لتقصيرهم فقال : ﴿ فمن اضطر ﴾ أى ١٥ حصل له جوع خشى منه التلف ، و بنى للفعول لأن المعتبر حصول الاضطرار لا كونه من معين ، و من التعبير بذلك تؤخذ حرمة ما زاد

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : تواطنه .
(٤) فى الأصل و ظ : الى (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

على سد الرمق لأنه حينئذ لا يكون مضطرا ﴿ غير باغ ﴾ أى على غيره بمكيده ﴿ و لا عاد ﴾ أى على غيره بقوته و لا متجاوز سد الضرورة ﴿ فان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك و إلى أمتك الضعيفة بجعل دينها الحنيفية السمحة[1] ﴿ غفور ﴾ أى يمحو الذنب إذا أراد ﴿ رحيم ه ﴾
٥ أى يكرم المذنب بعد الغفران بأنواع الكرامات ، فهو جدير بأن يمحو عن هذا المضطر أثر تلك الحرمة التى كدرها[2] و يكرمه بأن يجعل له - فى حفظه بذلك لنفسه إذا صحت فيه نيته - أجرا عظيما ، و قد تكلفت الآية على وجازتها بجميع المحرمات من المأكولات مع الإشارة بلفظ الرجس و الفسق إلى جميع أصناف المحرمات و إلى أن ارتكابها
١٠ موجب للخبث و الانسلاخ [3]من الخير[3] ، و ذلك هو سبب تحريمها ؛ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة : وجه إنزال هذا الحرف - أى حرف[4] الحرام - طهرة الخلق من مضار أبدانهم و رجاسة نفوسهم و بجهلة قلوبهم ، فما اجتمعت فيه كان أشد تحريما ، و ما وجد فيه شيء منها كان تحريمه بحسب تأكد الضرورة [3]إلى طهرته[3] ، و كما اختلف[5]
١٥ أحوال بنى آدم بحسب اختلاف طينتهم من بين خبيث و طيب و ما بين ذلك ، اختلف أحوالهم فيما به تجدد خلقهم من رزقهم ، فمن اغتذى بدنه من شيء ظهرت أخلاق نفس ذلك المغتذى به و أوصافه فى نفسه ، و رين على القلب أو صفاء ، لتقويه بما يسمى عليه من ذكر الله أو كفر به

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : قدرها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى الأصل و ظ : حرم (٥) فى ظ : اختلفت .

بذكر غيره، و جامع منزله على حده / من استثناء قليله من متسع[1] الحلال / ٢٦٣
قوله تعالى "قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا ان
يكون ميتة او دما مسفوحا" هـــذا لمضرته بالبدن "او لحم خنزير"
و هذا لتخبيثه للنفس و ترجيسه لها كما قال [تعالى - [2]] "انه رجس
او فسقا اهل لغير الله به" و هذا لرينه على القلب، و هذه الآية مدنية ٥
و أثبتها تعالى فى سورة مكية إشعارا بأن التحريم كان مستحقا فى أول
الدين و لكن أخر[3] إلى حين اجتماع جمة الإسلام بالمدينة تأليفا لقلوب
المشركين و تيسيرا على ضعفاء [الدين - [2]] الذين آمنوا و اكتفاء للمؤمنين
بتنزههم عن ذلك و عما يشبهه استبصارا منهم حتى أن الصديق رضى الله
عنه كان قد حرم الخمر [على نفسه - [2]] فى زمن الجاهلية لما[4] رأى فيها ١٠
من نزف العقل، فكيف بأحوالهم بعد الإسلام! و ألحق بها فى سورة
"الذين 'امنوا" ما كان قتله[5] سطوة من غير ذكر الله عليه من المنخنقة
و الموقوذة و المتردية و النطيحة و ما أكل السبع إلا ما أدرك[6] بالتذكية
المنهرة للدم الموصل فى التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن
حد الطعام فى الابتداء و الأعضاء فى الانتهاء المستدركة ببركة التسمية أثر ١٥
ما أصابها من مفاجأة السطوة، و ألحق بها أيضا[7] فى هذه السورة

---

(١) من ظ، و فى الأصل: سعى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده فى ظ: مطلب - كذا (٤) فى ظ: بما (٥) فى ظ: قبله (٦) فى ظ: تدرك (٧) موضعه فى ظ: قبل التذكية.

تحريم الخمر لرجسها كالخنزير كما ألحقت المقتولة بالميتة ، و كما حرم الله ما فيه جماع الرجس من الخنزير و جماع الإثم من الخمر حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان فيه[1] حظ من ذلك ، فألحق بالخنزير السباع حماية[2] من سورة غضبها لشدة المضرة فى ظهور الغضب من العبيد لأنه ٥ لا يصلح إلا لسيدهم ، و حرم الحمر الأهلية حماية من بلادتها و حرانها الذى هو علم غريزة الخرق فى الخلق ، و ألحق صلى الله عليه و سلم بتحريم الخمر التى سكرها مطبوع[3] تحريمَ المسكر الذى سكره مصنوع ، و كما حرم الله ما يغر العبد فى ظاهره و باطنه حرم عليه فيما بينه و بينه ما يقطعه عنه من أكل الربا ، [و الربا -[4]] بضع و سبعون بابا و الشرك ١٠ مثل ذلك ، و جامع منزله فى قوله تعالى " الذين ياكلون الربوا - إلى قوله : و احل الله البيع و حرم الربوا[5] - إلى انتهاء ذكره إلى ما ينتظم من ذلك فى قوله : يايها الذين 'امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضعفة[6] - الآية ما يلحق بذلك فى قوله : و ما 'اتيتم من ربا[7] " - الآية ، هكذا قال : إن هذه الآية مدنية ، و هو - مع[8] كونى لم أره لغيره - مشكل ١٥ بقوله " و قد فصل لكم ما حرم عليكم[9] " - الآية .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : حما به (٣) فى ظ : مطبوح - كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٦) سورة ٣ آية ١١٣ (٧) سورة ٣٠ آية ٣٩ (٨) من ظ ، و فى الأصل : موضع (٩) راجع آية ١١٩ من سورة الأنعام و هى مكية .

و لما

و لما كان تحريم الربا لما بين الرب و العبد ، كان فيه[1] الوعيد بالإيذان بحرب من الله و رسوله ، و لذلك حمت الأئمة ذرائعه أشد الحماية ، و كان أشدهم فى ذلك عالم المدينة حتى أنه[2] حمى من صورته[3] من الثقة بسلامة الباطن منه ، و عمل[4] بضد ذلك فى محرمات ما بين العبد و نفسه ، و كما حرم الله الربا فيما بينه و بين عبده من هذا الوجه الأعلى كذلك حرم ٥ أكل المال بالباطل فيما بين العبد و بين غيره من الطرف الأدنى ، و جامع منزله فى قوله تعالى "و[5] لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها [الى الحكام" -[6]] - الآية إلى ما ينتظم به[7] من قوله تعالى : [يٰايها الذين 'امنوا -[8]] لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم - إلى ما ينتظم به من قوله تعالى : و'اتوا اليتمى اموالهم[9] " - الآيات فى ١٠ أموال اليتامى ، فحرمه تعالى من جهة الأعلى و المثيل و الأدنى ، و انتظم التحرير فى ثلاثة أصول : من جهة ما بين الله و بين عبده ، و من جهة ما بين العبد و [بين -[10]] نفسه ، و من جهة ما بين العبد و بين غيره ، / مما تستقرأ[11] جملة آيه فى القرآن و أحاديثه فى السنة و مسائله فى فقه ٢٦٤ / الأئمة ؛ و لما كان له متسع ، وقع فيما بين الحلال البين و الحرام ١٥

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : كانه (٣) فى ظ : سورته (٤) فى ظ : علم (٥) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٨٨ ، و فى الأصل موضعه : يا ايها الذين آمنوا (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧ فى ز) بذلك (٨) ظ : يد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ٢٩ (٩) سورة ٤ آية ٢ (١٠) زيد من ظ . (١١) فى الأصل : يستقرا ، و فى ظ : تستقر .

البين أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، لأنها تشبه الحلال من وجه و تشبه الحرام من وجه ، فلوقوعها بينهما يختلف فيها الأمة علما ، و يجتنب جميعها الصالحون عملا ، من اتقى الشبهات استبرأ لدينه فى العقبى و لعرضه فى الأولى ، و عن حماية الله عباده عن وبيل الحرام تحقق لهم اسمه « الطبيب[1] » ، فلم يتطبب بطب الله من لم يحتم عن محرماته و متشابهاتها ، و هو الورع الذى هو ملاك الدين ، و لاحول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم قال فيما تحصل به قراءة [حرف - [2]] الحرام تماما فى العلم و الحال و العمل : اعلم أن الإنسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه بزرتان : بزرة للخير و بزرة للشر ، و بحسب تطهره و تخلصه من مزاحمة[3] نبات بزرة الشر تنمو[4] فيه و تزكو بزرة الخير ، و لكل واحدة من البزرتين منبت فى جسمه و نفسه و فؤاده . فأول الحرف فى الترتيب العمل ، و الأساس لما بعده هو قراءة حرف الحرام . لتحصل به طهرة البدن الذى هو السابق فى وجود الإنسان . فمن غذى بالحرام فى طفولته لم يقدر على اجتناب الآثام فى كهولته إلا أن يطهر الله بما شاء من نار الورود فى الدنيا من الأمراض و الضراء ، فهو الأساس الذى ينبنى[5] عليه تطهر النفس من المناهى و تطهر الفؤاد من العمه و المجاهل ، و الذى تحصل به قراءة هذا الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم و يؤذى النفس و ما يكره الخلق

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطيب (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : مزاحمات (٤) من ظ ، و فى الأصل : ينمو (٥) فى ظ : ينشا .

و ما يغضب الرب ، فمن أصاب شيئا من ذلك و لم يبادر إليه بالتوبة عذب بكل آية قرأها و هو مخالف لحكمها « من لم يبال من أىّ باب دخل[1] عليه رزقه لم يبال الله من أىّ باب أدخله النار » .

و لما كان الورع كف اليد ظاهرا [2]عن الشىء الضار ، و كانت الجوارح لا تنقاد إلا عن تأثر من النفس ، لم يصح الورع ظاهرا[2] إلا أن ٥ يقع فى النفس روعة باطنه من تناول ذلك الشىء؛ [2]و لما كانت النفس لا تتأثر إلا عن تبصر القلب فى الضار كما لا ينكف اليد إلا عند تقذر النفس[2] لما تدرك العين قذره[3] حتى أن النفس الرضية تأنف من المحرمات كما يأنف المستنظف من المستقذرات ، فأكلة الحرام هم[4] دود جيفة الدنيا يستقذرهم أهل البصائر كما يستقذرون هم دود جيف المزابل . ١٠

و لما كان الحرام ما يضر العبد فى نفسه كالميتة ، تيسر على المستبصر كف يده عنها لما يدرى من مضرتها بجسمه ، و كذلك الدم المسفوح لأنه ميتة بانفصاله عن الحى و مفارقته لروح الحياة التى تخالطه فى العروق ، قلت : و سيأتى قريبا تعليله فى التوراة بما يقتضى أنه أكثر فعـلا فى النفس و تطبيعا لها [2]بخلق ما هو[2] دمه من اللحم - و الله الموفق ؛ و كذلك ١٥ ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لأنه رجس ، و الرجس هو [5]خبائث الأخلاق[5] التى [هى -[6]] عند العقلاء أقبح من خبائث الأبدان ، و ذلك لأن[7]

(١) فى ظ : فصل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : قدرة . (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : جنات الاخلاط (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : ان .

من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه بنفسانية ذلك الحيوان و بخلق[1] من أخلاقه، و فى نفس الخنزير مجامع رذائل الأخلاق من الإباء و الحران و المكر و الإقدام على ما يعانيه فيه الهلاك و متابعة الفساد ، و الانكباب على ما تقبل[2] عليه فى أدنى[3] الأشياء على ما ظهرت
٥ فى خلقته آياته فانه ليس له استشراف كذوات الأعناق ، وكذلك ما يضر بهما[4] و بالعقل كالخمر فى نزفها للعقل و تصديعها للرأس و إيقاعها العداوة و البغضاء فى خلق النفس ، و لذلك هى جماع الإثم ، فالمتبصر فى المحرمات يأنف منها لما يدرى من مضرتها و أذاها فى الوقت الحاضر و فى معيبها[5] فى يوم الدنيا إلى ما أخبر به من سوء عقباها فى يوم الدين ،
١٠ و من / شرب الخمر و مات و لم يتب منها كان حقا على الله أن يسقيه / ٢٦٥ من طينة الخبال ، و هى عصارة أهل النار ، و لو هدد شاربها فى الدنيا من له أمر بأن يسقيه من بوله و رجيعه لوجد من الروع ما تحمله على الورع عنها ، و إذا استبصر ذو دراية فيما يضره فى ذاته فأنف منه رعاية نفسه لحق له بذلك التزام رعايتها عما يتطرق له منه درك
١٥ من جهة غيره فيتورع من[6] أكل أموال الناس بالباطل لما يدرى من المؤاخذة عليها فى العاجل و ما أخبر به من المعاقبة عليها فى الآجل ، و لها فى ذاته مضرة فى الوقت[7] بتعرفها من موارد القرآن بنور الإيمان

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : تخلق (٢) فى ظ : يقبل (٣) من ظ ، وفى الأصل : اذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : هما (٥) فى ظ : مغبتها ـ كذا (٦) فى ظ : عن . (٧) من ظ ، و فى الأصل : الوقف .

" الذين ياكلون اموال اليتمى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا[١] " و إن
لم يحس بها ، و ليس تأويله الوعد بالنار لأن ذلك إنباء عند قوله تعالى
" و سيصلون سعيرا " ، وكذلك إذا أنف مما يضره فى نفسه و خاف مما
يتطرق إليه ضره من غيره ، أعظم أن يقرب حمى ما يتطرق إليه السطوة
من ربه لأجله ، و ذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه و عدم التفاوت ٥
فى أمر رحمانيته فى محرم الربا ، و لما فيه أيضا من مضرة وقته الحاضر
التى يقيدها[٢] بالإيمان من تعريف ربه ، فانه تعالى كما[٣] عرف أن أكل مال
الغير بالباطل نار فى البطن ، عرف أن أكل مال الربا جنون فى العقل
و خبال فى النفس " الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى
يتخبطه الشيطن من المس[٤] " و أعظم[٥] من ذلك ما حرمه الله لعرائه عن اسمه ١٠
عند إزهاق روحه ، لأنه مأخوذ عن غير الله ، و ما أخذ عن غير الله كان
أكله فسقا وكفرا[٦] لأنه تناول الروح من يد من لا يملكها ، و لذلك
فرضت التسمية فى التذكية و نفلت فيما سوى ذلك ، فلا تصح قراءة
هذا الحرف إلا بتبصرة القلب فيه و روعة النفس منه و ورع اليد عنه ،
و إلا فهو من الذين يقرأون حروفه و يضيعون حدوده ، الذين قال ١٥
فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم « كثر هؤلاء من القراء ، لا كثرهم
الله ! » و من لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواه

---

(١) سورة ٤ آية ١٠ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يقبلها (٣) فى ظ : لما (٤) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٥) فى ظ : اعلم (٦) من ظ ، و فى الأصل : كفى ـ كذا .

و لا تصح له عبادة ، و هو الذى لا يزيده صلاته[1] من الله إلا بعدا ، و لا يقبل منه دعاؤه «الرجل يطلب الله مطعمه[2] حرام و مشربه حرام وملبسه حرام و غذى بالحرام ، يقول : يا رب ! يا رب ! فأنى يستجاب لذلك !» فهذه[3] قراءة هذا الحرف و شرطه ـ و الله ولى التوفيق .

٥ و لما كان قوله " طاعم " نكرة فى سياق النفى ، يعم كل طاعم من أهل شرعنا و غيرهم ، و كان سبحانه قد حرم على اليهود [4]أشياء غير ما تقدم ، اقتضت إحاطة العلم أن قال مبينا لإحاطة علمه و تكذيبا لليهود[4] فى قولهم : لم يحرم الله علينا شيئا ، إنما حرمنا على أنفسنا ما حرم إسرائيل على نفسه : ﴿ و على الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ حرمنا ﴾

١٠ بما لنا من العظمة التى لا تدافع ﴿ كل ذى ظفر ﴾ أى على ما هو كالإصبع للآدمى من [4]الإبل و[4] السباع و الطيور التى تتقوى بأظفارها ﴿ و من البقر و الغنم ﴾ أى التى هى ذوات الأظلاف ﴿ حرمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم شحومهما ﴾ أى الصنفين ؛ ثم استثنى فقال : ﴿ الا ما حملت ظهورهما ﴾ أى من الشحوم مما علق بالظهر و الجنب

١٥ [من داخل بطونهما ـ[5]] ﴿ او الحوايا ﴾ و هى الأمعاء التى هى متعاطفة متلوية ، جمع حوية فوزنها فعائل[6] كسفينة و سفائن ، و قيل : جمع حاوية أو حاوياء[7] كقاصعاء ﴿ او ما اختلط ﴾ أى [من ـ[5]] الشحوم

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : صلوة (٢) من ظ ، و فى الأصل : مطعم (٣) فى ظ : وهذه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ . (٧) من ظ ، و فى الأصل : عاريا ـ كذا .

﴿ بعظم[٤] ﴾ مثل شحم الألية فان ذلك لا يحرم، و هذا السياق بتقدم[١] الجار و بناء الكلام عليه يدل على أن ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم .

و لما كان كأنه قيل : لم حرم عليهم هذه الطيبات ؟ قيل : ﴿ذلك﴾ أى التحريم العظيم و الجزاء الكبير [و هو تحريم الطيبات -[٢]] ﴿جزينهم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ببغيهم ز صلے﴾ أى فى أمورهم / التى تجاوزوا فيها الحدود ، ٥ / ٢٦٦ [و -[٢]] فى إيلاء هذه الآية - التى فيها ما حرم على اليهود - لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الأمة و غيرها أمران جليلان : أحدهما بيان إطلاعه صلى الله عليه و سلم على تفصيل ما أوحى إلى من تقدمه و لما يشامم أحدا من أتباعهم و لا دارس عالما و لا درس علما قط ، فلا دليل على صدقه على الله أعظم[٣] من ذلك ، ١٠ و الثانى تفضيله هذه الأمة بأنه أحل لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم، و أزال عنها فى تلك الحالة[٤] ضرها و لم يفعل بها كما فعل باليهود فى أنه حرم عليهم طائفة من الطيبات و لم يحلها لهم فى حال من الأحوال عقوبة لهم ، و فى ذلك أتم تحذير لهذه الأمة من أن يبغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما نبه عليه[٥] فى قوله " غير محلى الصيد و انتم حرم " فبان ١٥ الصدق و حصحص الحق و لم يبق لمتعنت كلام . فحسن جدا ختم ذلك بقوله ﴿ و انا لصدقون ۝ ﴾ أى ثابت صدقنا أزلا و أبدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة ، و تعقيبه بقوله : ﴿فان﴾ أى و تسبب عن هذا الإيحاء[٦] الجامع الوجيز

---

(١) فى ظ : بتقديم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم عظم - كذا .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اليه (٦) فى ظ : الايجاد .

الدال على الصدق الذى لا شبهة فيه أنا نقول ذلك : إن ﴿ كذبوك فقل ﴾ و التعبير بأداة الشك مشير إلى أن الحال يقتضى أن يستبعد أن يقع منهم تكذيب بعد هذا ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالبيان و الإمهال [مع كل امتنان ﴿ ذو رحمة واسعة ج ﴾ أى فهو مع اقتداره قضى أنه يحلم عنكم ٥ بالإمهال -[1]] إلى أجل يعلمه .

و لما أخبر عن رحمته ، نوه بعظيم سطوته فقال : ﴿ و لا يرد باسه ﴾ أى[2] إذا أراد الانتقام ﴿ عن القوم المجرمين ه ﴾ أى القاطعين لما ينبغى وصله ، فلا يغتر أحد بامهاله فى سوء أعماله و تحقيق[3] ضلاله ، و فى [هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على ١٠ الحد -[1]] الأقصى من البلاغة .

و لما تم ذلك فعلم أن إقدامهم على الأحكام الدينية بغير حجة أصلا ، اقتضى الحال أن يقال : [قد -[1]] بطل بالعقل و النقل جميع ما قالوه فى التحريم على وجه أبطل شركهم ، فهل بقى لهم مقال ؟ فأخبر سبحانه بشبهة يقولونها اعتذارا عن جهلهم على وجه [هو وحده -[1]] ١٥ كاف فى الدلالة على حقية[4] ما يقوله[5] من الرسالة ، فوقع طبق ما قال عن أهل الضلال ، فقال مخبرا بما سيقولونه قبل وقوعه دلالة على صدق رسله و كذب المشركين فيما يخالفونهم فيه : ﴿ سيقول ﴾ أى فى المستقبل ، و أظهر موضع الإضمار تنصيصا عليهم و تبكيتا لهم فقال : ﴿ الذين اشركوا ﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) زيد فى ظ : الذى (٣) فى ظ : تحقق .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : حقيقة (٥) من ظ ، وفى الأصل : يقول .

تكذيبا

تكذيبا منهم ﴿ لو شآء الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال عدم إشراكنا وتحريمنا ﴿ مآ اشركنا ﴾ أى بصنم ولا غيره ﴿ ولآ ءابآؤنا ﴾ أى ما وقع من إشراك ﴿ ولا حرمنا من شىء ﴾ [1] أى ما [1] تقدم من البحائر والسوائب والزروع وغيرها أى [2] ولكنه لم يشأ الترك وشاء الفعل ففعلنا طوع مشيئته، وهو لا يشاء إلا الحق والحكمة لأنه قادر، فلو لم يكن حقا ٥ يرضاه لمنعنا منه، وهو لم يمنعنا منه فهو حق.

ولما كان هذا عنادا منهم ظاهرا بعد وضوح الأمر بما أقام على صدق رسله من البينات، كان كأنه قيل تعجبا منهم : [هل [3] -] فعل أحد غيرهم مثل فعلهم هذا أو [4] قال مثل ما قالوا ؟ فقيل : نعم ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب ﴿ كذب الذين ﴾ ولما ١٠ لم يكن التكذيب عاما أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ من الأمم الخالية بما أوقعوا من نحو هذه المجادلة فى قولهم إذا كان الكل بمشيئة الله كان التكليف عبثا، فكانت دعوى الأنبياء باطلة، وهذا القول من المشركين عناد بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات وإخبار الرسل بأنه يشاء الشىء ويعاقب عليه لأن مُلكه تام ومِلكه عام، فهو لا يسأل عما يفعل، ١٥ وتمادى بهم غرور التكذيب ﴿ حتى ذاقوا باسنا ﴾ أى عذابنا لما [5] لنا من العظمة، فان من له الأمر كله لا يسأل عما يفعل [6]، فلم ينفعهم عنادهم عند ذوق البأس، / بل [2] انحلت عزائم هممهم فخضعوا لنا وآمنوا برسلنا، / ٢٦٧

(١-١) من ظ، وفى الأصل : بما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل « و » (٥) فى ظ : بما (٦) زيد فى ظ : وتمادى بهم غرور التكذيب.

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، فالآية من الاحتباك : أثبت أولا الإشراك دليلا[1] على حذفه ثانيا ، و ثانيا التكذيب دليلا على حذفه أولا ، و سيأتى توجيه أنه لا بد من تضليل إحدى الطائفتين المتعاندتين[2] و إن كان الكل بمشيئة الله ، لأنه لا مانع من إتيان الأمر على خلاف الإرادة .

٥ و لما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم ، أعلى درجاتها أن يكون من أنواع الخطابة فتفيد[3] الظن فى أعظم مسائل علم الأصول الذى لا يحل الاعتماد فيه إلا على القواطع ، أمره أن يقول لهم ما ينبههم على ذلك فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان إليهم - كما أشير إليه فى سورة الحج - [تهكما بهم فى بعدهم عن العلم و جدالهم بعد نهوض

١٠ الحجج -[4]] ﴿ [5]هل عندكم[5] ﴾ أيها الجهلة ، و أغرق فى السؤال فقال : ﴿ من علم ﴾ أى يصح الاحتجاج به فى مثل هـذا المقام الضنك ﴿ فتخرجوه لنا[6] ﴾ أى لى و لأتباعى و إن كان مما يجب أن يكون مكنونا مضنونا به على غير أهله مخزونا ، فهو تهكم بهم .

و لما كان جوابهم عن هذا السكوت لأنه لا علم عندهم ، قال دالا

١٥ على ذلك : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تتبعون ﴾ أى فى قولكم هذا و غالب أموركم ﴿ الا الظن ﴾ أى فى أصول دينكم و هى لا يحل فيها[6] قول إلا بقاطع ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ انتم الا تخرصون ه ﴾ أى تقولون[7] تارة

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فيفيد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) تأخر فى الأصل عن « السؤال فقال » و الترتيب من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) من ظ ، و فى الأصل : يقولون .

بالحزر و التخمين و تارة بالكذب المحض اليقين .

و لما انتفى[1] أن يكون لهم حجة ، و ثبت أن الأمر إنما هو لله ، ثبت أنه المختص بالحجة الواضحة ، فقال مسببا عن ذلك : ﴿قل فلله﴾ أي الإله الأعظم وحده[2] ﴿الحجة البالغة﴾ أي التي[3] بلغت أعلى درجات الحق قوة و متانة وبيانا و وضوحا و رصانة بسبب أنه شامل العلم كامل القدرة كما أقررتم بذلك ٥ حين قلتم " و[2] لو شاء الله ما اشركنا " و إن كنتم قلتموه على سبيل الإلزام و العناد لا لأجل التدين و الاعتقاد ﴿فلو شآء﴾ أي الله ﴿لهدىكم﴾ أي أنتم و مخالفيكم ﴿اجمعين ۝﴾ و لكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء هداية بعض و ضلال آخرين ، فوقع ذلك على الوجـــه الذي شاءه ، فلزم على قولكم أن يكون الفريقان محقين ، فيكون الشيء الواحد حقا[4] غير حق في ١٠ حال واحد ، و هذا لا يقوله عاقل ، و يلزمكم على ذلك أيضا[2] أن توالوا أخصامكم و لا تعادوهم و إن فعلوا ما فعلوا ، لأنه حق رضي الله لأنه[5] بمشيئته و أنتم لا تقولون ذلك ، فبطل قولكم فثبت أنه قد يشاء الباطل لأنه لا يسئل عما يفعل و يرسل الرسل [إليكم - [6]] لإزالته ليقيم بهم الحجة على من[7] يريد عقابه على ما يتعارفه الناس بينهم ، و ورود[8] الأمر على ١٥ خلاف الإرادة غير ممتنع .

و لما صدق الحق ، [و - [6]] انكسر جند الباطل و اندق ببطلان

---

(١) من ظ ، و في الأصل : تنفى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الذي (٤) من ظ ، و في الأصل : حق (٥) من ظ ، و في الأصل : لا . (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و في الأصل : ما (٨) من ظ ، و في الأصل : ورد .

جميع شبههم، و نطقت الدلائل و أفحم المجادل، فبان أنه لا شاهد لهم بحق لأنه لا حق لهم، كان كأنه قيل: قل لهم: ها أنا قد شهد لى بما قلته مَنْ لا ترد شهادته و زكانى الذى لا يقبل إلا تزكيته بهذا[1] الكتاب الذى كان عجزكم عن الاتيان بشيء من مثله شاهدا بأنه قوله، فهل لكم أنتم من شاهد ٥ يقبل! و لما لم يكن لهم شاهد غير متخرصيهم[2]، فان المبطل يظهر باطله عند المحاققة سنة من الله مستمرة، فيظهر للشهود لهم بما يلوح من بهتهم أنهم ليسوا على شيء[3]، أمره سبحانه أن يأمرهم بدعائهم ليظهر خزيهم و[4] تشتهر فضيحتهم[4] فقال: ﴿قل هلم﴾ أى احضروا، و هى كلمة دعوة يستوى فيها المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع عند[5] الحجازيين ١٠ ﴿ شهدآءكم ﴾.

و لما كان كأنه قيل: أىّ شهداء؟ قال: ﴿ الذين يشهدون ﴾ أى يوقعون الشهادة على ﴿ان الله﴾ أى الذى لا حكم لغيره ﴿حرم هذا﴾ أى الذى ذكرتموه من قبل، و إضافة الشهداء إليهم و وصفهم بـ «الذين» دليل على [6]أنهم معروفون[6] / موسومون بنصرة مذهبهم بالباطل، ٢٦٨ / ١٥ و لو قال: شهداء - من غير إضافة لأفهم أن المطلوب من يشهد بالحق و ليس كذلك، لأنه أقيم الدليل العقلى على أنه لا حجة لهم و أن الحجة

(١) فى ظ: هذا (٢) فى ظ: محترسيهم (٣) العبارة من هنا إلى «عند الحجازيين» تقدمت فى ظ على «فان المبطل» (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: شهر فضحهم - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل: عن (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: انتم معرفون - كذا.

لله على خلاف ما ادعوه، فبطل قطعا أن يكون أحد يشهد على ذلك بحق.

و لما كان كأنه قيل: فانهم إذا أحضروا[1] لا يقدرون - إن كان لهم عقل أو فيهم حياء[2] - على النطق إذا سمعوا هذا الحق، بنى عليه قوله: ﴿ فان ﴾ اجترؤا بوقاحة ﴿شهدوا﴾ أى كذبا و زورا بذلك ٥ الذى أبطلناه بالأدلة القطعية ﴿فلا تشهد معهم ج﴾ أى فاتركهم [و لا تسلم لهم - [3]]، فانهم على ضلال و ليست شهادتهم مستندة [إلا - [3]] إلى الهوى ﴿و لا تتبع اهوآء﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف دلالة على أن القائد إلى التكذيب و كل ردئ إنما هو [الهوى - [3]]، و أن من خالف ظاهر الآيات إنما هو صاحب هوى، ١٠ فقال: ﴿الذين كذبوا﴾ أى أوقعوا التكذيب ﴿ بٰايٰتنا ﴾ أى على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها إلينا.

و لما وصفهم بالتكذيب، أتبعه الوصف بعدم الإيمان، و دل بالنسق بالواو على العراقة فى كل من الوصفين فقال: ﴿ و الذين لا يؤمنون بالأخرة ﴾ أى التى [هى - [3]] دار الجزاء، فانهم لو جوزوها[4] ١٥ ما اجترؤا على الفجور ﴿ و هم بربهم ﴾ أى الذى لا نعمة عليهم و لا خير عندهم إلا و هو منه وحده ﴿يعدلون ع﴾ أى يجعلون غيره عديلا له، و سيعلمون حين يقولون لشركائهم و هم فى جهنم يختصمون " تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العٰلمين[5] ".

---

(١) فى ظ: حضروا (٢) فى ظ: حياة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: جوزها (٥) سورة ٢٦ آية ٩٧ و ٩٨.

و لما أبطل دينهم كله أصولا و فروعا فى التحريم و الإشراك، و بين فساده بالدلائل النيرة، ناسب أن يخبرهم [بالدين الحق - [1]] بما[2] حرمه الملك الذى له الخلق و الأمر [و من غيره -[1]]، فليس التحريم لأحد غيره فقال: ﴿قل تعالوا ﴾ أى أقبلوا إلىّ صاعدين من حضيض الجهل و التقليد

٥ و سوء المذهب إلى أوج العلم و محاسن الأعمال؛ قال صاحب الكشاف: هو من الخاص[3] الذى صار عاما، يعنى حتى صار يقوله الأسفل للأعلى ﴿ اتل ﴾ أى اقرأ، من التلاوة و هى إتباع بعض الحروف بعضا . و[4] لما كان[4] القصد عموم كل أحد بالتلاوة [و إنما خص المخاطبين بالذكر لاعتقادهم خلاف ذلك -[1]]، و[5] كان المحرم أهم، قدمه فقال: ﴿ماحرم ربكم﴾

١٠ أى المحسن إليكم بالتحليل و التحريم ﴿ عليكم ﴾ فسخطه منكم، و ما وصاكم به إقداما و إحجاما فرضيه[6] لكم من قبيلى[7] الأصول و الفروع؛ ثم فسر فعل التلاوة ناهيا عن الشرك، و ما بعده من مضمون الأمر إنما عدى عنها، فقال: ﴿ الا تشركوا به شيئا ﴾ الآيات مرتبا جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد فى صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلى عن الرذائل

١٥ قبل التحلى بالفضائل، فان التقية[8] بالحمية قبل الدواء، و قرن به البر لأنهما من باب شكر المنعم و تعظيما لأمر العقوق، ثم أولاه القتل الذى هو أكبر الكبائر بعد الشرك، و بدأه بقتل الولد لأنه أفحشه و أفحش من مطلقه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: بما (٣) فى ظ «و» (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد بعده فى ظ: لما (٦) من ظ، وفى الأصل: فرضته (٧) من ظ، و فى الأصل: قبيل (٨) فى ظ: التنقية .

فعله[1] خوف القلة، فلما وصى بأول واجب للنعم الأول الموجد من العدم، أتبعه ما لأول منعم بعده بالتسبب في[2] الوجود، فقال ناهيا عن الإساءة في صورة الأمر بالإحسان على أوكد وجه لما للنفوس من التهاون في حقهما، وكذا جميع المأمورات ساقها هذا السياق المفهم لأن أضدادها منهى عنها ليكون مأمورا بها منهيا عن أضدادها، فيكون ذلك أوكد لها ٥ وأضخم: ﴿و بالوالدين ج﴾ أي افعلوا بهما ﴿احسانا ج﴾.

ولما أوصى بالسبب في الوجود، نهى عن التسبب في الإعدام وبدأ بأشده فقال: ﴿ولا تقتلوا اولادكم﴾ ولما كان النهي عاما، وكان ربما وجب على الولد قتل، خص لبيان[3] الجهة فقال: ﴿من املاق ط﴾ أي من أجل فقر حاصل بكم، ثم علل ذلك، ولأجل أن الظاهر هو[4] حصول ١٠ الفقر قدم الآباء فقال: ﴿نحن نرزقكم﴾ بالخطاب، / أي أيها الفقراء، /٢٦٩ ثم عطف عليه الأبناء فقال: ﴿و اياهم ج﴾ وظاهر قوله في الإسراء "خشية املاق[5]" أن الآباء موسرون ولكنهم يخشون من إطعام الأبناء الفقر، فبدأ بالأولاد فقال: "[نحن -[6]] نرزقهم" ثم عطف الآباء فقال "واياكم" - نبه عليه أبو حيان. ١٥

ولما كان قتلهم أفحش الفواحش بعد[7] الشرك، أتبعه النهي عن مطلق الفواحش، وهي ما غلظت[8] قباحته، وعظم أمرها بالنهي عن

(١) في ظ: فلعله - كذا (٢) في ظ: الى (٣) في ظ: بيان (٤) سقط من ظ.
(٥) آية ٣١ (٦) زيد من ظ والقرآن الكريم (٧) في ظ: ثم (٨) من ظ، وفي الأصل: عطفت.

القربان فضلا عن الغشيان فقال: ﴿و لاتقربوا الفواحش﴾ ثم أبدل منها تأكيدا للتعميم قوله: ﴿ما ظهر منها﴾ أى الفواحش ﴿و ما بطن ج﴾ ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيما له بالتخصيص[1] بعد التعميم فقال: ﴿و لا تقتلوا النفس التى حرم الله﴾ أى الملك الأعلى عليكم قتلها ﴿الا بالحق ط﴾ أى الكامل، و لا يكون كاملا إلا و هو كالشمس وضوحا لاشبهة فيه، فصار قتل الولد منهيا عنه ثلاث مرات؛ ثم أكد المذكور بقوله: ﴿ذلكم﴾ أى الأمر العظيم فى هذه المذكورات.

و لما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس، ختمها بما لا يقوله[2] إلا المحب الشفوق ليتقبلها[3] القلب فقال: ﴿وصّٰكم به﴾ أمرا و نهيا؛ و لما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرها و جلالة وقعها فى النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر قال: ﴿لعلكم تعقلون ه﴾ أى لتكونوا[4] على رجاء من المشى على منهاج العقلاء[5]، فعلم من ذكر الوصية أن هذه المذكورات هى الموصى بها و المحرمات أضدادها، فصار شأنها مؤكدا من وجهين: التصريح بالتوصية[6] بها، و النهى عن أضدادها.

و لما كان المال عديل الروح من حيث أنه لا قوام لها إلا به، ابتدأ الآية التى تليها بالأموال، و لما كان أعظمها خطرا و حرمة مال اليتيم لضعفه و قلة ناصره، إبتدأ به فنهى عن قربه فضلا عن أكله أو شربه

---

(١) من ظ، وفى الأصل: بالتخفيف (٢) من ظ، و فى الأصل: لا تقوله.
(٣) فى ظ: ليقبلها (٤) من ظ، وفى الأصل: ليكونوا (٥) فى ظ: العقل (٦) من ظ، و فى الأصل: بالوصية.

فقال

فقال: ﴿و لا تقربوا مال اليتيم﴾ أى بنوع من أنواع القربان عمل فيه أو غيره ﴿الا بالتى هى احسن﴾ من الخصال من السعى فى تنميته و تثميره و ليستمر ذلك ﴿حتى يبلغ اشده ج﴾ و هو سن يبلغ به أوان حصول عقله عادة و عقل يظهر به رشده[1]؛ ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم فقال: ﴿و اوفوا﴾ أى أتموا ﴿الكيل و الميزان﴾ لأنهما الحكم فى أموال الأيتام و غيرهم؛ و لما كان الشيء ربما أطلق على ما قاربه نحو "قد قامت الصلاة" أى قرب قيامها، و هذا وقت كذا - إذا قرب جدا، أزيل هذا الاحتمال بقوله: ﴿بالقسط﴾ أى أيفاء كائنا به من غير إفراط و لا تفريط.

و لما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه أبعدها من ذلك، و أقربها الذرع و هو داخل فى الكيل، فانه يقال: كال ١٠ الشيء بالشيء: قاسه، أشار إلى أنه ليس على المكلف المبنى أمره على العجز للضعف إلا الجهد فقال: ﴿لا نكلف﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿نفسا الا وسعها ج﴾ و ما وراء الوسع معفو عنه؛ ثم ثلث[2] بالعدل فى القول لأنه الحكم على الأموال و غيرها، و قدم عليه الفعل لأنه دال عليه، فصار الفعل موصى به مرتين فقال: ﴿و اذا قلتم﴾ أى فى شهادة ١٥ أو [فى -[3]] حكم أو توفيق[4] بين اثنين أو غير ذلك ﴿فاعدلوا﴾ أى توفيقا بين القول و الفعل.

و لما كانت النفوس مجبولة على الشفقة على القريب قال[5]:

---

(١) من ظ، و فى الأصل: اشده (٢) فى الأصل و ظ: ثبت (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و الأصل: توثيق (٥) سقط من ظ.

﴿ولو كان﴾ أي المقول في حقه له أو عليه بشهادة أو غيرها ﴿ذا قربى ج﴾ ولا تحابوه طمعا في مناصرته أو خوفا من مضارته ؛ ثم ختم بالعهد لجمعه الكل في القول والفعل / فقال : ﴿وبعهد الله﴾ أي الملك الأعظم خاصة ﴿اوفوا ط﴾ وهذا يشمل كل ما على الإنسان وله ، فان الله لم يهمل شيئا ٥ بغير تقدم فيه ؛ ثم أكد تعظيم ذلك بقوله : ﴿ذلكم﴾ أي الأمر المعتنى[1] به ﴿وصّكم به﴾ أي ربكم المحسن إليكم .

/ ٢٧٠

ولما كانت هذه الأفعال والأقوال شديدا على النفس العدلُ فيها لكونها[2] شهوات ، تقدم بالترغيب فيها والترهيب منها بأن كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله ، فلذلك حض ١٠ على التذكر في الوصية بها ولأنها خفية[3] تحتاج إلى مزيد تدبر فقال : ﴿لعلكم تذكرون لا﴾ أي لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر - ولو على وجه خفي بما أشار إليه الإدغام - فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم ، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم .

ولما قرر هذه الشرائع ، نبه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعم ١٥ جميع ما ذكر في السورة بل وفي غيرها ، فقال [4]عاطفا على ما تقديره - عطفا على المنهيات وأضداد المأمورات على وجه يشمل سائر الشريعة - : ولا تزيغوا عن سبيلي[4] : ﴿وان﴾ أي ولأن - على قراءة الجماعة بالفتح ، أي اتبعوه لذلك ، وعلى قراءة ابن عامر ويعقوب بالكسر هو ابتداء

---

(١) من ظ ، وفي الأصل : المعين (٢) في ظ : بكونها (٣) من ظ ، وفي الأصل : حقيقة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿هذا﴾ أى الذى شرعته لكم ﴿صراطى﴾ حال كونه ﴿مستقيما فاتبعوه ج﴾ أى بغاية جهدكم لأنه الجامع للعباد على الحق الذى فيه كل خير .

و لما كان الأمر باتباعه متضمنا للنهى [1]عن غيره[1]، صرح به تأكيدا لأمره فقال: ﴿و لا تتبعوا السبل﴾ أى المنشعبة عن الأهوية المفرقة بين العباد، و لذا قال مسببا ﴿فتفرق بكم﴾ أى تلك السبل الباطلة ٥ ﴿عن سبيله ط﴾[2] و لما مدحه آمرا به ناهيا عن غيره مبينا للعلة فى ذلك، أكد مدحه فقال: ﴿ذلكم﴾ أى الأمر العظيم من اتباعه ﴿وصّكم به﴾ .

و لما كان قد حذر من الزلل عنه، و كان من المعلوم أن من ضل عن الطريق الأقوم وقع فى المهالك، و كان كل من[3] يتخيل أنه يقع فى مهلك يخاف، قال: ﴿لعلكم تتقون ه﴾ أى اتبعوه و اتركوا غيره ليكون ١٠ حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك، و هذا كما مدحه سبحانه سابقا فى قوله "و هذا صراط ربك مستقيما"، "قد فصلنا الأيٰت لقوم يذكرون" و فصل ما هنا من الأحكام فى ثلاث آيات، و ختم كل آية لذلك بالوصية ليكون ذلك آكد فى القول فيكون أدعى[4] للقبول، و ختم كل واحدة منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا ١٥ إلى التذكر فحمل على التقوى .

و لما كانت هذه الآيات الثلاث وافية بالآيات العشر التى كتبها الله

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : على وجه خفى ملبس كما أشار اليه الادغام (٣) من ظ ، وفى الأصل : شىء (٤) فى ظ : أكد .

لموسى عليه السلام على لوحى[1] الشهادة فى أول ما أوحى إليه فى طور سيناء المشار إليها بقوله " و علمتم ما لم تعلموا انتم و لا ابآؤكم " و بنى عليها التوراة و أمره أن يودعها فى تابوت العهد لتكون[2] شهادة عليهم، و على أعقابهم كما هو مذكور فى وسط السفر الثانى من التوراة وقد مضى بيانه فى البقرة و يأتى فى آخر هذه المقولة و زائدة عليها من الأحكام و المحاسن ما شاء الله ؛ حسن أن تذكر بعدها التوراة ، فقال مشيرا بأداة التراخى إلى كل من الترتيب[3] و التعظيم : ﴿ ثم اٰتينا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى [تقتضى -[4]] تعظيم ما كان [من -[4]] عندنا / ﴿موسى الكتٰب﴾ أى المشار إليه بقوله تعالى " قل من انزل الكتٰب الذى جاء به موسى " - و هى - و الله أعلم - معطوفة على قوله " و على الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر " لأنه تعالى بعد أن أعطى موسى العشر الآيات واعده إلى الجبل مواعدة ثانية ، فشرع له بعض الأحكام و أمره بنصب قبة الزمان التى[5] يوحى إليه فيها و يصلون إليها ، و ببعض ما يتخذ من آلاتها كما مضى فى البقرة ، ثم ذكر بعد ذلك بيسير تحريم الشحوم عليهم ، فقال فى أوائل السفر الثالث و هو سفر الكهنة ، و فيه تلخيص[6] أمر القرابين : و دعا الرب موسى و كلمه فى قبة الأمد وقال له : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : كل إنسان منكم إذا قرب للرب قربانا من البهائم فلتكن قرابينكم[7] من البقر و من الغنم - إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : لوح (٢) من ظ ، و فى الأصل : ليكون .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : الترك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٦) من ظ ، و فى الأصل : تخليص (٧) فى ظ : قرابينه.

أن

أن قال[1]: و يقرب قربانا [للرب الحجاب المبسوط على الأحشاء و كل الثوب الذى على الأكشاح و الكليتين - [2]] [3]و الشحم الذى عليهما و على الجنب - إلى أن قال: و قال: الشحوم[3] للرب عهد الأبد، و لا تأكلوا دما و لا شحما، ثم قال: و كلم الرب موسى و قال له: كلم[4] بنى إسرائيل و قل لهم: لا تأكلوا شحم البقر و لا شحم الغنم: الضأن و الماعز جميعا، لأن ٥ كل من أكل شحم بهيمة و[5] يقرب قربانا للرب، تهلك تلك النفس من شعبها، و لا تأكلوا دما حيث ما سكنتم. لا دم البهائم و لا دم الطير، و أية[6] نفس أكلت دما تهلك تلك النفس من شعبها، و قال فى السفر الخامس: فأما الدم فلا تأكلوا و لكن ادفقوه على الأرض مثل الماء، ثم قال بعده بقليل: و كلوا فى قراكم من كل شهوات أنفسكم، و لكن إياكم ١٠ أن تأكلوا دما، لأن دم البهيمة هو فى نفسها، فلا تأكلوا النفس[7] مع اللحم ليحسن إليكم و إلى أولادكم من بعدكم إذا عملتم الحسنة[8] أمام الله ربكم؛ رجع إلى السفر الثالث ثم قال: و دخل موسى و هارون إلى قبة الزمان و خرجا و دعوا الشعب، فظهر مجد الرب أمام جميع الشعب، و نزلت نار من قبل الرب فأحرقت الشحم و الذبيحة ١٥ الكاملة لله[5] على المذبح، و عاين ذلك جميع الشعب [3]و حمدوا الله، و خر[3]

---

(١) من ظ، و فى الأصل: تعالى - كذا (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: كل (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ: كل (٧) فى ظ: الدم (٨) فى ظ: الحسنات.

الشعب كله على وجهه؛ ثم ذكر عقب ذلك بيسير[1] محرمات الحيوان، وكذا ذكر[2] فى السفر الخامس و قد جمعت بينهما و معظم السياق للخامس: قال: لا تأكلوا شيئا نجسا، هذا! كلوا من جميع البهائم: الثور و الحمل و النعجة و المعز و الأيل و الظبي[3] و الجوذر و الرخ و الرئم و الوعل
٥ و الثيتل[4] كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلفها تجتر كلوها، و حرموا من التى لا تجتر، و من التى لها ظلوف مقسومة و لاتجتر [5]الجمل و الأرنب و الوبر التى تجتر و ليس لها أظلاف مقسومة هى نجسة لكم، و فى الثالث: و حرموا من البهائم التى ليست لها أظلاف التى تجتر[5]: الجمل الذى يجتر و ليس له أظلاف هو [نجس - [6]] محرم عليكم، و الأرنب الذى
١٠ يجتر و ليس [له - [6]] أظلاف منجس محرم عليكم؛ رجع: و الخنزير الذى له أظلاف و لا يجتر هو نجس، لا تأكلوا من لحوم هذه و لا تقربوا إلى أجسادها؛ و قال فى الثالث: و لاتمسوا لحومها لأنها[7] نجسة محرمة عليكم؛ و قال فى الخامس من ترجمة الاثنين و السبعين: و إياكم أن تأكلوا كل نجس، و يكون الذى تأكلونه من الدواب العجل من البقر
١٥ و الخروف من الغنم و الجدى من المعز أو الأيل و الغزال و العين

(١) من ظ، و فى الأصل: سر (٢) فى ظ: ذكره (٣) من ظ و التوراة، و فى الأصل: الطير (٤) من ظ، و فى الأصل: الفيل، و فى التوراة: الثيتل - وهو صحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ.
(٧) من ظ، وفى الأصل: لا.

و الوعل و عنز الجبل و اليحمور و ناقة القمر[1] و الزرافة، و كل دابة مشقوقة الظلف و هي تنبت أظافير [في -[2]] كل ظلفها و اجتر من الدواب فاياه فكلوا، و الذي لا تأكلون منه من الذي يجتر و من المشقوق الظلف الذي ينبت[3] له أظافير الجمل و الأرنب و اليربوع، فان ذلك يجتر و لكنه غير مشقوق الظلف، / و هو لا يحل[4] لكم، و الخنزير أيضا فان ظلفه ٥ / ٢٧٢ مشقوق[5] و ينبت في ظلفه أظافير غير أنه لا يجتر، وما لا يجتر فانه لا يحل لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تقربوا أجسادها؛ و قال في الثالث منها: و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما: كلما بني إسرائيل و قولا لهما: إن الذي تأكلونه من المواشي من جميع الأنعام التي على الأرض كل بهيمة قد شق ظلفها و[6] هي تخرج[6] أظافرا في كلا[7] ظلفيها و تجتر[8]، فذلك ١٠ الذي تأكلونه من الأنعام، و الذي لا يحل مما يجتر[9] و لم يشق ظلفه الجمل الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق[5] فانه غير طاهر لكم، و اليربوع - و في نسخة: السنجاب - الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق [فانه غير طاهر لكم لم يطهر لكم، و الأرنب الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق فانه لايطهر لكم و الخنزير فانه مشقوق -[2]] الظلف و يخرج أظفارا في ظلفه و هو لا يجتر ١٥ فانه لايطهر لكم فلا تأكلوا من لحومها و لاتمسوا ما مات منها، فان

---

(١) في ظ: الثمر - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، و في الأصل: نبت (٤) من ظ، و في الأصل: لا تحل (٥) في الأصل و ظ: مشقوقة. (٦-٦) من ظ، و في الأصل: هو يخرج (٧) من ظ، و في الأصل: كل (٨) في الأصل و ظ: يجتر (٩) في ظ: لايجتر.

ذلك لا يطهر لكم، رجع إلى نسختى، ثم ذكر فى الطير و دواب البر قريبا مما فى[1] شرعنا إلى أن قال: و لا تأكلوا أشياء نجسة بل ادفعوها إلى السكان الذين فى قراكم يأكلونها أو يبيعونها[2] من الغرباء، لأنك شعب طاهر لله ربك لا تطبخوا جديا بلبن أمه، و قال فى ترجمة الاثنين و السبعين:
٥ و لا تطبخ الخروف بلبن أمه؛ و قال فى السفر الخامس: و كلوا من الطير ما كان زكيا و حرموا هذه التى أصف لكم، لا تأكلوا منها شيئا: النسر و الحداء - و ذكر نحوا مما عندنا، و قال فى نسختى فى الثالث: فمن مس شيئا من هذه - أى المحرمات - يكون نجسا إلى المساء، و من حمل منها شيئا فليغسل ثيابه و يكون نجسا إلى الليل - انتهى. الظبى - بالمعجمة
١٠ المشاركة[3] - معروف، و الجوذر - بفتح الجيم و الذال المعجمة [و الراء -[4]]: البقرة الوحشية، و الرئم - بكسر المهملة: الظبى الخالص البياض، و الثيتل - بمثلثتين مفتوحتين بينهما ياء تحتانية ساكنة: بقر الوحش، و الأيل - بفتح الهمزة و كسر التحتانية المشددة، الوعل - بفتح الواو و كسر المهملة - و هو تيس الجبل، و الحمل - بفتح المهملة: الرضيع من أولاد الضأن، و قوله:
١٥ لا تطبخوا جديا بلبن أمه، الظاهر أن معناه النهى عن أكله ما دام يرضع، و ما بعد الذى فى الثالث هو معظم التوراة، و الذى فى الخامس إنما هو إعادة لما فى الثالث، فان الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص و الأحكام مع زيادات، فصدق أن إيتاء الكتاب أتى معظمه بعد

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يتبعونها (٣) من ظ، و فى الأصل: المشالة - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ.

تحريم

تحريم ما حرم عليهم ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون معطوفا على محذوف تقديره : ذلكم وصاكم به كما وصى بنى إسرائيل فى الفصل الذى نسبته من التوراة كنسبة أم القرآن من القرآن ، و ذلك هى العشر الآيات التى[1] هى أول ما كتبه الله لموسى عليه السلام ، و هى أول التوراة فى الحقيقة لأنها أول الأحكام ، و ما قبلها فهو قصص و[2]حاصل ٥ هذه العشر[3] [آيات - [4]] : الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا يكونن[5] لك إله غيرى ، لا تقسم باسمى كذبا ، احفظ يوم السبت ، أكرم والديك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تمدن عينيك[6] إلى ما فى أيدى الناس ، فالمعنى : ذلك وصيناكم به كما وصينا بنى إسرائيل به فى العشر الآيات [7]و بعض ما آتينا ١٠ موسى من التوراة ، و يجوز أن يكون التقدير : لكون هذه الآيات[7] محكمة فى كل الشرائع لم تنسخ فى أمة من الأمم و لا تنسخ[8] ، وصاكم به يا بنى آدم فى الزمن الأقدم ، و لم يزدد الأمر بها فى التوصية إلا شدة "ثم آتينا" أى بما لنا من العظمة "موسى الكتب" أى جميعه و هى فيه ، حال كونه ﴿ تماما ﴾ لم ينقص عما يصلحهم شيئا ﴿ على ﴾ الوجه ١٥ ﴿ الذى احسن ﴾ أى [أتى - [9]] بالإحسان فأثبت الحسن و جمعه بما بيّن

(١) فى ظ : الذى (٢) زيد بعده فى ظ : سبب - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : العشرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يكون (٦) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا ينسخ (٩) زيد من ظ .

/٢٧٣ من الشرع و بما حمى طوائف / أهل الأرض به من الإهلاك[٢] بعامه، فانه نقل أن الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد[٣] إنزال التوراة[٤] ﴿و تفصيلا لكل شيء﴾ من جملة ذلك الفصل المحتوى على الكلمات العشر الحاوية لكل شيء يحتاج إليه من أمر الدين و الدنيا، كما أن القرآن ٥ تفصيل لكل شيء من الجوامع السبع التي حوتها أم القرآن الحاوية لمصالح الدارين، و في هذين الاحتمالين المقتضيين لكون "ثم" على حقيقتها من الترتيب و المهلة علم من أعلام النبوة، و هو الاطلاع على أن العشر الآيات و تحريم ما حرم عليهم بالبغي في أوائل ما أوحى إلى موسى عليه السلام بعد إغراق فرعون و أن معظم التوراة[٥] أنزل بعد ذلك، و هذا لا يعرفه ١٠ إلا أحبارهم ﴿و هدى﴾ أي بيانا ﴿و رحمة﴾ أي إكراما لمن يقبله و يعمل به ﴿لعلهم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بلقآء ربهم﴾ أي الذي أخرجهم من مصر من العبودية و الرق بقوته العظيمة و كلماته التامة ﴿يؤمنون ع﴾ أي ليكون حالهم بعد إنزال الكتاب - لما يرون من حسن شرائعه[٦] و فخامة كلامه و جلالة أمره - حال من يرجى أن يجدد الإيمان في كل وقت بلقاء ربه ١٥ لقدرته على البعث الذي الإيمان به نهاية تصديق الأنبياء لأنه [لا - [١]] تستقل به العقول، و إنما يثبت[٧] بالسمع مع تجويز العقل له، فيعلموا أنه لا يشبهه شيء كما أن كلامه لا يشبهه كلام فلا يبغوا باتخاذ عجل غاية

(١) من ظ، و في الأصل: اهلاك (٢) من ظ، و في الأصل: عند (٣) من ظ، و في الأصل: السورة (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: سابغه (٦) من ظ، و في الأصل: ثبتت.

أمره خوار لا يفهم و بحمجة لا تفيد .

فلما بين[1] أن إنزال الكتب رحمة منه لأن غايتها الدلالة على منزلها فتمتثل[2] أوامره و تتقى[3] مناهيه و زواجره ، بين أنه لم يخص تلك الأمم بذلك ، بل أنزل على هذه الأمة كتابا و لم يرض لها كونه مثل تلك الكتب ، بل جعله أعظمها بركة و أبينها دلالة ، فقال: ﴿ و هذا ﴾ أى ٥ القرآن ﴿ كتب ﴾ أى[4] عظيم ﴿ انزلنه ﴾ أى بعظمتنا إليكم بلسانكم حجة عليكم ﴿ مبرك ﴾ أى ثابت كل ما فيه من وعد و وعيد و خير و غيره ثباتا لا تمكن[5] إزالته مع اليمن و الخير .

و لما كان هذا معناه: وكان داعيا إليه محببا فيه ، سبب عنه قوله: ﴿ فاتبعوه ﴾ أى[4] ليكون جميع أموركم ثابتة ميمونة ، و لما أمر باتباعه ١٠ وكان الإنسان ربما تبعه فى الظاهر ، أمر بايقاع التقوى المصححة للباطن إيقاعا عاما ، و لذلك حذف الضمير فقال: ﴿ و اتقوا ﴾ أى و مع ذلك فأوقعوا التقوى ، و هى إيجاد الوقاية من كل محذور ، فان الخطر[6] الشديد و السلامة[6] على غير القياس ، فلا تزايلوا الخوف من منزله بجهدكم[4] ، فان ذلك أجدر أن يحملكم على تمام الاتباع و إخلاصه ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ ١٥ أى ليكون حالكم حال من يرجى له الإكرام بالعطايا الجسام ، و الآيتان ناظرتان إلى قوله [تعالى " قل من انزل الكتب الذى جاء به موسى - إلى قوله -[7]]: و هم على صلاتهم يحافظون " ، ثم بين المراد من إنزاله

(١) فى ظ : تبين (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيمتثل (٣) من ظ ، و فى الأصل : يتقى (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يمكن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ .

و هو إقامة الحجة البالغة فقال: ﴿ ان ﴾ أى لأن لا ﴿ تقولوآ ﴾ أو[1] كراهة
أن تقولوا أيتها الأمة الأمية ﴿ انمآ انزل الكتب ﴾ أى الربانى المشهور
﴿ على طآئفتين ﴾ و قرب الزمن و بعّضه بادخال الجار فقال:
﴿ من قبلنا ص ﴾ أى اليهود و النصارى ﴿ و ان ﴾ أى و أنا - أو و أن
٥ الشأن - ﴿ كنا عن دراستهم ﴾ أى قراءتهم لكتابهم قراءة مرددة[2].
و لما كانت هى المخففة أتى باللام الفارقة بينها و بين النافية فقال:
﴿ لغفلين لا ﴾ أى لا نعرف حقيقتها ولا ثبتت عندنا حقيتها [ولا هى بلساننا -[3]]
﴿ او تقولوا ﴾ أى أيها العرب: لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا
عالمين بها، و لكنه لا يجب اتباع الكتاب إلا على المكتوب إليه
١٠ فلم تتبعه[4]، و ﴿ لو انآ ﴾ أهلنا لما أهلوا له حتى ﴿ انزل علينا الكتب ﴾ أى جنسه
أو الكتاب الذى أنزل إليهم من عند ربنا ﴿ لكنآ اهدى / منهم ج ﴾ أى
لما لنا من الاستعداد بوفور العقل و حدة الأذهان و استقامة الأفكار
و اعتدال الأمزجة و الإذعان للحق، و لذلك سبب عن هاتين العلتين
قوله: ﴿ فقد جآءكم ﴾ و ذكر الفعل مدحا لهذا القرآن و تفضيلا و تشريفا له
١٥ على كل ما تقدمه [و تنبيها على أن بيان هذه السورة فى النهاية لأنها
سورة أصول الدين -[3]] ﴿ بينة ﴾ أى حجة ظاهرة بلسانكم ﴿ من ربكم ﴾
أى المحسن إليكم على لسان رجل [منكم -[3]] تعرفون أنه أولاكم بذلك
﴿ و هدى ﴾ أى بيان لمن تدبره عظيم[5] ﴿ و رحمة ج ﴾ أى إكرام لمن قبله،

/ ٢٧٤

(١) من ظ، و فى الأصل: اى (٢) فى ظ: مودودة (٣) زيد ما بين الحاجزين
من ظ (٤) فى الأصل و ظ: فلم يتبعه (٥) سقط من ظ.

فكذبتم

فكذبتم بها .

و لما قامت عليهم الحجة ، حسن وقوع [تحذير - [١]] التقرير بقوله[٢] : ﴿فمن﴾ أي فتسبب[٣] عن تكذيبكم أنه يقال بيانا لأنكم أظلم الناس : من ﴿اظلم ممن كذب﴾ [أي أوقع التكذيب - [١]] ﴿بٰايٰت الله﴾ أي الذى لا أعظم منه فلا أعظم من آياته ، لأن الأثر على قدر[٤] المؤثر ﴿و صدف﴾ ٥ أي أعرض [إعراضا صار به كأنه فى صفد أي سد عن سهولة الانقياد للدليل - [١]] ﴿عنها﴾ [بعد ما عرف صحتها - [١]] .

و لما كان الجواب قطعا : لا أحد أظلم منه ، فكان الحال مقتضيا لتوقع ما يجازى به ، قال : ﴿ سنجزى ﴾ أي بوعد صادق لا خلف فيه ، و أظهر ما أصله الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [فقال - [١]] : ١٠ ﴿الذين يصدفون﴾ أي يجددون الإعراض و لا يتوبون ﴿عن اٰيٰتنا﴾ أي على ما لها[٥] من العظمة ﴿سوٓء العذاب﴾ اى الدى يسوء نفسه[٦] ﴿ بما كانوا يصدفون ﴾ أي بسبب إعراضهم الذى كان عادة لهم .

و لما كان أسوء السوء حقوق العذاب[٧] ، و كان حقوقه بعدم قبول التوبة ، فيسره بقوله مهونا له[٨] و مسهلا بتجريد الفعل : ﴿هل ينظرون﴾ أي ١٥ ما ينتظرون هؤلاء المكذبون أدنى انتظار و أقربه و أيسره ﴿الآ ان تاتيهم﴾ [أي حال تكذيبهم - [١]] ﴿الملٰٓئكة﴾ أي بالأمر الفيصل من عذابهم

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لقوله (٣) من ظ ، و فى الأصل : فتسبب (٤) من ظ ، و فى الأصل : قيد (٥) من ظ ، و فى الأصل : لنا (٦) فى ظ : منه (٧) من ظ ، و فى الأصل : عذاب (٨) سقط من ظ .

كما هى عادتها فى إتيانها المكذبين ﴿او ياتى ربك﴾ أى ظهور أمر المحسن إليك أتم ظهور بجميع الآيات التى تحملها العقول و ذلك يوم الجزاء ﴿ او ياتى ﴾ و أبهم تهويلا للأمر و تعظيما فقال : ﴿ بعض ايٰت ربك ﴾ أى أشراط الساعة التى يكون[1] فيها ظهوره التام و إحسانه إليك الأعظم

٥ مثل دابة الأرض التى تميز الكافر من المؤمن و طلوع الشمس من مغربها المؤذن باغلاق باب التوبة ؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، ثم قرأ الآية .

١٠ و لما كان إتيان الملائكة - أى كلهم - أمرا لا يحتمل العقول وصف عظمته ، و لا بشرى للجرمين عند رؤيته ، فانه لو وقع على صورتهم لتقطعت أوصالهم و لم يحتمله[2] قواهم فقضى الأمر ثم لا ينظرون ، و أما تجلى الرب سبحانه و عز اسمه و جلت عظمته

فالأمر أعظم من مقالة قائل   إن رقق البلغاء أو[3] إن نخموا

١٥ ترك ما يترتب عليه و قال : ﴿ يوم ياتى ﴾ [أى يكشف و يظهر - [4]] ﴿ بعض ايٰت ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإتيان بذلك تصديقا لك و ترويعا و تدميرا لمخالفيك ﴿ لا ينفع نفسا ﴾ أى كافرة ﴿ ايمانها ﴾ أى إذ ذاك ، و لا نفسا مؤمنة كسبها الخير إذ ذاك فى إيمانها المتقدم على تلك الآية [بالتوبة فما وراءها - [4]] ، و لذلك بينه بقوله[5] واصفا نفسا : ﴿ لم تكن ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : تكون (٢) فى ظ : لم تحتمله (٣) من ظ ، وفى الأصل « و » (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) سقط من ظ .

أى الكافرة ﴿ءامنت﴾ و يسر الأمر ببعض زمان[1] القبل ، و لم يكلف [2]باستغراقه بالإيمان[2] فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل[1] مجىء الآية فى زمن [3]متصل بمجيئها[3] .

و لما ذكر الكافرة ، أتبعها المؤمنة فقال عاطفا على "ءامنت": ﴿او لم تكن المؤمنة العاصية ﴿كسبت﴾ [أى من قبل -[4]] ﴿فى ايمانها﴾ ٥ أى السابق على مجىء الآية ﴿خيرا[4]﴾ أى توبة ، و بعبارة أخرى: نفسا كافرة[1] إيمانها المجدد بعد مجىء الآية ، و هو معنى "لم تكن ءامنت من قبل" أو نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجىء الآية ما لم تكن كسبت / فى إيمانها ٢٧٥ / السابق على الآية خيرا ، و الحاصل أنه لا يقبل عند ذلك إيمان كافر و لا توبة فاسق - كما قاله البغوى - لأن المقصود من التصديق و التوبة الإيمان ١٠ بالغيب و قد فات بالآية الملجئة ، فيكون فاعل الفعل المقدر فى "كسبت" محذوفا ، و التقدير: لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ، أو لم تكن كسبت فى إيمانها خيرا إيمانها و كسبها ، فالإيمان راجع إلى من لم يؤمن ، و الكسب راجع إلى من لم يكسب ، و هو ظاهر ، و التهديد بعدم نفع الإيمان عند مجىء الآية أعظم دليل على ما ذكرته من التقدير ، و الآية من الاحتباك: ١٥ ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية ، و ذكر جملتى "ءامنت و كسبت" ثانيا دال على حذف كافرة و مؤمنة أولا .

و لما كان هذا تهديدا - كما ترى - هائلا ، أتبعه ما هو أشد منه للتنبيه

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) فى ظ : باستغراق الايمان (٣ - ٣) من ظ ، وفى الأصل: مستقبل مجيئها (٤) زيد من ظ .

على أن أهل الإيمان سالمون من ذلك بقوله: ﴿قل انتظروا﴾ أى بغاية جهدكم أيها المكذبون ﴿ [1] انا منتظرون [1] ه ﴾ بجهدنا، و ستعلمون لمن تكون العاقبة.

و لما نهى عن اتباع السبل[2] لأنها سبب التفرق عن الحق، و كان ٥ قد كرر[3] فى هذه السورة[4] نصب الحجج و إنارة الأدلة و إزاحة الشكوك و محو آثار الشبه، و أشرفت السورة على الانقضاء. و كان من المعلوم قطعا أن الحق - من حيث هو حق - شديد التأثير فى إزهاق الباطل[4] فكيف إذا كان كلام الملك الذى لا يخالف أمره و لا يخرج عن إرادته؛ اشتد استشراف[4] النبى صلى الله عليه و سلم إلى رؤية ذلك الأثر مع ما عنده ١٠ من الحرص على إسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموما و عليهم خصوصا، و إنما يكون ذلك الأثر بايجاد هدايتهم و محو غوايتهم، فلما ختم سبحانه بهذين التهديدين العظيمين الدالين على غشاوتهم، فاته[5] صلى الله عليه و سلم مما كان رجاه من هدايتهم أمر كأنه [كان -[6]] قد حصل، و ذلك مورث للشفوق من الأسف [على -[6]] ما لا يدرى ١٥ قدره و لا يوصف خبره. فثبته سبحانه و سلاه بقوله: ﴿ان الذين فرقوا﴾ أى بعد إبلاغك إياهم ﴿ دينهم ﴾ أى بتكذيبهم ببعض آيات الله و صدوفهم[7] عنها و إيمانهم ببعضها ففارقوه، لأن الكفر ببعضه كفر بكله، و أضيف الدين إليهم لشدة[8] رغبتهم فيه و مقاتلتهم عليه[4]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الرسل (٣) فى ظ: ذكر. (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ: فاته (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: صدفهم (٨) من ظ، و فى الأصل: شدة.

﴿ و كانوا شيعا ﴾ كل فرقة تشايع و تشيع إمامها كالعرب الذين تحزبوا أحزابا بالاستكثار من الأصنام، فكان فى كل قطر لهم معبود أو اثنان فأكثر، و كأهل الكتاب الذين ابتدعوا فى دينهم بدعا أوصلتهم إلى تكفير بعضهم بعضا و آمنوا ببعض الأنبياء و كفروا ببعض، و كالمجوس الذين مزقوا دينهم باعتقاد أن الإله اثنان: النور و الظلمة، و عبدوا ٥ الأصنام و النجوم و جعلوا لكل نجم صنما يتوسل به فى زعمهم إليه ﴿ لست منهم ﴾ أى من حسابهم و لا [من -[1]] عقابهم و لا من خلق الهداية فى قلوبهم ﴿ فى شيء ﴾ و فى هذا غاية الحث على الاجتماع و نهاية التوعد على الافتراق.

و لما خفف عنه صلى الله عليه و سلم بتبرئته منهم، أسند إلى نفسه ١٠ المقدس ما يحق له فى إحاطة علمه و قدرته، فقال جوابا لمن يقول: فالى من يكون أمرهم؟: ﴿ انمآ امرهم ﴾ أى فى ذلك كله و فى كل ما يتعلق بهم مما لا يحصره حد و لا يحصيه عد ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه[2] غيره، فمن شاء هداه و من شاء أعماه، [3]و من شاء أهلكه و من شاء أبقاه[3] لأن له كمال العظمة. ١٥

و لما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله فى الرتبة و فى الزمان، لا تبلغ كنه عظمته العقول، نبه على ذلك بالتعبير بأداة التراخى و التنبيه

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

/٢٧٦ [بقوله -[١]] : ﴿ ثم ﴾ بعد استيفاء ما ضرب لهم / من الآجال ﴿ ينبئهم ﴾ أى تنبئة [٢]عظيمة جليلة[٢] مستقصاة بعد أن يحشرهم إليه داخرين ﴿ بما كانوا ﴾ [أى جبلة و طبعا -[١]] ﴿ يفعلون ۝ ﴾ [أى -[١]] من تلك الأشياء[٣] القبيحة التى كان لهم إليها أتم[٤] داعية غير متوقفين فى إصدارها على علم مع ادعاء ٥ التدين بها ، [٥]و الآية[٥] - مع ما تقدم من مقتضياتها[٦] - تعليل لقوله " و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " .

و لما أخبر أن أمرهم ليس إلا إليه ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل بهم حينئذ ؟ فأجيب بقوله : ﴿ من جآء ﴾ أى منهم أو من غيرهم ﴿ بالحسنة ﴾ أى الكاملة بكونها على[٧] أساس الإيمان ﴿ فله ﴾ من الحسنات ﴿ عشر امثالها ج ﴾ ١٠ كرما و إحسانا و جودا و امتنانا ، يجازيه بذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ، و هذا المحقق[٨] لكل أحد و يزداد[٩] البعض[١٠] وضوحا بحسب النيات ، و ذكر العشر ، لأنه بمعنى الحسنة ، و هو مضاف إلى ضميرها . و لما تضمن قوله " و اوفوا الكيل و الميزان بالقسط " مع تعقيبه بقوله " [١١]لا نكلف نفسا[١١] الا وسعها " الإشارة إلى أن المساواة فى الجزاء [١٢]مما ينقطع[١٢] دونه أعناق ١٥ الخلق ، أخبر أن ذلك عليه هين لأن علمه شامل و قدرته كاملة بقوله :

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : عظيم جليل (٣) فى ظ : الاسباب (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) فى ظ : فيضاتها (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) من ظ ، و فى الأصل : لتحقق (٩) فى ظ : يزاد (١٠) زيد فى ظ : ببعض (١١-١١) فى ظ : لا تكلف نفس . (١٢-١٢) من ظ ، و فى الأصل : بما ينقطع .

﴿ و من جآء بالسيئة ﴾ أي أيّ شيء كان من هذا الجنس ﴿ فلا يجزىٓ ﴾ أي في الدارين ﴿ الا مثلها ﴾ [إذا جوزي، و يعفو عن كثير - [١]] .

و لما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه و إن كانت ظاهرة في ذلك و لا سيما في هذه العبارة، صرح بما هو ظاهره لأنه أطيب للنفس و أسكن للروع فقال : ﴿ و هم لا يظلمون ۝ ﴾ أي بكونها مثلها في الوحدة ٥ و إن كانت أكبر[٢] أو من جنس أشد من جنسها و نحو ذلك، بل المماثلة موجودة في الكم و الكيف[٣] ، فـلا ينقص أحد في ثواب و لا يزاد [في - [١]] عقاب .

و لما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالأدلة القاطعة و تحقيق أمر القضاء و القدر و إبطال جميع أديان الضلال و وصفها بتفرق أهلها الدال ١٠ على بطلانها و اعوجاجها، و ختم بهذا التحذير الذي لا شيء أقوم منـه و لا أعدل، أمره صلى الله عليه و سلم بالإعلان بأمره و أن يصف دينه الذي شرعه له[٤] و هداه إليه بما فيه من المحاسن تحبيبا فيه و حثا عليه و لأن ذلك من نتيجة هذه السورة فقال : ﴿ قل ﴾ و أكد بالإتيان بالنونين فقال : ﴿ انني هدىٰني ﴾ أي بيانا و توفيقا ﴿ ربيٓ ﴾ أي المحسن إليّ بكل ١٥ خير لا سيما هذا الذي أوحاه إليّ و أنزله عليّ ﴿ الى صراط مستقيم ج ﴾ أي طريق واسع بين، ثم مدحه بقوله : ﴿ دينا قيما ﴾ أي بالغ الاعتدال و الاستقامة ثابتها، هذا على قراءة ابن كثير و نافع و أبي عمرو بفتح

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : اكثر (٣) في ظ : الكيل (٤) في ظ : لامته .
(٥) تأخر في الأصل عن « و اسع بين » و الترتيب من ظ .

القاف و تشديد الياء المكسورة[1] ، و هو[2] فى قراءة الباقين بكسر القاف و فتح الياء الخفيفة مصدر بمعنى القيام وصف به للمبالغة ، و زاده مدحا بقوله مذكرا لهم - لتقليدهم الآباء - بأنه دين أبيهم الأعظم: ﴿ ملة ابرٰهيم ﴾ و الملة ما أظهره نور العقل من الهدى فى ظُلَم ما التزمه الناس من عوائد ٥ أمر الدنيا - أفاده الحرالى . و لذلك قال: ﴿ حنيفا ج ﴾ أى لينا هينا سهلا قابلا للاستقامة لكونه[3] ميالا مع الدليل غير جاف و لا كز واقف مع التقليد عمى عن نور الدليل - كما تقدم ذلك فى البقرة ، و هو معنى قوله : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما[2] ﴿ كان من المشركين ○ ﴾ أى الجامدين مع أوهامهم فى ادعاء شريك لله مع رؤيتهم له فى كونه لا يضر و لا ينفع ١٠ و لا يصلح لشركة آدمى فضلا عن غيره بوجه ، لا ينقادون لدليل و لا يصغون إلى قيل ، فكان[4] هذا مدحا لهذا الدين الذى هدى إليه صلى الله عليه و سلم و بيانا لأنه الذى اختاره سبحانه لخليله إبراهيم عليه السلام رجوعا إلى[2] " و اذ قال ابرٰهيم لابيه اٰزر " الذى بنيت السورة فى الحقيقة عليه ، و ألقيت / أزمة أطرافها إليه ، و ترغيبا فى هذا الدين لأن جميع المخالفين /٢٧٧ ١٥ يتشبثون بأذيال إبراهيم عليه السلام : العرب و أهل الكتابين بنسبة الأبوة ، و المجوس بنسبة البلد و الأخوة ، و أشار بذلك إلى أن محمدا صلى الله عليه و سلم فهم[2] ما حاج به أبوه إبراهيم عليه السلام قومه و قبله[5] ، فلم ينسب

(١) من ظ ، و فى الأصل : مكسورة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بكونه (٤) من ظ ، و فى الأصل : و كان (٥) من ظ ، و فى الأصل : قلبه .

كغيره

كغيره إلى جمود ولا عناد .

و لما كان [كأن -[1]] سائلا قال : و[2] ما هذه الملة التى تكرر مدحها و الدعاء إليها ؟ أجاب بقوله ليتأسى به أهل الإيمان ، فليتزموا جميع ما يدعو إليه على وجه[2] الإخلاص : ﴿ قل ان صلاتى ﴾ أى التى هى لباب الدين و صفاوته[3] ﴿ و نسكى ﴾ أى جميع عبادتى من الذبائح و غيرها ٥ ﴿ و محياى ﴾ أى حياتى و كل ما تجمعه من زمان و مكان و فعل ﴿ و مماتى لله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يخرج شىء عن أمره ؛ و[لما -[4]] علم بالاسم الأعظم أنه يستحق ذلك لذاته ، أعلم أنه يستحقه من كل أحد لإحسانه إليه و إنعامه عليه فقال : ﴿ رب العٰلمين ﴾ الموجد و المدبر و الموعى[5] لهم.

و لما أعلم أنه يستحقه لذاته و وصفه ، أعلم أنه يستحقه وحده ١٠ فقال : ﴿ لا شريك له ج ﴾ أى[2] ليكون لشريكه [على زعمكم شىء -[4]] من العبادة لما[6] كان له شىء من الربوبية ، فأبان بهذا أن وجهه صلى الله عليه و سلم و وجه من تبعه واحد لا افتراق فيه[7] ، و هو قصد الله وحده على سبيل الإخلاص كما أنه يوحد[8] بالإحياء و الإماتة فينبغى أن يوحد بالعبادة .

و لما دل على ذلك ببرهان العقل ، أتبعه بجازم النقل فقال [عاطفا ١٥ على ما تقديره : إلى ذلك أرشدنى دليل العقل -[4]] : ﴿ و بذلك ﴾ أى الأمر العالى من توجيه أمورى[9] إليه على وجه الإخلاص .

---

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : صفاته - كذا (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : المذل - كذا (٦) فى ظ : ان . (٧) من ظ ، و فى الأصل : منه (٨) فى ظ : توحد (٩) من ظ ، و فى الأصل : امرى .

[و لما كان له سبحانه فى كل شيء آية تدل على أنه واحد ، فكان
كل شيء آمرا بالتوحيد بلسان حاله أو ناطق قاله ، بنى للفعول قوله -[1]] :
﴿ امرت ﴾ [أى -[1]] يعنى أن هذا الدين لو لم يرد به أمر كان ينبغى
للعاقل أن يدين به و لا يعدل عنه لشدة ظهوره و انتشار نوره بما قام عليه
٥ من الدلائل و درج على اتباعه من الأفاضل و الأماثل ، فكيف إذا برزت
به الأوامر الإلهية و دعت إليه الدواعى الربانية ﴿ و انا اول[2] المسلمين ﴾
أى المنقادين لما يدعو إليه داعى الله فى هذا الدين، لا اختيار لى أصلا ، بل
أنا مسلوب الاختيار فيه منقاد أتم انقياد ، و هذه الأولية على سبيل الإطلاق
فى الزمان و الرتبة بالنسبة إلى أمته صلى الله عليه و سلم و فى الرتبة بالنسبة
١٠ إلى من تقدمه من الأنبياء و غيرهم ، و هذا أيضا من باب الإحسان فى
الدعاء بالتقدم إلى ما يدعو إليه و أن يحب للدعو ما [يحب -[1]] لنفسه
ليكون أنفى للتهمة و أدل على النصيحة فيكون أدعى للقبول .

و لما حاجوه فى الشرك فى هذه السورة غير مرة كما حاج إبراهيم
عليه السلام قومه ، و كان آخر ذلك أن دعاهم صلى الله عليه و سلم
١٥ إلى تلاوة ما أنزل عليه سبحانه فى تحريم الشرك و شرح دينه القيم ،
ثم كرر هنا ذمهم بالتفرق الدال على الضلال و لابد ، و مدح دين الرسل
الذى تقدم أنهم لم يختلفوا[3] فيه أصلا ، و أيأس الكفار من موافقته صلى الله
عليه و سلم لهم[4] نوعا من الموافقة و ميله معهم شيئا من الميل ، أمره

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ والقرآن الكريم و فى الأصل: من (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يخلفوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اليهم .

سبحانه - بعد أن ثبت بأول السورة و أثنائها و آخرها أنه لارب غيره - بالإنكار على من يريد منه ميلاً[1] إلى غير من تفرد بمحياه و مماته ، فكان له التفرد بما بينهما و ما بعد ذلك من غير شبهة ، و التوبيخ الشديد فقال: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء الذى يطمعون أن تطرد أصحابك من أجلهم ﴿اغير الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ابغى﴾ أى أطلب و أريد بالإشراك ٥ فان الغنى المطلق لايقبل[2] ممن أشرك به شيئا ﴿ربا﴾ أى منهما يتولى مصالحى كما بغيتم أنتم ، فهو تعريض بهم و تنبيه لهم ، و الإسناد[3] إليه صلى الله عليه و سلم - و المراد جميع الخلق - من باب الإنصاف فى المناظرة للاستعطاف ﴿وهو﴾ أى و الحال أنه كما ثبت بالقواطع و ركز فى العقول الثوابت و طبع / فى أنوار الأفكار[4] اللوامع ﴿رب كل شىء ﴾ ١٠ / ٢٧٨ أى موجده و مربيه ، أفينبغى لأحد أن يدين لغير سيده و ذلك الغير مربوب مثله لسيده ، هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه .

و لما أنكر على من يجنح إلى غيره مع عموم بره و خيره ، أتبعه الترويع من قويم عدله فى عظيم ضره فقال: ﴿ولا﴾ أى و الحال أنه [لا -[5]] ﴿تكسب كل نفس﴾ أى ذنبا و إن قل مع التصميم و العزم ١٥ القوى الذى هو بحيث يصدقه العمل - كما مضى فى آية البقرة ﴿الا عليها ج﴾ أى لا يمكن أن يكون باطلا لا عليها و لا على غيرها ، و إذا كان عليها

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الميل (٢) فى ظ : لايقبله (٣) فى ظ : الاستناد.
(٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٥) زيد من ظ .

لا يمكن[1] أن يحاسب به سبحانه سواها لأنه عدل حكيم فكيف أدعو غيره
دعاء جليا أو خفيا و ذلك أعظم الذنوب ! و للتنفير من الشرك الخفي
بالرياء وكل معصية و إن صغرت[2]، جرد الفعل عن الافتعال لئلا يتوهم
أنه لا يكون عليها إلا [ما - [3]] بالغت[4] فيه، و السياق هنا واضح في
٥ أن الكسب مقيد بالذنب فانه في دعاء غير الله و آية البقرة للايماء إلى
الذنب [الذى - [5]] [6]لا يقع[6] إلا بشهوة شديدة من النفس له لطبعها على
النقائص، فهي لا تنافي هذه لأن ما كسبته من الذنوب قد علم من ثَمّ
أنه اكتساب[7]، و أحسن من هذا أن يقال: و لما كان المعنى أني إن بغيت
ربا غيره وكلني إلى ما توليته، و أنا إنسان و الإنسان مطبوع على النقائص
١٠ فهلكت، عبر عنه بقوله مجردا للفعل لقصد العموم: " و لا تكسب كل
نفس" بما هي نفس ناظرة في نفاستها معرضة عن ربها موكولة إلى حولها
و قوتها " الا عليها " و لا يحمل عنها غيرها شيئا من وزرها؛ و لما كان
ربما حمل أحد عن غيره شيئا من أثقاله مساعدة له، نفى ذلك بقوله:
﴿ و لا تزر وازرة ﴾ أي تحمل حاملة و لو كانت والدا أو ولدا ﴿ وزر ﴾
١٥ أي إثم ﴿ اخرى ج ﴾ " و ان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء
و لو كان ذا قربى[8] " فاذا كان الأمر كذلك فلا يجمل بعاقل أن يعرض
نفسه لحمل شيء من غضب هذا الملك الذى لا شريك له و إليه المرجع

---

(١) في ظ: لا ينبغي (٢) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ فحذفناها.
(٣) زيد من ظ (٤) في ظ: بلغت (٥) زيد لاستقامة العبارة (٦-٦) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٧) من ظ؛ و في الأصل: اكتسب (٨) سورة ٣٥ آية ١٨.

و إن

و إن طال المدى .

و لما عم فى الكسب و حمل الوزر لئلا يقول متعنت أن خص هذا لك لا لنا، عم فى المرجع أيضا لمثل ذلك ، فقال مهددا لهم بعد كمال الإيضاح عاطفا على ما أرشد إليه الإنكار من النفى فى نحو أن يقال : إنى لا أفعل شيئا من ذلك ، لا أبغى ربا غير ربى أصلا ، و أما أنتم [1]فافعلوا ٥ ما أنتم[1] فاعلون فان ربكم عالم به[2] : ﴿ ثم ﴾ [أى بعد طول الإمهال - [3]] لكم لطفا منه بكم ﴿ إلى ربكم ﴾ أى الذى أحسن إليكم بكل نعمة ، لا إلى غيره ﴿ مرجعكم ﴾ أى بالحشر و إن عمرتم كثيرا أو بقيتم طويلا ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا جليلا عظيما مستوفى .

و لما كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم ، قال : ﴿ بما كنتم ﴾ أى جبلة ١٠ و طبعا ، و لذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه و لا ذهول و لا نسيان فقال : ﴿ فيه تختلفون ﴾ أى مع رسول و غيره ، و يدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه[4] ، و حالكم جدير بأن يعظم عقابكم لأنكم كفرتم نعمته ؛ قال أبو حيان : حكى النقاش أنه روى أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم : ارجع يا محمد إلى ديننا و اعبد ١٥ آلهتنا و اترك ما أنت عليه و نحن نتكفل لك بكل ما تحتاج إليه فى دنياك و آخرتك ، فنزلت هذه الآية - انتهى .

و لما قدم أنه المحسن إلى كل شىء بالربوبية ، و ختم بالتهديد بالحشر ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : استحقوا به - كذا .

أتبعه التذكير بتخصيصهم بالإحسان، فقال عاطفا على "وهو رب كل شيء" مستعطفا لهم إليه بالتذكير بنعمته: ﴿وهو﴾ أي لا غيره ﴿الذي جعلكم﴾ أي أيها الإنس ﴿خلّئف الارض﴾ أي تفعلون[1] فيها فعل الخليفة متمكنين من كل ما تريدونه، و يجوز أن يراد بذلك العرب، و يكون ظاهر

٥ الكلام أن المراد بالأرض ما هم فيه من جزيرة العرب، و باطنه البشارة / باعلاء دينهم الإسلام على الدين كله و غلبتهم على أكثر أهل الأرض /٢٧٩ في هذه الأزمان و على جميع أهل الأرض في آخر الزمان ﴿و رفع بعضكم﴾ في مراقي العقل و العلم و الدين و المال و الجاه و القوة الحسية و المعنوية ﴿فوق بعض درجت﴾ أي مع كونكم من نفس واحدة، و ربما كان الوضيع

١٠ أعقل من الرفيع و لم ينفعه عقله فيدل ذلك دلالة واضحة على أن ذلك كله إنما هو فعل الواحد القهار، لا بعجز[2] و لا جهل و لا بخل؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ليبلوكم﴾ أي يفعل معكم فعل المختبر ليقيم[3] الحجة عليكم وهو أعلم بكم منكم ﴿في ما ءاتىكم﴾ لينظر هل يرحم الجليل الحقير و يرضى الفقير بعطائه اليسير، و يشكر القوى و يصبر الضعيف!

١٥ و لما ذكر علو بعضهم على بعض، و كان من طبع الآدمي التجبر، أتبعه التهديد للظالم و الاستعطاف للتائب بما يشير - [4]بما له[4] سبحانه من علو الشأن و عظيم القدرة - إلى ضعف العالي منهم و عجزه عن عقاب السافل بمن يحول بينه و بينه من شفيع و ناصر و بما يحتاج إليه من

(١) من ظ، و في الأصل: يفعلون (٢) في ظ: لعجز (٣) من ظ، و في الأصل: لتقيم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

تمهيد الأسباب ، محذرا من البغي و العصيان فقال موجها الخطاب إلى أكمل الخلق تطييبا لقلبه إعلاما بأنه رباه سبحانه أجمل تربية و أدبه أحسن تأديب: ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك ﴿سريع العقاب ۚ﴾ أى لمن يريد عقابه ممن يكفر نعمته لكونه لا حائل بينه و بين من يريد عقابه و لا يحتاج إلى استحضار آلات العقاب، بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد " انما امره ٥ اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون[1] " و فى ذلك تهديد شديد لمن لا يتعظ .

و لما هدد و خوف، رجّى من أراد التوبة و استعطف فقال: ﴿و انه لغفور رحيم ع﴾ معلما بأنه - على تمام قدرته عليهم و انهماكهم فيما يوجب الإهلاك - بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة " و لو يؤاخذ الله الناس ١٠ بظلمهم ما ترك عليها من دابة[2] " حثا على عفو الرفيع من الوضيع، و تأكيده[3] الثانى دون الأول ناظر إلى قوله " كتب على نفسه الرحمة " «ان رحمتى سبقت غضبى» لأنه فى سياق[4] التأديب لهذه الأمة و التذكير بالإنعام عليهم بالاستخلاف[5]، و سيأتى فى الأعراف بتأكيد الاثنين لأنه فى حكاية ما وقع[6] لبنى إسرائيل من إسراعهم فى الكفر و مبادرتهم[7] إليه و استحقاقهم على ذلك ١٥ العقوبة، و جاء[8] ذلك على طريق الاستئناف على تقدير أن قائلا قال: حينئذ

---

(١) سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) سورة ١٦ آية ٦١ (٣) فى ظ : تاكيد (٤) زيد بعده فى الأصل : النفى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : بالاختلاف (٦) فى ظ : وقعت (٧) من ظ ، و فى الأصل : يبادرهم - كذا . (٨) سقط من ظ .

يسرع العالي[1] إلى عقوبة السافل ! [2]فأجيب بأن الله فوق الكل و هو أسرع عقوبة[2] ، فهو قادر على أن يسلط الوضيع أو أحقر منه على الرفيع فيهلكه ؛ ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل أسبل ذيل غفرانه و رحمته بامهاله العصاة و قبوله اليسير من الطاعات بأنه ٥ خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور منافع لهم ثم هم به يعدلون ! و لو لا غفرانه و رحمته لأسرع عقابه لمن [3]عدل به[3] غيره فأسقط عليهم السماوات و خسف بهم الأرضين التي أنعم عليهم بالخلافة فيها و أذهب عنهم النور و أدام الظلام ، فقد ختم السورة بما به ابتدأها ، فان قوله " و هو الذي جعلكم خلئف الارض " هو المراد بقوله " هو الذي ١٠ خلقكم من طين " و قوله " اغير الله ابغي ربا و هو رب كل شيء " هو معنى قوله " خلق السموٰت و الارض و جعل الظلمٰت و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " - و الله الموفق[4] .

° ° ° ° °

(١) من ظ ، و في الأصل : الحال - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣ - ٣) في ظ : عبد (٤) زيد بعده في ظ : تم الجزء الأول و يليه الجزء الثاني من أول سورة الأعراف ، و لله الحمد مباركا طيبا و الصلاة و التسليم على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم .

سورة[1] الأعراف[2]

مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد و الاجتماع على الخير و الوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام ، و تحذيره[3] بقوارع الدارين ، و هذا أحسن مما كان ظهر لي و ذكرته عند " و الوزن يومئذ الحق " و أدل ما فيها على هذا المقصد ٥ أمر الأعراف فان اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة / و النار و الوقوف / ٢٨٠ على حقيقة ما فيهما و ما أعد لأهلهما[4] الداعي إلى امتثال كل خير و اجتناب كل شر والاتعاظ بكل مرقق ﴿ بسم الله ﴾ المتردي برداء الكبر و إزار العظمة و الجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذي من رحمته انتقامه[5] من أهل الكفر و الضلال ﴿ الرحيم ه ﴾ الهادي لأهل الاصطفاء إلى لزوم ١٠ طريق الوفاء ﴿ المص ه ج ﴾ .

لما ذكر سبحانه في آخر التي قبلها أنه أنزل إليهم كتابا مباركا ، و أمر باتباعه و علل إنزاله و ذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه في منهاج البلاغة [6]و ميدان البراعة[6] ، و كان من جملته أن أمر المدعوين به ليس إلا إليه ، إن شاء هداهم و إن شاء أضلهم ، و استمر فيما لا بد منه في تتميم ١٥ ذلك إلى أن ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به ، فاشتد اعتناقه له

---

(١) زيد قبله في ظ : بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم . و من هنا تبتدئ صفحة ظ ١ / الف (٢) مكية ، وهي مائتان وخمس آيات في البصري والشامي ، و ست في المدني و الكوفي (٣) في ظ : تحذير (٤) من ظ و في الأصل : اهلها . (٥) من ظ ، و في الأصل : انتقام (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

حتى صارا كشيء[1] واحد؛ أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه[2]، فقال مخبرا عن مبتدإ تقديره: [هو -[3]]: ﴿ كتب ﴾ أي عظيم أوضح الطريق المستقيم فلم يدع بها لبسا ولم يذر خيرا إلا أمر به ولا شرا إلا نهى عنه، فانزاله من عظيم رحمته؛ ٥ ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمته[4] بقوله: ﴿ انزل اليك ﴾ أي وأنت أكرم الناس نفسا وأوسعهم صدرا وأجملهم[5] قلبا وأعرقهم إصالة وأعرفهم باستعطاف المباعد واستجلاب المنافر المباغض، وهذا شيء قد خصك به فرفعك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا حد لها فتستقصى[6].

١٠ ولما كان المقصود من البعثة أولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال، وكانت مواجهة الناس بالإنذار شديدة على النفوس، وكان الإقدام عليها من الصعوبة بمكان عظيم؛ قدم قوله مسببا عن تخصيصه بهذه الرحمة: ﴿ فلا يكن ﴾ [وعبر عن القلب بمسكنه الذي هو أوسع منه مبالغة في الأمر فقال -[3]]: ﴿ في صدرك حرج ﴾ أي شيء من ضيق[7] بهم أو خوف ١٥ أو[8] نحو ذلك ﴿ منه ﴾ على ما تعلق بـ "انزل" من قوله[9]:

(١) من ظ، وفي الأصل: كثر (٢) من ظ، وفي الأصل: تقدم (٣) زيد من ظ (٤) زيد في ظ: به (٥) في ظ: احلمهم (٦) من ظ، وفي الأصل: فينقضي - كذا (٧) من ظ، وفي الأصل: حر - كذا (٨) من ظ، وفي الأصل «و». (٩) زيدت الواو بعده في الأصل وظ، ولم تكن في القرآن العظيم فحذفناها.

﴿ لتنذر بـه [1] ﴾ أى نذرى لكل من بلغه أو للخالفين من سرعة العقاب على نحو ما أوقع سبحانه بالقرون الماضية و الأمم السالفة - كما أشار إليه آخر الأنعام ،[و - [2]] سيقص من أخبارهم [3] من هذه [3] السورة ﴿ و ﴾ لتنذر به ﴿ ذكرى ﴾ أى عظيمة ﴿ للمؤمنين ﴾ أى بالبشر و المواعظ و الغفران و الرحمة على ما أشار إليه ختام الأنعام ، و حذف المفعول يدل على ٥ عموم الرسالة لكل من أمكن إنذاره و تذكيره من العقلاء ، و يجوز أن تتعلق لام " لتنذر " بمعنى النهى ، أى انف الحرج لكذا [4] ، فان من كان منشرح الصدر أقدم على ما يريد أو يحرج ، أي لا يكن الحرج الواقع [5] لأجل أن تنذر ، أى لأجل إنذارك به ، و النهى للنبى صلى الله عليه و سلم ، حوّل إلى الحرج مبالغة و أدبا ، و يجوز أن يكون التقدير : لتنذر به و تذكر به ، ١٠ فانه نذرى للكافرين و ذكرى للمؤمنين ، و الآية على كل تقدير من الاحتباك : إثباته " لتنذر " أولا دال على حذف ' لتذكر ' ثانيا ، و إثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخالفين أولا ، فان النفوس على قسمين : نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة فى طلب اللذات الجسمانية و الشهوات الحيوانية فبعثة الرسل فى حقهم إنذار و تخويف ، و نفوس ١٥ شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية فبعثة الرسل فى حقهم تذكير لأن هذه النفوس بمقتضى جواهرها الأصلية و جبلتها الخلقية مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد [6] فيعرض لها

---

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : فى آخر .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : كذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : الاجال - كذا .

نوع ذهول و غفلة ، فاذا سمعت دعوة الأنبياء و اتصلت بها أنوار أرواح رسل الله تذكرت[1] مركزها و أبصرت منشأها ، فاشتاقت إلى ما حصل هناك من الروح و الريحان فطارت نحوهم كل مطار فتمحضت لديها تلك الأنوار ؛ و قال أبو حيان : و اعتلاق هذه السورة بما قبلها

٥ هو أنه لما ذكر تعالى قوله[2] "و هذا كتٰب انزلنٰه مبٰرك فاتبعوه[3]" و استطرد منه / لما بعده[4] إلى قوله في آخر السورة "و هو الذى جعلكم خلٰئف الارض[5]" و ذكر ابتلاءهم فيما آتاهم ، و ذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية ، ذكر ما يكون[6] به التكاليف ، و هو الكتاب الإلهي ، و ذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله "و هذا كتٰب انزلنٰه

١٠ مبٰرك فاتبعوه" - انتهى . و قال شيخه الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار "الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكنّٰهم[7] فى الارض ما لم نمكن لكم و ارسلنا السماء عليهم مدرارا و جعلنا الانٰهر تجرى من تحتهم فاهلكنٰهم بذنوبهم و انشانا من بعدهم قرنا اٰخرين[8]" [ثم قال تعالى - [9]] "و لقد استهزئ برسل من قبلك[10] فحاق

١٥ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون[11]" ثم قال تعالى "قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين[12]" ثم قال تعالى

(١) فى ظ : فتذكرت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٥ (٤) زيدت الواو بعده فى البحر المحيط ٤/٢٦٦ (٥) آية ١٦٥ (٦) فى ظ : تكون (٧) فى ظ : مكنا كم (٨) سورة ٦ آية ٦ (٩) زيد من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «من قبلك» ساقطة من ظ (١١) سورة ٦ آية ١٠ (١٢) سورة ٦ آية ١١ .

و لقد

"و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا [١]" - الآية ، و قال تعالى "و لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذنهم بالباساء و الضراء [٢]" - الآية ، و قال تعالى "يمعشر الجن و الانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم ايتى [٣]" فوقعت الإحالة فى هذه الآى [٤] على الاعتبار بالأمم السالفة و ما كان منهم حين كذبوا أنبياءهم و هلاك تلك القرون بتكذيبهم و عتوهم و تسلية رسول الله ٥ صلى الله عليه و سلم بجريان ما جرى له بمن تقدمه [٥] من الرسل "قد نعلم انه ليحزنك الذى [٦] يقولون" فاستدعت الإحالة و التسلية بسط أخبار الأمم السالفة و [٧] القرون الماضية ، و الإعلام بصبر الرسل - عليهم السلام - عليهم و تلطفهم فى دعائهم ، و لم يقع فى السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل هذه الإحالة و التسلية و قد تكررت فى سورة الأنعام كما تبين بعد انقضاء ١٠ ما قصد من بيان طريق المتقين أخذا و تركا و حال من حاد عن سننهم ممن رامه أو قصده فلم يوفق له و لا أتم له أمله من الفرقتين [٨] : المستندة للسمع و المعتمدة للنظر ، فحاد الأولون بطارئ التغيير و التبديل ، و تنكب [٩] الآخرون بسوء التاول وقصور الأفهام و علة حيد الفريقين السابقة الأزلية ؛ فلما انقضى أمر هؤلاء و صرف الخطاب إلى تسليته عليه السلام و تثبيت فؤاده ١٥

---

(١) سورة ٦ آية ٣٤ (٢) سورة ٦ آية ٤٢ (٣) سورة ٦ آية ١٣٠ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الآية (٥) زيد بعده فى الأصل : عن مقدمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ٣٣ ، و فى الأصل : الذين (٧) زيد فى ظ : تلك (٨) من ظ ، و فى الأصل : الفريقين. (٩) من ظ ، و فى الأصل : ىنكث - كذا .

بذكر أحوال الأنبياء مع أممهم و أمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة ، و قد كان قدّم لرسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذكر الأنبياء " اولئك الذين هدى الله فبهدٰيهم اقتده[1] " بسط تعالى حال من وقعت الإحالة عليه ، و[2] استوفى الكثير[2] من قصصهم إلى آخر سورة هود إلى قوله سبحانه ٥ " وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك[3] " فتأمل بما افتتحت به السورة المقصود بها قصص الأمم و بما اختتمت يَلُحْ[4] لك ما أشرت إليه - و الله أعلم بمراده ، و تأمل افتتاح سورة الأعراف بقوله " فلنقصن عليهم[5] بعلم و ما كنا غائبين " و ختم القصص فيها بقوله " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " بعد تعقيب قصص بني إسرائيل بقصة بلعام " و اتل عليهم ١٠ نبا الذى اٰتينه اٰيٰتنا " - الآية ، ثم قال " ذلك مثل القوم[6] الذين كذبوا باٰيٰتنا " فتأمل هذا الإيماء بعد ذكر القصص ، وكيف ألحق مَنْ كذب رسول الله صلى الله عليه و سلم من العرب و غيرهم بمن قص ذكره[7] من المكذبين ، و تأمل افتتاح ذكر الأشقياء بقصة إبليس و ختمها بقصة[8] بلعام و كلاهما[9] ممن كفر على علم ، و في ذلك أعظم موعظة ، قال الله تعالى إثر ذلك " من يهد الله ١٥ فهو المهتدى " - الآية ، فبدأ[10] الاستجابة بنبيه[10] صلى الله عليه و سلم بذكر ما أنعم عليه و[6] على من استجاب له فقال تعالى " المص كتب انزل اليك "

---

(١) سورة ٦ آية ٩٠ (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل: استقرى الكبير (٣) آية ١٢٠ .
(٤) من ظ ، و في الأصل : بذ - كذا (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و في الأصل : عليك (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و في الأصل : ذكر (٨) في ظ : بذكر .
(٩) من ظ ، و في الأصل : هلاهما (١٠-١٠) في ظ : لاستجابة نبيه .

فأشار إلى نعمته بانزال الكتاب الذى جعله هدى للمتقين، و أشار هنا إلى
ما يحمله [عليه -[1]] من[2] التسلية و شرح الصدور[3] / بما جرى من العجائب / ٢٨٢
و القصص مع كونه هدى و نورا، فقال " فلا يكن فى صدرك حرج
منه" أى أنه قد تضمن مما أحلناك عليه[4] ما يرفع الحرج و يسلى النفوس
لتنذر به كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل، و لتستن فى إنذارك ٥
و دعائك وصبرك سننهم، و ليتذكر المؤمنون؛ ثم أمر عباده بالاتباع
لما أنزله فقال " اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم" فان هلاك من نقص
عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع و الركون إلى أوليائهم من
شياطين الجن و الإنس، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليبين
لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط[5] الشياطين و كيده و أنه عدو لهم ١٠
" يٰبنى اٰدم لا يفتننكم الشيطٰن كما اخرج ابويكم من الجنة" و وقع فى قصة
آدم هنا ما لم يقع فى قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصريح
اللعين بالحسد و تصور خيريته بخلقه من النار و طلبه الإنظار[6] و التسلط[7]
على ذرية آدم و الإذن له فى ذلك و وعيده و وعيد متبعيه ثم أخذه فى
الوسوسة إلى آدم عليه السلام و حلفه له "و قاسمهما انى لكما لمن النٰصحين" ١٥
و كل هذا مما أجمل فى سورة البقرة و لم تتكرر قصة إلا و هذا شأنها،
أعنى[7] أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا؛ ثم انجرت

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الصدر (٤) من ظ، و فى الأصل: عليك (٥) من ظ، و فى الأصل: سلط (٦) فى ظ: الانتظار (٧) من ظ، و فى الأصل: السلط.

الآى إلى ابتداء[1] قصة نوح عليه السلام و استمرت القصص إلى قصص بنى إسرائيل ، فبسط هنا من حالهم و أخبارهم شبيه ما بسط فى قصة آدم و ما جرى من محنة[2] إبليس ، و فصل هنا الكثير و ذكر ما لم يذكر[3] فى البقرة حتى لم يتكرر[4] بالحقيقة و لا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ، ٥ و من عجيب الحكمة أن الواقع فى السورتين من كلتا[5] القصتين مستقل شاف ، و إذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله و وضح كماله ، فتبارك من هذا كلامه و من جعله حجة قاطعة و آية باهرة . و لما أعقب تعالى قصصهم فى البقرة بأمره نبيه و المؤمنين بالعفو و الصفح فقال تعالى "فاعفوا و اصفحوا[6]" أعقب[7] تعالى أيضا هنا بقوله لنبيه عليه ١٠ الصلاة و السلام "خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجهلين" و قد خرجنا عن[8] المقصود فلنرجع إليه - انتهى .

و لما تقدم سبحانه إليه صلى الله عليه و سلم فى أمر الإنذار و الإذكار بالكتاب تقدم إلى اتباعه فأمرهم باتباعه و نهاهم عن اتباع أهل الضلال و ما يوحى إليهم أولياؤهم من زخارفهم بعد أن أخبر بكونه ١٥ ذكرى أنه سبب لعلو شأنهم و عز سلطانهم ، فقال ملتفتا إليهم مقبلا بعز جلاله

---

(١) فى ظ : الابتداء (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعحسه - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم تذكر (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم تتكرر (٥) فى الأصل : كلا ، و فى ظ : كلام (٦) آية ١٠٩ (٧) فى ظ : عقب (٨) من ظ ، و فى الأصل : على .

عليهم ﴿ اتبعوا ﴾ أى حملوا أنفسكم حملا عظيما بجد و نشاط على اتباع ﴿ مآ انزل اليكم ﴾ أى قد[1] خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم ﴿ و لا تتبعوا ﴾ و لعله[2] عبر بالافتعال إيماء إلى أن ما كان دون علاج - بل هفوة و بنوع غفلة - فى محل العفو ﴿ من دونه ﴾ أى دون ربكم ﴿ اولياء[4] ﴾ أى من الذين ٥ نهيناكم عنهم فى الأنعام و بينا ضررهم لكم من شياطين الإنس و الجن و عدم إغنائهم و أن الأمر كله لربكم.

و لما كانوا قد خالفوا فى اتباعهم صريح العقل و سليم الطبع، و عندهم أمثلة ذلك لو تذكروا، قال منبها لهم على تذكر ما يعرفون من تصرفاتهم: ﴿ قليلا ﴾ و أكد التقليل [بـ "ما" -[3]] النافى[4] و بادغام ١٠ تاء[5] التفعل فقال: ﴿ ما تذكرون ﴾ أى تعالجون أنفسكم على ذكر ما هو مركوز فى فطركم الأولى فانكم مقرون بأن ربكم رب كل شيء، فكل من تدعون من دونه مربوب، و أنتم لا تجدون/ فى عقولكم / ٢٨٣ و لا طباعكم و لا استعمالاتكم ما يدل بنوع دلالة على أن مربوبا يكون شريكا لربه. ١٥

و لما كان من أعظم ما يتذكر سار[6] النعم و ضار النقم للاقبال على الله و الإعراض عما سواه و عدم الاغترار بأسباب الأمن و الراحة، قال: ﴿ و كم ﴾ أى قل تذكركم و خوفكم من سطواتنا و الحال أنه[7]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لقد (٣) زيد من ظ (٤) فى الأصل: بالنافى، و سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: التاء (٦) من ظ، و فى الأصل: مفاد - كذا (٧) من ظ، و فى الأصل: ان.

كم[1] ﴿ من قرية ﴾ وإن جلت ؛ و لما كان المراد المبالغة فى الإهلاك ، أسنده إلى القرية و المراد أهلها فقال : ﴿ اهلكنها ﴾ أى بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله ، فلا تغتروا بأوليائكم من دونه و أنتم عالمون بأنهم لم ينفعوا مَنْ ضل من الأمم السالفة وقت إنزالنا[2] بهم السطوة ٥ و إحلالنا بهم النقمة و تحقق المهلكون[3] إذ ذاك - مع أنهم كانوا أشد منكم بطشا و أكثر عددا و أمتن كيدا - عدم إغنائهم فلم يوجهوا آمالهم[4] نحوهم .

و لما كان المعنى : أردنا إهلاكها و حكمنا به ، سبب عنه قوله : ﴿ فجآءها باسنا ﴾ أى عذابنا بما لنا من القوة و العظمة ، أو[5] الإهلاك ١٠ على حقيقته و هذا تفصيل له و تفسير ؛ و لما كان لا فرق فى إتيان عذابه سبحانه بين كونه ليلا أو نهارا ، وكان أخش البأس و أشده ما كان فى وقت الراحة و الدعة و الغفلة قال : ﴿ بياتا ﴾ أى وقت الاستكنان فى البيوت ليلا كما أهلك[6] قوم لوط عليه السلام [7]وقت السحر[7] .

و لما كان المراد بالقرية أهلها ، بينه بقوله [لأنه إذا حذف ١٥ المضاف جاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى : أن لا يلتفت اليه - كما فى أول الآية ، و أن يلتفت إليه - كما فى هذا الأخير لبيان أن الأهل هم المقصودون بالذات لأنه موضع التهديد -[8]] : ﴿ او هم قآئلون ﴾ أى

(١) فى الأصل : لكم (٢) من ظ ، و فى الأصل : انزلنا (٣) من ظ ، و فى الأصل : الملكوت - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : مالهم - كذا (٥) فى ظ « و » . (٦) فى ظ : جاء (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

نائمون وقت القائلة أو مستريحون من غير نوم كما أهلك قوم شعيب عليه السلام، يعني أنهم كانوا في كل من الوقتين غافلين بسبب أنهم كانوا آمنين، لم يظنوا أن شيئا من أعمالهم موجب للعذاب و لا كانوا مترقبين لشيء منه، فالتقدير: بياتا هم فيه[1] بائتون أى نائمون، أو قائلة هم فيها قائلون أى نائمون، فالآية من الاحتباك: دل إثبات "بياتا" ٥ أولا على حذف 'قائلة' ثانيا، و إثبات "هم قائلون" ثانيا[2] على حذف 'هم نائمون[3]' أولا، و الذى أرشدنا[4] إلى هذا المعنى[5] الحسن سوق "هم" من غير واو؛ و هذا قريب من قوله تعالى فيما يأتى "افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا [بياتا - [5]] و هم نائمون" فالأقرب[6] أن يكون المحذوف أولا نائمون؛ و ثانيا نهارا؛ فيكون التقدير: بياتا هم فيه نائمون، أو نهارا هم ١٠ فيه قائلون؛ و بين عظمة ما جاءهم و هوله بأنهم فى كل من الوقتين لم يقع فى فكر أحد منهم التصويب[7] إلى مدافعته بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿فما كان دعوٰهم﴾ أى قولهم الذى استدعوه ﴿اذ جآءهم باسنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿الآ ان قالوا﴾ أى إلا قولهم ﴿انا كنا﴾ أى بما لنا من الجبلة ﴿ظٰلمين ۝﴾ أى فى أنا لم نتبع ما أنزل إلينا من ربنا، فلم يفدهم[8] ذلك ١٥ شيئا غير شدة التحسر؛ ثم سبب عما مضى من أمر الرسول و الأمم

---

(١) زيد بعده فى ظ: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ.
(٣) من ظ، وفى الاصل: بائتون (٤) من ظ، و فى الأصل: ازسلنا (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٧ آية ٩٧ (٦) فى ظ: فالاول (٧) من ظ، وفى الأصل: النصب (٨) من ظ، وفى الأصل: فلم يفد.

قوله دفعا لوهم من يظن أن الأمر انقضى بما عذبوا به فى الدنيا : ﴿ فلنسئلن ﴾ أى بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ و التقريع للعصاة و التشريف و التعظيم للطيعين ، [و -[1]] أظهر موضع الإضمار تعميما فقال . ﴿ الذين ﴾ -

و لما كانت الملامة على تكذيب الرسول لا بقيد كونه معينا ، بنى

٥ للفعول قوله : ﴿ ارسل اليهم ﴾ أى و هم الأمم ، هل امتثلوا أوامرنا و أحجموا عند زواجرنا كما أمرتهم الرسل أم لا ﴿ و لنسئلن ﴾ أى بعظمتنا ﴿ المرسلين ﴾ أى هل كان فى صدورهم حرج بما أرسلناهم به و هل بلغوه أم لا يوم تكونون شهداء على الناس بما علمتم من شهادتى فى هذا القرآن و يكون الرسول عليكم شهيدا . فانا لا بد [أن -[2]] نحييكم بعد الموت

١٠ ثم نسألكم فى يوم تظهر فيه السرائر و تنكشف[1] - وإن اشتد خفاؤها - الضمائر ، / و لنرين الأفعال و الأقوال ، و لا نترك شيئا من الأحوال . /٢٨٤

و لما كان السؤال يفهم خفاء المسؤل عنه على السائل ، سبب عن ذلك ما يزيل هذا الوهم بقوله مؤذنا بأنه أعلم من المسؤلين عما سألهم عنه : ﴿ فلنقصن ﴾ أى بما لنا من صفات العظمة المستلزمة لكل كمال

١٥ ﴿ عليهم ﴾ أى المسؤلين من الرسل و أممهم ، جميع أحوالهم و ما يستحقون من جزائها ﴿ بعلم ﴾ أى مقطوع به لا مظنون ، فقد كنا معهم فى جميع تقلباتهم ﴿ و ما كنا ﴾ أى فى وقت من الأوقات[3] كما هو مقتضى ما لنا من العظمة[3] ﴿ غآئبين[4] ﴾ أى مطلقا و لا عن أحد من الخلق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ينكشف (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : غافلين - كذا .

بل

بل علمنا شامل لجميع الكليات و الجزئيات لأن ذلك مقتضى العظمة و مقتضى ما لنا من صفات الكمال ،[و من لم يكن محيط العلم بأن يميز المطيع من العاصي لا يصح أن يكون إلها - [1]] .

و لما تقدمت الإشارة بقوله تعالى " و اوفوا الكيل و الميزان بالقسط "- الآية إلى أن المساواة الحقيقية فى الميزان معجوز عنها و أنه أبعد المقادير ٥ عن التساوى ، و النص فى قوله تعالى " و من جاء بالحسنة فلا يجزى الا مثلها " على قدرة القدير [2] على ذلك ، و ختم الآية السالفة باحاطة العلم على الوجه الأبلغ المقتضى لذلك على أعلى الوجوه ؛ أكد الأمر أيضا و قصره على علمه هنا فقال: ﴿ و الوزن [3] ﴾ بميزان حقيقى لصحف الأعمال أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك ١٠ بعد أن يقذف [4] الله فى القلوب العلم به ، و لعله حال من نون العظمة فى الآية التى قبلها ، أى إنا لا نكتفى بما نقص بل نزنه [فيصير - [1]] بحيث يظهر لكل أحد أنه على غاية ما يكون من التساوى ؛ قال أبو حيان و على ابن الحسين النحوى الأصفهانى فى إعرابه : " الوزن " مبتدإ ﴿ يومئذ ﴾ ظرف منصوب به ﴿ الحق ج ﴾ خبر [5] المتبدإ ، زاد [6] الأصفهانى فقال : ١٥ و استضعف إعمال المصدر و فيه لام التعريف و قد ذكرنا أنه جاء فى التنزيل " لا يحب [الله - [7]] الجهر بالسوء من القول الا من ظلم "- انتهى . أى [و - [1]] الوزن فى ذلك اليوم مقصور على الحق ، يطابقه الواقع

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التقدير (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعرف (٥) من ظ و البحر المحيط ٤/ ٢٧١ ، و فى الأصل : فيه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : اراد (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ١٤٨ .

مطابقة حقيقية لا فضل فيها أصلا و لا يتجاوز الوزن فى ذلك اليوم الحق
إلى شيء من الباطل بزيادة ذرة [و - [1]] لا نقصها و لا ما دون ذلك ،
فتحرر أن مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب ، و هو يتضمن الحث
على اتباع الرسول و الدلالة على التوحيد و القدرة على البعث[2] ببيان
٥ الأفعال الهائلة فى ابتداء الخلق و إهلاك الماضين إشارة إلى أن من
لم يتبعه و يوحد - من أنزله[3] على هذا الأسلوب الذى لا يستطاع ، و المنهاج
الذى وقفت دونه العقول و الطباع ، لما قام من الأدلة على توحيده بعجز
من سواه عن أقواله و أفعاله - أوشك أن يعاجله قبل يوم البعث بعقاب
مثل عقاب الأمم السالفة و القرون الخالية مع ما ادخر له فى ذلك اليوم
١٠ من سوء المنقلب و إظهار أثر الغضب ؛

و لما أخبر أن العبرة بالميزان على وجه يظهر أنه لا حيف فيه بوجه ،
تسبب عنه قوله : ﴿ فمن ثقلت ﴾ أى ذست و رسبت على ما يعهد فى
الدنيا ﴿ موازينه ﴾ أى موزونات أعماله ، [أى أعماله - [1]] الموزونة ،
و لعله عبر بها عنها إشارة إلى أن كل عمل يوزن على حدة ليسعى فى
١٥ إصلاحه ﴿ فاولٓئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ هم ﴾ [أى خاصة - [1]]
﴿ المفلحون ﴾ أى الظاهرون بجميع مآربهم ﴿ و من خفت ﴾ أى طاشت
﴿ موازينه ﴾ [أى - [1]] التى توزن[4] فيها الأعمال الصالحة ﴿ فاولٓئك ﴾
المبعدون ﴿ الذين خسروٓا انفسهم ﴾ أى التى هى رأس مالهم فكيف
بما دونها ﴿ بما كانوا بايٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ يظلمون ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : البحث (٣) فى ظ : انزاله (٤) من ظ ، و فى الأصل : يوزن .

أي باستمرار ما يجددونه من وضعها فى غير المحل الذى يليق بها فعل من هو فى ظلام؛ قال الحسن: و حق لميزان توضع فيه [الحسنات أن يثقل، و حق لميزان توضع فيه - [1]] السيئات أن يخف.

و لما أمر الخلق بمتابعة الرسل و حذرهم من مخالفتهم، فأبلغ / فى تحذيرهم بعذاب الدنيا ثم بعذاب الآخرة، التفت إلى تذكيرهم ترغيبا فى ذلك باسباغ نعمه و تحذيرا من سلبها، لأن المواجهة أردع للخاطب، فقال فى موضع الحال من "خسروا انفسهم": ﴿ و لقد مكنّٰكم ﴾ أى خسروها و الحال أنا مكناكم[2] من إنجائها بخلق القوى و القدر[3] و إدرار النعم، و جعلنا مكانا يحصل التمكن فيه ﴿ فى الارض ﴾ أى كلها، ما منها من بقعة إلا و هى صالحة لانتفاعهم بها و لو بالاعتبار ﴿ و جعلنا لكم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فيها معايش[4] ﴾ أى[4] جميع[5] معيشة، و هى أشياء يحصل بها العيش، و هو تصرف[6] أيام الحياة بما ينفع، و الياء أصلية فلذا لا تهمز، [وكذا ما ولى ألف جمعه حرف علة أصلى و ليس قبل ألفه واو كأوائل و لا ياء كخيائر جمع أول و خير فانه لا يهمز إلا شاذا كمنائر و مصائب جمع منارة و مصيبة - [1]].

و لما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه أوجدهم و قوّاهم و خلق لهم [ما - [1]] يديم قواهم، فأكلوا خيره و عبدوا غيره، أنتج قوله على وجه التأكيد: ﴿ قليلا ما تشكرون ؏ ﴾ أى لمن أسبغ عليكم نعمه ظاهرة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : مكناهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : القدرة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : جمع (٦) فى ظ : التصرف.

و باطنة بما تنجون به أنفسكم ، و قال أبو حيان : إنه راجع للذين[1] خوطبوا بـ" اتبعوا ما انزل اليكم " و ما بينهما أورد مورد الاعتبار و الاتعاظ بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا و ما يؤل إليه في الآخرة - انتهى .

و لما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ، ذكّرهم ماكانوا عليه ٥ قبل هذه المكنة من العدم تذكيرا بالنعم[2] في سياق دال على البعث الذى فرغ من تقريره ، و على ما خص به أباهم آدم [عليه السلام -[3]] من التمكين في الجنة بالخلق و التصوير و إفاضة روح الحياة و روح العلم و أمر أهل سماواته بالسجود له و الغضب على من عاداه و طرده عن محل كرامته و معدن سعادته و إسكانه هو بذلك المحل الأعلى ١٠ و الموطن الأسنى مأذونا له في كل ما فيه إلا شجرة واحدة ، فلما خالف الأمر أزاله عنه و أخرجه منه ، و في ذلك تحذير لأهل المكنة من إزالة المنة في استدرار النعمة و إحلال النقمة فقال : ﴿ و لقد خلقنكم ﴾ أي بما لنا من صفات العظمة ﴿ ثم صورنكم ﴾ أي قدرنا خلقكم ثم تصويركم بأن جعلنا فيكم قابلية قريبة من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره ١٥ المعين بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك كما يهيأ[4] التراب بتخميره بانزال المطر لأن يكون [5]منه شجرة ، و قد تكون تلك الشجرة مهيأة لقبول صورة[5] الثمرة[6] و قد لا تكون كما قال تعالى " و لقد خلقنا الانسان من سللة من طين ثم جعلنه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة

(١) في ظ : الى الذين (٢) من ظ ، و في الأصل : بالنعمة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، و في الأصل : تهيا (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين في الأصل (٦) من ظ ، و في الأصل : القمر - كذا .

علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما ثم انشانه خلقا آخر[1]" و قال النبي[2] صلى الله عليه و سلم كما فى الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه: إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح. و عنه أيضا رضى الله عنه عند مسلم قال: سمعت ٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إذا مر بالنطفة اثنتان و أربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء[3] و يكتب الملك - الحديث. فظاهر هذا الحديث مخالف للفظ الذى قبله و للآية، فيحمل على أن معنى صورها: هيأها فى مدة الأربعين الثانية لقبول الصورة ١٠ تهيئة قريبة من الفعل، و سهل أولها بالتخمير[4] على هيئة مخصوصة بخلاف ما قبل ذلك، فانها كانت نطفة فكانت بعيدة عن قبول الصورة، و لذلك اختلفوا فى احترامها و هل يباح إفسادها و التسبب فى إخراجها، و معنى "خلق": قدر[5] أى جعل لكل شيء من ذلك حدا لا يتجاوزه فى الجملة، و الدليل على هذا المجاز شكه فى كونها ذكرا[6] أو أنثى، و لو كان ذلك ١٥ على ظاهره لما حصل شك فى كونها / ذكرا أو أنثى إذ آلة الذكر و الأنثى /٢٨٦

(١) سورة ٢٣ آية ١٢-١٤ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وصحيح مسلم - كتاب القدر، و فى الأصل: يشاء (٤) من ظ، و فى الأصل: بالتخميرة (٥) من ظ، و فى الأصل: فقدر، (٦) فى ظ: ذكر.

من جملة[1] الصورة ، و بهذا تلتئم هـذه الآية مع قوله تعالى[2] " اذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له سجدين " فهذا خلق بالفعل ، و الذى فى هذه السورة بايداعه القوة المقربة منه ، و المراد من الآية التذكير بالنعم استعطافا إلى المؤالفة و تفظيعا[3]
٥ بحال المخالفة ، أى خسروا أنفسهم و الحال أنا أنعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد [أن - [4]] أنشأناهم على الصورة المذكورة بعد أن كانوا عدما ، و أسجدنا ملائكتنا لأبيهم و طردنا[5] من تكبر عليه طردا لا طرد مثله ، و أبعدناه عن محل قدسنا بعدا لاقرب معه ، و أسكنا أباهم الجنه دار رحمتنا و قربنا ، فقال تعالى مترجما عن ذلك: ﴿ ثم قلنا ﴾ أى على ما لنا من الاختصاص
١٠ بالعظمة ﴿ للملّئكة ﴾ أى الموجودين فى ذلك الوقت من أهل السماوات و الأرض كلهـم ، بمـا دلت عليـه ' ال ' سواء قلنا: إنها للاستغراق أو الجنس ﴿ اسجدوا لأدم ﴾ أى بعد كونه رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من التسمية ؛ ثم سبب عن هذا الأمر قوله : ﴿ فسجدوا ﴾ أى كلهم بما دل عليه الاستثناء فى قوله : ﴿ الآ ابليس ﴾ و لما كان معنى ذلك لإخراجه
١٥ ممن سجد أنه لم يسجد ، صرح به فقال : ﴿ لم يكن من السّجدين ﴾ أى لآدم .

و لما كان مخالف[6] الملك فى محل العقاب ، تشوف السامع إلى خبره فأجيب بقوله: ﴿ قال ﴾ أى لإبليس إنكارا عليه و توبيخا له[7] استخراجا لكفره الذى كان يخفيه بما يبدى من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده

---

(١) فى ظ : جهة (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧١ فحذفناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : تغليظا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تركنا (٦) من ظ ، و فى الأصل : مخالفا (٧) فى ظ « و » .

﴿ ما منعك ﴾ و لما كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده ، فكان المعنى لا يلبس بادخال "لا" في قوله: ﴿الا تسجد﴾ أتى بها لتفيد[1] التأكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل و الإقدام على الترك ، فيكون كأنه قيل: ما منعك من السجود و حملك على تركه ﴿ اذ ﴾ أي حين ﴿ امرتك ط ﴾ أي حين حضر الوقت الذي يكون فيه أداء المأمور به ٥ ﴿ قال ﴾ أي إبليس ناسبا ربه سبحانه إلى الجور أو عدم العلم بالحق ﴿ انا خير منه ج ﴾ أي فلا يليق لي السجود لمن هو دوني و لا أمري بذلك لأنه مناف للحكمة ؛ ثم بين وجه الخيرية التي تصورها بسوء فهمه أو بما قاده إليه سوء طبعه بقوله: ﴿ خلقتني من نار ﴾ أي فهي أغلب أجزائي و هي مشرقة مضيئة عالية [غالبة - [2]] ﴿ و خلقته من طين ه ﴾ أي هو ١٠ أغلب أجزائه و هو كدر مظلم سافل مغلوب ، و قد[3] غلط غلطا فاحشا فان الإيجاد خير من الإعدام بلا نزاع ، و النار سبب الإعدام و المحق لما خالطته ، و الطين سبب النماء و التربية لما خالطه ، هذا لو كان الأمر في الفضل باعتبار العناصر و المبادئ و ليس كذلك ، بل هو باعتبار الغايات .

و لما كان هذا أمرا ظاهرا ، و كان مجرد التكبر على الله كفرا ١٥ على أيّ وجه كان ، أعرض عن جوابه بغير الطرد [الذي معناه نزوله المنزلة الذي مُوضعُ ما طلب من علوها - [2]] فاستأنف قوله : ﴿ قال ﴾ مسببا عن إبائه قوله: ﴿ فاهبط منها ﴾ مضمرا للدار التي كان فيها و هي

---

(١) من ظ ، و في الأصل : ليفيد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ : هو .

الجنة. فانها لا تقبل عاصيا، و عبر بالهبوط الذى يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج، لأن مقصود هذه السورة الإنذار و هو أدل عليه - [1]]، و سبب عن أمره بالهبوط [الذى معناه النزول و الحدور و الانحطاط و النقصان و الوقوع فى شيء منه - [1]] قوله[2]: ﴿فما يكون﴾ أى يصح و يتوجه بوجه ٥ من الوجوه ﴿لك ان تتكبر﴾ أى تتعمد الكبر [و هو الرفعة فى الشرف و العظمة و التجبر - [1]]، و لا مفهوم لقوله "لك" و لا لقوله: ﴿فيها﴾ لوجود الصرائح بالمنع من الكبر مطلقا "انه [3] لا يحب المستكبرين"، "كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر[4]"، "قال الذين استكبروا انا كل فيها[5]"، و إنما قيد بذلك تهويلا للأمر، فكأنه قيل: لا ينبغى التكبر ١٠ إلا لنا، [و - [1]] كلما قرب الشخص من محل القدس الذى هو مكان المطيعين المتواضعين جل تحريم الكبر عليه "لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر" - رواه مسلم و غيره عن ابن مسعود رضى الله عنه، [6]و سبب[6] عن كونها لا تقبل الكبر قوله: ﴿فاخرج﴾ أى من الجنة دار الرضوان[7]، [فانتفى أن يكون الهبوط من موضع عال ١٥ من الجنة إلى موضع منها أحط منه - [1]]، ثم علل أمره بالهبوط و الخروج بقوله مشيرا إلى / أن كل من أظهر الاستكبار ألبس الصغار: ﴿انك من الصٰغرين ۝﴾ أى الذين هم أهل للطرد و البعد و الحقارة و الهوان. /٢٨٧

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لانه، و راجع سورة ١٦ آية ٢٣ (٤) سورة ٤٠ آية ٣٥ (٥) سورة ٤٠ آية ٤٨ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: رضوان.

و لما علم أن الحسد قد أبعده و نزل به عن ساحة الرضى و أقعده، تمادى فيه فسأل ما يتسبب به[1] إلى إنزال المحسودين عن درجاتهم العالية إلى دركته السافلة، و لم يسأل بشقاوته فيما يعليه من دركته السافلة إلى درجاتهم العالية، و ذلك بأن ﴿ قال ﴾ أى إبليس، و هو استئناف؛ [و لما كان السياق - و لا سيما الحكم بالصغار العارى عن تقييد - يأبى لأن ٥ يكون سببا لسؤاله الانتظار، ذكره بصيغة الإحسان فقال -[2]]: ﴿انظرنىٓ﴾ أى بالإمهال، أى اجعلنى[3] موجودا بحيث أنظر و أتصرف فى زمن ممتد ﴿ إلى يوم يبعثون ۝ ﴾ أى من القبور، و هو يوم القيامة، وكان اللعين طلب بهذا أنه لا يموت، فان ذلك الوقت ليس وقتا للموت، إنما هو وقت إفاضة الحياة الأبدية فى شقاوة أو سعادة، فأعلم سبحانه أنه[4] حكم له ١٠ بالانتظار[4]، لكن لا على ما أراده [و لا على أنه إجابة له، و لكن هكذا سبق فى الأزل فى حكمه فى قديم علمه، و إليه يرشد التعبير -[2]] بقوله: ﴿ قال انك من المنظرين ۝ ﴾ أى فى الجملة، و منعه من الحماية عن الموت بقوله كما ذكره فى سورتى الحجر و صٓ " الى يوم الوقت المعلوم[5] " وهو وقت النفخة الأولى التى يموت فيها الأحياء فيموت هو معهم، وكان ١٥ ترك هذه الجملة فى[6] هذه السورة لأن هذه السورة للانذار، و إبهام الأمر أشد فى ذلك، و أجابه إلى الإنظار و هو يريد به الفساد، لأنه لا يعدو أمره فيه و تقديره به، و لأنه سبحانه لا يسئل عما يفعل، و لتظهر حكمته تعالى فى الثواب و العقاب.

---

(١) فى ظ: فيه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: اجعلوه.
(٤-٤) من ظ، وفى الأصل: اجابه إلى الانظار (٥) آية ٣٨ وآية ٨١ (٦) فى ظ: من.

و لما كان قد حكم عليه بالشقاء ، قابل نعمة الإمهال و إطالة العمر بالتمادى فى الكفر ، و أخبر عن نفسه بذلك بأن ﴿ قال ﴾ مسببا عن إيقاعه فى المعصية بسبب نوع الآدميين ﴿ فبمآ اغويتنى ﴾ أى فبسبب إغوائك لى ، و هو إيجاد الغى و[1] اعتقاد الباطل فى قلبى من

٥ أجلهم و الله ﴿ لاقعدن لهم ﴾ أى أفعل فى قطعهم عن الخير فعل المتمكن المقبل بكليته [المتأنى الذى لا شغل له غير ما أقبل عليه -[2]] فى مدة إمهالك لى بقطعهم عنك بمنعهم من فعل ما أمرتهم به ، و حملهم[3] على فعل ما نهيتهم عنه ، كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف ﴿صراطك﴾ أى فى جميع صراطك ، بما دل عليه نزع الخافض ﴿ المستقيم ﴾ و هو

١٠ الإسلام بجميع شعبه ، و من أسند الإغواء إلى غير الله بسبب اعتقاده أن ذلك مما ينزه الله عنه ، فقد وقع فى شر مما فر منه ، و هو أنه جعل فى الوجود فاعلين يخالف اختيار أحدهما اختيار الآخر .

و لما كان قد أقام نفسه فى ذلك بغاية الجد ، فهو يفعل فيه بالوسوسة بنفسه و من أطاعه من شياطين الجن و الإنس ما يفوت الحد و يعجز

١٥ القوى ، أشار إليه بحرف التراخى [فقال -[2]] مؤكدا : ﴿ثم لاٰتينهم﴾ أى إتيانا لا بد لى منه كائنا ابتداؤه ﴿ من بين ايديهم ﴾ أى مواجهة ، فأحملهم على أن يفعلوا ما يعلمون[4] أنه خطأ ﴿و[5]﴾ كائنا ﴿من خلفهم﴾ أى مغافلة ، فيعملون[6] ما هو فاسد فى غاية الفساد و لاشعور لهم بشىء

(١) زيد فى ظ : هى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : حملتهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعملون (٥) تأخر فى الأصل عن « كائنا » والترتيب من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فيعلمون.

من فساده حين تعاطيه فأدلهم[1] بــذلك على تعاطى مثله و هم [لا -[2]] يشعرون ﴿و عن﴾ أى و مجاوزا للجهة[3] التى عن[4] ﴿ ايمانهم ﴾ إليهم ﴿ و عن ﴾ أى و مجاوزا لما عن ﴿ شمآئلهم[5] ﴾ أى مخايلة ، فيفعلونه و هو[5] مشتبه عليهم ، و هذه هى الجهات التى يمكن الإتيان منها ، و لعل فائدة 'عن[6] ' المفهمة للجاوزة[7] وصل خطى القدام و الخلف ليكون إتيانه ٥ مستوعبا لجميع الجهة المحيطة ، [و أفهمت الجهات الأربع قدحه و تلبيسه فيما يعلمونه حق علمه و ما يعلمون شيئا منه و ما هو مشتبه عليهم[8] اشتباها قليلا أو كثيرا . و هم من ترك ذكره الأعلى أنه لا قدرة له على الإتيان منه لئلا يلتبس أمره بالملائكة ، و قد ذكر ذلك فى بعض الآثار كما ذكره فى ترجمة ورقة بن نوفل رضى الله عنه -[2]] . ١٠

و لما عزم اللعين على هذا عزما صادقا ، و رأى أسبابه ميسرة[9] من الإنظار[10] و نحوه ، ظن أنه[11] بما رأى لهم من الشهوات و الحظوظ[12] يظفر بأكثر[13] حاجته ، فقال عاطفا[14] على ما تقديره : فلأغوينهم و ليتبعنى : ﴿و لا تجد اكثرهم﴾ كما هى عادة الأكثر فى الخبث ﴿ شكرين ه﴾ فأريد به الشقاء فأغرق فى الحسد ، و لو أريد بالشق[15] الخير لاستبدل بالحسد الغبطة ١٥

---

(١) و فى ظ : فادريه - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لجهة (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) من ظ ، و فى الأصل : هم (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالمجاوزة (٨) فى ظ : عليه (٩) فى ظ : متيسرة (١٠) فى ظ : الانتظار (١١) سقط من ظ (١٢) زيد فى ظ : انه . (١٣) من ظ ، و فى الأصل : الجنة (١٤) فى ظ : عطفا (١٥) من ظ ، و فى الأصل : بالشقا .

/٢٨٨ [فطلب - [1]] أن يرتقى هو إلى درجاتهـم / العالية بالبكاء و الندم و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و بذل النصيحة خضوعا لمقام الربوبية و ذلا لعظيم شأنه .

و لما كان كأنه قيل : ما ذا قال له ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ فى جواب ٥ ما ذكر لنفسه فى هذا السياق من القوة و الاقتدار [2] و أبان [2] عنه من الكبر و الافتخار ما دل على أنه من أهل الصغار ، لا يقدر على شيء إلا باقدار العزيز الجبار ، [مصرحا بما أريد من الهبوط الذى ربما حمل على النزول من موضع من [3] الجنة عال إلى مكان منها أحط منه - [1]] ﴿ اخرج منها ﴾ أى الجنة ﴿ مذءوما ﴾ أى محقورا مخزيا بما تفعل ، قال ابن القطاع : ١٠ ذأمت الرجل : خزيته ، و قال ابن فارس : ذأمته : أى حقرته ﴿ مدحورا [4] ﴾ أى مبعدا مطرودا عن كل ما لا أريده .

و لما علم بعض حاله ، تشوفت النفس إلى حال من تبعه ، فقال مقسما مؤكدا بما يحق له من القدرة التامة و العظمة الكاملة : ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ أى بنى آدم ، و أجاب القسم بما أغنى عن جواب ١٥ الشرط فقال : ﴿ لاملئن جهنم منكم ﴾ أى منك و من قبيلك [4] و منهم ﴿ اجمعين ﴾ أى لا يفوتنى منكم أحد ، فلم يزل [5] من فعل ذلك منكم على أذى نفسه و لا أبالى أنا بشيء .

و لما أوجب له ما ذكر من الشقاوة تماديه فى الحسد و كثرة كلامه

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : بان (٣) ليس فى ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : قبلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : فكم يرد - كذا .

فى

فى محسوده، التفت إلى محسوده الذى لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل اشتغل بنفسه فى البكاء على ذنبه، و اكتفى بفعل ربه بما ينجيه من حبائل مكره التى نصبها بما ذكر، ليكون ذلك سبب سعادته[1]، فقال عطفا على "اخرج منها": ﴿ و يآدم اسكن ﴾ و لما كان المراد بهذا الأمر هو نفسه لا التجوز[2] به عن بعض من يلابسه، أكد ضميره لتصحيح العطف ٥ و رفع التجوز فقيل: ﴿ انت و زوجك الجنة ﴾ .

و لما كان السياق هنا للتعريف بأنه مكن[3] لأبينا فى الجنة أعظم من تمكينه لنا فى الأرض بأن حباه فيها رغد العيش مقارنا لوجوده؛ ثم حسن فى قوله: ﴿ فكلا ﴾ العطف بالفاء الدال على أن المأكول كان مع الإسكان، لم يتأخر عنه، و لا منافاة بينه و بين التعبير بالواو فى البقرة، ١٠ لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو، و لا منافاة بين النوع و الجنس، و[4] قوله: ﴿ من حيث شئتما ﴾ بمعنى رغدا أى واسعا، فانه يدل على إباحة الأكل من كل شيء فيها غير المنهى عنه، و أما آية البقرة فتدل على إباحة الأكل منها فى أىّ مكان كان، و هذا السياق إلى آخره مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه و هدم عزه و إن ١٥ كان فى غاية المكنة و نهاية القوة كما أخرج من أعظم له المكنة باسجاد ملائكته و إسكان جنته و إباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة؛ أكد تحريمها بالنهى عن قربانها دون الاكتفاء بالنهى عن غشيانها [فقال-[5]]:

---

(١) فى ظ: سعادة (٢) من ظ، و فى الأصل: التجويز (٣) سقط من ظ.
(٤) فى ظ: فى (٥) زيد من ظ.

﴿ولا تقربا﴾ أى فضلا عن أن تتناولا ﴿هذه الشجرة﴾ مشيرا إلى شجرة بعينها أو نوعها ؛ ثم سبب عن القربان العصيان، فان من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه فقال : ﴿فتكونا﴾ أى بسبب قربها ﴿من الظلمين ﴿﴾﴾ أى بالأكل منها الذى هو[1] مقصود النهى فتكونا بذلك فاعلين فعل
٥ من يمشى فى الظلام[2] ؛ ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد مع المحسودين فيما سأل الإنظار بسببه، وأنه وقع على كثير من مراده واستغوى منهم أمما تجاوزوا الحد وقصر عنهم مدى العد ؛ ثم بين أنه أقل من أن يكون له فعل، وأن الكل بيده سبحانه، هو الذى جعله آلة لمراده منه ومنهم، وأن [من - [3]] يهد الله فهو المهتدى، ومن
١٠ يضلل فأولئك هم الخاسرون، فقال : ﴿فوسوس[4]﴾ أى ألقى فى خفاء وتزيين [وتكرير - [3]] واشتهاء ﴿لهما الشيطن﴾ [أى - [3]] بما مكنه الله منه من أنه يجرى من الإنسان مجرى الدم[1] ويلقى له فى خفاء ما يميل به قلبه إلى ما يريد؛ ثم بين علة الوسوسة بقوله : ﴿ليبدى﴾ أى يظهر ﴿لهما ما وٗرى﴾ أى ستر وغطى بأن جعل / كأنه وراءهما لا يلتفتان
١٥ إليه ﴿عنهما﴾ والبناء للفعول إشارة إلى أن الستر بشىء لا كلفة عليهما فيه كما يأتى فى قوله "ينزع عنهما لباسهما" ﴿من سوءتهما﴾ أى المواضع التى يسوءهما انكشافها، وفى ذلك أن إظهار السوءة موجب للبعد من الجنة وأن بينهما منفية الجمع[5] وكمال التباين.

ولما أخبر بالوسوسة وطوى مضمونها مفهما أنه أمر كبير وخداع

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الضلال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فسوف - كذا (٥) فى ظ : الجنة .

طويل، عطف عليه قوله: ﴿ وقال ﴾ أي [في - [١]] وسوسته أيضا، أي زين[٢] لهما ما حدث بسببه في خواطرهما هذا القول: ﴿ ما نهٰكما ﴾ وذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا باكرامه لهما تجرئة لهما على ما يريد منهما فقال: ﴿ ربكما ﴾ أي المحسن إليكما بما تعرفانه من أنواع إحسانه ﴿عن﴾ أي ما جعل نهايتكما في[٣] الإباحة للجنة متجاوزة عن ﴿هذه الشجرة﴾ ٥ جمع بين الإشارة والاسم زيادة في الاعتناء بالتنصيص ﴿ الآ ان ﴾ أي كراهية أن ﴿تكونا ملكين﴾ أي في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكل وغير ذلك من خواصهم ﴿او تكونا ﴾ أي بما يصير لكما[٤] من الجبلة ﴿من الخلدين۝﴾ أي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا.

ولما أوصل إليهما هذا المعنى، أخبر أنه أكده تأكيدا عظيما كما ١٠ يؤكد الحالف ما يحلف عليه فقال: ﴿وقاسمهمآ ﴾ أي أقسم لهما، لكن ذكر المفاعلة ليدل على أنه حصلت بينهما في ذلك مراوغات ومحاولات بذل فيها الجهد، وأكد - لمعرفته[٥] أنهما طبعا على النفرة من المعصية[٦] - ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد في قوله: ﴿انى لكما﴾ فأفاد تقديم الجار المفهم للاختصاص أنه يقول: إني خصصتكما بجميع نصيحتي ﴿لمن النصحين ۝لا﴾ ١٥ وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف، وأن الأغلب أن كل حلاف كذاب، فانه لا يحلف إلا عند[٧] ظنه أن سامعه لا يصدقه، ولا يظن ذلك إلا وهو معتاد للكذب.

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: عن (٤) من ظ، وفي الأصل: بكما (٥) من ظ، وفي الأصل: لمعزفة (٦) من ظ، وفي الأصل: العطية - كذا.
(٧) في ظ: على.

و لما أخبر يعض وسوسته لهما، سبب [1]عنها ترجمتها[1] بأنها إهباط من أوج شرف إلى حضيض أذى و سرف فقال: ﴿فدلّٰهما﴾ أى أنزلهما عما كانا فيه من علو الطاعة [مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التى أوجبت له الهبوط من دار الكرامة -[2]] ﴿بغرور[4]﴾ أى بخداع و حيلة حتى

٥ نسى آدم عهد ربه، و قوله: ﴿فلما ذاقا﴾ مشير[3] إلى الإسراع فى الجزاء بالفاء و الذوق الذى هو مبدأ الأكل ﴿الشجرة﴾ أى وجدا طعمها ﴿بدت﴾ أى ظهرت ﴿لهما سوا'تهما﴾ أى عوراتهما اللاتى يسوءهما ظهورها، و تهافت عنهما لباسهما فأبصر كل واحد ما كان مستورا عنه من عورة الآخر، و ذلك قصد الحسود فاستحييا عند ذلك ﴿و طفقا﴾ أى

١٠ شرعا و أقبلا ﴿يخصفٰن عليهما﴾ أى يصلان بالخياطة ﴿من ورق الجنة[4]﴾ ورقة إلى أخرى ﴿و ناديٰهما ربهمآ﴾ أى المحسن إليهما بأمرهما و نهيهما، و لم يفعلا شيئا من ذلك إلا بمرأى منه، فقال منكرا عليهما ما فعلاه و معاتبا: يا عبدىّ ﴿ الم انهكما﴾ أى أجعل لكما نهاية فيما أذن لكما فيه متجاوزة ﴿عن تلكما الشجرة﴾ أى التى كان حقها البعد منها، الموجبة [5]للقربة من[5]

١٥ هذا الموضع الشريف إحسانا إليكما ﴿و اقل لكمآ ان الشيطٰن﴾ أى الذى تكبر[6] عن السجود[7] حسدا لك يا آدم و نفاسة عليك، فاحترق

(١-١) من ظ، وفى الأصل: عنهما ترجمتها (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ.
(٣) فى الأصل وظ: مشيرا (٤) فى ظ: عراتهما (٥-٥) فى ظ: للغربة عن.
(٦) من ظ، و فى الأصل: يكبر (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها.

بغضبي فطرد و أبعد عن رحمتي ﴿ لكما ﴾ أي لك و لزوجك و لكل من تفرع[1] منكما و نسب إليكما ﴿ عدو مبين ه ﴾ ظاهر العداوة يأتيكم من كل موضع يمكنه الإتيان منه مجاهرة و مساترة و مماكرة فهو مع[2] ظهور عداوته دقيق المكر بما أقدرته عليه من إقامة الأسباب ، فاني أعطيته قوة على [الكيد ، و أعطيتكم قوة على الكيد و أعطيتكم قوة على - [3]] ٥ الخلاص و قلت لكم : تغالبوا ، فان غلبتموه فأنتم من حزبي ، و إن غلبكم فأنتم من حزبه مع ما له إليكم من العداوة . فالآية منبهة على أن من غوى فانما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لأولى أوليائه .

/و لما كان هذا ، تشوف السامع إلى جوابهما ، فأجيب بقوله : /٢٩٠ ﴿ قالا ﴾ أي آدم و حواء - عليهما السلام و أزكى التحية و الإكرام - ١٠ [قول الخواص باسراعهما في التوبة - [3]] ﴿ ربنا ﴾ أي أيها المحسن إلينا و المنعم علينا ﴿ ظلمنآ انفسنا سكتة ﴾ أي ضررناها[4] بأن أخرجناها من نور الطاعة إلى ظلام المعصية ، فان لم ترجع بنا وتتب علينا لنستمر[5] عاصيين ﴿ و ان لم تغفر لنا ﴾ أي تمحو ما عملناه عينا و أثرا ﴿ و ترحمنا ﴾ فتعلي[6] درجاتنا ﴿ لنكونن من الخسرين ه ﴾ فأعربت الآية عن أنهما ١٥ فزعا إلى الانتصاب[7] بالاعتراف ، و سميا ذنبهما[8] - و إن كان إنما هو خلاف

(١) من ظ ، و في الأصل : يفرع (٢) في ظ : موضع - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : ضررنا (٥) من ظ ، و في الأصل : كنتم - كذا (٦) من ظ ، و في الأصل : فتعالى (٧) من ظ ، و في الأصل : الانصاف (٨) من ظ ، و في الأصل : ذنبهم .

الأولى[1] لأنه بطريق النسيان كما فى ظه - [ظلما - [2]] كما هى عادة الأكابر فى استعظام الصغير منهم ، و لم يجادلا كما فعل إبليس ، و فى ذلك إشارة[3] إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الأشراف لكونه من معالى الأخلاق ، و أنه لا مثيل له فى اقتضاء العفو و إزالة الكدر ، و أن ٥ الجدال من فعال الأرذال و من مساوى الأخلاق و موجبات الغضب المقتضى للطرد .

و لما تشوفت النفس الى جواب العلى الكبير سبحانه ، أجيبت[4] بقوله : ﴿ قال اهبطوا ﴾ أى إلى دار المجاهدة و المقارعة و المناكدة حال كونكم ﴿ بعضكم لبعض عدوج ﴾ أى أنتما و من ولدتماه أعداء أبليس و من ١٠ ولد ، و بعض أولادكم أعداء لبعض ، و لا خلاص إلا باتباع ما منحتكم من هدى العقل و ما أنزلت اليكم من تأييده[5] بالنقل ، و فى ذلك تهديد صادع لمن له أدنى مسكة بالإشارة إلى قبح مغبة[6] المخالفة و لو مع التوبة ، و حث على دوام المراقبة خوفا من سوء المعاقبة ﴿ و لكم فى الارض ﴾ أى جنسها ﴿ مستقر ﴾ أى موضع استقرار كالسهول[7] و ما شابهها ١٥ ﴿ و متاع الى حين ﴾ أى انقضاء آجالكم ثم انقضاء أجل الدنيا .

و لما علم بهذا أن للكون فى الأرض آخرا ، [وكان من الفلاسفة

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : للاولى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : ارشاد (٤) من ظ ، و فى الأصل : اجيب (٥) من ظ ، و فى الأصل : يبده - كذا . (٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالسهول .

التناسخية و غيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول: إن النفوس مجردة عن الجسمية و علائقها و إنه إذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات إما بكوكب أو غيره أو انحطت فى سلك الملائكة و بطل تعلقها بالبدن من كل وجه فلا تتصل به لا بتدبير و لا غيره و لا بالبعث - عند من قال منهم بالبعث -[1]]، كان كأنه قيل: فما ذا يكون بعد ذلك؟ فأجيب بقوله: ﴿قال﴾ ٥ [أى الله رادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن معبرا بالخطاب بالضمير الذى يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص روحا و جسدا -[1]] ﴿فيها﴾ [أى الأرض لا فى غيرها -[1]] ﴿تحيون﴾ أى أولا و[2] ثانيا [على ما أنتم عليه بظواهركم و بواطنكم أبدانا و أرواحا -[1]] ﴿و فيها﴾ [أى كذلك، لا فى غيرها كما أنتم لذلك مشاهدون -[1]] ﴿تموتون﴾ أى ١٠ من الحياة الأولى [بجملتكم، فيكون للأرواح تعلق بالأبدان بوجه ما حتى يقعد الميت فى القبر و يجيب سؤال الملكين عليهما السلام، و تلتذ الأجساد بلذتها و تتألم بتألمها -[1]]، فأشير إلى الحشر مع تفصيل حال الكون فى الأرض، و ختمت القصة بما ابتدئت به من الإعلام بالبعث بقوله: ﴿و منها﴾ [أى لا من غيرها باخبار الصادق -[1]] ﴿تخرجون ع﴾ أى ١٥ [روحا و بدنا -[1]] بعد موتكم فيها و[2] عودكم إلى ما كنتم عليه أولا ترابا، للجزاء و إظهار ثمرة الملك بانصاف بعضكم من بعض و التحلى [بصفة -[1]] العدل فيما كان بعضكم يفعل مع بعض من العسف و الجور الذى لا يرضى أقل رؤسائكم أن يقر عليه عبيده، و علم بهذا أن الدلالة على الحشر فذلكة

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: او.

القصة، و هذا أبين [من ذكره -[1]] فيما مضى [فى قوله "فلنسئلن الذين ارسل اليهم" - الآيات .

و لما بين فيما مضى أن -[1]] موجب الإخراج من الجنة [2]هو ما أوجب[2] كشف السوءة من المخالفة و فرغ مما استتبعه حتى أخبر بأنه حكم
٥ باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار، شرع يحذرنا من عدونا كما حذر أبانا عليه السلام[3]، و بدأ بقوله بيانا لأنه أنعم علينا فيها بكل ما يحتاج إليه فى الدين و الدنيا و إيذانا بما فى كشف العورة من الفضيحة و الإبعاد عن كل خير و إشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى: ﴿ يٰبنىٓ ادم ﴾ .

١٠ و لما كان الكلام فى كشف العورة، و أن آدم عليه السلام أعوزه الساتر حتى فزع إلى الورق، كان موضع أن يتوقع[4] ما يكون فى ذلك فقال[5] مفتتحا بحرف التوقع: ﴿ قد انزلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ عليكم ﴾ من آثار بركات السماء، إما ابتداء بخلقه و إما بانزال أسبابه من المطر و نحوه ﴿ لباسا ﴾ أى لم يقدر عليه أبوكم فى الجنة ﴿ يوارى سوءٰتكم ﴾ إرشادا
١٥ إلى دواء ذلك الداء و إعلاما بأن نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات الكمال، و قال: ﴿ و ريشا ﴾ إشارة إلى أنه سبحانه زادنا على الساتر ما به

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «آدم عليه السلام» تكررت فى ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: تتوقع (٥) من ظ، و فى الأصل: قال .

الزينة و الجمال استعارة من ريش الطائر، محببا[1] فيما يبعد من الذنب و يقرب إلى حضرة[2] الرب.

و لما ذكر اللباس / الحسى، [3]و قسمه على ساتر و مزين[3]، أتبعه المعنوى فقال مشيرا - بقطعه فى قراءة الجمهور عما قبله - إلى كمال تعظيمه حثا عليه و ندبا إليه: ﴿و لباس التقوى﴾ فعلم أن ساتر العورات حسى و معنوى، ٥ فالحسى لباس الثياب، و المعنوى التحلى بما يبعث على المتاب[4]؛ ثم زاد فى تعظيم المعنوى بقوله: ﴿ذلك خير﴾ أى و لباس التقوى [هو -[5]] خير من لباس الثياب، و لكنه فصل باسم الإشارة المقترن بأداة البعد إيماء إلى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه أهم[6] اللباسين لأن نزعه يكون بكشف العورة الحسية و المعنوية، فلو تجمل الإنسان بأحسن الملابس و هو غير متق كان كله ١٠ سوءات، و لو كان متقيا و ليس عليه إلا خريقة توارى عورته كان فى غاية الجمال و الستر و الكمال، بل و لو كان مكشوف العورة فى بعض الأحوال كما قال صلى الله عليه وسلم « ستر ما بين عوراتكم و أعين الجن أن يقول أحدكم إذا دخل الخلاء: بسم الله اللهم! إنى أعوذ بك من الخبث و الخبائث » رواه الترمذى و ابن ماجه عن على رضى الله عنه، [و الذى يكاد يقطع ١٥ به أن المعاصى سبب إحلال السوءة الذى منه ضعف البدن و قصر العمر حسا أو معنى بمحق البركة منه لما يفهمه ما تقدم فى البقرة فى بدء الخلق عن التوراة أن الله تعالى قال لآدم عليه السلام: كل من جميع أشجار

(١) فى ظ: تحبيبا (٢) فى ظ: حضرات (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: المثاب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: أهل.

الفردوس، فأما شجرة علم الخير و الشر فلا تأكل منها لأنك فى اليوم الذى تأكل منها تموت موتا أى تتهيأ للموت حسا، و يقضى عليك بالاشتغال بأسباب المعيشة فيقصر عمرك معنى بذهاب بركته - و الله أعلم - [1]].

و لما كان فى شرع اللباس تميز الإنسان عن بقية الحيوان و تهيئة
٥ أسبابه التى لم يجدها آدم عليه السلام فى الجنة من الفضل و النعمة و الدلالة على عظمة المنعم و رحمتـــه و قدرته و اختياره ما هو معلوم، قال: ﴿ ذلك ﴾ أى إنزال اللباس ﴿ من ءايٰت الله ﴾ أى الذى حاز صفات الكمال الدالة على فضله و رحمته لعباده، و لعل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فى ﴿لعلهم يذكرون ۝﴾ - و لو على أدنى وجوه التذكر بما يشير
١٠ إليه الادغام - لئلا يقول المتعنت: إن الحث على التذكر خاص بالمخاطب و يدعى أنه المسلمون فقط، أى أنزلنا ذلك ليكون حالهم[2] حال من يتذكر فيعرف أنه يستقبح منه ما يستقبح من غيره.

و لما كان المقصود من ذكر القصص لا سيما قصص الأنبياء الاعتبار بها، فكان بيان ما وقع بين آدم عليه السلام و بين الشيطان من شديد
١٥ العداوة مقتضيا للتحذير من الشيطان، و كان المقام خطرا و التخلص عسرا، أشار إلى ذلك بالتأكيد و بيان ما سلط الشيطان به من المكايد الخفية و الأسباب الدقيقة ليعلم الناجى أنه إنما نجا بمحض التوفيق و مجرد اللطف فيقبل على الشكر متبرئا من الحول و القوة، فقال مناديا لهم بما يفهم الاستعطاف و التراؤف و التحنن و الترفق و الاستضعاف[3]: ﴿ يٰبنى ءادم ﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ: حالكم (٣) فى ظ: الاستعطاف.

أى الذى خلقته بيدى و أسكنته جنتى ثم أنزلته إلى دار محبتى إرادة الإعلاء لكم إلى الذروة من عبادتى و الإسفال[1] إلى الحضيض من معصيتى ﴿ لا يفتننكم ﴾ أى [لا - [2]] يخالطنكم بما يميلكم عن الاعتدال ﴿ الشيطن ﴾ أى البعيد[3] المحترق بالذنوب[4]، يصدكم عما يكون سببا لردكم إلى وطنكم بتزيين ما ينزع عنكم من لباس التقوى المفضى إلى هتك العورات الموجب لخزى الدنيا، ٥ فيمنعكم بذلك من دخول الجنة و يدخلكم النار ﴿ كمآ اخرج ابو يكم من الجنة ﴾ بما فتنهما به بعد أن كانا سكناهـا و تمكنا فيها و توطناها، وقد علمتم أن الدفع أسهل من الرفع فاياكم ثم إياكم! فالآية من الاحتباك: ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيا، و الإخراج ثانيا دليلا على حذف ضده أو نظيره[5] أولا. ١٠

و لما كان الشيطان قد بذل الجهد فى إخراجهما، فسر الإخراج - مشيرا إلى ذلك - باطالة الوسواس و إدامة المكر و الخديعة بالتعبير بالفعل المضارع فقال [فى موضع الحال من ضمير " الشيطن " - [3]] : ﴿ ينزع عنهما ﴾ أى [بالتسبيب - [2]] بادامة التزيين و الأخذ من المأمن ﴿ لباسهما ﴾ [أى الذى كان الله سبحانه قد سترهما به ما داما حافظين لأنفسهما من موافعة ما نهيا عنه، ١٥ ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله : ﴿ ليريهما سوءتهما ﴾ - [2]] فان ذلك مبدأ ترك الحياء و الحياء و الإيمان / فى قرن - كما أخرجه /٢٩٢ الطبرانى و أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما، و الحياء لا يأتى

(١) فى ظ : الاشتغال (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل: بالذنب. (٥) من ظ، و فى الأصل: يظهره.

إلا بخير - كما رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضى الله عنهما ؛

و لما كان نهى الشيطان عن فتنتا إنما هو فى الحقيقة نهى لنا عن الافتتان به ، فهو فى قوة ليشتد حذركم من فتنته فانه دقيق الكيد بعيد الغور[1] بديع المخاتلة ؛ علل ذلك بقوله : ﴿ انّه يرٰكم ﴾ أى الشيطان ﴿ هو و قبيله ﴾ أى جنوده ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ عن مالك بن دينار أن عدوا يراك و لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله .

و لما كان كأنه قيل : لم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذى لا يكاد يسلم معه أحد ، قال مخففا لأمرهم موهيا فى الحقيقة لكيدهم : ﴿ انا ﴾ أى فعلنا ذلك لأنا بما لنا من العظمة ﴿ جعلنا الشيٰطين ﴾ أى المحترقين بالغضب البعيدين من الرحمة ﴿ اوليآء ﴾ أى قرباء[2] و قرناء ﴿ للذين لا يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان ، لأن بينهم تناسبا فى الطباع يوجب الاتباع ، و أما أولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم أو فتناهم يسيرا بهم ، ثم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم بأولياء ، بل هم لهم أعداء و آيتهم أنهم يؤمنون ، و المعنى أنا مكناهم من مخاتلتكم بسترهم عنكم و إظهاركم لهم ، فسلطناهم بذلك على من حكمنا بأنه لا يؤمن بتزيينهم لهم و تسويلهم و استخفافهم بأن ينصروهم فى بعض المواطن و يوصلوهم[3] إلى شىء من المطالب ، فعلنا ذلك ليتبين الرجل الكامل - الذى يستحق الدرجات العلى و يتردد إليه الملائكة بالسلام و الجنى[4] - من غيره فخذوا حذركم فان الأمر

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الغور (٢) فى ظ : اقرباء (٣) فى ظ : يوصلهم .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : الحى - كذا .

خطر

خطر [1]و الخلاص[1] عسر، و بعبارة أخرى: إنا سلكناكم[2] طريقا و جعلنا بجنبتيها[3] أعداء يرونكم[4] و لا ترونهم، و أقدرناهم[5] على بعضكم، فمن سلك سواء السبيل نجا و من شذ أسره العدو، ومن دنا من الحافات بمرافقة الشبهات قارب العدو و من قاربه استغواه، فكلما دنا منه تمكن[6] من أسره، و كل من تمكن من أسره بعد من الخلاص[7] فاحذروا، و عدم رؤيتنا لهم فى ٥ الجملة لا [8]يقتضى امتناع رؤيتهم على أنه قد صح تصورهم فى الأجسام الكثيفة و رؤية بنى آدم لهم فى تلك الأجسام كالشيطان الذى رآه أبو هريرة رضى الله عنه حين أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفظ الصدقة، و كذا أبى بن كعب رضى الله عنه، و حديث خالد بن الوليد رضى الله عنه فى شيطان العزى معروف فى السير، وكذا حديث سواد ١٠ ابن قارب رضى الله عنه فى إرشاد رئيه من الجن له، و كذا خطر ابن مالك رضى الله عنه فى مثل[9] ذلك و غيرهما، و فى شرحى لنظمى للسيرة كثير من ذلك، وكذا حديث العفريت الذى تفلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته فأخزاه الله و أمكن منه [رسول الله - [10]]، و قال النبى صلى الله عليه و سلم: لو لا دعوة أخى ١٥ سليمان عليه السلام لأصبح مربوطا بسارية المسجد يتلعب[11] به ولدان أهل

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: سلكناهم (٣) من ظ، و فى الأصل: تحتها (٤) من ظ، وفى الأصل: يركم - كذا (٥) من ظ، وفى الأصل: اقدرناكم (٦) من ظ، وفى الأصل: يمكن (٧) من ظ، وفى الأصل: الاخلاص. (٨) فى الأصل: الا، وفى ظ: كما (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) من ظ، و فى الأصل: يتعلب.

المدينة ؛ قال أبو حيان : إلا أن رؤيتهم فى الصور نادرة كما أن الملائكة عليهم السلام تبدو فى صور كحديث جبريل عليه السلام .

و لما جعل أمارتهم فى ولاية الشيطان عدم الإيمان ، عطف على ذلك أمارة أخرى فقال : ﴿و اذا فعلوا فاحشة﴾ أى أمرا بالغا فى القبح
٥ كالشرك و كشف العورة فى الطواف ﴿قالوا﴾ معللين لارتكابهم إياها ﴿وجدنا عليهآ﴾ أى الفاحشة ﴿ اٰبآءنا ﴾ و لما كانت هذه العلة ظاهرا عارها بينا عوارها ، ضموا إليها اقتراء[1] ما يصلح للعليـــة ، فقالوا معبرين بالاسم الأعظم غير محتشمين من جلاله و عظمته و كماله : ﴿و الله امرنا بها ؕ﴾ .

و لما كانت العلة الأولى ملغاة ، و كان العلم ببطلانها بديهيا ، لأن
١٠ من المعلوم أنهم لو وجدوهم على سفه فى تحصيل المال ما تابعوهم ؛ أعرض / عنها إشارة إلى ذلك ، و أمر بالجواب عن الثانية التى هى اقتراء على الملك ٢٩٣ / الأعلى مع ادعائهم أنهم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أشدهم تحريا بقوله : ﴿قل ان الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿لا يامر بالفحشآء ؕ﴾ أى بشيء من هذا الجنس .

١٥ و لما كان الكذب قبيحا فى نفسه و هو عندهم أقبح القبيح مطلقا ، فكيف بـــه على كبير منهم فكيف إذا كان على أعظم العظماء ! قال منكرا عليهم موبخا لهم مهددا : ﴿ا تقولون على الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ما لا تعلمون ۝﴾ لأنكم لم تسمعوا ذلك عن[2] الله بلا واسطة و لا نقل إليكم بطريق صحيح عن نبى من الأنبياء[3] عليهم السلام ، و فيه

(١) من ظ ، و فى الأصل : افرا - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : من .
(٣) فى ظ : انبيايه .

تهديد شديد على الجهل[1] و القول على الله بالظن .

و لما كان تعليلهم بأمر الله مقتضيا لأنه إذا امر بشيء أتبع ، أمره أن يبلغهم أمره الذي جاء به دليل العقل مؤيدا بجازم النقل فقال: ﴿قل﴾ أي لهؤلاء الذين نابذوا الشرع و العرف ﴿امر ربى﴾ المحسن إليّ بالتكليف بمحاسن الأعمال، التي تدعو إليها الهمم العوال ﴿ بالقسط قف﴾ و هو الأمر ٥ الوسط بين ما فحش في الإفراط صاعدا عن الحد، و في التفريط [هابطا منه؛ و لما كان التقدير: فأقسطوا اتباعا لما أمر به ، أو كان القسط -[2]] مصدرا ينحل إلى : أن أقسطوا، عطف عليه ﴿و اقيموا وجوهكم﴾ مخلصين غير مرتكبين لشيء من الجور﴿عند كل مسجد﴾ أي مكان و وقت و حال يصلح السجود فيه، و لا يتقيدن أحد بمكان و لا زمان [بأن -[2]] يقول ١٠ و قد أدركته الصلاة : أذهب فأصلي في مسجدي ﴿و ادعوه﴾ عند ذلك كله دعاء عبادة ﴿ مخلصين له الدين ط﴾ أي لا تشركوا به شيئا .

و لما كان المعنى: فان من لم يفعل ذلك عذبه بعد إعادته له بعد الموت، ترجمه مستدلا عليه بقوله معللا : ﴿ كما بداكم ﴾ أي في النشأة الأولى فأنتم تبتدئون نعيدكم بعد الموت فأنتم ﴿ تعودون ه ﴾ حال كونكم فريقين : ١٥ ﴿ فريقا هدى ﴾ أي خلق الهداية في قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية ﴿و فريقا﴾ أضل ، ثم فسر 'أضل' - لأنه واجب التقدير بالنصب - بقوله : ﴿حق﴾ أي ثبت و وجب ﴿عليهم الضللة ط﴾ أي لأنه أضلهم فيحشرون على ما كانوا عليه في الدنيا من الأديان ، و الأبدان ، و قد تبين أن ههنا

---

(١) من ظ ، و في الأصل : الجهد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

احتباكين: أثبت فى أولهما 'بدا' دليلا على حذف 'يعيد' و ذكر 'تعودون' دليلا على حذف 'تبتدئون'. و أثبت فى الثانى 'هدى' دليلا على حذف 'أضل' و ذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى.

و لما كرر سبحانه ذكر البعث كما تدعو إليه الحكمة فى تقرير ما ٥ ينكره المخاطب تأنيسا له به و كسرا لشوكته و إيهانا لقوته و قمعا لسورته إلى أن ختم بما هو أدل عليه مما قبل من قوله 'و منها تخرجون' "و لنسئلن الذين ارسل اليهم" علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة أى وجوبها أى وجوب وبالها عليهم بقوله: ﴿انهم اتخذوا﴾ أى كلفوا أنفسهم ضد ما دعتهم إليه الفطرة الأولى بأن أخذوا ﴿الشيطين اولياء﴾ أى ١٠ أقرباء و أنصارا ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى الذى لا مثل له[2] ﴿و يحسبون﴾ أى و الحال أنهم يظنون بقلة عقولهم ﴿انهم مهتدون ۝﴾ فأشار بذلك إلى أنهم استحقوا النكال لأنهم قنعوا فى الأصول - التى[3] يجب فيها الابتهال[4] إلى القطع - بالظنون.

و لما أمر سبحانه بالقسط و باقامة الوجه عند كل مسجد، أمرهم ١٥ بما ينبغى عند تلك الإقامة من ستر العورة الذى تقدم الحث عليه و بيان فحش الهتك و سوء أثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيبا فيه و إذنا فى الزينة و بيانا لأنها ليس[3] مما يتورع عنه لقوله صلى الله عليه و سلم «ان الله يحب اذا بسط على عبد رزقه أن يرى أثر نعمته عليه» رواه أحمد و الترمذى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) فى ظ: الانتهاء.

و ابن منيع عن أبي هريرة رضى الله عنه، و أتبع ذلك أعظم ما ينبغى لابن آدم أن يعتبر فيه القسط من المأكل و المشرب فقال مكررا النداء استعطافا و إظهارا لعظيم الإشفاق / و تذكيرا بقصة أبيهم آدم عليه السلام / ٢٩٤ التى أخرجته من الجنة مع كونه صفى الله ليشتد الحذر: ﴿ يٰبنىٓ ادم ﴾ أى الذى زيناه فغره الشيطان ثم وقيناه شره بما أنعمنا عليه به من ٥ حسن التوبة و عظيم الرغبة ﴿ خذوا زينتكم ﴾ أى التى تقدم التعبير عنها بالريش لستر العورة و التجمل عند الاجتماع للعبادة ﴿ عند كل مسجد ﴾ [1] و أكد ذلك [1] كونهم كانوا قد شرعوا أن غير الحمس يطوفون عراة.

و لما أمر [2] بكسوة الظاهر بالثياب لأن صحة الصلاة متوقفة عليها، أمر بكسوة [2] الباطن بالطعام و الشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال: ١٠ ﴿ و كلوا و اشربوا ﴾ و حسّن ذلك أن بعضهم كان يتدين فى الحج بالتضييق فى ذلك.

ولما أمر بالملبس و المطعم، نهى عن الاعتداء فيهما فقال: ﴿ و لا تسرفوا ج ﴾ بوضع شيء من ذلك فيما لا يكون أحق مواضعه و لو بالزيادة على المعاء، [و من ذلك أن يتبع السنة فى الشرب فيسير لأن العكر ١٥ يرسب فى الإناء فربما أذى من شربه، و لذلك نهى عن النفس فى الإناء لأنه ربما أنتن فعافته النفس. و أما الطعام فيلحس إناءه و الأصابع لنيل البركة و هو أنظف - [3]] ، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ انه لا يحب المسرفين ع ﴾

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: كذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ.

أى لا يكرمهم ، و لا شك أن من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط به كل شر ، و من جملة السرف الأكل فى جميع البطن ، و الاقتصاد الاقتصار على الثلث كما قال النبي صلى الله عليه و سلم « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث للنفس » و « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن[1] » و « الكافر يأكل فى [2]سبعة أمعاء[2] و المؤمن يأكل فى معى واحد » أخرجه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال الأطباء : الأمعاء سبعة ، فالمعنى حينئذ أن الكافر[3] يأكل شبعا فيملأ الأمعاء السبعة ، و المؤمن يأكل تقوتا[4] فيأكل فى معى واحد ، و ذلك سبع بطنه ، و اليه الإشارة بلقيمات ، فان لم يكن ففى معاءين و شيء و هو الثلث - و الله أعلم ، و سبب الآية أنهم كانوا يطرحون ثيابهم إذا أرادوا الطواف ، يقولون : لا نطوف فى ثياب إذ بتنا فيها ، و نتعرى منها لنتعرى[5] من الذنوب إلا [6] الحمس و هم قريش و من ولده ، وكانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا و لا يأكلون دسما ، فقال المسلمون : [7] يا رسول[7] الله ! فنحن أحق أن نفعل ذلك ، فأنزلت .

و لما كان من المعلوم أن ما كانوا ألفوه و اتخذوه دينا يستعظمون تركه ، لأن الشيطان يوسوس لهم بأنه توسع [الدنيا ، و التوسع -[8]]

(١) فى ظ : بطنه (٢-٢) فى ظ : معى واحد (٣) من ظ ، و فى الأصل : كافر .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : مقوتا (٥) فى ظ : لنقوى (٦) زيد بعده فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : ير - كذا .
(٨) زيد من ظ .

فيها مما ينبغي الزهد فيه كما دعا إليه كثير من الآيات ، أكد سبحانه الإذن في ذلك بالإنكار على من حرمه ، فقال منكرا عليهم إعلاما بأن الزهد الممدوح ما كان مع[1] صحة الاعتقاد في الحلال و الحرام ، و أما ما كان مع تبديل شيء من الدين بتحليل حرام أو عكسه فهو مذموم : ﴿ قل ﴾ منكرا موبخا ﴿ من حرم زينة الله ﴾ أي الملك الذي لا أمر لأحد معه ٥ ﴿ التي اخرج لعباده ﴾ أي ليتمتعوا بها من الثياب و المعادن و غيرها .

و لما ذكر الملابس التي هي شرط في صحة العبادة على وجه عم غيرها من المراكب و غيرها ، أتبعها المآكل و المشارب فقال : ﴿ و الطيبٰت ﴾ أي من[2] الحلال المستلذ ﴿ من الرزق ط ﴾ كالبحائر و السوائب و نحوها ؛ و لما كان معنى الإنكار : لم يحرمها من يعتبر تحريمه بل أحلها ، وكان ربما غلا ١٠ في الدين غال تمسكا بالآيات المنفرة عن الدنيا المهونة لشأنها مطلقا فضلا عن زينة [و طيبات الرزق ، قال مستأنفا لجواب من يقول : لمن ؟ : ﴿ قل هي ﴾ أي الزينة -[3]] و الطيبات ﴿ للذين اٰمنوا ﴾ و عبر بهذه العبارة و لم يقل : و لغيرهم ، تنبيها على أنها لهم بالإصالة ﴿ في الحيوٰة الدنيا ﴾ و أما الكفار[4] فهم تابعون لهم في التمتع بها و إن كانت[5] لهم أكثر ، فهي غير خالصة ١٥ لهم و هي للذين آمنوا ﴿ خالصة ﴾ أي لا يشاركهم [فيها -[3]] أحد ، هذا على قراءة نافع بالرفع ، و التقدير على قراءة غيره : حال كونها خالصة ﴿ يوم القيٰمة ط ﴾ و في هذا تأكيد لما مضى من إحلالها بعد تأكيد و محو الشكوك[6] ، و داعية للتأمل في الفصل بين المقامين / لبيان أن الزهد المأمور به / ٢٩٥

(١) في ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : الكافرون .
(٥) من ظ ، وفي الأصل : كان (٦) في ظ : الشكوك .

إنما هو بالقلب بمعنى أنه لا يكون للدنيا عنده[1] قدر و لا له إليها التفات و لا هي أكبر همه، و أما كونها ينتفع بها فيما أذن الله فيه و هي محقورة غير مهتم بها فذلك من المحاسن.

و لما كان هذا المعنى من دقائق المعاني و نفائس المباني، أتبعه تعالى

٥ قوله جوابا لمن يقول: إن هذا التفصيل [2]فائق فهل[2] يفصل غيره هكذا؟ ﴿ كذلك ﴾ أي مثل هذا التفصيل البديع ﴿ نفصل الأيٰت ﴾ أي نبين أحكامها و نميز بعض المشتبهات من بعض ﴿ لقوم يعلمون ۝ ﴾ أي لهم ملكة و قابلية للعلم ليتوصلوا به إلى الاعتقاد الحق و العمل الصالح.

و لما بين أن ما حرموه ليس بحرام فتقرر[3] ذلك تقررا نزع من

١٠ النفوس ما كانت ألفته من خلافه[4]، و محا من القلوب ما كانت أشربته من ضده؛ كان كأنه قيل: فما ذا حرم الله الذى ليس التحريم إلا إليه؟ فأمره تعالى بأن يجيبهم عن ذلك و يزيدهم بأنه لم يحرم غيره فقال: ﴿قل انما حرم ربى﴾ أي المحسن إليّ بجعل ديني أحسن الأديان ﴿الفواحش﴾ أي كل فرد منها و هي ما زاد قبحه؛ و لما كانت الفاحشة ما يتزايد قبحه

١٥ فكان ربما ظن أن الإسرار بها غير[5] مراد بالنهي قال: ﴿ما ظهر منها﴾ بين الناس ﴿ و ما بطن ﴾.

و لما كان هذا خاصا[6] بما عظمت شناعته قال: ﴿ و الاثم ﴾ أي

---

(١) في ظ: عليه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و في الأصل: تقرر (٤) من ظ، و في الأصل: اخلافه (٥) من ظ، و في الأصل: ثم (٦) من ظ، و في الأصل: فرضا.

مطلق

مطلق الذنب[1] الذى يوجب الجزاء، فان الإثم الذنب و الجزاء؛ و لما كان البغى زائد القبح مخصوصا بأنه من أسرع الذنوب عقوبة، خصه بالذكر فقال: ﴿و البغى﴾ و هو الاستعلاء على الغير ظلما، و[2] لكنه لما كان قد يطلق[3] على مطلق الطلب، حقق معناه العرفى الشرعى فقال: ﴿بغير الحق﴾ أى الكامل الذى ليس فيه شائبة باطل، فمتى كان فيه ٥ شائبة باطل كان بغيا، و لعله يخرج العلو بالحق بالانتصار من الباغى فانه حق كامل الحقية، وتكون[4] تسميته بغيا على طريق المشاكلة تنفيرا - بادخاله تحت اسم البغى - من تعاطيه و ندبا إلى العفو كما تقدم مثله فى "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم[5]" و يمكن أن يكون تقييده تأكيدا لمنعه بأنه لا يتصور إلا موصوفا بأنه بغير الحق كما قال ١٠ تخصيصا[6] و تنصيصا تنبيها على شدة الشناعة: ﴿و ان تشركوا بالله﴾ أى الذى اختص بصفات الكمال ﴿ما لم ينزل به سلطنا﴾ فانه لا يوجد ما يسميه أحد شريكا إلا و هو مما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به فى الواقع و لا برهان، و لعله إنما قيده بذلك إرشادا إلى أن أصول الدين لا يجوز اعتمادها إلا بقاطع فكيف بأعظمها و هو التوحيد! و لذلك عقبه بقوله: ١٥ ﴿و ان﴾ أى و حرم أن ﴿تقولوا على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه و لا كفوء له ﴿ما لا تعلمون ه﴾ أى ما ليس لكم به[2] علم بخصوصه و لا هو مستند إلى علم أعم من أن يكون من الأصول أو لا.

---

(١) فى ظ: الكذب (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: نطق (٤) من ظ، وفى الأصل: يكون (٥) سورة ٤ آية ١٤٨ (٦) من ظ، وفى الأصل: مخصصا.

و لما تقدم أن الناس فريقان : مهتد و ضال ، و تكرر ذم الضال باجترائه على الله بفعل ما منعه منه و ترك ما أمره به ، و كانت العادة المستمرة للملوك أنهم لا يمهلون من تكرر مخالفته لهم ؛ كان كأنه قيل : فلم لا يهلك من يخالفه ؟ فقيل وعظا و تحذيرا : إنهم لا يضرون بذلك
٥ إلا أنفسهم ، و لا يفعلون شيئا منه إلا بارادته ، فسواء عندهم بقاؤهم و هلاكهم ، إنما يستعجل من يخاف الفوت أو يخشى الضرر ، و لهم أجل لا بد من استيفائه ، و ليس ذلك خاصا بهم بل ﴿ و لكل امة اجل ج ﴾ و[1] هو [عطف - [2]] على " فيها تحيون و فيها تموتون " ﴿ فاذا جآء اجلهم ﴾ .

١٠ و لما كان نظرهم إلى الفسحة فى الأجل ، و كان قطع رجائهم منه من جملة عذابهم ، قدمه فقال : ﴿ لا يستاخرون ﴾ أى عن الأجل ﴿ ساعة ﴾ عبر بها و المراد أقل ما يمكن ، لأنها أقل الأوقات فى الاستعمال فى العرف ، ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها لا على جزائها قوله : ﴿ و لا يستقدمون ه ﴾ أى على الأجل المحتوم ، لأن الذى ضربه
٢٩٦ / ١٥ لهم ما ضربه الا و هو عالم بكل ما يكون / من أمرهم ، لم يتجدد له علم ، لم يكن يتجدد شيء من أحوالهم ، و يجوز أن يكون معطوفا على قوله " و لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين " و تكون الآية معلمة بأنهم سيتناسلون فيكثرون حتى يكونوا أمما ، و لا يتعرضون جملة بل يكون لكل أمة وقت .

---

(١) فى ظ : اى (٢) زيد من ظ .

و لما كان استشراف النفس[١] إلى السؤال عما يكون بعد حين المستقر و المتاع أشد من استشرافها[٢] إلى هذا لكونه أخفى منه، فهو أبعد من خطوره فى البال؛ قدم قوله "قال فيها تحيون"- الآية؛ و لما كان ذكر الدواء لداء هتك السوءة أهم قدم "انزلنا عليكم لباسا" ثم [ما -[٣]] بعده حتى كان الأنسب بهذه[٤] الآية هذا الموضع فنظمت فيه. ٥

و لما تقدمت الإشارة إلى الحث على اتباع الرسل بآيات المقصد الأول من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى "كتب انزل[٥] اليك" و "لتنذر" و "اتبعوا ما انزل اليكم" و قوله "فلنسئلن الذين ارسل اليهم"- [الآية -[٣]]، و قوله "قل امر ربى بالقسط"، "انما حرم ربى الفواحش" و التحذير من الشياطين بقوله "و لا تتبعوا من دونه اولياء" ١٠ و بقوله "لاقعدن لهم صراطك المستقيم"، "لا يفتنكم الشيطن" و غيره، فتحرر أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالرسل، و ختم ذلك بالأجل حثا على العمل فى أيام المهلة؛ أتبع ذلك قوله حاثا على التعلق بأسباب النجاة باتباع [الدعاة -[٣]] الهداة قبل الفوت بحادث الموت[٦] ببيان الجزاء لمن أحسن الاتباع فى الدارين: ﴿ يٰبنى ادم ﴾. ١٥

و لما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعى العقل من غير إرسال رسول، و كان إرسال الرسل جائزا له و فضلا منه سبحانه إذ

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: استشراف (٣) زيد من ظ.
(٤) فى ظ: لهذه (٥) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: انزلنا (٦) زيدت الواو بعده فى ظ.

لا واجب عليه، أشار إلى ذلك بحرف الشك فقال: ﴿ اما ﴾ هي 'إن' الشرطية وصلت بها 'ما' تأكيدا ﴿ يأتينكم رسل ﴾ و لما كانت زيادة الخبرة[1] بالرسول أقطع للعذر و أقوى في الحجة قال: ﴿ منكم ﴾ أي من نوعكم من عند ربكم.

٥ [و لما كان الأغلب على مقصد هذه السورة العلم كما تقدم في "فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين" و يأتي في "و لقد جئنهم بكتب فصلنه على علم" و غيرها، كان التعبير بالقص - الذي هو تتبع الأثر كما تقدم في الأنعام - أليق فقال-[2]]: ﴿ يقصون عليكم ايتي ﴾ أي يتابعون ذكرها لكم على وجه مقطوع به، [و -[2]] يتبع بعضهم بها أثر ١٠ بعض لا يتخالفون في أصل واحد من الأصول.

و لما كان لقاء الرسل حتما و الهجرة إليهم واجبة لأن العمل لا يقبل إلا بالاستناد[3] إليهم مهما وجد إلى ذلك سبيل، ربط الجزاء بالفاء فقال: ﴿ فمن اتقى ﴾ أي خاف مقامي و خاف وعيدي بسبب التصديق بالرسل و التلقي عنهم ﴿ و اصلح ﴾ أي عمل صالحا باقتفاء آثارهم ﴿ فلا خوف ﴾ ١٥ أي غالب ﴿ عليهم ﴾ أي بسبب ذلك من شيء يتوقعونه ﴿ و لا هم ﴾ أي بضمائرهم ﴿ يحزنون ﴾ أي يتجدد لهم [في -[2]] وقت ما حزن على شيء فاتهم، لأن الله يعطيهم ما يقر[4] به أعينهم، و كأنه[5] غاية في التعبير لأن إجلالهم لله تعالى و هيبتهم له يمكن أن يطلق عليهما[6] خوف.

---

(١) في ظ: الخير (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ: بالاستناد (٤) في ظ: تقر (٥) في ظ: لانه (٦) في ظ: عليها.

و لما ذكر المصدق، أتبعه المكذب فقال: ﴿و الذين كذبوا بٰايٰتنا﴾ أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ و لما كان التكذيب قد يكون عن شبهة أو نوع من العذر، نفى ذلك بقوله: ﴿و استكبروا عنهآ﴾ أى أوجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له عظيم الرغبة[1] فيه، متجاوزين عنها إلى أضداد ما دعت إليه. ٥

و لما كان ذلك ليس سببا حقيقيا للتعذيب، و إنما هو كاشف عمن ذرأه الله لجهنم لإقامة الحجة عليه، أعرى عن الفاء قوله: ﴿اولٰٓئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿اصحٰب النار ج﴾ و لما كان صاحب الشيء هو الملازم له المعروف به، قال مصرحا بذلك: ﴿هم[2]﴾ أى خاصة ليخرج العاصى من غير تكذيب و لا استكبار[3] ﴿فيها[4]﴾ أى النار خاصة، و هى ١٠ تصدق بكل طبقة من طبقاتها ﴿خٰلدون ﴾ فقد تبين أن إثبات الفاء[1] أولا للترغيب فى الاتباع، و تركها[1] ثانيا للترهيب من شكاسة الطباع، فالمقام فى الموضعين خطر، و لعل / من فوائده الإشارة إلى أنه إذا بعث /٢٩٧ رسول وجب على كل [من -[5]] سمع به أن يقصده لتحرير أمره، فاذا بان له صدقه تبعه، و ان تخلف عن ذلك كان مكذبا - و الله الموفق. ١٥

و لما كان تكذيب الرسل تارة يكون بشرع شيء لم يشرعوه،

---

(١) سقط من ظ (٢) تأخر فى الأصل عن «لا استكبار» و الترتيب من ظ.
(٣) من ظ: وفى الأصل: استكبارا (٤) تأخر فى الأصل عن «من طبقاتها» والترتيب من ظ (٥) زيد من ظ.

و تارة برد ما شرعوه قولا و فعلا ، و أخبر أن المكذبين أهل النار ، علل ذلك بقوله: ﴿فمن اظلم﴾ أى أشنع ظلما ﴿ممن افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿كذبا﴾ أى كمن شرع فى المطاعم و الملابس غير ما شرع ، أو[1] ادعى أنه يوحى إليه لحكم بوجود[2] ما لم يوجد ﴿او كذب بايته﴾ أى برد ما أخبر به الرسل لحكم بانكار ما وجد[3] .

و لما كان الجواب: لا أحد أظلم من هذا ، بل هو أظلم الناس ، و كان مما علم أن الظالم مستحق للعقوبة فكيف بالأظلم قال: ﴿اولٓئك﴾ أى البعداء من الحضرات الربانية ﴿ينالهم نصيبهم من الكتب﴾ أى الذى كتب حين نفخ الروح أو من الآجال التى[4] ضربها سبحانه [لهم -[5]] و الأرزاق التى قسمها، تأكيدا لرد اعتراض من قال: إن كنا خالفنا فما له لا يهلكنا؟ ثم غيّى نيل النصيب بقوله: ﴿حتى اذا جاءتهم رسلنا﴾ أى الذين قسمنا لهم[6] من عظمتنا ما شئنا حال كونهم ﴿يتوفونهم﴾ أى يقبضون أرواحهم كاملة من جميع أبدانهم ﴿قالوا اين ما كنتم﴾ عنادا كمن هو فى جبلته ﴿تدعون﴾ أى دعاء عبادة ﴿من دون الله﴾ أى تزعمون[7] أنهم واسطة لكم عند الملك الأعظم و[8]تدعونهم حال كونكم معرضين عن الله ، ادعوهم الآن ليمنعوكم من عذاب الهوان[9] الذى نذيقكم ﴿قالوا ضلوا﴾ أى غابوا ﴿عنا﴾ فلا ناصر لنا .

(١) فى ظ «و» (٢) من ظ ، وفى الأصل : بوجد (٣) فى ظ : يوجد (٤) فى ظ : الذى (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : يزعمون . (٨) من ظ ، وفى الأصل : او (٩) فى ظ : الهون .

و لما كان الإله لا يغيب فعلموا ضلالهم بغيبتهم عنهم ، قال مترجما عن ذلك : ﴿و شهدوا علىٓ انفسهم﴾ أى بالغوا فى الاعتراف ﴿ انهم كانوا كٰفرين ه ﴾ أى ساترين عنادا لما كشف لهم عنه نور العقل فلا مانع منه إلا حظوظ النفوس و لزوم البؤس .

و لما كان كأنه قيل : لقد اعترفوا ، و الاعتراف - كما قيل - إنصاف ، ٥ فهل ينفعهم؟ قيل : هيهات ! فات محله بفوات[1] دار العمل لا جرم ! ﴿قال﴾ أى الذى جعل الله إليه أمرهم ﴿ادخلوا﴾ كائنين ﴿فىٓ امم﴾ أى فى جملة جماعات و فرق أم بعضها بعضا[2] ؛ ثم وصفهم دالا بتاء التأنيث على ضعف عقولهم فقال : ﴿ قد خلت ﴾ و لما كان فى الزمن الماضى من آمن ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ و لما كان الجن الأصل فى الإغواء ١٠ قدمهم فقال : ﴿ من الجن و الانس ﴾ ثم ذكر محل الدخول فقال : ﴿ فى النار ط ﴾ .

و لما جرت عادة الرفاق بأنهم يتكالمون و حين الاجتماع يتسالمون تشوف السامع إلى حالهم فى ذلك فقال مجيبا له : ﴿ كلما دخلت امة ﴾ أى منهم فى النار ﴿ لعنت اختها ط ﴾ أى القريبة منها فى الدين[3] و الملة التى ١٥ قضيت[4] آثارها و اتبعت منارها ، يلعن اليهود اليهود و النصارى النصارى - و هكذا ، و استمر ذلك منهم ﴿حتىٓ اذا اداركوا ﴾ أى تداركوا و تلاحقوا ، يركب بعضهم بعضا - بما يشير إليه الإدغام ﴿ فيها جميعا لا ﴾ لم يبق منهم أمة و لا واحد[5] من أمة ﴿ قالت اخرٰيهم ﴾ أى فى الزمن

---

(١) فى ظ : بفوت (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : الزمن (٤) من ظ ، و فى الأصل : نعت - كذا (٥) فى ظ : احدا .

و المنزلة ، و هم الأتباع و السفل ﴿ لاولٰهم ﴾ أى لأجلهم مخاطبين لله خطاب المخلصين ﴿ ربنا ﴾ أى[1] الذى ما قطع إحسانه فى الدنيا عنا على[2] ما كان منا من مقابلة إحسانه بالإساءة ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى الأولون ﴿ اضلونا ﴾ أى لكونهم أول من سن الضلال ﴿ فأتهم ﴾ أى أذقهم بسبب ذلك ٥ ﴿ عذابا ضعفا ﴾ أى يكون بقدر عذاب غيرهم[3] مرتين لأنهم ضلوا و أضلوا لأنهم سنوا الضلال ، « و من سن سنة [سيئة - [4]] كان عليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة » و منه « لا تقتل[5] [نفس ظلما إلا على ابن آدم الأول كفل من دمها » لأنه أول من سن القتل - [4]] ، ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم : / ﴿ من النار ط ﴾ . / ٢٩٨

١٠ و لما كان كأنه قيل : لقد قالوا ما له وجه ، فبم أجيبوا ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ أى جوابا لهم ﴿ لكل ﴾ أى من السابق و اللاحق و المتبوع و التابع ﴿ ضعف ﴾ و إن لم يكن الضعفان[6] متساويين لأن[7] المتبوع و إن كان سببا لضلال التابع فالتابع[7] أيضا كان سببا لتمادى المتبوع فى ضلاله و شدة شكيمته [فيه بتقويته - [4]] بالاتباع و تأييده بالمناضلة عنه و الدفاع ؛ ١٥ و لما كانوا جاهلين باستحقاقهم الضعف لسبب هذه الدقيقة قال : ﴿ و لكن لا تعلمون ۝ ﴾ أى بذلك .

و لما ذكر ملام الآخرين على الأولين ، عطف عليه جواب الأولين فقال : ﴿ و قالت اولٰهم ﴾ أى أولى الفرق و الأمم ﴿ لاخرٰهم ﴾ مسببين

(١) من ظ ، و فى الأصل : ايها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ربهم ربهم - كذا. (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يقبل (٦) من ظ ، و فى الأصل : الضعفا - كذا (٧) فى ظ : اذ - كذا .

عن[1] تأسيسهم لهم الضلال و دعائهم إليه ﴿ فما كان لكم علينا ﴾ أى بسبب انقيادكم لنا و اتباعكم فى الضلال ﴿ من فضل ﴾ أى لنحمل[2] عنكم بسببه شيئا من العذاب لأنه لم يعد علينا من ضلالكم نفع و قد شاركتمونا فى الكفر ﴿ فذوقوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ العذاب ﴾ فى سجين ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كنتم تكسبون[3] ؏ ﴾ لا بسبب اتباعكم لنا فى الكفر. ٥

و لما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص[4]، أخبر أن هؤلاء ليسوا كذلك، لأنهم أنجاس فليسوا أهلا لمواطن الأقداس، فقال مستأنفا لجواب من كأنه قال: أ ما لهؤلاء خلاص؟ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف: ﴿ان الذين كذبوا بايٰتنا ﴾ أى و هى المعروفة بالعظمة بالنسبة إلينا ﴿ و استكبروا عنها ﴾ أى و أوجدوا ١٠ الكبر[5] متجاوزين عن اتباعها ﴿ لا تفتح لهم ﴾ أى لصعود أعمالهم و لا دعائهم و لا أرواحهم و لا لنزول البركات عليهم ﴿ابواب السمآء﴾ لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية و المعنوية فاذا صعدت[6] أرواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب دونها ثم ألقيت من هناك إلى سجين ﴿ و لا يدخلون الجنة ﴾ أى التى هى أطهر المنازل ١٥ و أشرفها ﴿حتى﴾ يكون ما لا يكون بأن ﴿ يلج ﴾ أى يدخل و يجوز[7] ﴿ الجمل ﴾ على كبره ﴿ فى سم ﴾ أى فى[4] خرق ﴿ الخياط[4] ﴾ أى

---

(١) من ظ، و فى الأصل: على (٢) من ظ، و فى الأصل: ليحمل (٣) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: تكفرون - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الكفر (٦) من ظ، و فى الأصل: اصعدت (٧) فى ظ: يخيل - كذا.

الإبرة [1] أي حتى يكون ما لا يكون، إذاً [1] [فهو تعليق على محال - [2]]، فان الجمل مثل فى عظم الجرم عند العرب، و سم الإبرة مثل فى ضيق المسلك، يقال: أضيق من خرق الإبرة، و منه الماهر الخريت للدليل الذى يهتدى فى المضايق المشبهة بأخراق الإبر؛ و عن ابن مسعود ٥ رضى الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال: زوج الناقة - استجهالا للسائل و إشارة إلى أن [3] طلب معنى آخر غير هذا الظاهر تكلف.

و لما كان هذا للمكذبين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين أيضا فقال: ﴿ و كذلك ﴾ أى [و - [2]] مثل ذلك الجزاء بهذا العذاب [و هو أن دخولهم الجنة محال عادة - [2]] ﴿ نجزى المجرمين * ﴾ أى القاطعين ١٠ لما أمر الله به أن يوصل و إن كانوا أذنابا مقلدين للمستكبرين [المكذبين - [2]]؛ ثم فسر جزاء الكل فقال: ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ أى فرش من تحتهم، جمع مهد، و لعله لم يذكره لأن المهاد كالصريح فيه ﴿ و من فوقهم غواش [4] ﴾ أى أغطية - جمع غاشية - تغشيهم من جهنم [4]؛ و صرح فى هذا بالفوقية لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال، أو كانت بمعنى مجرد الوصول ١٥ و الإدراك، و لعله إنما حذف الأول لأن الآية من الاحتباك، فذكر جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا، و ذكر الفوق ثانيا دليلا على إرادة التحت أولا.

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: جهتهم.

و لما كان بعضهم "ربما لا تكون"[1] له أهلية قطع و لا وصل، قال عاما لجميع أنواع الضلال: ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك الجزاء ﴿ نجزى الظلمين ﴾ ليعرف أن المدار على الوصف، و الجرم: المذنب، و مادته ترجع[2] إلى القطع، و الظالم: الواضع للشيء فى غير موضعه كفعل من يمشى فى الظلام، [و يجوز -[3]] أن يكون نبه سبحانه بتغاير الأوصاف[4] ٥ على تلازمها، فمن كان ظالما لزمه الإجرام و التكذيب و الاستكبار / و بالعكس . /٢٩٩

و لما أخبر عن أحوالهم ترهيبا، أتبعه الإخبار عن أحوال المؤمنين ترغيبا فقال: ﴿ و الذين امنوا[5] ﴾ فى مقابلة " الذين كذبوا[6] " .

و لما قال: ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم فى مقابلة "الذين استكبروا" ١٠ ﴿ الصلحت ﴾ و كان ذلك مظنة لتوهم أن عمل جميع الصالحات - لأنه جمع محلى[7] [بالألف و -[3]] اللام - شرط فى دخول الجنة؛ خلل ذلك بجملة اعتراضية تدل على التخفيف فقال: ﴿ لا نكلف نفسا الا وسعها ﴾ و ترغيبا فى اكتساب[9] ما لا يوصف من النعيم بما هو فى الوسع ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة[10] ﴿ اصحب الجنة ﴾ و لما كانت الصحبة تدل على الدوام، ١٥ صرح به فقال: ﴿ هم فيها خلدون ﴾ .

(١-١) من ظ، و فى الأصل: انما لا يكون (٢) من ظ، و فى الأصل: يرجع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الاصواف (٥) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: اتقوا - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: كفروا - كذا.
(٧) فى ظ: محكى (٨) من ظ، و فى الأصل: باللام (٩) من ظ، و فى الأصل: الكتاب (١٠) من ظ، و فى الأصل: الدين.

و لما كانت الدار لا تطيب إلا بحسن الجوار قال: ﴿ و نزعنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شىء ﴿ ما[1] ﴾ كان فى الدنيا ﴿ فى صدورهم من غل ﴾ أى ضغينة و حقد و غش من بعضهم على بعض يغل، أى يدخل بلطف إلى صميم القلب، و منه الغلول، و هو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة، و يقال: غل فى الشىء[2] و تغلغل فيه - إذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل فى صميم الفؤاد، حتى أن صاحب الدرجة [السافلة لا يحسد صاحب - [3]] العالية .

و لما كان حسن الجوار لا يلذ إلا بطيب القرار باحكام الدار، و كان الماء[4] سبب العمارة و طيب المنازل، و كان الجارى منه أعم نفعا و أشد ١٠ استجلابا للسرور[5] قال تعالى: ﴿ تجرى من ﴾ و أشار إلى علوهم بقوله[6]: ﴿ تحتهم الانهر ج ﴾ فلما تمت لهم النعمة بالماء الذى به حياة كل شىء فعرف أنه يكون[7] عنه الرياض و الأشجار[8] و كل ما به حسن الدار، أخبر عن تعاطيهم الشكر لله و لرسوله المستجلب للزيادة بقوله: ﴿ و قالوا الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بكل شىء علما و قدرة لذاته ١٥ لا لشىء آخر، ثم وصفوه بما يقتضى ذلك له لأوصافه أيضا، فقالوا معلمين أنه[9] لا سبب لهم فى الوصول إلى النعيم غير فضله فى الأولى

---

(١) تأخر فى الأصل عن « فى الدنيا » و الترتيب من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: السعى (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: بالسرور (٦) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ: تكون (٨) من ظ، و فى الأصل: الايجاب - كذا (٩) فى ظ: لأنه .

والأخرى

و الآخرى : ﴿ الذى هدٰنا ﴾ أى بالبيان و التوفيق ، [و أوقعوا الهداية على ما وصلوا إليه إطلاقا للسبب على السبب -[1]] ﴿ لهذا قف ﴾ أى للعمل[2] الذى أوصلنا إليه ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ كنا لنهتدى ﴾ أصلا لبناء جبلاتنا على خلاف ذلك ﴿ لو لآ ان هدٰنا الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، و قراءة[3] ابن عامر بغير واو على أن الجملة موضحة لما قبلها ، و القراءتان ٥ دامغتان للقدرية .

و لما كان تصديقهم للرسل فى الدنيا إيمانا بالغيب من باب علم اليقين ، أخبروا فى الآخرة بما وصلوا إليه من عين[4] اليقين سرورا و تبجحا لا تعبدا ، و ثناء على الرسل و من أرسلهم بقولهم[5] مفتتحين بحرف التوقع لأنه محله : ﴿ لقد جآءت رسل ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ١٠ ﴿ بالحق ط ﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع الذى لا زوال له .

و لما غبطوا أنفسهم و حقروها و أثبتوا الفضل لأهله ، عطف على قولهم [قوله -[1]] مانّا عليهم بقبول أعمالهم ، و لما كان السار الإخبار عن الإيراث لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ و نودوآ ﴾ أى إتماما لنعيمهم ﴿ ان ﴾ هى المخففة من الثقيلة أو[6] هى المفسرة ﴿ تلكم الجنة ﴾ ١٥ العالية ﴿ اورثتموها ﴾ أى صارت إليكم [7]من غير[7] تعب و لا منازع ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كنتم تعملون ۝ ﴾ [8] لأنه سبحانه جعله سببا

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : العمل (٣) فى ظ : قرا (٤) فى ظ : علم (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ « و » (٧ - ٧) فى ظ : بغير .
(٨) زيد بعده فى الأصل : أى إتماما لنعيمهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

[١]ظاهريا بكرمه[١] ، و السبب الحقيقي هو ما ذكروه [هم - [٢]] من توفيقه .

و لما استقرت بهم الدار ، و تودوا بدوام الاستقرار ، أخبر سبحانه أنهم أقبلوا متبجحين على أهل النار شامتين بهم في إحلالهم دار البوار تلذيذا لأنفسهم بالنعيم و تكديرا على الأشقياء في قوله : ﴿ و نادى اصحب ٥ الجنة ﴾ أي بعد دخول[٣] كل من الفريقين إلى داره ﴿ اصحب النار ﴾ يخبرونهم بما أسبغ عليهم من النعم ، و يقررونهم بما كانوا يتوعدونهم به من حلول [٤]النقم[٤] ، ثم فسر[٥] ما وقع له النداء بقوله : ﴿ ان ﴾ أو هي[٣] مخففة من الثقيلة ، و ذكر حرف التوقع لأنه محله فقال : ﴿ قد وجدنا ﴾ أي / بالعيان كما كنا واجدين له بالإيمان ﴿ ما وعدنا ربنا ﴾ أي المحسن /٣٠٠ ١٠ إلينا في الدارين من الثواب ﴿ حقا ﴾ أي [وجدنا جميع ما وعدنا ربنا لنا و لغيرنا حقا - [٢]] كما كنا نعتقد ﴿ فهل وجدتم ﴾ أي كذلك ﴿ ما وعد ﴾ و أثبت المفعول الأول تلذيذا ، و حذفه هنا احتقارا للمخاطبين ، و ليشمل[٥] ما للفريقين فيكون ' وجد ' بمعنى العلم و بمعنى اللقي ، و في التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك تهكم بهم ﴿ ربكم ﴾ أي الذي ١٥ أحسن إليكم فقابلتم إحسانه بالكفران[٦] من العقاب ﴿ حقا ط ﴾ [لكونكم وجدتم ما توعدكم به ربكم حقا - [٢]] ﴿ قالوا نعم ج ﴾ أي قد وجدنا ذلك

(١-١) من ظ ، و في الأصل : ظاهرا بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤-٤) من ظ ، و في الأصل : الغم بهم غير - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : يشتمل (٦) من ظ ، و في الأصل : بالكفر .

كله حقا ؛ قال سيبويه : 'نعم' عِدَة ، أي في جواب : أ تعطيني كذا ، و تصديق في مثل قد كان كذا ، [و الآية من الاحتباك : أثبت المفعول الثاني أولا دليلا على حذف مثله ثانيا ، و حذفه ثانيا دليلا على إثبات مثله أولا - و الله أعلم -[1]] .

و لما حبوا من النعم بما تقدم ، و كان منه الجار الحسن ، و كان العيش مع ذلك لا يهنأ إلا بابعاد جار السوء ، أخبروا ببعده و زيدوا سرورا ٥ باهانته في قوله : ﴿ فاذن ﴾ أي بسبب ما أقر به أهل النار على أنفسهم ﴿ مؤذن بينهم ﴾ أي بين الفريقين ﴿ ان ﴾ مخففة أو مفسرة في قراءة نافع و أبي عمرو و عاصم ، و شددها الباقون و نصبوا ﴿ لعنة الله ﴾ أي طرد الملك الأعظم و إبعاده على وجه الغضب ﴿ على الظّلمين ۙ ﴾ أي الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الأشياء في غير مواضعها كحال[2] ١٠ من لم ير نورا أصلا ﴿ الذين يصدون ﴾ أي لهم فعل الصد لمن أراد الإيمان و لمن آمن و لغيرهما بالإضلال بالإرغاب و الإرهاب و المكر و الخداع ﴿ عن[3] سبيل الله ﴾ أي طريق دين الملك الذي لا كفوء له الواضح الواسع ﴿ و يبغونها ﴾ أي يطلبون لها ﴿ عوجا ج ﴾ بالقاء الشكوك و الشبهات ، و قد تقدم ما فيه في آل عمران ﴿ و هم بالأخرة كفرون ۘ ﴾ ١٥ أي ساترون ما ظهر لعقولهم من دلائلها ؛ فمتى وجدت هذه الصفات الأربع حقت اللعنة ﴿ و بينهما ﴾ أي [و -[1]] حال الفريقين عند [هذه -[1]] المناداة أنه بينهما [4]أو بين الدارين[4] ﴿ حجاب ج ﴾ أي سور لئلا يجد أهل

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : لحال (٣) في ظ : في - كذا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

النعيم فى دارهم ما يكدر نعيمها ﴿و على الاعراف﴾ جمع عرف و هو[1] كل عال مرتفع لأنه يكون أعرف مما انخفض، و هى المشرفات من ذلك الحجاب ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم و سيئاتهم فوقفوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا فى مسند
٥ ابن أبى خيثمة من حديث جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ يعرفون كلا ﴾ أى من أصحاب الجنة و أصحاب النار قبل دخول كل منهم داره ﴿بسيمٰهم ج﴾ أى علامتهم ﴿و نادوا﴾ أى أصحاب الأعراف ﴿اصحٰب الجنة﴾ أى بعد دخولهم إليها و استقرارهم فيها ﴿ان سلٰم عليكم قف﴾ أى سلامة و أمن من كل ضار .

١٠ و لما كان هذا السلام ربما أشعر أنه بعد دخول أهل الأعراف الجنة، فكأنه قيل: أ[2] كان نداؤهم بعد مفارقتهم الأعراف و دخولها؟ فقيل: لا، ﴿لم يدخلوها ﴾ أى الجنة بعد ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ يطمعون ﴾ فى دخولها، و عبر بالطمع لأنه لا سبب للعباد إلى الله من أنفسهم و إن كانت لهم أعمال فضلا عن هؤلاء الذين لا أعمال لهم .

١٥ و لما دل ما تقدم على أنهم مقبلون على الجنة و أهلها، قال مرغبا مرهبا: ﴿ و اذا صرفت﴾ بناه للمفعول لأن المخيف لهم الصرف لا كونه من معين ﴿ ابصارهم ﴾ أى صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم ﴿ تلقآء ﴾ أى وجاه ﴿ اصحٰب النار ﴾ أى بعد استقرارهم فيها فرأوا ما فيها من العذاب ﴿قالوا﴾ أى أصحاب الأعراف حال كونهم لم يدخلوها

(١) زيد بعده فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .

وهم يخافون [مستعيذين منها -[1]] ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا فى الدنيا بكل إحسان وفى الآخرة بكونك لم تدخلنا إلى هذا الوقت إلى النار ﴿لا تجعلنا مع القوم الظّٰلمين ع﴾ بأن تدخلنا مدخلهم.

ولما تقدم كلامهم لأهل الجنة بالسلام، أخبر أنهم يكلمون أهل النار بالتوبيخ والملام فقال: ﴿ونادىٰ﴾ وأظهر الفاعل لئلا يلبس بأهل ٥ الجنة فقال[2]: ﴿اصحٰب الاعراف﴾ أى حال صرف وجوههم إلى جهة أهل النار ﴿رجالا﴾ أى من أهل النار ﴿يعرفونهم﴾ أى بأعيانهم، وأما معرفتهم إجمالا فتقدم، وإنما قال هنا: ﴿بسيمٰهم﴾ لأن النار قد أكلتهم وغيرت معالمهم مع تغيرهم بالسمن وسواد الوجوه وعظم الجثث[3] ونحوه ﴿قالوا﴾ نفيا أو[4] استفهاما توبيخا وتقريعا ﴿مآ اغنى عنكم جمعكم﴾ ١٠ أى للمال والرجال ﴿ومآ كنتم تستكبرون ه﴾ أى[3] تجددون بها هذه الصفة وتوجدونها دائما فى الدنيا زاعمين أنه لا غالب لكم؛ ثم زادوا فى توبيخهم وتقريعهم وتحزينهم وتأسيفهم والإنكار عليهم بقولهم[5] مشيرين إلى ناس كانوا يستضعفونهم من أهل الجنة ويحقرونهم: ﴿اهٰؤلآء﴾ وكأنه يكشف لهم عنهم حتى يروهم[6] زيادة فى عذابهم ﴿الذين اقسمتم﴾ ١٥ أى فى الدنيا ﴿لا ينالهم الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿برحمة ط﴾ فكيف بكمال الرحمة.

ولما كان التصريح بأمرهم بدخول الجنة إنكاء لأهل النار لأنه أنفى

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: الجنب (٤) فى ظ «و» (٥) من ظ، وفى الأصل: بقوله (٦) من ظ، وفى الأصل: وهم - كذا.

لما أقسموا عليه ، قالوا : ﴿ ادخلوا ﴾ أى قال الله لهم أو قائل من قبله : ادخلوا ﴿ الجنة لا خوف عليكم ﴾ أى من شىء يمكن توقع أذاه ﴿ و لآ انتم تحزنون ﴾ أى يتجدد لكم حزن فى وقت من الأوقات على شىء فات لما عندكم من الخيرات التى لا تدخل[1] تحت الوصف .

٥ و لما تقدم نداء أصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها لأصحاب النار بما يؤلم و ينكى[2] ، و ختم بهذه الرحمة التى تطمع المحروم فيما يسر و يزكى ، أخبر أن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة عند ما حصل لهم من الغم بدخولها ، لكن بما شأنه أن يرق و يبكى . فقال ما يدل على أن عندهم كل ما نفى عن أهل الجنة فى ختام الآية السالفة من الخوف و الحزن :

١٠ ﴿ و نادىٓ اصحٰب النار ﴾ أى بعد الاستقرار ﴿ اصحٰب الجنة ﴾ بعد أن[3] عرفهم إياهم و أمر الجنة فتزخرفت فكان ذلك زيادة فى عذابهم ؛ ثم فسر المنادى به فقال : ﴿ ان افيضوا علينا من المآء ﴾ أى لأنكم أعلى منا ، فاذا أفضتموه وصل إلينا ، و هذا من فرط ما هم فيه من البلاء ، فان بين[3] النار و الجنة أهوية لا قرار لها و لا يمكن وصول شىء من الدارين

١٥ إلى الأخرى معها .

و لما كانت الإفاضة تتضمن[4] الإنزال قالوا : ﴿ او ﴾ أى[3] أو أنزلوا علينا ﴿ مما رزقكم الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق ، من أىّ شىء هان عليكم إنزاله ﴿ قالوٓا ﴾ أى أصحاب الجنة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى حاز

(١) من ظ ، و فى الأصل : لايدخل (٢) فى ظ : يبكى (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : يتضمن .

جميع العظمة ﴿ حرمهما ﴾ أى منعهما بتلك الأهوية و غيرها من الموانع
﴿ على الكفرين ﴾ أى الساترين لما دلهم عليه قويم العقل و صريح
النقل ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى تكلفوا غير ما دلهم[1] عليه العقل الفطرى
حين نبه بالعقل الشرعى بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ بعد ما محقوا صورته
و حقيقته كما يمحق الطين إذا اتخذته خزفا ، فصار الدين ﴿ لهوا ﴾ أى ٥
اشتغالا بما من شأنه أن يغفل و ينسى عن كل ما ينفع من الأمور المعجبة
للنفس من غير نظر فى عاقبة ، فجوزوا من [جنس -[2]] عملهم بأن
لم ينظر لهم فى إصلاح العاقبة .

و لما قدم ما هو أدعى إلى الاجتماع على الباطل الذى هو ضد[3]
مقصود السورة من الاجتماع على الجد و أدعى إلى الغفلة ، وكان من ١٠
شأن الغفلة [عن الخير -[2]] أن تجر إلى استجلاب الأفراح و الانهماك
فى الهوى ، حقق ذلك [بقوله -[2]] : ﴿ و لعبا ﴾ أى إقبالا على ما يجلب
السرور و يقطع الوقت الحاضر بالغرور[4] ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ و غرتهم ﴾
أى فى فعل ذلك ﴿ الحيوة الدنيا ج ﴾ أى بما فيها من الأعراض الزائلة من
تأميل طول العمر و البسط[5] فى الرزق و رغد العيش حتى صاروا بذلك ١٥
محجوبين عن نظر معانيها و عما دعا إليه تعالى من الإعراض عنها فلم يحسبوا
/ حساب ما وراءها . [و لما كان تركهم من رحمته سبحانه مؤبدا ، أسقط /٣٠٢
الجار -[2]] ﴿ فاليوم ﴾ أى فتسبب[6] عن ذلك أنا فى هذا اليوم ﴿ ننسهم ﴾

---

(١) فى ظ : دل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : بالغرر (٥) فى ظ : البسطة (٦) من ظ ، و فى الأصل : فسبب .

أى نتركهم ترك المنسى ﴿ كما ﴾ فعلوا [هم - ١] بأنفسهم بأن ﴿ نسوا ﴾ أى تركوا ﴿ لقآء يومهم هذا لا ﴾ فلم يعدوا له عدته ﴿ وما ﴾ أى وكما ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ بأيتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ﴿ يجحدون ﴾ أى ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لأنها فى غاية الظهور .

٥ ولما ذكر نسيانهم وجحودهم ، ذكر حالهم عند ذلك فقال : ﴿ ولقد ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنا وعزتنا قد ﴿ جئنهم ﴾ أى على عظمتنا باتيان رسولنا إليهم عنا ﴿ بكتب ﴾ ليس هو موضعا للجحد أصلا ، ثم بين ذلك فى سياق مرغب للمؤالف مرهب للمخالف فقال : ﴿ فصلنه ﴾ أى بينا معانيه لم ندع فيها لبسا ، وجعلنا لآياته فواصل حال ١٠ كون ذلك التفصيل ﴿ على علم ﴾ أى عظيم ، فجاء معجزا فى نظمه ومعناه وسائر علمه ومغزاه ، وحال كونه ﴿ هدى ﴾ أى بيانا ﴿ ورحمة ﴾ أى إكراما ، ثم خص المنتفعين به لأن من لا ينتفع بالشيء فهو كالمعدوم فى حقه فقال : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أى فيهم قابلية ذلك ، وفيه رجوع إلى وصف الكتاب [الذى هو أحد مقاصد السورة على ١٥ أبدع وجه فى أحسن أسلوب .

ولما وصف الكتاب - ١] وذكر المنتفع به ، تشوفت النفس إلى السؤال عن حال من لا يؤمن به وهم الجاحدون ، فقال مشيرا إلى أن حالهم فى وقوفهم عن[٢] المتابعة بعد العلم بصدقه بعجزهم عنه كحال من

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : على .

ينتظر

ينتظر أن يأتي مضمون وعيده: ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ينتظرون، و لكنه لما لم يكن لهم قصد فى ذلك بغير ما يفهمه الحال، جرد الفعل و لإفادة أنه بتحقق[1] إتيانه[2] فى غاية القرب حتى كأنه مشاهد لهم ﴿ الا تاويله ط ﴾ أى تصير[3] ما فيه من وعد و وعيد إلى مقاره و عواقب أمره التى أخبر أنه يصير إليها. ٥

و لما كان كأنه قيل: ما يكون حالهم [4]حينئذ؟ قال: التحسر و الإذعان حيث لا ينفع، و التصديق و الإيمان حين لا يقبل، و عبر عن ذلك[4] بقوله: ﴿يوم ياتى تاويله﴾ أى بلوغ وعيده إلى مبلغه فى الدنيا أو فى الآخرة؛ و لما قدم اليوم اهتماما به، أتبعه العامل فيه فقال: ﴿يقول الذين نسوه﴾ أى تركوه ترك المنسى، و يجوز أن يكون عد ذلك ١٠ نسيانا لأنه ركز فى [5]الطباع أن كل ملك لا بد له من عرض جنده و محاسبتهم، فلما أعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز فى[5] طباعهم.

و لما كان نسيانهم فى بعض الزمان السابق، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل كشف الغطاء محققين للتصديق ﴿قد جآءت﴾ أى ١٥ فيما سبق من الدنيا ﴿رسل ربنا﴾ أى المحسن إلينا ﴿بالحق ج﴾ أى المطابق لهذا الواقع الذى نراه مما كانوا يتوعدوننا به، فما صدقوا حتى رأوا

---

(١) فى ظ: ليحقق (٢) من ظ، و فى الأصل: اثباته (٣) من ظ، و فى الأصل: يصير (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فلم يؤمنوا بالغيب [و لا - [1]] أوقعوا الإيمان فى دار العمل فلذا لم ينفعهم .

و لما وصفوه سبحانه بالإحسان لما كشف الحال عنه من حلمه و طول أناته ، سببوا عن ذلك قولهم: ﴿ فهل لنا من شفعآء ﴾ أى فى هذا اليوم ،

٥ وكأنهم جمعوا الشفعاء لدخولهم فى جملة الناس فى الشفاعة العظمى لفصل القضاء ؛ ثم سببوا عن ذلك تحقيق كونهم لهم أى بالخصوص فقالوا: ﴿فيشفعوا لنآ ﴾ أى سواء كانوا من شركائنا الذين كنا نتوهم فيهم النفع أو من غيرهم ليغفر لنا ما قدمنا من الجرائم ﴿ او نرد ﴾ أى إن لم يغفر لنا إلى الدنيا التى هى دار العمل، و المعنى أنه لا سبيل لنا[2] إلى الخلاص إلا

١٠ أحد هذين السببين[3]؛ ثم سببوا عن جواب هذا الاستفهام الثانى قولهم: ﴿ فنعمل ﴾ أى فى الدنيا ﴿ غير الذى كنا ﴾ أى بجبلاتنا من غير نظر عقلى ﴿نعملط ﴾ .

و لما كان من المعلوم عند من صدق القرآن و علم [4]مواقع ما فيه[4] من الأخبار أنه لا يكون لهم شيء من ذلك، كانت نتيجته[5] قوله:

١٥ ﴿قد خسروٓا انفسهم﴾ أى فلا أحد أخسر منهم ﴿وضل﴾ أى غاب و بطل ﴿عنهم ما كانوا ﴾ / أى جبلة و طبعا ، لا يمكنهم الرجوع [6]عنه إلا عند رؤيــة البأس[6] ﴿ يفترون ع ﴾ أى يتعمدون فى الدنيا من الكذب

٣٠١ /

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الشيئين .
(٤-٤) فى ظ : ما وقع (٥) فى ظ : نتيجة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى أمره لقصد العناد للرسل من ادعاء أن الأصنام تشفع لهم [و - ١] من غير ذلك من أكاذيبهم .

و لما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع : التوحيد و النبوة و المعاد و العلم ، و طال الكلام فى إخباره سبحانه عن أوامره و نواهيه و أفعاله بأوليائه و أعدائه الدالة على تمام القدرة و العلم ، و ختم بأن شركاءهم ٥ تغنى عنهم ، علل [٢]ذلك بأنه[٢] الرب لا غيره ، فى سياق دال على الوحدانية التى هى أعظم مقاصد السورة ، كفيل باظهار الحجج عليها ، و على المقصد الثانى - و هو الإعادة التى فرغ من تقرير أحوالها بالإبداء الذى تقرر فى العقول أنه[٣] أشد من الإعادة - بأدلة متكفلة[٤] بتمام القدرة و العلم فقال : ﴿ان ربكم﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد من العدم و تدبير المصالح هو ﴿ الله﴾ ١٠ أى الملك الذى لا كفوء له وحده لا صنم و لا غيره ؛ ثم وصفه بما حقق ذلك فقال : ﴿ الذى خلق السموٰت و الارض ﴾ أى على اتساعهما و عظمتهما .

و لما كان ربما قال الكفار : ما له إذا كان قادرا و أنت محق فى رسالتك لا يعجل لنا الإتيان بتأويله ، بين أن عادته الأناة و إن كان ١٥ أمره و أخذه كلمح بالبصر إذا أراده[٥] ، فقال : ﴿ فى ستة ايام ﴾ أى فى مقدارها[٦] ؛ و لما كان تدبير هذا الخلق أمرا باهرا لا تسعه العقول ، و لهذا كانت قريش تقول : كيف يسع الخلقَ إلٰه واحد ! أشار إلى

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : بان (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : متكلفة (٥) من ظ ، و فى الأصل : اراد (٦) من ظ ، و فى الأصل : مقدرها .

عظمته وعلو رتبته بأداة البعد فقال: ﴿ثم استوى على العرش قف﴾ أي أخذ في التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذا مستوفى مستقصى مستقلا[1] به لأن هذا شأن من يملك ملكا ويأخذ في تدبيره وإظهار أنه لا منازع له في شيء منه وليكون[2] خطاب الناس على ما ألفوه[3] من ٥ ملوكهم لتستقر في عقولهم عظمته سبحانه، وركز في فطرهم الأولى من نفي التشبيه[4] منه، ويقال: فلان جلس على سرير الملك، وإن لم يكن هناك سرير ولا جلوس، وكما يقال في ضد ذلك: فلان ثل عرشه، أي ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد أمره، فيكون هذا كناية لا يلتفت فيه إلى أجزاء التركيب، والألفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل: ١٠ طويل النجاد، وللكريم: عظيم الرماد.

ولما كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ابتدأ من التدبير بما هو آية ذلك بمشاهدته في تغطية الأرض بظلامه في آن واحد، فقال دالا على كمال قدرته المراد بالاستواء بأمر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التي جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود: ﴿يغشى﴾ أي استوى حال كونه ١٥ يغشى ﴿اليل النهار﴾ و[5] قال أبو حيان: وقرأ حميد بن قيس: يغشى الليل - بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام، كذا[6] قال عنه[6] أبو عمرو الداني، [7]وقال أبو الفتح بن جني عن حميد بنصب الليل ورفع

(١) من ظ، وفي الأصل: مستقبلا (٢) من ظ، وفي الأصل: فال - كذا.
(٣) من ظ، وفي الأصل: الفق - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: الشبه.
(٥) سقط من ظ (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقمين في ظ (٧) العبارة من هنا إلى «أبي عمرو الداني» ساقطة من ظ.

النهار ، و قال ابن عطية : و أبو الفتح أثبت ، [و ـ [1]] هذا الذى قاله[2]
- من أن أبا الفتح أثبت - كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الدانى فى القراءة
[و معرفتها ـ [1]] و ضبط رواياتها و اختصاصه بذلك بالمكان[3] الذى
لا يدانيه أحد من أئمة القراءة فضلا عن النحاة الذين ليسوا مقرئين[4]
و لا رووا القراءة[5] عن أحد و لا روى عنهم القراءة[5] أحد ، هذا مع ٥
الديانة [6] الزائدة و التثبت[6] فى النقل و عدم التجاسر[7] و وفور الحظ من
العربية ، فقد رأيت له كتابا فى ' كلا ' و كتابا فى إدغام أبى عمرو الكبير
دلا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة و لا المقرئين إلى
سائر تصانيفه ، و الذى نقله أبو عمرو الدانى عن حميد أمكن من حيث
المعنى ، لأن ذلك موافق لقراءة الجماعة إذ " اليل " فى قراءتهم - و إن كان ١٠
منصوبا - هو الفاعل من حيث المعنى إذ همزة / النقل أو[8] التضعيف ٣٠٤ /
صيره مفعولا ، و لا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى ، لأن
المنصوبين تعدى إليهما الفعل و أحدهما فاعل من حيث المعنى ، فيلزم
أن يكون الأول منهما كما لزم ذلك فى : ملكت زيدا عمرا ، إذ رتبة التقديم
هى الموضحة أنه الفاعل من حيث المعنى كما [لزم ذلك ـ [9]] فى ضرب ١٥
موسى عيسى - انتهى .

---

(١) زيد من البحر المحيط ٤ / ٣٠٩ (٢) من البحر ، و فى الأصل : قال (٣) فى
ظ : المكان (٤) فى ظ : معربين (٥) فى البحر : القرآن (٦-٦) من ظ و البحر ،
و فى الأصل : الزيادة و التثبيت (٧) من ظ و البحر ، و فى الأصل : النجاسة ـ
كذا (٨) من البحر ، و فى الأصل و ظ « و » (٩) زيد من ظ و البحر .

و لما أخبر سبحانه أن الليل يغطى النهار، دل على أن النهار كذلك بقوله مبينا لحال الليل: ﴿يطلبه﴾ أى الليل يجر[1] و يطلب[2] النهار دائما طلبا ﴿حثيثا﴾ أى سريعا جدا لتغطية[3] الليل، و ذلك لأن الشيء لا يكون مطلوبا إلا بعد وجوده، و إذا وجد النهار كان مغطيا لليل[4]، لأنهما ضدان، وجود أحدهما ماح لوجود الآخر، و ابتدأ سبحانه بذكر الليل لأن إغشاءه أول كائن بعد تكمل الخلق، و حركتهما بواسطة حركة العرش، و لذا ربطهما به، و هى أشد الحركات سرعة و أكملها شدة، و للشمس نوعان من الحركة: أحدهما بحسب ذاتها تتم بقطع الدرج كلها فى[5] جميع الفلك، و بسببه تحصل السنة، و الثانى بحسب حركة الفلك الأعظم تتم[6] فى اليوم بليلته، و الليل و النهار إنما يحصلان[7] بسبب[8] حركة السماء الأقصى الذى يقال له[9] العرش لا بسبب حركة النيرين، و أجاز ابن جنى أن يكون "يطلبه" حالا من النهار فى قراءة الجماعة و إن كان مفعولا، أى حال كون النهار يطلب الليل حثيثا ليغطيه[10]، و أن يكون حالا منهما معا لأن كلا منهما طالب للآخر، [11]و بهذا ينتظم ما قاله فى قراءة حميد، فان كلا منهما يكون غاشيا للآخر[11]، قال فى كتابه المحتسب فى القرءات الشواذ: و وجه صحة القراءتين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: طاب (٣) فى ظ: ليغطيه. (٤) من ظ، و فى الأصل: الليل (٥) من ظ، و فى الأصل: فمن (٦) فى ظ: يتم (٧) من ظ، و فى الأصل: يجعلان (٨) فى ظ: بحسب (١٠) من ظ، و فى الأصل: لتغطيه (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[و -[1]] التقاء معنييهما أن الليل و النهار يتعاقبان ، و كل واحد منهما[2] و إن أزال صاحبه فان صاحبه أيضا مزيل له . و كل واحد منهما على هذا فاعل و إن كان مفعولا و مفعول و إن كان فاعلا ، على[3] أن الظاهر فى الاستحثاث هنا إنما هو النهار لأنه بسفوره و شروقه أظهر أثرا فى الاستحثاث من الليل .

و لما ذكر الملوين ، أتبعهما آية كل فقال: ﴿ و الشمس و القمر ٥ و النجوم ﴾ أى [4]خلقها ، أو[4] يغشى كل قبيل منهما[5] ما الآخر آيته حال كون الكل ﴿ مسخرٰت ﴾ أى للسير و غيره ﴿ بامره ﴾ و هو إرادته و كلامه ، تقودها الملائكة كما[3] روى أن لله ملائكة يجرون الشمس و القمر .

و لما صح[6] أن جميع ما نراه[7] من الذوات خلقه ، و ما نعلمه من المعانى أمره ، أنتج قطعا قوله : ﴿ الا له ﴾ أى وحده ، [و قدم المسبب ١٠ على السبب ترقية - كما هو مقتضى الحكم - من المحسوس إلى المعقول فقال -[1]] : ﴿ الخلق ﴾ و هو ما كان من الإيجاد بتسبيب و تنمية و تطوير ، قال الرازى : فكل ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق ، فعالم الخلق بتسخيره ، و عالم الأمر بتدبيره ، و استيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره[8] ﴿ و الامر ﴾ و هو ما كان من ذلك ١٥ إخراجا من العدم من غير تسبب كالروح ، و ما كان حفظا و تدبيرا بالكلام

(١) زيد من ظ (٢-٢) زيد بعده فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل: منها (٦) فى ظ : اوضح (٧) من ظ ، و فى الأصل : يراه (٨) من ظ ، و فى الأصل : بتقدير .

كالأديان و كل ما يلاحظ القيومية؛ و قال الرازي : كل ما كان بريئا من الحجم و المقدار كان من عالم الأمر ، و عد الملائكة من عالم الأمر ، فأنتج [1]ذلك قطعا[1] قوله على سبيل المدح الذي ينقطع دونه الأعناق و يتقاصر دون عليائه ذرى الآفاق : ﴿ تبرك ﴾ أي ثبت ثبوتا
٥ لا ثبوت في الحقيقة غيره مع اليمن و البركة و كثرة الآثار الفاضلة و النتائج الشريفة ﴿الله﴾ أي ذو الجلال و الإكرام[2] .

و لما دل على أنه يستحق هـذا الثناء لذاته ، دل على أنه يستحقه لصفاته فقال : ﴿ رب العٰلمين ﴾ أي مبدع ذلك كله و مربيه[3] خلقا و تصريفا بأمره . [و -[4]] في الجزء السادس من فوائد / المخلص عن سفيان ٣٠٥ /
١٠ ابن عيينة أنه قال : ما يقول هذه الدويبة - يعني بشرا المريسي ؟ قالوا : يا أبا محمد ! يزعم أن القرآن مخلوق ، فقال : كذب ، قال الله عز و جل "الا له الخلق و الامر" فالخلق خلق الله ، و الأمر القرآن - انتهى . و هذا الذي فسر به مما تحتمله الآية بأن يكون الأمر هو المراد بقوله "بامره[6]" و هو الإرادة و الكلام مع احتمال ما قدمته .

١٥ و لما ذكر تعالى تفرده بالخلق و الأمر المقتضي لتفرده بالعبادة للتوجيه[7] إلى تحصيل المعارف النفسانية و العلوم الحقيقية ، أمر بهذا المقتضي اللائق بتلك المعارف ، و هو الدعاء الذي هو مخ العبادة فقال : ﴿ادعوا ربكم﴾ أي الدائم الإحسان إليكم دعاء عبادة و خضوع ﴿تضرعا﴾ أي تذللا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) في ظ : الكريم (٣) من ظ ، و في الأصل: مزينه (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : هو (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : للتوجه .

ظاهرا

ظاهرا ﴿و خفية﴾ أى و تذللا باطنا، و قد أثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال "اذ نادى ربه نداء خفيا[١]" أى اجمعوا إلى خضوع الظاهر خضوع الباطن، أى أخلصوا له العبادة، إنه يحب المخلصين لأن تفرده بأن يدعى هو اللائق بمقام عز[٢] الربوبية، و التذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية، و هذا هو المقصود[٣] من الدعاء لا تحويل العلم ٥ الأزلى، و هو المقصود من جميع العبادات، [٤] فان العبد لا يدعو إلا و قد استحضر من نفسه الذل و الصعب و الحاجة، و من ربه العلم و القدرة و الكفاية، و هذا هو المقصود من جميع العبادات[٤]، فلهذا[٥] كان الدعاء مخ العبادة، و قد جمع هذا الكلام على وجازته كل ما يراد[٦] تحقيقه و تحصيله من شرائط الدعاء بحيث أنه لا مزيد عليه، و من فعل خلاف ١٠ ذلك فقد تجاوز الحد، و إلى ذلك أومأ بتعليله بقوله: ﴿انه لا يحب المعتدين﴾ أى المجاوزين لما أمروا به فى الدعاء و غيره، قالوا: فالمعنى أن من ترك هذا لا يحبه الله، أى لا يثيبه البتة و لا يحسن إليه، فالآية من الاحتباك: آخرها يدل على حذف ضده من صدرها، و صدرها يدل على أنه[٧] حذف قبل الآخر: و لا تتركوا الإخلاص تكونوا معتدين. ١٥

و لما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية و القيام بحق العبودية مقتضيا للصلاح، أمر بادامته بالنهى عن ضده فى قوله: ﴿و لا تفسدوا﴾ أى[٢] لا تدفعوا فسادا ﴿فى الارض﴾ أى بالشرك و الظلم، فهو[٨] منع من

---

(١) سورة ١٩ آية ٣ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: المعهود (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: فلهذا (٦) من ظ، و فى الأصل: ير - كذا (٧) فى ظ: انها. (٨) من ظ، و فى الأصل: و هو.

إيقاع[1] ماهية الإفساد فى الوجود ، و ذلك يقتضى المنع من جميع أنواعه فيتناول الكليات الخمس التى اتفقت عليها الملل ، و هى الأديان [2]و الأبدان و العقول و الأنساب و الأموال[2] ﴿ بعد اصلاحها ﴾ و الظاهر أن الإضافة بمعنى اللام و هى إضافة [فى -[3]] المفعول ، أى لا تدنسوها ٥ بفساد بعد أن أصلحها لكم خلقا بما سوى فيها من المنافع المشار إليها بقوله " يغشى اليل النهار " - الآية[4] ، الدال على الوحدانية الداعى إلى الحق إقامة للأبدان ، و أمر بما أنزل من كتبه على ألسنة رسله عليهم الصلاة و السلام إقامة للأديان لجمع إلى الإيجاد الأول الإبقاء الأول .

و لما كان ذلك ربما اقتضى الاقتصار بكمال التذلل على مقام الخوف ، ١٠ نفى ذلك بقوله : ﴿ و ادعوه خوفا ﴾ أى من عدله ؛ و لما كان لا سبب للعباد من أنفسهم فى الوصول إليه سبحانه ، عبر بالطمع فقال : ﴿ و طمعا[4] ﴾ أى فى فضله ، فان من جمع بين الخوف و الرجاء كان فى مقام الإحسان وكأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه داعى الجمال إلى بساط رأفته ، و من حاز مقام الإحسان كان أهلا للرحمة ١٥ ﴿ ان رحمت الله ﴾ إى إكرام ذى الجلال و الإكرام لمن يدعوه على هذه الصفة ، و فخمها بالتذكير لإضافتها إلى غير مؤنث فيما قال سيبويه ، فقال : ﴿ قريب ﴾ و كان الأصل : منكم ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف / فقال : ﴿ من المحسنين ۝ ﴾ . /٣٠٦

(١) فى ظ : انقطاع (٢ - ٢) فى ظ : فالابدان فالعقول فالانساب فالاموال .
(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان دوام الصلاح لا يكون إلا بالغيث، و هو من أجلّ أنواع الرحمة، [1]و هو[1] لا يكون إلا بالسحاب، و هو لا يكون إلا بالريح، قال تعالى عاطفا[2] [على -[3]] "ان ربكم الله [4]" تنبيها بعد تحقيق المبدإ على تحقيق المعاد: ﴿ و هو ﴾ أي لا غيره ﴿ الذى يرسل ﴾ أي بالتحريك ﴿ الريح ﴾ هذا في قراءة الجماعة، و أنواعها خمس: جنوب و شمال و صبا و دبور و نكباء، ٥ و هي كل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين، و وحد ابن كثير و حمزة و الكسائي على إرادة الجنس ﴿ نشرا[5] ﴾ بضمتين في قراءة أهل الحجاز و البصرة، أي منتشرة جمع نشور من النشر[6]، و هو بسط ما كان مطويا، [و تفريقه في كل وجه لا لذات الريح و إلا لدام ذلك منها و لا بقوة فلك أو نجم لأن نسبتها إلى الهواء واحدة -[3]] ﴿ بين يدى ﴾ أي قبل ﴿ رحمته ﴾ ١٠ أي المطر، و لعله عبر فيه باليدين: اليمنى و اليسرى[7]، لدلالته - مع ما فيه من الفخامة - على أنه تارة يكون رحمة و تارة يكون عذابا كما كان على قوم نوح عليه السلام و إن كانت الرحمة فيه أغلب و هي ذات اليمين، و تارة تكون الرياح جامعة لها لحفظ الماء، و تارة مفرقة مبطلة لها، و تارة تكون مقومة للزروع و الأشجار[8] مكملة لها و هي اللواقح، و تارة تكون منمية لها أو مهلكة ١٥ كما يكون في الخريف، و تارة تكون طيبة و تارة مهلكة إما بشدة[9] الحرارة و البرودة؛ ثم غيّ الإرسال بقوله: ﴿ حتى اذا اقلت سحابا ﴾ أي حملتها

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) في ظ: عطفا (٣) زيد من ظ.
(٤) سقط من ظ (٥) وفي مصاحفنا: بشرا (٦) من ظ، وفي الأصل: النشور.
(٧) في ظ: الشوى (٨) في ظ: الاشجاع (٩) من ظ، و في الأصل: شدة.

لقلتها عندها لخفتها عليها ﴿ ثقالا ﴾ [1] أي بالماء ؛ و لما دل على العظمة بالجمع و حقق الأمر بالوصف ، أفرد [2] اللفظ دلالة على غاية العظمة بسوقه مجتمعا كأنه قطعة واحدة ، لا يفترق جزء منه عن سائره إذ لو تفرق لاختل أمره ، فقال : ﴿ سقنٰه لبلد ﴾ [3] أي لأجله و إليه [3] ﴿ ميت ﴾ أي بعدم [4]
٥ النبات ﴿ فأنزلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ به ﴾ أي بالبلد ، أو بسبب ذلك السحاب ﴿ المآء ﴾ أي هذا الجنس ، و أشار إلى عظمة الإنبات بالنون فقال : ﴿ فأخرجنا به ﴾ أي بالماء ﴿ من كل الثمرٰت ط ﴾ أي الحقيقية على الأشجار ، و المجازية من النبات و حبوبه . و لما كان هذا - مع ما فيه من التذكير [5] بالنعمة المقتضية لتوبيده بالدعوة - دليلا ثانيا في غاية الدلالة على القدرة على
١٠ البعث ، قال تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما أخرجنا هذا النبات من الأرض بعد أن لم يكن ﴿ نخرج الموتى ﴾ أي من الأرض بعد أن صاروا ترابا ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي قلنا هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكر هذه الآية المشاهدة القريبة المأخذ و لو على أدنى [6] وجوه التذكر [7] بما أشار إليه الإدغام ، لأنه سبحانه كما قدر على إعادة النبات بجمع الماء له من
١٥ جوف الأرض بعد أن [8] كان تغيب [8] في الأرض و صار ترابا ، و أحيي الشجرة بعد أن كانت لا روح لها بإبداع الثمرة التي هي روحها ، فهو

(١) العبارة من هنا إلى « أمره فقال » ساقطة من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : على ، فحذفنا الزيادة لأنها لا تناسب السياق (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : بعد (٥) من ظ ، و في الأصل : التذكر (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : التذكير (٨ - ٨) في ظ : كانت تنفتت - كذا .

قادر

قادر على إعادة الأشباح و إيداعها الأرواح[١] كما كانت أول مرة ، لأنه لا فرق بين الإخراجين .

و لما كانت الموت موتين : حسيا و معنويا ـ كما أشير إليه فى الأنعام فى آية "انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله[٢]" و آية "او من كان ميتا فاحيينه[٣]" كان كأنه قيل : لافرق فى ذلك عندنا بين أموات ٥ [٤]الإيمان و أموات الأبدان[٤] ، فكما أنا فاوتنا بين جواهر الأراضى بخلق بعضها جيدا و بعضها رديئا كذلك فاوتنا بين عناصر الأناسى بجعل بعضها طيبا و بعضها خبيثا ، فالجيد العنصر يسهل إيمانه[٥] ، و الخبيث الأصل يعسر إذعانه و تبعد استقامته و إيقانه ﴿و البلد الطيب﴾ [أى -[٦]] الذى طابت أرضه فكانت كريمة منبتة ﴿ يخرج نباته ﴾ أى إذا [٧]نزل عليه[٧] الماء ١٠ خروجا كثيرا حسنا [سهلا - [٦]] غزيرا[٨] ﴿ باذن ﴾ أى بتمكين ﴿ربه ج ﴾ أى المربى له بما هيأه[٩] له ، [و الذى طاب فى الجملة و لم يصل إلى الغاية يخرج له نبات دون ذلك ، و الخبيث لايخرج له نبات أصلا بمنع ربه له -[٦]] ﴿و الذى خبث﴾ أى حصلت له خباثة فى جبلته بكون أرضه / سبخة أو نحوها مما لم يهيئه الله تعالى للانبات ﴿ لا يخرج ﴾ أى نباته ١٥ / ٣٠٧ ﴿الا ﴾ [أى -[٦]] حال كونه ﴿نكدا ط ﴾ أى قليلا ضعيف المنفعة ، و هو

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لارواح (٢) آية ٣٦ (٣) آية ١٢٢ (٤-٤) فى ظ : الابدان واموات الايمان (٥) من ظ ، و فى الأصل : اتمامه (٦) زيد من ظ . (٧-٧) فى ظ : انزل عليها (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هيا .

- مع كونه دالا على أن ذلك ما كان على ما وصف مع استواء الأراضى[1] فى الأصل و استواء المياه و نسبتها إلى الأفلاك و النجوم إلا بالفاعل المختار - مثلٌ ضربه سبحانه للؤمن و الكافر عند سماعهما للذكر من الكتاب و السنة، [و الآية من الاحتباك -[2]].

٥ و لما استوت هذه الآيات على الذروة[3] من بدائع الدلالات، كان السامع جديرا بأن يقول: هل تبين جميع هذه[4] الآيات هذا البيان؟ فقيل: ﴿كذلك﴾ أى نعم، مثل هذا التصريف، و هو الترديد مع اختلاف الأنحاء لاختلاف الدلالات و إبرازها فى قوالب الألفاظ الفائقة و المعانى الرائقة فى النظوم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر:

١٠ ﴿نصرف الأيٰت﴾ أى كلها؛ و لما تم ذلك على هذا المنهاج الغريب و المنوال العجيب المذكر[5] بالنعم فى أسلوب دال على التفرد و تمام القدرة، كان أنسب الأشياء ختمه بقوله مخصصا بها المنتفع لأنها بالنسبة إلى غيرهم كأنها لم توجد: ﴿لقوم يشكرون ؏﴾ أى يوجد منهم الشكر للنعم وجودا مستمرا فلا يشركون[6] بل ينتفعون بما أنعم عليهم به وحده فى عبادته

١٥ وحده، و ينظرون بعقولهم أنه أقدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه، فلا يسلبون عنه شيئا من قدرته على بعث و لا غيره فانهم يزعمون أنهم أهل معالى الأخلاق التى منها أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

(١) من ظ، و فى الأصل: الارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل: الدورة (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ: المذكور (٦) فى ظ: فلا يشكرون - كذا.

و لما طال[1] تهديده سبحانه لمن أصر[2] على إفساده[3]، و لم يرجع عن غيه و عناده بمثل مصارع الأولين و مهالك الماضين، و نوّع فى هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد و المعاد بوجوه ظاهرة و بينات قاهرة و براهين قاطعة و حجج ساطعة، ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيا على أن فى الناس الخبيث و الطيب مع الكفالة - [4]فى الدلالة[4] على تمام ٥ القدرة و الغيرة من الشرك على تلك الحضرة - بتفصيل أحوال من [5]سلفت الإشارة[5] إلى إهلاكهم و بيان مصارعهم و أنه لم تغن عنهم قوتهم شيئا و لا كثرتهم بقوله تعالى " وكم من قرية اهلكنها" - الآية و قوله " فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة " - الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم و تقوية لصالحى أتباعه بالتنبيه على أن الإعراض عن الآيات ليس من خواص ١٠ هذه الآمة[6] بل هى[7] عادة الأمم السالفة، و على أن النعم خاصة بالشاكرين، و لذا كانت النقم مقصورة على الكافرين، فقال تعالى: ﴿لقد ارسلنا﴾ أى بعظمتنا، و افتتحه بحرف التوقع لما للسامع الفطن من التشوف إلى [8]ذكر ما[8] تكرر من الإشارة إليه، و لأن اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون بها غالبا إلا مقترنة بقد، لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا ١٥ للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة بمعنى التوقع الذى هو معنى 'قد' عند استماع المخاطب كلمة القسم ﴿نوحا﴾ يعنى ابن لمك بن

---

(١) فى ظ: كان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: فساده (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: بالدلالة (٥-٥) فى ظ: سلف بالاشارة (٦) من ظ، و فى الأصل: الآية (٧) فى ظ: هذه (٨-٨) فى ظ: ذكره لما.

متوشلخ بن خنوخ ، و هو إدريس عليه السلام ، و كان عند الإرسال ابن خمسين سنة .

و لما كان إرساله صلى الله عليه و سلم قبل تفرق القبائل باختلاف اللغات قال: ﴿الى قومه﴾ أى الذين كانوا ملء الأرض كما فى حديث ٥ الشفاعة فى الصحيحين و غيرهما عن أنس رضى الله عنه: ائتوا نوحا أول نبى بعثه الله إلى أهل الأرض . و فيهم من القوة[1] على القيام بما يريدون ما لا يخفى على من تأمل آثارهم و عرف أخبارهم ، فان كانت آثارهم فقد حصل المراد ، و إن كانت[2] لمن بعدهم علم - بحكم قياس الاستقراء - / أنهم ٣٠٨/ أقوى على مثلها و أعلى منها ، و لسوق ذلك دليلا على [ما - [3]] ذكر ١٠ جاء مجردا عن أدوات العطف ، و هو مع ذلك كله منبه على أن جميع الرسل متطابقون على الدعوة إلى ما دل عليه برهان "ان ربكم الله الذى خلق السمٰوت و الارض" من التوحيد و الصلاح إلى غير ذلك من بحور الدلائل و الحجاج المتلاطمة الأمواج - و الله الهادى إلى سبيل الرشاد ، وكون نوح عليه السلام رسولا إلى جميع أهل الأرض - لأنهم ١٥ قومه لوحدة لسانهم - لا يقدح فى تخصيص نبينا صلى الله عليه و سلم بعموم الرسالة ، لأنه معنى العموم إرساله إلى جميع الأقوام المختلفة باختلاف الألسن و إلى جميع من ينوس من [4] الإنس و الجن[4] و الملائكة ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة الصّٰفّٰت لهذا مزيد بيان .

و لما كان من المقاصد العظيمة الإعلام بأن الذى دعا إليه هذا

(١) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٢) فى ظ : كان (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : الجن و الانس .

الرسول لم تزل[1] الرسل - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام - تدعو إليه ، و كان نوح أول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر إرساله بذكر ما أرسل به بالفاء بقوله: ﴿ فقال يٰقوم ﴾ [أى -[2]] فتحبب إليهم بهذه الإضافة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة من الخلق و الأمر ، فانه مستحق لذلك و قد كلف عباده به . ٥

و لما كان المقصود إفراده بذلك ، علله بقوله مؤكدا له باثبات الجار: ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال: ﴿ من اٰله غيره[4] ﴾ ثم قال معللا أو[3] مستأنفا مخوفا مؤكدا لأجل تكذيبهم: ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ فى الدنيا و الآخرة ، و لعله قال هنا: ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ و فى هود " اليم[4] " و قال فى المؤمنون " افلا[5] تتقون " لأن ترتيب السور الثلاث - و إن ١٠ كان الصحيح أنه باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم - فلعله جاء على ترتيبها فى النزول ، لأنها مكيات[6] ، و على ترتيب مقال نوح عليه السلام لهم فألان لهم أولا المقال من حيث أنه أبهم أن العظم الموصوف به " اليوم " [لا -[2]] بسبب العذاب بل لأمر آخر ، فيصير العذاب مطلقا يتناول أىّ عذاب كان [و -[2]] لو قل ، فلما تمادى تكذيبهم ١٥ بين لهم أن عظمه[7] إنما هو من جهة إيلام العذاب الواقع فيه ، فلما لجوا فى عتوهم قال لهم قول[8] القادر إذا هدد عند مخالفة غيره له:

---

(١) من ظ ، و فى الأصل: لم يزل (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) آية ٢٦ .
(٥) من ظ و القرآن الكريم آية ٢٣ ، و فى الأصل: الا (٦) فى ظ: محكيات - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل: عظمته (٨) من ظ ، و فى الأصل: قال .

ألا تفعل ما أقول لك؟ أى متى خالفت بعد هـــذا عاجلتك بالعقاب و أنت تعرف قدرتى[1] .

و لما تم ذلك ، و كان الحال مقتضيا - مع ما نصب من الأدلة الواضحة على الوحدانية - لأن يجيبوا بالتصديق ، كان كأنه قيل : فبما ذا ٥ كان جوابهم؟ فقال : ﴿قال الملا﴾ أى الأشراف الذين يملأ العيون مرآهم عظمة ، و تتوجه[2] العيون فى المحافل إليهم ، و لم يصفهم فى هذه السورة بالكفر لأن ذلك أدخل فى التسلية ، لأنها أول سورة قص فيها مثل هذا فى ترتيب الكتاب ، و لأن من آمن به مطلقا كانوا فى جنب من لم يؤمن فى غاية القلة . فكيف عند تقييدهم بالشرف! و أكد ذمهم ١٠ تسلية لهذا النبى الكريم بالتعريف[3] بقربهم منـــــه فى النسب بقوله : ﴿من قومه﴾ و قابلوا رقته و أدبه بغلظة مؤكدا[4] ما تضمنته من البهتان لأن حالهم[5] مكذب لهم فقالوا : ﴿انا لنرٰىك﴾ أى كل واحد منا يعتقد اعتقادا هو فى الثقة به كالرؤية أنك ﴿فى ضلٰل﴾ أى خطأ و ذهاب عن الصواب ، هو ظرف لك محيط بك ﴿مبين ه﴾ أى ظاهر فى نفسه حتى ١٥ كأنه يظهر ذلك لغيره .

و لما قذفوه بضلال مقيد بالوضوح ، نفى الضلال المطلق الذى هو الأعم ، و بنفيه ينتفى كل أخصّياته[6] بل نفى أقل شىء من الضلال ، فقال

---

(١) من ظ ، و فى الاصل : قدرى (٢) من ظ ، و فى الأصل : توجه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالتغريب (٤) فى الأصل وظ : موكد (٥) من ظ ، و فى الأصل : حالة (٦) فى ظ : اخصيتاته .

تعالى مخبرا عنه ﴿ قال يٰقوم ﴾ مجددا / لاستعطافهم ﴿ ليس بى ضلٰلة ﴾ /٣٠٩
فنفى وحدة غير معينة، ولا يصدق ذلك إلا بنفى لكل فرد، فهو أنص من
نفى المصدر، ولم يصف الملأ من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك
فى سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى
باثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين: إحداهما[1] قبل أن يسلم ٥
أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم.

ولما نفى[2] ما رموه به على هذا الوجه البليغ، أثبت له [ضده - [3]]
بأشرف ما يكون من صفات الخلق، فقال مستدركا - بعد نفى الضلال - إثبات
ملزوم ضده: ﴿ ولٰكنى رسول ﴾ أى إليكم بما أمرتكم به فأنا على أقوم
طريق ﴿ من رب العٰلمين ﴾ أى المحسن إليهم بارسال الرسل لهدايتهم ١٠
بانقاذهم من الضلال، فرد الأمر عليهم[4] بألطف إشارة[5] ثم استأنف الإخبار
عن وظيفته بيانا لرسالته فقال: ﴿ ابلغكم ﴾ وكأن أبواب كفرهم[6] كانت
كثيرة فجمع باعتبارها أو باعتبار تعدد معجزاته أو تعدد نوبات الوحى
فى الأزمان المتطاولة والمعانى المختلفة، أو[6] أنه جمع له ما أرسل به من قبله
كادريس جده وهو ثلاثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة ١٥
عليهما السلام فقال: ﴿ رسٰلٰت ربى ﴾ أى المحسن إلىّ من الأوامر والنواهى
وجميع أنواع التكاليف من أحوال الآخرة وغيرها، لا أزيد فيها أنقص
منها كما هو شأن كل رسول مطيع.

---

(١) من ظ، وفى الأصل: احدهما (٢) من ظ، وفى الأصل: نفوا (٣) زيد من
ظ (٤) فى ظ اليهم (٥) من ظ، وفى الأصل: كريم (٦) من ظ، وفى الأصل «و».

و لما كان الضلال من صفات[١] الفعل، اكتفى بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث فى قوله: ﴿ و انصح ﴾ و قصر الفعل و دل على تخصيص النصح بهم و محضه لهم فقال: ﴿ الكم ﴾ و النصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، و لما كان الضلال من الجهل ٥ قال: ﴿ و اعلم من الله ﴾ أى من صفات الذى له صفات الكمال و سائر شؤنه ﴿ ما لا تعلمون ﴾ أى من عظيم أخذه لمن يعصيه و غير ذلك مما ليس لكم[٢] قابلية لعلمه بغير سفارتى فخذوه عنى تصيروا علماء، و لا تتركوه بنسبتى إلى الضلال تزدادوا ضلالا[٣].

و لما كان الحامل لهم على هذا مجرد استبعاد أن يختص عنهم بفضيلة ١٠ و هو منهم كما سيأتى فى غير هذه السورة، أنكر ذلك عليهم بقوله: ﴿ او عجبتم ﴾ أى أكذبتم و عجبتم ﴿ ان جآءكم ﴾ و ضمن جاء معنى أنزل، فلذلك جعلت صلته " على " فقال: ﴿ ذكر ﴾ أى رسالة ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد و التربية منزلا ﴿ على رجل ﴾ أى كامل فى الرجولية و هو مع ذلك بحيث لا تتهمونه فانه ﴿ منكم ﴾ [اقولكم[٤] "ما سمعنا بهذا[٥]" ١٥ أى إرسال البشر "فى اٰبائنا الاولين" -[٦]] ﴿ لينذركم ﴾ لتحذروا[٧] ما ينذركموه ﴿ و لتتقوا ﴾ أى تجعلوا بينكم و بين ما تحذرونه وقاية لعلكم تنجون ﴿ و لعلكم ترحمون ﴾ أى و ليكون حالكم إذا لقيتم الله حال من ترجى[٨]

---

(١) من ظ، و فى الأصل: صفة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: ضلال (٤) فى ظ: لقوله (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: ليحذروا (٨) من ظ، و فى الأصل: يرجى.

رحمته بأن يرفعه[١] الله فى الدارين .

و لما نسبوه أولا إلى الضلال و هو قد يكون خطأ عن ذهول و نحوه ، فأقام لهم الدليل على[٢] أنه على الصواب ، أخبر أنه لم يتسبب عن ذلك إلا تصريحهم بما لوحوا إليه أولا بالضلال من التكذيب فقال : ﴿فكذبوه﴾ أى الملأ و تبعهم مَنْ دونهم ؛ و لما ٥ تسبب[٣] عن تكذيبهم له تصديق الله له باهلاكهم و إنجائه[٤] و من آمن به . قال مقدما لإنجائه اهتماما به : ﴿فانجينه﴾ بما لنا من العظمة من أهل الأرض كلهم و من عذابنا الذى أخذناهم به[٥] ﴿و الذين معه﴾ أى بصحبة الأعمال الدينية ﴿فى الفلك﴾ و هو السفينة التى منّ الله على الناس بتعليمه عملها[٦] لتقيه من الطوفان فكانت[٧] آية و منفعة عظيمة لمن أتى ١٠ بعدهم ﴿و اغرقنا﴾ أى / بالطوفان ، و هو الماء الذى طبق ظهر الأرض /٣١٠ فلم يبق منها موضعا حتى أحاط به ، و أظهر موضع الإضمار تعليقا للفعل بالوصف إشارة إلى أن من فعل مع الرسول شيئا فانما فعله مع مرسله فهو يجازيه بما يستحقه فقال : ﴿الذين كذبوا بايٰتنا﴾ أى و هى من الظهور فى حد لا خفاء به لما لها من العظمة بالنسبة إلينا ، و عدى هنا ١٥ فعل النجاة بالهمزة[٨] و هى الأصل فى التعدية ، و قرنت بـ " الذين " لأنه أخلص الموصولات و أصرحها .

(١) فى ظ : يرحمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٤) زيد بعده فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيه . (٦) فى ظ : علمه - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : وكانت (٨) فى ظ : بالهمز .

و لما أعيدت القصة فى سورة يونس عليه السلام ، كان الأليق بكلام البلغاء و الأشبه بطرائق الفصحاء التفنن فى العبارة ، فعدى [التضعيف مع ما فيه من الأبلغية بافهام مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم -[1]] من مزيد التفويض فى قوله "فاجمعوا امركم و شركاءكم[2]" - الآية ، و تلا
٥ بـ"من" ضما للفرع إلى الفرع فان ["من" -[1]] مشترك بين الوصل و الشرط ، و هى أيضا قد تطلق على ما لا يعقل ، فناسب ذلك الحال ، و زيد هناك فى وصف الناجين "و جعلنهم خلئف[3]" نظرا إلى قوله تعالى [فى -[1]] أول السورة "و لقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا[4]" - الآية ، ثم قال "ثم[5] جعلنكم خلئف فى الارض من بعدهم[6] لننظر كيف تعملون"
١٠ فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا . ثم أشار لهم - فى قصة نوح عليه السلام بكونه أعلمهم أن الخلائف هم الناجون الباقى ذكرهم و ذريتهم - إلى أنه تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة و رحمهم بهذا النبى الكريم - عليه أفضل الصلاة و التسليم - فقضى أنهم غير مهلكين .

و لما افتتحت القصة بنسبتهم له إلى الضلال باطلا ، و هو ناشئ
١٥ عن عمى البصيرة أو البصر ، ناسب أن يقلب الأمر عليهم على وجه الحق فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك : ﴿انهم كانوا﴾ أى لما فى جبلتهم من العوج

(١) زيد من ظ (٢) آية ٧١ (٣) زيد بعده فى الأصل : الارض ، و لم تكن الزيادة فى ظ ولا فى القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٣ فحذفناها (٤) آية ١٣ . (٥) من ظ و القرآن الكريم آية ١٤ ، و فى الأصل « و » (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : بعد كم .

﴿قوما عمين ع﴾ أى مطبوعين فى عمى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه، ثابت لهم ذلك، بما أشار إليه فعل دون أن يقال فاعل، و ختمت القصة فى يونس بقوله "فانظر كيف كان عاقبة المنذرين[1]" لقوله أولها "ان كان كبر عليكم مقامى و تذكيرى[2]" أى إنذارى لأنه أعلم أنه كبر[3] عليهم و لو كان تبشيرا[4] لما عز عليهم. ٥

و لما كان عاد بعدهم، و لم يكن هنا ما يقتضى تشويش الترتيب، اتبعهم بهم مقدما المرسل إليه ليفيد تخصيص رسالته بهم و هم بعض أهل الأرض فقال: ﴿و الى عاد﴾ أى خاصة أرسلنا[5] ﴿اخاهم﴾ أى فى النسب لأنهم عنه أفهم و بحاله فى الثقة و الأمانة أعرف؛ و لما عطفه على نوح عليهما[6] السلام بعد تقديم المرسل إليهم، بينه بقوله: ﴿هودا ط﴾ بخلاف ١٠ قوم نوح فانهم كانوا جميع أهل الأرض، لأن القبائل لم تكن فرقت الناس و لا الألسنة إذ كان لسان الكل واحدا، و لم تفرق الألسنة إلا بعد الصرح، و لهذا عم[7] الغرق جميع أهل الأرض، فكان المعنى حينئذ لا يختلف فى قصته بتقديم و لا تأخير، فناسب تقديم الرسالة أو[8] المرسل لأنه أهم. ١٥

و لما كانت قصة نوح عليه السلام أول قصص الأنبياء مع قومهم[9]، و لم يكن للعرب عهد بمجاورات الأنبياء و من يرسلون إليه، فأتى فيها

---

(١) آية ٧٣ (٢) آية ٧١ (٣) من ظ، و فى الأصل: اكبر (٤) من ظ، و فى الأصل: بشيرا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: عليه (٧) من ظ، و فى الأصل: اعم (٨) فى ظ "و" (٩) فى الأصل: قوتهم، و فى ظ: قولهم.

بالأصل «أرسلناه» فقال سياقا واحدا إخبارا[1] لمن هو فارغ الذهن من كل جزء من أجزائها؛ أتت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام بما[2] وقع من تبليغه لهم و ردهم عليه، فلما ذكر إرساله تشوف السامع إلى أنه هل قال لهم كما قال نوح و هل ردوا عليه كرد قومه

٥ أو كان الأمر بخلاف ذلك؟ فأجيب سؤال المتشوف بقوله: ﴿قال﴾ كقول نوح عليه السلام سواء ﴿ يٰقوم ﴾ مذكرا لهم بأنه أحدهم يهمه ما يهمهم ﴿اعبدوا الله﴾ أي لاستحقاقه ذلك لذاته؛ ثم علل أو استأنف بقوله: ﴿ما لكم﴾ / و أغرق في النفي فقال: ﴿من اله غيره﴾ و لما كانوا /٣١١ عارفين بما أصاب قوم نوح قال: ﴿ا فلا تتقون ﴾ أي أ فلا تجعلون

١٠ بينكم و بين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية.

و لما تشوف السامع إلى جوابهم بعد هذا الترغيب الممزوج بالترهيب، أجيب بقوله: ﴿قال الملا ﴾ أي الأشراف الذين يملؤون العيون بهجة و الصدور هيبة؛ و لما كانت عاد قليلا بالنسبة إلى قوم نوح عليه السلام، وكان قد أسلم من أشرافهم من له غنى[3] في الجملة، قيد بقوله: ﴿الذين كفروا﴾

١٥ أي ستروا ما من حقه الظهور من أدلة الوحدانية، و وصفوا تسلية لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفاء قومه بأن مثل ذلك كان لإخوانه من الأنبياء بقوله: ﴿من قومه﴾ و أكدوا ما واجهوه به من الجفاء لأنهم عالمون بأن حاله في علمه و حكمه يكذبهم بقولهم: ﴿انا لنرٰىك﴾ أي نعلمك علما متيقنا

---

(١) من ظ، و في الأصل: اخبروا (٢) من ظ، و في الأصل: بما (٣) من ظ، و في الأصل: عنا.

حتى

حتى كأنه محسوس ﴿في سفاهة﴾ أي مظروفا لخفة العقل، فهي محيطة بك من جميع الجوانب، لاخلاص لك منها، فلذا أدتك إلى قول لاحقيقة له، فالتنوين للتعظيم، فان قيل: بل للتحقير، كأنهم توقفوا في وصفه بذلك كما توقفوا[1] في الجزم بالكذب فقالوا[2]: ﴿وانا لنظنك من الكذبين﴾ أي المتعمدين للكذب، وذلك[3] لأنه كان عندهم علم من الرسل وما يأتي ٥ مخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا، وأما قوم نوح فجزموا بالضلال وأكدوه بكونه مبينا، لأنه لم يكن عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك، ولهذا قالوا "ما[4] سمعنا بهذا في آبائنا الاولين[5]"، قيل: ليس كذلك، فقد ورد في جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا، وهو قوله "بل نظنكم كذبين[6]"؛ ١٠ فان قيل: إنما كان هذا في ثاني الحال بعد أن نصب لهم الأدلة وأقام البراهين على صحة مدعاه وثارت حظوظ الأنفس بالجدال، فانه يبعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم، قيل: والأمر كذلك في قصة هود عليه السلام سواء، فانه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه، فتقييدهم[7] بالوصف يدل على أنه كان فيهم[8] من اتبعه، بل وإن متبعه كان ١٥ من أشرافهم، هم[9] بالظن، وتعبير في الكذب لإرادتهم أنه يكفي في

(١) زيد بعده في الأصل: في وصفه بذلك كما توقفوا، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) من ظ، وفي الأصل: فقال (٣) من ظ، وفي الأصل: لذلك. (٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) آية ٢٧ (٧) من ظ. وفي الأصل: تعقيدهم (٨) في ظ: فيه (٩) في ظ: تعبير.

وصفه بالسفاهة التى زعموها إقدامه على ما يحتمل معه ظنهم لكذبه، أو يكون قوله غير الحق فى زعمهم مرددا بين أن يكون قاله عن تعمد أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل . و لما قابلوا لينته[1] لهم و شفقته عليهم بهذه الغلظة ، أعرض عن ذلك و عاملهم[2]
٥ من الحلم بضد ما سموه[3] به بأن ﴿ قال ﴾ معلما الأدب فى مخاطبة السفهاء ﴿ يٰقوم ﴾ مذكرا بما بينهم من النسب الداعى إلى الود و المناصحة و العطف و الملاطفة ﴿ ليس بى سفاهة ﴾ فنفى أن يكون به[4] شيء من خفة حلم، فانتفى أن يكون كاذبا لأن الداعى إلى الكذب الخفة و الطيش فلم يحتج إلى تخصيصه بنفى .

١٠ و لما نفى السفاهة ، أثبت ما يلزم منه ضدها بقوله : ﴿ و لكنى رسول ﴾ و بين المرسل تعظيما للأمر بقوله : ﴿ من رب العٰلمين ﴾ أى المحسن إليهم بعد نعمة الإيجاد و الأرزاق بارسال الرسل إليهم ليكسبوهم معالى الأخلاق التى بها انتظام نعمة الإبقاء ﴿ ابلغكم ﴾ و جمع الرسالة لما تقدم فى قصة نوح عليه السلام فقال : ﴿ رسٰلٰت ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بتعليمى
١٥ ما لم أكن أعلم و تأهيلى لما لم يكن فى حسابى .

و لما كانوا قد رموه بالسفه الذى هو من غرائز النفس لأنه ضد الحلم و الرزانة ، عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضى الثبات فقال : ﴿ و انا لكم ناصح ﴾ أى لم يزل النصح من صفتى ، و ليس هو [ما -[5]] تكسبته بل غريزة فىّ ، / قد بلوتمونى فيه قبل الرسالة و إظهار هذه المقالة ٣١٣ /

(١) فى ظ : لينه (٢) من ظ ، و فى الأصل : عامهم ـ كذا (٣) فى ظ : رسموه .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .

دهرا دهيرا و[1] زمانا طويلا ؛ و لما قالوا: إنهم يظنون كذبه، زادهم صفة الأمانة فقال: ﴿ امين ﴾.

و لما كان يعرف ما يعتقدونه من أمانته و عقله، و ظن أنه ما حملهم على هذا إلا العجب من أن يطلع على ما لم يطلعوا عليه، أنكر عليهم ذلك ذاكرا لما ظنه حاملا لهم ملوحا بالعطف إلى التكذيب فقال: ٥ ﴿ او عجبتم ﴾ أى أكذبتم و عجبتم ﴿ ان جآءكم ذكر ﴾ أى شرف و تذكير ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع[2] إحسانه عنكم[3] قط، منزلا ﴿ على رجل منكم ﴾ أى عزه عزكم و شرفه شرفكم فما[4] فاتكم شيء ﴿ لينذركم ﴾ أى يحذركم ما لمن كان على ما أنتم عليه من وخامة العاقبة.

و لما كان التقدير: فاحذروا، عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرا به إلى ١٠ التحذير من عظيم النقمة فى قوله: ﴿ و اذكروآ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعلكم خلفآء ﴾ أى فيما أنتم فيه من الأرض، و لما كان زمنهم متراخيا بعدهم، أتى بالجار فقال: ﴿ من بعد قوم نوح ﴾ أو يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام فى قوله "او عجبتم" من طلب الجواب، أى أجيبوا و اذكروا، أى و لا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما أنعم به عليكم، و فيه الإشارة ١٥ الى التحذير مما وقع لقوم نوح، أو يكون العطف على معنى الاستفهام الإنكارى فى[5] "افلا تتقون"، "او عجبتم" أى اتقوا و لا تعجبوا و اذكروا، أو يكون العطف - و هو أحسن - على "اعبدوا الله" و قوله "خلفاء"

---

(١) من ظ، و فى الأصل: او (٢) فى ظ: لم يقع (٣) فى الأصل: عليكم، و فى ظ: عنه (٤) من ظ، و فى الأصل: فلما (٥) فى ظ: من.

قيل : إنه يقتضى أن يكونوا قاموا[1] مقامهم، و من المعلوم أن قوم
نوح كأنوا ملء[2] الأرض، و أن عادا إنما كانوا فى قطعة منها يسيرة
و[3] هى الشجرة[3] من ناحية اليمن، فقيل: إن ذلك لكون شداد بن عاد
ملك جميع الأرض، فكأنه قيل: جعل جدكم خليفة فى جميع الأرض،
٥ فلو حصل الشكر لتمت النعمة، فأطيعوا يزدكم من فضله، [و قيل - [4]] :
إن[5] قصة ثمود مثل ذلك، و لم يكن فيهم من ملك الأرض و لا أرض
عاد، فأجيب[6] بما طرد[7]، و هو أن عادا لما كانوا أقوى أهل الأرض
أبدانا و أعظمهم أجسادا و أشدهم خلقا و أشهرهم قبيلة و ذكرا، كان
سائر[8] الناس لهم تبعا، و كذا ثمود فيما أعطوه من القدرة على نحت
١٠ الجبال و نحوها بيوتا، و عندى أن السؤال من أصله لا يرد، فان
بين قولنا -: [فلان - [4]] خليفة فلان، و فلان خليفة من بعد فلان -
من الفرق ما لا يخفى، فالمخلوف فى الثانى لم يذكر، فكأنه قيل: جعلكم
خلفاء لمن كان قبلكم فى هذه الأرض التى أنتم بها، و خص قوم نوح
و عاد بالذكر تذكيرا بما حل بهم من العذاب، و لهذا بعينه خص الله
١٥ هذه[8] الأمم التى وردت فى القرآن بالذكر، و إلا فقد كانت الأمم
كثيرة العد زائدة على الحد عظيمة الانتشار فى جميع الأقطار، و معلوم

---

(١) فى ظ : اقاموا (٢) زيد بعده فى ظ : اهل (٣-٣) من ظ، و فى الأصل : هو الشجر (٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : فى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ، و فى الأصل : فاجيبت (٧) فى ظ : يطرد. (٨) سقط من ظ.

أن

أن الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[١] " و فى قصة هود فى سورة الأحقاف " و قد خلت النذر من بين يديه و من خلفه[٢] "؛ و له سر آخر و هو[٣] أن هذه الأمم كان[٤] عند العرب كثير من أخبارهم فقصلت لهم أحوالهم، و طوى عنهم من[٥] لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا إلا إجمالا لئلا يسارعوا إلى التكذيب بما ٥ ينزل فيهم من غير دليل شهودى يقام عليهم.

و لما ذكرهم بمطلق الإبقاء بعد ذلك الإغراق العام، أتبعه التذكير بالزيادة فقال: ﴿و زادكم﴾ أى على من قبلكم أو على من هو موجود فى الأرض فى زمانكم ﴿فى الخلق﴾ أى الخاص بكم ﴿بسطة ج﴾ أى فى الحس بطول الأبدان و المعنى بقوة الأركان، قيل: كان طول كل واحد منهم ١٠ اثنى عشر ذراعا، و قيل: أكثر.

و لما عظمت النعمة، كرر عليهم التذكير فقال مسببا عن ذلك /﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أى نعم الذى استجمع صفات العظمة التى أنعم عليكم / ٣١٣ بها من الاستخلاف و القوة و غيرهما، و اذكروا أنه لا نعمة عندكم لغيره أصلا، فصار مستحقا لأن تخصوه بالعبادة ﴿لعلكم تفلحون ۝﴾ أى ليكون ١٥ حالكم حال من يرجى فلاحه و هو ظفره بجميع مراده، لأن الذكر موجب[٦] للشكر الموجب للزيادة.

(١) سورة ١٧ آية ١٥ (٢) آية ٢١ (٣) فى ظ: هى (٤) فى ظ: كانت (٥) فى ظ: ما (٦) فى ظ: يوجب.

و لما كان هذا منه موجبا و لابد لكل سامع منصف [من - ١]
المبادرة إلى الإذعان لهذه الحجة القطعية، و هى استحقاقه الافراد بالعبادة
للتفرد بالإنعام، ازداد تشوف المخاطب إلى جوابهم، فأجيب بقوله :
﴿ قالوٓا ﴾ منكرين عليه معتمدين على محض التقليد ﴿ اجئتنا ﴾ أى من عند
٥ من ادعيت أنك رسوله ﴿ لنعبد الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ وحده ﴾ و لما
كان هذا منهم فى غاية العجب المستحق للانكار، أتبعوه ما هو كالعلة
لإنكارهم عليه ما دعاهم إليه فقالوا: ﴿ و نذر ﴾ أى نترك على غير صفة
حسنة ﴿ ما كان يعبد اٰبآؤنا ج ﴾ أى مواظبين على عبادته بما دلوا عليه
بـ "كان" و صيغة المضارع - مع الإشارة بها إلى تصوير آبائهم فى
١٠ حالهم ذلك - ليحسن فى زعمهم إنكار مخالفتهم لهم .

و لما كان معنى هذا الإنكار أنا لا نطيعك، و كان قد لوح لهم
بالتذكر٢ بقوم نوح و قوله "ا فلآ تتقون" إلى الأخذ إن أصروا ،
سببوا عن ذلك قولهم : ﴿ فاتنا ﴾ أى عاجلا ﴿ بما تعدنآ ﴾ أى من العذاب
بما لوح إليه إيماؤهم إلى التكذيب بقولهم : ﴿ ان كنت من الصٰدقين ۝ ﴾
١٥ و تسميتهم الانذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء .

و لما كانوا قد بالغوا فى السفه فى هذا القول، و كان قد علم من محاورته
صلى الله عليه و سلم لهم الحلم عنهم، اشتد التطلع إلى ما يكون
من جوابه لهذا و التوقع له . فشفى غليل هذا التشوف بقوله :

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بالذكر (٣) من ظ و القرآن الكريم، وفى
الأصل : الا .

﴿ قال قد وقع ﴾ أى حق و وجب و قرب أن يقع ﴿ عليكم من ربكم ﴾ أى الذى غركم به تواتر إحسانه عليكم و طول إملائه لكم ﴿ رجس ﴾ أى عذاب شديد الاضطراب فى تتبع أقصاكم و أدناكم موجب لشدة اضطرابكم ﴿ و غضب ﴾ أى شدة فى ذلك العذاب لا تفلتون منها .

و لما أخبرهم بذلك ، بين لهم أن سببه كلامهم هذا فى سياق الإنكار ٥ فقال: ﴿ أتجادلوننى ﴾ و لما كانت آلهتهم تلك التى يجادلون[1] فيها لا تزيد[2] على الأسماء لكونها خالية من كل معنى ، قال: ﴿ فى أسماء ﴾ ثم بين أنه لم يسمها آلهة[3] مَنْ يعبد به فقال: ﴿ سميتموها أنتم و آباؤكم ﴾ و لما كان لله تعالى أن يفعل ما يشاء و أن يأمر بالخضوع لمن يشاء ، قال [نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفى الإنزال -[4]]: ﴿ ما نزل الله ﴾ أى الذى ليس الأمر إلا له ﴿ بها ﴾ ١٠ أى بتعبدكم لها أو بتسميتكم إياها . و أغرق فى النفى فقال: ﴿ من سلطن ﴾ و لعله أتى بصيغة التنزيل لأن التفعيل يأتى بمعنى الفعل المجدد و بمعنى الفعل بالتدريج فقصد -[لأنه فى سياق المجادلة و فى سورة مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدريج -[4]] - النفى بكل اعتبار ، سواء كان تجديدا أو تدريجا و إشارة إلى أنه لو نزل عليهم فى ١٥ الأمر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر[5] عليهم الأمر فيه مرة بعد أخرى، فيعلموا أن ذلك أمر حتم لا بد منه كما فعله بنو إسرائيل فى الأمر بذبح البقرة لأجل القتيل لأجل أنهم لم يعقلوا

---

(١) من ظ ، وفى الأصل: تجادلون (٢) من ظ ، وفى الأصل: لا يزيد (٣) سقط من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل: تكرر .

معناه، دل ذلك قطعا على [أن - [1]] الأمر لهم بعبادتها إنما هو ظلام الهوى لأنه عمى محض من شأن الإنسان ركوبه بلا دليل أصلا .

و لما أخبرهم بوقوع العذاب و سببه ، بين لهم أن الوقوع ليس على ظاهره فى الإنجاز ، و إنما معناه الوجوب الذى لا بد منه فقال:

٥ ﴿ فانتظروا ﴾ ثم استأنف الإخبار عن حاله بقوله[2]: ﴿ انى ﴾ و أشار بقوله: ﴿ معكم ﴾ إلى أنه لا يفارقهم لخشيته منهم و لا غيرها ﴿ من المنتظرين ﴾

و لما كان هذا ينبغى أن يكون سببا للتصديق الذى هو سبب الرحمة[3]، بين أنه إنما سبب لهم العذاب ، و له و لمن تبعه النجاة ،/ فبدأ با لمؤمنين ٣١٤/ اهتماما بشأنهم [بقوله - [1]] : ﴿ فانجينه ﴾ أى بما لنا من العظمة [إنجاء

١٠ وحيّا سريعا سللناهم به من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين - [1]] ﴿ و الذين معه ﴾ أى فى الطاعة ، و أشار إلى أنه لا يجب على الله شيء بقوله: ﴿ برحمة ﴾ أى باكرام و حياطة ﴿ منا ﴾ أى لا بعمل و لا غيره[4] .

و لما قدم الإنجاء اهتماما به، أتبعه حالهم فقال معلما بأن أخذه على غير أخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء فى الطلب ، فتفوتهم أواخر

١٥ العساكر [5] و شذاب [5] الجنود و الأتباع ﴿ و قطعنا ﴾ دابرهم أى آخرهم ، هكذا كان الأصل ، و لكنه أظهر تصريحا بالمقصود و بيانا لعلة أخذهم فقال: ﴿ دابر ﴾ أى آخر ، أى استأصلنا و جعلنا ذلك الاستئصال معجزة لهود عليه السلام ﴿ الذين كذبوا بايٰتنا ﴾ أى و لم يراقبوا عظمتها بالنسبة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : فقال (٣) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : بغيره (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

إلينا

[إلينا - [1]] ، و قوله : ﴿ و ما كانوا ﴾ أى خلقا و جبلة ﴿ مؤمنين ﴾ .
عطف على صلة "الذين" و هى "كذبوا بأيتنا" و هى جارية مجرى
التعليل لأخذهم مؤذنة [بأنه - [1]] لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح
بقوله "انهم كانوا قوما عمين" تعليلا لإغراقهم ، أى أنا قطعنا دابرهم
و هم مستحقون لذلك ، لأنهم غير قابلين للايمان لما فيهم من شدة العناد ٥
و لزوم الإلحاد ، فالمعنى : و ما كان الإيمان من صفتهم ، أى ما آمنوا فى
الماضى و لا يؤمنون فى الآتى ، فيخرج منه من آمن وكان قد كذب
قبل إيمانه و من لم يؤمن فى حال دعائه لهم و فى علم الله أنه سيؤمن ،
و يزيده حسنا أنهم لما افتتحوا كلامهم بأن نسبوه إلى السفاهة كاذبين ؛
ناسب ختم القصة بأن يقلب الأمر عليهم فيوصفوا [2] بمثل ذلك [2] صدقا ١٠
بكلام يبين أن اتصافهم به هو الموجب لما فعل بهم ، لأن الإيمان لا يصدر
إلا عن كمال الثبات و الرزانة و ترك الهوى و قمع رعونات النفس و الانقياد
لواضح الأدلة و ظاهر البراهين ، فمن تركه مع ذلك فهو فى غاية الطيش
و الخفة و عدم العقل ، و أيضا فوصفهم بالتكذيب بالفعل الماضى لا يفهم
دوامهم على تكذيبهم ، فقال سبحانه ذلك لنفى احتمال أنهم آمنوا بعد ١٥
التكذيب و أن أخذهم إنما كان لمطلق صدور التكذيب منهم ، و أنهم
لم يبادروا إلى الإيمان قبل التكذيب ، و يحتمل أن تكون [3] الجملة حالا ،
و المعنى على كل تقدير : قطعنا دابرهم فى حال تكذيبهم و عدم إيمانهم .

و لما أتم [4] سبحانه ما أراد من قصة عاد ، أتبعهم ثمود فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٤) فى ظ : تم .

﴿ و الى ثمود ﴾ أى خاصة ، [1]منع من[1] الصرف لأن المراد به القبيلة ، و هو مشتق من الثمد و هو الماء القليل ، وكانت مساكنهم الحجر[2] بين الحجاز و الشام إلى وادى القرى ، أرسلنا ﴿ اخاهم صلحا ﴾ ثم استأنف الإخبار عن قوله - كما مضى فى هود عليه السلام فقال : ﴿ قال يٰقوم ﴾
٥ مستعطفا لهم بالتذكير بالقرابة و عاطف النسابة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى لا كمال إلا له ﴿ ما لكم ﴾ و أكد النفى بقوله : ﴿ من الٰه غيره ﴾ .

و لما دل على صدقه فى ذلك أنهم دعوا أوثانهم فلم تجبهم ، و دعا هو صلى الله عليه و سلم ربه سبحانه فأخرج لهم الناقة ، علل صحة ما دعا إليه بقوله : ﴿ قد جآءتكم بينة ﴾ أى آية ظاهرة جدا على صدق فى ادعاء
١٠ رسالتى و صحة ما أمرتكم به ، و زادهم رغبة بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم ؛ ثم استأنف بيانها بقوله : ﴿ هذه ﴾ مشيرا إليها بعد تكوينها تحقيقا [لها - [3]] و تعظيما لشأنها و شأنه فى عظيم خلقها و سرعة تكوينها لأجله .

و لما أشار إليها ، سماها فقال : ﴿ ناقة الله ﴾ شرفها بالإضافة
١٥ إلى الاسم الأعظم ، و دل على تخصيصها بهم بقوله : ﴿ لكم ﴾ حال كونها ﴿ اٰية ﴾ أى[3] لمن شاهدها و لمن سمع بها و صح عنده أمرها[4] ؛ ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فذروها ﴾ أى اتركوها و لو على أدنى وجوه[5] الترك ﴿ تاكل ﴾ أى من النبات ﴿ فىٓ ارض الله ﴾ أى مما أنبت الله الذى له كل شىء

(١ - ١) فى ظ : يمنع (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : امره .
(٥) فى ظ : احوال .

و [١]هي ناقته[١] / كما أن الارض كلها مطلقا أرضه و النبات رزقه، ٢١٥/
و لذلك أظهر لئلا يختص [أكلها - ٢] بأرض دون أخرى .

و لما أمرهم بتركها لذلك، أكد الأمر بنهيهم عن أذاها فقال:
﴿و لا [٣] تمسوها بسوٓء﴾ فضلا عما بعد المس ﴿فياخذكم﴾ أى أخذ قهر
بسبب ذلك المس و عقبه ﴿عذاب اليم ﴾ أى مؤلم . ٥

و لما أمرهم و نهاهم، ذكر لهم ترغيبا مشيرا إلى ترهيب فقال:
﴿و اذكروٓا﴾ أى نعمة الله عليكم ﴿اذ جعلكم خلفآء﴾ أى فيما أنتم فيه
﴿من بعد عاد﴾ أى إهلاكهم ﴿و بوأكم فى الارض﴾ أى جعل لكم فى
جنسها مساكن تبوؤن أى ترجعون إليها وقت راحتكم، سهل عليكم من
عملها فى [أىّ - ٢] أرض أردتم ما لم يسهله [٤] على غيركم؛ و لهذا فسر ١٠
المراد بقوله: ﴿تتخذون﴾ أى بما لكم من الصنائع ﴿من سهولها قصورا﴾
أى أبنية [٥]بالطين و اللبن[٥] و الآجر واسعة عالية حسنة يقصر [٦] أمل الآمل
و نظر الناظر عليها مما فيها من المرافق و المحاسن ﴿و تنحتون الجبال﴾
أى أىّ جبل أردتم تقدرونها ﴿بيوتا ج﴾ .

و لما ذكرهم بهذه النعم مرغبا مرهبا، كرر ذلك إشارة و عبارة ١٥
فقال مسببا عما ذكرهم به: ﴿فاذكروٓا﴾ أى ذكر إذعان و رغبة و رهبة
﴿الآء﴾ أى نعم ﴿الله﴾ أى الذى [له - ٢] صفات الكمال فلا حاجة

(١-١) من ظ، و فى الأصل: هو ناقة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: فلا (٤) من ظ، و فى الأصل: لم يسهل (٥-٥) فى ظ: باللبن و الطين (٦) من ظ، و فى الأصل: تقصر.

به إلى أحد ، فاحسانه هو الإحسان فى الحقيقة ﴿ولا تعثوا فى الارض﴾ من العثى و هو الفساد ، و هو مقلوب عن العيث - قاله ابن القطاع[١] ، و حينئذ يكون قوله : ﴿ مفسدين ه ﴾ بمعنى متعمدين[٢] للفساد .

و لما حصل الالتفات إلى جوابهم ، قيل : ﴿قال الملا﴾ أى الأشراف ، ٥ و بينه بقوله : ﴿ الذين استكبروا ﴾ أى أوقعوا الكبر و اتصفوا به فصار لهم خلقا فلم يؤمنوا ؛ و نبه على التأسية بقوله : ﴿ من قومه ﴾ و لما قال : ﴿ للذين استضعفوا ﴾ كان ربما فهم أنهم آمنوا كلهم ، فنفى ذلك بقوله مبدلا منه : ﴿ لمن امن منهم ﴾ أى المستضعفين ، فهو أوقع فى النفس و أروع[٣] للجنان من البيان فى أول وهلة مع الإشارة[٤] إلى أن[٤] أتباع الحق ١٠ هم الضعفاء ، و أنه لم يؤمن إلا بعضهم ، ففيه إيماء إلى أن الضعف أجلّ النعم لملازمته لطرح النفس المؤدى إلى الإذعان للحق ، و بناؤه للفعول دليل على أنهم فى غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل أحد ﴿ ا تعلمون ﴾ أى[٥] بدأوهم بالإنكار صدا لهم عن الإيمان ﴿ ان صلحا ﴾ سموه باسمه جفاء و غلظة و إرهابا للمسؤلين ليجيبوهم بما يرضيهم ﴿ مرسل من ربه ﴾ ١٥ و كأنهم قالوه ليعلموا حالهم فيبنوا عليه ما يفعلونه ، لأن المستكبرين لا يتم لهم كبرهم إلا بطاعة المستضعفين .

و لما علموا ذلك منهم ، أعلموهم بالمنابذة اعتمادا على الكبير المتعال

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : القطان - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : معتمدين.
(٣) من ظ ، وفى الأصل : اورع (٤ - ٤) فى ظ : لان (٥) زيد بعده فى الأصل : المستضعفين ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها

الذى

الذى يضمحل كل[1] كبر عند كبره و لا يعد لأحد أمر مع أمره، بأن ﴿ قالوآ ﴾ منبهين لهم على غلظتهم و غلطهم فى توسمهم فى حالهم معبرين[2] بما دل على العلم بذلك و الإذعان له ﴿ انا بمآ ارسل به ﴾ و بنى للفعول إشارة إلى تعميم التصديق و إلى أن كونه من عند الله أمر مقطوع به لا يحتاج إلى تعيين ﴿ مؤمنون ه ﴾ أى غريقون[3] فى الإيمان به ، و لذلك ٥ ﴿ قال الذين استكبروآ ﴾ أى فى جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم و المعاندة ﴿ انا بالذىٓ ﴾ و وضعوا موضع 'أرسل به' - ردا[4] لما جعلوه معلوما و أخذوه مسلما ﴿ آمنتم به ﴾ أى كائنا ما كان ﴿ كٰفرون ه ﴾ ثم سبب عن قولهم قوله ﴿فعقروا الناقة﴾ أى التى جعلها الله لهم آية ، و عبر بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها لأن ابن إسحاق ذكر أنه اجتمع ١٠ لها ناس منهم فرماها أحدهم بسهم و ضرب آخر قوائمها بالسيف و نحرها آخر فأطلق اسم السبب على المسبب ، لكن قوله تعالى "فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر[5]" و قوله " اذ انبعث اشقٰها[6]" و قوله صلى الله عليه و سلم « انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى قومه[7]» قالوا : هو قدار[8] بن سالف ، جعلت / له ٣١٦ / امرأة من قومه ابنتها إن عقرها ، ففعل فكان أشقى الأولين ، و أشقى الآخرين ١٥ عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : على - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : معتبرين .
(٣) فى ظ : الغريقين (٤) من ظ ، و فى الأصل : فودا (٥) سورة ٥٤ آية ٢٩ .
(٦) سورة ٩١ آية ١٢ (٧) من معالم التنزيل - راجع الخازن ٢ / ٢١٠ ، و فى الأصل : قوم ، و فى ظ : قوله - كذا (٨) فى ظ : قدا .

جعلت له قطام امرأة من بنى عجل جميلة نفسها إن قتله ، فالمناسبة بينهما[١]
أن كلا منهما ألقى نفسه فى المعصية العظمى لأجل شهوة فرجه فى زواج
امرأة ، و قوله صلى الله عليه و سلم « أشقى الأولين عاقر الناقة » يدل على
أن عاقرها رجل واحد ، و حينئذ يكون المراد به قطع القوائم ، [فحيث
٥ جمع أراد الحقيقة و المجاز معا ، و حيث أفرد أراد الحقيقة فقط -[٢]] ،
فالتعبير به لأنه الأصل[٣] و السبب الأعظم فى ذبح الإبل ؛ قال البغوى :
قال الأزهرى : العقر هو قطع عرقوب البعير ، ثم جعل النحر عقرا لأن
ناحر البعير يعقره ثم ينحره - انتهى . و كأن هذا إشارة إلى أن المراد بالعقر
فى كلامه النحر ، [و -[٢]] لاريب فى أن أصل العقر فى اللغة القطع ،
١٠ و مادته تدور على ذلك ، عقر النخلة - إذا قطع رأسها فيبست ، و الفرس :
ضرب قوائمها بالسيف ، و أكثر ما يستعمل العقر فى الفساد ، و أما النحر
فيستعمل غالبا فى الانتفاع بالمنحور لحما و جلدا و غيرهما ، فلعل التعبير به
دون[١] النحر إشارة إلى أنهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها[٤] عتوا على الله
و عنادا و فعلا للسوء مخالفة [٥]لنهى صالح[٥] عليه السلام ، و لا يشكل ذلك
١٥ بما ورد من أنهم اقتسموا لحمها ، لأنه لم يدع أن العقر يلزمه[٦] عدم الانتفاع
بالمنحور ، [و -[٢]] على [٧] التنزل فهم[٧] لم يريدوا بذلك الانتفاع باللحم ،
و إنما قصدوا - حيث لم يمكنهم[٨] المشاركة جميعا فى العقر - أن يشتركوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : اصل (٤) من ظ ، و فى الأصل : هلاكها (٥-٥) فى ظ : لصالح (٦) من ظ ، و فى الأصل : يلزمها . (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : الرى فيهم - كذا (٨) فى ظ : لم تمكنهم .

فيما نشأ عنه تعريضا برضاهم به و مشاركتهم فيه بما يمكنهم ﴿ و عتوا ﴾ أى تجاوزوا الحد فى الغلظة و التكبر ﴿ عن امر ﴾ أى امتثال أمر ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم الذى أتاهم على لسان رسوله من تركها ﴿ و قالوا ﴾ زيادة فى العتو ﴿ يٰصٰلح ائتنا ﴾ .

و لما نزلوا[1] وعيدهم له ـ حيث لم يؤمنوا به ـ منزلة الوعد و البشارة ، ٥ قالوا : ﴿ بما تعدنآ ﴾ استخفافا منهم و مبالغة فى التكذيب . [كأنهم يقولون: نحن على القطع بأنك لا تقدر على أن تأتينا بشيء من ذلك ، و إن كنت ـ[2]] صادقا فافعل و لا تؤخره رفقا بنا و شفقة علينا ، فانا لا نتأذى بذلك ، بل نتلذذ به تلذذ من يلقى الوعد الحسن ، و حاصله التهكم منهم به و الاشارة إلى عدم قدرته ؛ و أكدوا ذلك بقولهم بأداة الشك : ١٠ ﴿ ان كنت من المرسلين ﴾ أى الذين سمعنا أخبارهم فيما مضى ؛ ثم سبب عن عتوهم[3] قوله : ﴿ فاخذتهم الرجفه ﴾ أى التى كانت عنها أو منها الصيحة ، أخذ من هو فى القبضة على غاية من الصغار و الحقارة ، و لعل توحيد الدار هنا مع الرجفة فى قصة صالح و شعيب عليهما السلام فى قوله تعالى : ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى مساكنهم ، و جمعها فى القصتين ١٥ مع الصيحة فى سورة هود عليه السلام للاشارة إلى عظم الزلزلة و الصيحة فى الموضعين ، و ذلك لأن الزلزلة إذا كانت فى شيء واحد كانت أمكن ، فتكون[4] فى المقصود من النكال أعظم ، و الصيحة من شأنها الانتشار ، فاذا عمت الأماكن المتنائية و الديار المتباعدة فأهلكت أهلها و مزقت

---

(١) فى ظ : تركوا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عقرهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فيكون .

جماعتها و فرقت شملها، كانت من القوة المفرطة و الشدة البالغة بحيث تنزعج[١] من تأمل وصفها النفوس و تجب له القلوب، و حاصله أنه حيث عبر بالرجفة وحد الدار إشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب، و حيث عبر بالصيحة جمع إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت، و لا مخالفة لأن ٥ عذابهم كان بكل منهما، و لعل إحداهما كانت سببا للأخرى[٢]، و لعل المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها، أو أن الدار رجفت فرجفت القلوب و هو أقرب، و خصت[٣] الأعراف بما ذكر فيها، لأن مقصودها إنذار المعرضين، و الرجفة أعظم قرعا لعدم الإلف لها - و الله اعلم ﴿جثمين ﴾ أى باركين على ركبهم لازمين أماكنهم لا حراك بأحد منهم، ولم يبق ١٠ منهم فى تلك الساعة أحد[٤] إلا رجل / واحد كان فى الحرم، فلما خرج /٣١٧ منه أصابه ما أصاب قومه و هو أبو رغال[٥]، و مسافة الحرم عن أرضهم تزيد على مسيرة[٦] عشرة أيام، و من الآيات العظيمة أن ذلك الذى [خلع -[٧]] قلوبهم و أزال أرواحهم لم يؤثر فى صالح عليه السلام و المستضعفين معه شيئا، و ذلك مثل الريح التى[٨] زلزلت الأحزاب، ١٥ و أنالتهم أشد العذاب، و رمتهم بالحجارة و التراب حتى هزمتهم و ما نال النبى[٩] صلى الله عليه و سلم و أصحابه منها[٤] كبير أذى، و كفها الله عن

(١) من ظ، و فى الأصل: ينزع - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: للاخر. (٣) فى ظ: مضت (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و المعالم، و فى الأصل: ابو رغال (٦) من ظ، و فى الأصل: مسير (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: الذى (٩) فى ظ: المصطفى.

حذيفة ، و كذا البرد الذى كان ذلك زمانه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف[1] له أخبارهم .

و لما أصابهم ذلك ، سبب لهم الهجرة عن ديارهم ديار السوء و الغضب و اللعنة فقال تعالى إعلاما لنا بذلك : ﴿ فتولى ﴾ أى كلف نفسه الإعراض ﴿ عنهم و قال ﴾ أى لما أدركه من أحوال البشر من الرقة على فوات ٥ إيمانهم و هم أصله و عشيرته ﴿ يٰقوم ﴾ أى الذين يعز علىّ ما يؤذيهم ﴿ لقد ابلغتكم ﴾ و لعله وحد قوله : ﴿ رسالة ربى ﴾ لكون آيته واحدة ﴿ و نصحت ﴾ و[2] قصر الفعل و عداه باللام فقال : ﴿ لكم ﴾ دلالة على أنه خاص [بهم - [3]] ، روى [4] أنه خرج عنهم[4] فى مائة و عشرة من المسلمين و هو يبكى ، وكان قومه ألفا و خمسمائة دار ، و روى أنه رجع ١٠ بمن معه فسكنوا ديارهم[5] .

و لما كان التقدير : ففعلت معكم[6] ما هو مقتض لأن تحبونى لأجله ، عطف عليه قوله : ﴿ و لكن ﴾ لم تحبونى[7] ، هكذا كان الأصل و لكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم و خلقا لهم مع كل ناصح فقال : ﴿ لا تحبون ﴾ [أى - [3]] حاكيا لحالهم الماضية ﴿ النصحين ﴾ أى ١٥ كل من فعل فعلى من النصح التام .

و لما أتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه السورة فى هذا السياق من قصتهم ، أتبعه من بعده[8] ممن تعرفه العرب كما فعل فيما قبل فقال :

---

(١) فى ظ : ليعرف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : بهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ : منكم (٧) من ظ ، و فى الأصل : لم يحبونى (٨) من ظ ، و فى الأصل : بعدهم.

﴿ و لوطا اذ قال ﴾ و لما كانت رسالته إلى مدن شتى ، و كأنهم كانوا قبائل شتى ، قيل : كانوا خمسة و هى المؤتفكات ، [و -[١]] قيل : كانوا أربعة آلاف بين الشام و المدينة الشريفة ، قال: ﴿ لقومه ﴾ و قد جوزوا أن يكون العامل فيه 'أرسلنا' و 'اذكر' و لا يلزم من تقدير 'ارسلنا' أن يكون ٥ إرساله فى وقت تفوهه لهم بهذا القول غير سابق عليه ، لأنه كما أن ذلك الزمن - المنطبق على أول قوله و آخره - وقت له فكذلك[٢] اليوم - الذى وقع فيه هذا القول - وقت له ، بل و ذلك الشهر و تلك السنة و ذلك القرن ، فان من شأن العرب تسمية الأيام المشتركة فى الفعل الواحد يوما ، قالوا: يوم القادسية ، و هو أربعة أيام إن اعتبرنا مدة القتال فقط ، و عدة شهور ١٠ إن اعتبرنا بالاجتماع[٣] له ، و كذا يوم صفين ، و قال تعالى فى قصة بدر "و اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم - إلى أن قال: اذ تستغيثون ربكم - إلى أن قال : اذ يغشيكم النعاس امنة منه - اذ يوحى ربك الى الملئكة[٤]" و كلها إبدال من قوله "و اذ يعدكم الله احدى الطائفتين" و لا ريب فى[٥] أن زمان الكل لم يكن متحدا إلا[٦] بتاويل جميع الأيام المتعلقة ١٥ بالوقعة من سير و قتال و غير ذلك - و الله أعلم ، و عبر فى قصة نوح [عليه السلام -[١]] بـ "ارسلنا نوحا الى قومه" ، ثم نسق من بعده عليه فقيل : "و الى عاد اخاهم هودا" "و الى ثمود اخاهم صلحا" "و الى مدين اخاهم شعيبا" و عدل عن هذا الأسلوب فى قصة لوط [فلم يقل :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : ذلك (٣) فى ظ : الاجتماع (٤) سورة ٨ آية ٧ - ١٢ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا .

و إلى أهل أدوما[1] أخاهم لوطا، أو إلى أهل سدوم لوطا -[2]] أو و أرسلنا لوطا إلى قومه و نحو ذلك كما سيأتى فى قصة موسى عليه السلام، لأن من أعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبى صلى الله عليه و سلم فى مخالفة قومه له و عدم استجابتهم و شدة أذاهم و إنذار[3] قومه أن يحل بهم ما حل بهذه الأمم من العذاب، و قصص من عدا قوم لوط مشابهة لقصة قريش فى ٥ الشرك بالله[4] و الأذى لعباده المؤمنين، و أما قصة قوم لوط فزائدة عن /٣١٨ ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار و الفحش فعدل عن ذلك النسق تنبيها عليه تهويلا للأمر و تبشيعا له، ليكون فى التسلية أشد، و فى استدعاء الحمد و الشكر أتم، و حينئذ يترجح أن يكون العامل [5]اذكر [5]لا [5]أرسلنا[5] أى و اذكر لوطا و ما حصل عليه من قومه زيادة على ١٠ شركهم من رؤيته فيهم هذا الأمر الذى لم يبق للشناعة موضعا، فالقصة فى الحقيقة تسلية و تذكير[6] بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال، و إنذار لهم سوء المآل مع ما شاركت[7] فيه أخواتها من الدلالة على سوء جبلة هؤلاء القوم و شرارة جوهرهم المقتضى لتفردهم عن أهل الأرض بذلك الأمر الفاحش، و الدليل على أنه أشنع الشنع[8] بعد الشرك - مع ١٥ ما جعل الله تعالى فى كل طبع سليم من النفرة عنه - اختصاصه بمشاركته للشرك فى أنه لم يحل فى ملة من الملل فى وقت من الأوقات و لا مع

(١) فى تاج العروس: دوما - راجع «افك» (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: انذر (٤) فى ظ: فى الله (٥ - ٥) فى ظ: لارسالنا - كذا (٦) فى ظ: تذكيرا (٧) من ظ، وفى الأصل: شركت (٨) سقط من ظ.

وصف من الأوصاف، و بقية[1] المحرمات ليست كذلك، فأما قتل النفوس فقد حل في [2]القصاص و الجهاد[2] و غير ذلك، و الوطى[3] في القبل[4] لم يحرم إلا بقيد كونه زنى، و لو لا الوصف لحل، و أكل المال الأصل فيه الحل، و ما حرم إلا بقيد كونه بالباطل - وكذا غير ذلك؛
٥ قال أبو حيان: و لما كان هذا الفعل معهودا قبحه و مركوزا في العقول فحشه، أتى معرفا - أي في قوله بعد إنكاره عليهم و تقريعه و توبيخه لهم: ﴿ اتاتون الفاحشة﴾ أي أتفعلون السيئة المتمادية في القبح وإن كان بينكم و بينها مسافة بعيدة - أو تكون[5] 'أل' فيه للجنس على سبيل المبالغة، كأنه[6] لشدة قبحه جعل جميع الفواحش و لبعد العرب عن ذلك البعد
١٠ التام؛ [و ذلك - [7]] بخلاف الزنى فانه قال [فيه - [7]] "و لا تقربوا الزنى انه كان فاحشة[8]".

و لما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم و وقاحتهم أن يقولوا: لم تكون[9] فعلتنا منكرا موبخا عليها؟ قال: ﴿ما سبقكم بها﴾ و أغرق في النفي بقوله: ﴿من احد﴾ و عظم ذلك بتعميمه في قوله: ﴿من العلمين ۝﴾
١٥ فقد اخترعتم شيئا لا يكون مثل فحشه لتذكروا[10] به أسوأ ذكر، [كما -[11]]

---

(١) في ظ: قصة (٢-٢) في ظ: الجهاد و القصاص (٣) من ظ، و في الأصل: لوط (٤) في ظ: الدبر (٥) من ظ و البحر المحيط ٤/٣٣٣، و في الأصل: يكون. (٦) من البحر، و في الأصل و ظ: فانه (٧) زيد من البحر (٨) سورة ١٧ آية ٣٢. (٩) من ظ، و في الأصل: يكون (١٠) من ظ، و في الأصل: ليذكروا (١١) زيد من ظ.

أن

أن ذوى الهمم العوال و الفضل و الكمال يستنبطون من المحاسن و المنافع ما يبقى لهم ذكره و ينفعهم أجره، و فى ذلك أعظم إشارة إلى تقبيح البدع و التشنيع على فاعليها، لأن العقول لا تستقل بمعرفة المحاسن .

و لما أبهم الفاحشة ليحصل التشوف إلى معرفتها، عينها فى استفهام آخر كالأول فى إنكاره و توبيخه ليكون أدل على تناهى الزجر عنها فقال: ٥ ﴿ ائنكم[1] لتاتون الرجال ﴾ أى تغشونهم غشيان النساء؛ و لما أبقى للتشوف مجالا ، عين بقوله : ﴿ شهوة ﴾ أى مشتهين ، أو لأجل الشهوة ، لا حامل لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التى لا داعى لها من جهة العقل[2]، و صرح بقوله : ﴿من دون النسآء﴾ فلما لم يدع لبسا ، و كان هذا ربما أوهم إقامة عذر لهم فى عدم وجدان النساء أو عدم كفايتهن لهم ، أضرب ١٠ عنه بقوله : ﴿ بل انتم قوم ﴾ .

و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار كان الأليق به الإسراف الذى هو غاية الجهل المذكور فى سورة النمل [فقال -[3]] ﴿مسرفون ه ﴾ أى لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها، بل اعتياد المجاوزة للحدود ، و لم يسم قوم لوط[4] فى سورة من السور كما سميت عاد و ثمود و غيرهم صونا ١٥ للكلام عن تسميتهم ، و أما قوم نوح[4] فانما[5] لم يسموا لعدم تفرق القبائل اذ ذاك ، فكانوا لذلك جميع أهل الأرض ولذا عمهم الغرق - و الله أعلم .

و لما كان كأنه قيل : هذا التقريع يوجب غاية الاستحياء ، بل أنه

(١) و فى مصاحفنا : انكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد لاستقامة العبارة (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فانه .

/٣١٩ / يذهب كل من سمعه منهم إلى مكان لا يعرف فيه سترا لحاله[1]، فيا ليت شعرى ما كان حالهم عنده ! فقيل : كان كأنهم[2] أجابوه بوقاحة عظيمة وفجور زائد على الحد ، فما كان جوابهم إلا أذى لوط عليه السلام وآله بما[3] استحقوا منهم به شديد الإنذار الذى هو مقصود السورة ، [عطف

٥ عليه -[4]] قوله : ﴿ وما كان جواب قومه ﴾ أى الذين كانوا [هم -[4]] أهل قوة شديدة وعزم عظيم وقدرة على القيام بما يحاولونه ﴿ الا ان قالوا ﴾ .

ولما كان المقصود بيان أنهم أسرعوا إجابته بما ينكيه أضمر ما لا يشكل بالإضمار ، [أو أنه لما كان السياق لبيان الخبيث بين أنه

١٠ لا أخبث من هؤلاء الذين بلغ من رذالتهم أنهم عدوا الطاهرين المتطهرين مما يصان اللسان عن ذكره -[4]] فقال [تعالى مشيرا إلى ذلك فى حكاية قولهم -[4]] : ﴿ اخرجوهم ﴾ أى المحدث عنهم ، وهم لوط ومن انضم إليه ﴿ من قريتكم ج ﴾ والمراد ببيان الإسراع فى هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم من[5] رد قومه لكلامه لئلا يكون فى صدره حرج من إنذارهم ؛

١٥ ثم عللوا[6] إخراجهم بقولهم : ﴿ انهم اناس ﴾ أى ضعفاء ﴿ يتطهرون ﴾ وكأنهم قصدوا بالتفعل نسبتهم إلى [محبة -[4]] هذا الفعل القبيح ، وأن تركهم له إنما هو تصنع وتكليف لنفوسهم بردها عما هى مائلة إليه . وإقبال على الطهر من غير وجهه [7]وإظهار له رياء بما أشار إليه إظهار تاء

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : انهم (٣) فى ظ : مما (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : فيه (٦) فى ظ : علل (٧) العبارة من هنا إلى «من السخرية» ساقطة من ظ .

التفعل ، و فيه مع ذلك حرف من السخرية ، و حصر[1] جوابهم فى هذا المعنى المؤدى بهذا اللفظ لا ينافى آية العنكبوت القائلة " فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله -[2] " - الآية ، لأن إطلاق الجواب على هذا يجوز ، و المعنى : فما كان قولهم فى جوابه إلا إتيانهم بما لا يصلح جوابا ، و ذلك مضمون هذا القول و غيره مما لا يتعلق بالجواب ، أو أن هذا ٥ الجواب لما كان - لما فيه من التكذيب و الإيذان بالإصرار و الإغلاظ لرسول الله صلى الله عليه و سلم - مستلزما للعذاب ، كانوا كأنهم نطقوا به فقالوا " ائتنا بعذاب الله " ، جعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب ، أو أنهم استعملوا لكل مقام مقالا ، و يؤيده أن المعنى لما اتحد هنا و فى النمل حصر الجواب فى هذا ، أى فما كان جوابهم لهذا القول إلا هذا ؛ و لما زادهم ١٠ فى العنكبوت فى التقريع فقال " ائنكم لتاتون الرجال و تقطعون السبيل و تاتون فى ناديكم المنكر[2] " أتوه بأبلغ من هذا تكذيبا و استهزاء فقالوا " ائتنا بعذاب الله " - الآية .

و لما تسبب[3] عن عنادهم إهلاكهم و إنجاؤه ، و كان الإعلام بانجائه - مع كونه يفهم إهلاكهم - أهم ، قال : ﴿فانجينه و اهلـه﴾ أى من أطاعه ١٥ ﴿الا امراته ز صلے﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لها ؟ قال : ﴿كانت من الغبرين ہ﴾ أى الباقين الذين لحقتهم بالعذاب العبرة و التذكير إشارة إلى أنها أصابها مثل عذاب الرجال سواء ، لم تنقص[4] عنهم لأنها كانت كافرة مثلهم .

(١) فى ظ : حصرهم (٢) آية ٢٩ (٣) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم ينقص .

و لما أفهم هذا إهلاكهم، بينه دالا على نوعه بقوله: ﴿ و امطرنا ﴾ أي حجارة الكبريت بعد أن قلعت[1] مدائنهم و رفعت و قلبت حتى رجم بها مسافروهم و شذابهم لأنه[2] عذاب الاستئصال عمن[3] لا يعجزه شيء؛ و أوضحه بقصره[4] الفعل و تعديته بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم ﴾
٥ و أكد كونه من السماء لا من سطح أو جبل و نحوه بقوله: ﴿ مطرا ﴾ و أشار إلى عظمه مزيلا للبس [أصلا - [5]] بما سبب عنه من قوله: ﴿ فانظر كيف كان عاقبة ﴾ أي آخر أمر ﴿ المجرمين ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعليقا للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل بوصل ما حقه القطع من فاحش المعصية دليلا على أن الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه،
١٠ لأن الحكم يدور مع العلة، و سيأتي في سورة هود عليه السلام سياق قصتهم من التوراة بعد أن مضى في البقرة عند[6] " اذ قال له ربه اسلم[7] " أوائل أمرهم، و هذا كما سومت[8] الحجارة لقريش - لما أجمعوا أن يرجعوا بعد توجههم عن غزوة أحد من الطريق - ليفزعوا من النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه على زعمهم، كما قال صلى الله عليه و سلم « و الذي نفسي
١٥ بيده! لقد سومت لهم الحجارة، و لو /رجعوا لكانوا كأمس الذاهب » ولكنه /٣٢٠ صلى الله عليه و سلم لما كان رسول رحمة لم يقض الله برجوعهم فمضوا حتى أسلم بعد ذلك كثير منهم، و كما أمطر[9] الله الحجارة على أصحاب الفيل سنة مولده صلى الله عليه و سلم حماية لبلده[10] ببركته.

---

(١) من ظ، و في الأصل: فعلت (٢) في ظ: لان (٣) في ظ: من (٤) في ظ: بقصر (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: بعد (٧) آية ١٣١ (٨) من ظ، و في الأصل: سويت (٩) في ظ: امر (١٠) في ظ: لبيته.

و لما انقضت هذه القصة العجيبة فى القصص ، أعاد النسق الأول فقال: ﴿و الى مدين﴾ أى أرسلنا ، و هى بلد ، و قيل قبيلة من أولاد مدين [ابن - ١] إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ اخاهم ﴾ أى من النسب . و بينه بقوله : ﴿شعيبا ط﴾ و هو موصوف بأنه خطيب الأنبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه ؛ ثم استأنف قوله على ذلك النسق : ﴿ قال يٰقوم﴾ ٥ دالا على النصيحة و الشفقة بالتذكير بالقرابة ، و بدأ بالأصل المعتبر فى جميع الشرائع المأثورة عن الأنبياء عليهم السلام فقال٢: ﴿ اعبدوا الله﴾ أى٣ الذى يستحق العبادة لذاته بما له من الأسماء الحسنى و الصفات العلى .

و لما كان المراد إفراده بالعبادة لأنه [لا - ١] يقبل الشرك لأنه غنى ، علل ذلك بقوله : ﴿ما لكم﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ من اله غيره ط﴾ ١٠ ثم استأنف التذكير بما دل على صحة دعواه فى نفسها و صدقه فى دعوى الرسالة بقوله : ﴿ قد جآءتكم ﴾ أى على يدى ﴿ بينة ﴾ و لما كنا عالمين من قول النبى صلى الله عليه و سلم الذى أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه « ما من الأنبياء نبى إلا اوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » أن هذه البينة معجزة ، مثلها كاف فى صحة الدعوى و لم تدع ١٥ ضرورة إلى ذكرها لنا ، لم تعن ؛ ثم زادهم ترغيبا بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم تروا٤ إحسانا إلا منه .

و لما كان إتيانه بالبينات سببا لوجوب امتثال أمره، قال مسببا عنه : ﴿ فاوفوا الكيل ﴾ أى و٣ المكيال و الوزن ﴿ و الميزان ﴾ أى ابذلوا ما

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى ظ : ان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم يروا .

تعطون بهما وافيا ، فالآية من الاحتباك ، و كان المحكي عنه هنا من أوائل قوله لهم فترك التأكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط .

و لما كان الأمر بالوفاء يتضمن النهي عن البخس ، صرح به على وجه يعم غيره فقال : ﴿و لا تبخسوا﴾ أي تنقصوا [1] و تفسد وا كما أفسد البخسة [1]
٥ ﴿الناس اشيآءهم﴾ أي شيئا من البخس في كيل [2] و لا [2] وزن و لا غيرهما ، و الناس - قال في القاموس - يكون من الإنس و من الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه "أل" ، و قال أبو عبد الله القزاز : الناس أصله عند البصريين أناس ، ثم أدخلوا الألف و اللام على ذلك و حذفوا الهمزة [3] و بقي الناس ، و كان أصله فعال من : أنست [4] به ، فكأنه قيل :
١٠ أناس - يعني على القلب ، قال : لأنه يؤنس إليهم - انتهى . إذا علم هذا علم أن نهيه صلى الله عليه و سلم عن بخس الجمع الذين فيهم قوة المدافعة نهي عن بخس الواحد من باب الأحرى لأن الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه .

و لما نهى عن الفساد بالبخس ، عم كل فساد فقال : ﴿و لا تفسدوا﴾
١٥ أي توقعوا الفساد ﴿في الارض﴾ بوضع شيء من حق الحق أو [5] الخلق في غير موضعه ؛ و لما نهاهم عن هذه الرذائل ، ذكر بنعمة الله تأكيدا للنهي بما في ذلك من التخويف و حثا على التخلق بوصف السيد فقال : ﴿بعد اصلاحها﴾ أي إصلاح الله لها بنعمة الإيجاد الأول بخلقها و خلق منافعها و ما فيها على هذا النظام البديع المحكم [6] ثم بنعمة الإبقاء الأول

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) في ظ : او (٣) في ظ : الهمز (٤) من ظ ، و في الأصل : انسب (٥) من ظ ، و في الأصل « و » (٦) من ظ ، و في الأصل : المحكمة .

بانزال الكتب و إرسال الرسل و نصب الشرائع التي بها يحصل النفع و تتم النعمة باصلاح[1] أمر المعاش و المعاد بتعظيم أمر الله و الشفقة على خلق الله، و يجمع ذلك كله التنزه عن الإساءة.

و لما تقدم إليهم بالأمر و النهى، أشار إلى عظمة ما تضمنه ذلك حثا لهم على امتثاله فقال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة مما ذكر ٥ فى هذه القصة ﴿ خير لكم ﴾ و لما كان الكافر ناقص المدارك/ كامل ٣٢١ / المهالك، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى فلا تفسدوا أو فأنتم تعرفون صحة ما قلته[2]. و إذا عرفتم صحته عملتم به، و إذا عملتم به أفلحتم كل الفلاح، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون التقدير: فهو خير لكم، لأن المؤمن يثاب على فعله لبنائه له على أساس الإيمان، ١٠ و الكافر أعماله فاسدة فلا يكون فعله لهذه الأشياء خيرا له من جهة إسعاده فى الآخرة لأنه لا ثواب له.

و لما كان للتعميم بعد التخصيص و التفصيل بعد الإجمال من الموقع فى النفوس ما لا يخفى، و كان النهى عن الإفساد بالصد عن سبيل الله هو المقصود بالذات لأنه نهى عن كل فساد، خصه بالذكر إشارة إلى ١٥ أنه زبدة[3] المراد بعد التعميم فقال: ﴿ و لا[4] تقعدوا ﴾ أى تفعلوا فعل المترصد المقبل بكليته ﴿ بكل صراط ﴾ أى طريق من طرق[5] الدنيا و الدين من الحلال و الحرام و الأوامر و النواهى و المحكم و المتشابه و الأمثال

(١) من ظ، وفى الأصل: باصلاحه (٢) من ظ، وفى الأصل: قبله (٣) من ظ. وفى الأصل: زايدة (٤) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: فلا (٥) فى ظ: طريق.

﴿ توعدون ﴾ أى تتهددون من يسلكه بكل شر إن لم يوافقكم على ما تريدون .

و لما كان طريق الدين أهم ، خصه بالذكر فقال : ﴿ و تصدون ﴾ أى توقعون الصد على سبيل الاستمرار ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى طريق

٥ من له الأمر كله ؛ و لما ذكر الصدود عنه[1] ، ذكر المصدود فقال : ﴿ من اٰمن به ﴾ أى بالله فسلك سبيله التى لا أقوم منها ؛ و لما كانوا لا يقنعون بمطلق الصد بالتهديد و نحوه . بل يبدون للصدود شبها توهمه أنه على ضلال ، قال عاطفا : ﴿ و تبغونها[2] عوجا ﴾ أى و تطلبون السبيل حال كونها ذات عوج ، أى تطلبون اعوجاجها بالقاء الشبهات و الشكوك كما تقول : أريد

١٠ فلانا ملكا ، أى أريد ملكه ، و قد تقدم فى آل عمران أن نصبه على الحال أرجح ، وأن قوله صلى الله عليه و سلم فى الصحيح « ابغنى أحجارا أستنفض بها » يرجح نصبه على المفعولية ـ و الله أعلم .

و لما كانت أفعالهم نقص الناس إما فى الأموال بالبخس و إما فى الإيمان و النصرة بالصد ، ذكّرهم أن الله تعالى فعل معهم ضد ذلك من

١٥ التكثير بعد القلة فى سياق منذر باجتثاثهم عن وجه الأرض و خصهم فضلا عن تقليلهم و نقصهم ، فقال عطفا على قوله " اعبدوا الله " و ما بعده من الأوامر و النواهى : ﴿ و اذكروٓا اذ ﴾ أى حين ﴿ كنتم قليلا ﴾ أى فى العدد و المدد ﴿ فكثركم ﴾ أى كثر عددكم و أموالكم و كل شيء ينسب إليكم ، فلا تقابلوا النعمة بضدها ، فان ذكر النعمة مرغب

٢٠ فى الشكر .

---

(١) فى ظ : عليه (٢) فى ظ : يبغونها .

و لما

و لما رغبهم بالتذكير بالنعمة، حذرهم بالتذكير بأهل النقمة فقال: ﴿ و انظروا كيف كان عاقبة ﴾ أي آخر أمر ﴿ المفسدين ﴾ أي في عموم الإهلاك بأنواع العذاب لتحذروا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم كما صرح به في سورة هود[1] لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سيأتي إن شاء الله تعالى. ٥

و لما حذرهم وخامة الفساد الذي نهاهم عنه، و علق انتهاءهم عنه بوصف الإيمان، رجع إلى قسم[2] ما شرط به الانتهاء عن الإفساد فقال: ﴿ و إن كان طآئفة منكم ﴾ أي جماعة فيهم كثرة بحيث يتحلقون[3] بمن يريدون ﴿ امنوا بالذي ارسلت به ﴾، بناه للمفعول إشارة إلى أن الفاعل معروف بما[4] تقدم من السياق، و أنه صار بحيث لا يتطرق إليه شك لما ١٠ نصب من الدلالات ﴿ و طائفة ﴾ أي منكم ﴿ لم يؤمنوا ﴾ أي بالذي أرسلني به من أيدني بما[5] علمتم من البينات. و حذرهم سطوته بقوله: ﴿ فاصبروا ﴾ أي أيها الفريقان ﴿ حتى يحكم الله ﴾ أي الذي له جميع العظمة ﴿ بيننا ج ﴾ أي بين فريقنا باعزاز المصلح و إهلاك المفسد كما أجرى بذلك عادته ﴿ و هو ﴾ أي و الحال أنه ﴿ خير الحكمين ﴾ لأنه يفصل ١٥ النزاع على أتم وجه و أحكمه.

---

(١) زيد بعده في ظ : لا (٢) في ظ : قسيم (٣) في ظ : يتخلفون (٤) من ظ، و في الأصل: كما (٥) في ظ : ما.

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء السابع من تفسير « نظم الدرر في تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الخميس الخامس من شهر شوال سنة ١٣٩٣ هـ = أول نوفمبر سنة ١٩٧٣ م ، تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها الأديب الأريب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان - تغمده الله بروح منه و ريحان و مغفرة و رضوان ! إلى تاريخ وفاته ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ ، ثم تحت إدارة الحسيب اللبيب السيد حامد على العباسي - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !

و قد عني بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله ! و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه !

و يليه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى و أوله « و لما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع - الخ» .

و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد
السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية